

الثورة .. جمهورية في ميدان التحرير

kamal zahran

تأليف
محمد مبروك أبوزيد

الثورة.. جمهورية في ميدان التحرير

الجزء الثاني

بقلم / محمد مبروك أبو زيد

فبراير ٢٠١٩

First Version 2019 Egypt

Mr, Mohamed Mabrouk Abozaid

المحتويات

أسبوع الصمود والتحدي

(١٨)

لا بديل عن الرحيل

الخميس ٣ فبراير

بمجرد أن تلاشت أستار الظلام وظهرت خيوط الضوء.. ظهر من بعيد شخص يقبع مثل خفاش الليل أعلى برج رمسيس هيلتون، ثم تنقل من مكانٍ لآخر على حافة البلكون بارتفاع ثلاثين طابقا ، وبدأت تظهر حوله مجموعة أخرى تتحرك بهدوء مثل الغربان السود.. ربما كانوا يترقبون شيئا ما بدقة وحذر.. وصار واضحا في تلك اللحظات أن هؤلاء هم فرقة القناصة التي تصيدت شبابنا في ظلام الليل، وفي الحال أبلغنا إذاعة الميدان فوجهت نداءها فورا إلى الشباب بعدم الاقتراب من كوبري أكتوبر والعودة إلى ميدان عبد المنعم رياض لأن الجبهة صارت عريضة جدا ومفتوحة للخطر.. وكان واضحا أن فرقة القناصة هي قوات نظامية، إما تابعة للقوات الخاصة أو قوات الحرس الجمهوري المكلفة بحراسة وتأمين مبنى الإذاعة والتليفزيون، ولذلك عندما ابتعدنا عن كوبري أكتوبر توقفت طلقاتهم.. وكُنا في بداية الأمر نتطلع إلى الطوابق الوسطى من الفندق ونتوقع اختباء القناص خلف النوافذ في الطابق الخامس أو السادس، نظرا لاتجاه زاوية السقوط التي اتخذتها الطلقات في أجساد الشباب، لكن بعدما طلع النهار وجدنا مجموعة ترتدي زيا موحدا وخوذات تقف فوق سطح الفندق وتتحرك لتكشف عدة اتجاهات ربما لم تكن نوافذ الفندق الجانبية تسمح لهم بذلك فصعدوا إلى السطح (١).

بينما في المستشفى الميداني بميدان عبد المنعم رياض، كان أحد الشهداء لا زال يخرج الروح، وقد اخترقت رصاصة صدره وانفجر القلب وتسرب الدم مع مسار الطلقة إلى داخل الرئة، لدرجة أنه كان يسحب النفس مكتوما دون هواء، ويخرج زفيره دما، ولم توجد إسعافات كافية وذهب به الشباب إلى سيارة الإسعاف، ونظرا لأن العاملين عليها أخبروا الشباب بأن من يذهب للمستشفى إما مصابا يتم اعتقاله فورا وإما متوفى يتم حجزه

١ـ فيما بعد فترة حكم الإخوان في مصر، تحدث محمد مرسي أثناء مرافعته للدفاع عن نفسه أمام محكمة جنايات القاهرة، باقتضاب، عن تلقيه معلومات ضمن تقرير لجنة تقصي الحقائق الثانية عن أحداث الثورة تفيد بدخول أفراد من جهة سيادية كان يترأسها السيسي إلى فنادق مطلة على ميدان التحرير واستئجارهم غرفا باستخدام بطاقات التعريف الرسمية لهم، وبحوزتهم أسلحة"، وقال إنه «لم يأمر بالقبض على هذا القائد ليسمح للنيابة العامة بالتحقيق في هذه المعلومات، وحتى يحافظ على المؤسسة العسكرية".

وكان فندق «هيلتون رمسيس» هو المواجه لكوبري أكتوبر وميدان عبد المنعم رياض، وحدث الاعتداء الشهير إعلاميا بموقعة الجمل بين يومي ٢ و٣ فبراير؛ واستدعت اللجنة للشهادة مدير الفندق، الذي أكد أن ضباطا تابعين لإدارة الاستخبارات الحربية بالقوات المسلحة، وآخرين يعملون في إدارة شرطة السياحة بوزارة الداخلية، حضروا إلى الفندق بعد انتهاء أعمال العنف في جمعة الغضب؛ وبعد انسحاب الشرطة وأفراد الأمن المركزي تماما من جميع نقاط تمركزهم على مستوى الجمهورية.

في الثلاجة، فعاد به الشباب إلى جوار المستشفى الميداني وأخذوا يلقنونه الشهادة لعلمهم أنه يلفظ أنفساه الأخيرة التي خرج دمه فيها بدلا عن الأنفاس.. كان منظرا بشعا جدا لدرجة أنني تحاشيت مجرد النظر إليه، وظللت فترة طويلة يقشعر بدني كلما تذكرت هذا المنظر، فقد يكون من اليسير على النفس أن ترى إنسانا ميتا، أما أن تراه وهو يموت بهذه الطريقة، ويحاول جاهدا الحصول على نفس إلا أن الدم ظل يدخل ويخرج من فمه مكان الهواء حتى سكت عن الحياة.



فقد حاول النظام أن يكسحنا بآلياته التقليدية، والتي طالما اتبعها الأغبياء في انتزاع انتصاراتٍ زائفة، لكن سيوفه ارتدت في صدره، فخطابه الذي أبكى الجماهير المصرية ليلة أمسٍ ما جعلها تخرج في الشوارع هاتفة بحياته قرينة بحياة الوطن، ما كان إلا مناورة لتسكين الجماهير الساذجة وتهيئة الجو للقبض بعنفٍ على رقاب الثوار الذين وضعوه في مأزقٍ محرج لم يكن بين توقعاته يوما ما، ثم لم تمر ساعة واحدة حتى فكر زبانيته في الإجهاز علينا وإتباع الضربة العاطفية بضربة أخرى قاسية تنهي على الثورة والثوار، فجاءت جحافل من جماهير مختلطة بالخيول والجمال والبغال وجميعهم على ذات الدرجة من الوعي. لكن الله قدَر أن تكون ضربته في عنقه.



هذا هو الموقف الذي وضع نظام مبارك نفسه فيه حينما قرر أن يسحقنا تحت حوافر الخيول والبغال التي استعان بها، فارتدت ويلاتها عليه وأصبح في قبضتنا أمام شعبه وأمام العالم أجمع. وبدأت تتوافد إلى الميدان مجموعات من الشباب عند الفجر، استقلوا حافلاتهم من الأقاليم والمحافظات البعيدة عن القاهرة كي ينضموا إلينا عندما شاهدوا الهجوم الغجري عصر أمس على شاشات الفضائيات.. وكانت أكمنة الجيش منتشرة بكثافة على مداخل وخارج القاهرة لمنع دخول حافلات الركاب القادمة من المحافظات.. وكثير من النازحين استجابوا لأوامر الجيش، وعادوا إلى موطنهم.. وجعلوا من عواصم بلدانهم ميدانا إقليميا للتحرير، فانتشرت ميادين التحرير في كل أنحاء الجمهورية خلال ساعات.. لكن مجموعات من الشباب المثابر (من ١٥ إلى ٢٥ عام) تركوا حافلاتهم تعود، وتسللوا إلى القاهرة سيرا على الأقدام وقطعوا مسافات تصل إلى ٥٠ كيلو متر، جابوا خلالها الأزقة والممرات الضيقة متحدين خطر الانفلات الأمني وظلام الليل وعدم معرفتهم بدروب القاهرة وشوارعها، لكنهم بعد معاناة بدؤوا في الوصول للميدان قبل الفجر بقليل، واتجهوا مباشرة إلى جبهة الدفاع في ميدان عبد المنعم رياض وكوبري أكتوبر ليتقصوا حقيقة الأحداث التي شاهدوها على الفضائيات.. وتساءلوا عن حقيقة الهجمات التي وقعت مساء الأمس وقلبت موازين الأمور رأسا على عقب، ولم يعرف أحد هذه الهجمة كانت لصالح أيٍ من الطرفين.. لأنها عندما وقعت تغيرت أشياء كثيرة وسقطت الأعلام واللافتات وتناقلت الكاميرات الإعلامية المشاهد دون وضوح حتى اختلفت الأمور حتى على المحللين

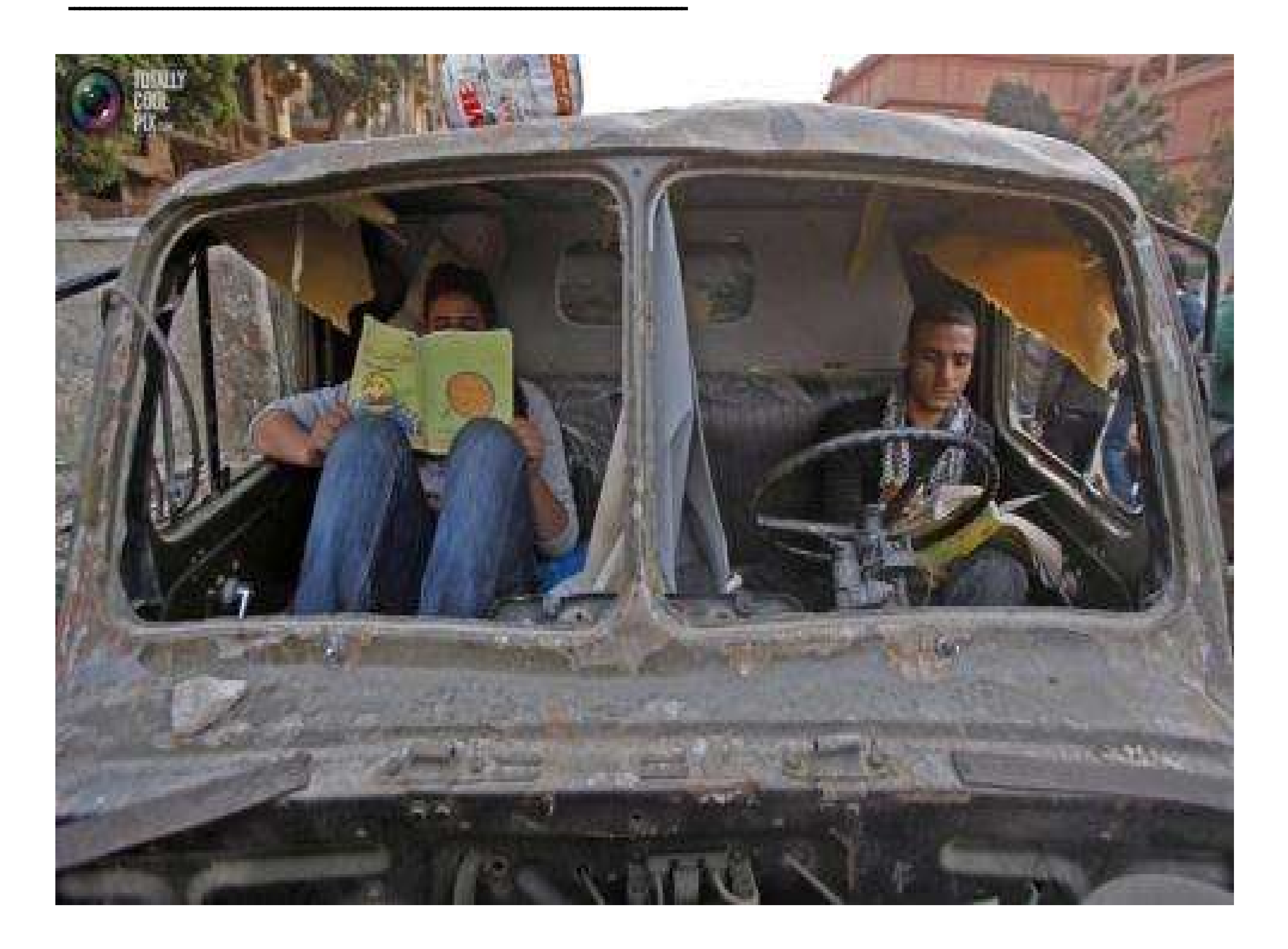
السياسيين ولم يعرفوا على وجه الدقة أيَ الطرفين هجم على الآخر.. فكلا الطرفين لم تكن لهم علامات أو رايات مميزة وقت الاشتباك، فما ظهر على الشاشات هو فقط حرب شوارع..

ومع أننا قدمنا أعمالا بطولية طوال اليوم والليل، وسقط منا عشرات الشهداء وآلاف الجرحى، وقضى الشباب ليلهم في العراء وأغلبهم سهر لحراسة الميدان، لم يحصلوا قسطها من الراحة سوى في ساعات الصباح المبكر.. إلا أن الأبطال الحقيقيين هم من قطعوا عشرات الكيلومترات سيرا على الأقدام وجاءوا لنصرتنا في ميدان التحرير، رغم العقبات والعوائق التي واجهتهم طوال الليل، في طرق ملتوية ومظلمة ونقاط التفتيش العسكرية واللجان الشعبية وتداعيات الانفلات الأمني.. فنحن كنا نحتمي ببعضنا، أما هم فقد واجه كلٌ منهم مصيره منفردا..





وكثير غيرهم لم تعرف حكاياتهم.. فالمجد للمجهولين.. ومن هؤلاء " جاء الشاب الثلاثيني مؤمن محمد إلى الميدان من قرية شطا بسوهاج لا يحمل سوى ١٧ جنيها ونصف، لم يسافر في حياته قط إلى القاهرة،وقف وسط زملائه مرتديا خوذة فوق جلبابه الصعيدي، متحديا البلطجية والقناصة، لم يأت ليشتكى الفقر أو ضيق ذات اليد، لكنه جاء ليثأر لدماء الشهداء،ولا تربطهم به إلا رابطة الوطن"



في العاشرة صباحا هجمت مجموعات من البلطجية على ميدان التحرير من جهة طلعت حرب، لكن تم ردهم بسهولة هذه المرة، كانت محض مجموعات فوضوية وبأعداد قليلة لم تتمكن من دخول الميدان أو الصمود على مداخله، وفي الجانب الآخر، احتشدت جماهير غفيرة من مؤيدي مبارك على كوبري أكتوبر وأسفله وامتلأ المكان حتى محطة النقل العام وكانوا يحملون صور مبارك ولافتات تعبر عن تأييدهم له واعتزازهم به، واحتشدوا على بعد خطوات من خط المتاريس والدروع التي نقف خلفها ودارت بعض مناوشات من جانبهم لكن لم يتقدموا من دروعنا ،ولذلك لم نرد عليهم أو نشتبك معهم.. وكان واضحا أن جماهير اليوم من مؤيدي مبارك ليسوا بلطجية أو مأجورين من الحزب الوطني، بل هم من كافة فئات الشعب المصري تعاطفوا مع خطابه الأخير وحنت قلوبهم لدموعه فخرجوا لتأييده وليس في نيتهم الاشتباك معنا.. ولم يكن الاحتقان حادا وعنيفا على نفس الدرجة التي كانت أمس. وكنا نشير إليهم بأيدينا وأعلامنا ونهتف لهم " مصر يا أم.. ولادك أهم.. دول علشانك شالو الهم.. راح يفدوكي بالروح والدم.."وحدثت عدة مشاهد تاريخية فعلا في حق مصر وشعبها..

المشهد الأول:

شاب من بيننا يتطوع بالذهاب إليهم بكل شجاعة ويعطيهم زجاجتين مياه معدنية ولم يصبه منهم أي أذى، وفي ذات الوقت كانت مجموعة منهم أعلى الكوبري أنزلوا برميلا بلاستيكيا مربوطا بحبل إلى المجموعة الأخرى أسفل الكوبري تقوم بتعبئته بالحجارة لتقوم المجموعة التي في الأعلى بسحبه بالحبال فيما يشبه عملية نزح المياه من البئر ومن ثم يمطروننا بها.. والغريب في الأمر أنه عندما أعطاهم الشاب الشجاع زجاجات المياه، أخذت المجموعة التي أسفل الكوبري واحدة ووضعوا الأخرى في البرميل مع الحجارة لتقوم المجموعة الأخرى بسحبه بالحبال.. لكن بعد هذا الموقف توقفوا تماما عن الهتاف ضدنا ولم يقذفوا حجرا واحدا وظلوا واقفين فترة من الوقت ربما للمشاهدة فقط..

المشهد الثاني:

على أقصى اليمين.. ذهب مجموعة من شبابنا للتحدث معهم ودعوتهم لتفقد أحوال الميدان والمعتصمين به والتعرف على مبادئهم ومطالبهم، فتقابلت معهم مجموعة من مؤيدي مبارك في منتصف المسافة التي كانت خط الاشتباك بيننا أمس، وبعد دقيقتين من الحوار تصالحوا وتعانقوا جميعا واشتعل التصفيق الحار من الجماهير على الطرفين.. وفي سرعة البرق تجمع الإعلاميون وكأنهم هبطوا بالباراشوت لالتقاط لحظات التصالح التاريخية التي نتمنى أن تدوم..

وبعد ذلك انصرفت أعداد منهم، وأعداد أخرى ظلت صامتة أعلى الكوبري ربما للمشاهدة، واصطفت أعداد كبيرة منهم في طابور أمام لجنة تفتيش لدخول الميدان، ولم يسمح بالدخول إلا لمن يحمل بطاقات هوية، وقليل جدا منهم كانت معه أسلحة بيضاء سلمها في لجنة التفتيش عند الدخول، وكان واضحا أن الجماهير التي جاءت اليوم مؤيدة لمبارك اختلفت كثيرا عن تلك التي هجمت في غزوة بني قريظة، وكان معظمهم من البسطاء الذين اختلفت عليهم الأمور ولم يعرف أحدهم أين كانت الحقيقة، واحتاروا ما بين ميدان التحرير وميدان مصطفى محمود، وكانوا يتساءلون عن حقيقة التقارير التي بثها الإعلام المصري عن ميدان التحرير وشائعات كنتاكي والدولارات والانفلات الأخلاقي وممارسة الرذيلة، وغيرها من الأدوات الإعلامية.

وتحدثت إلى شاب من بينهم وقال لي بالحرف : " أنا لا أعرف شيئا عمّا يحدث، وكل ما أعرفه أنهم جمعوا الناس يوم الثلاثاء بالليل بعد خطاب الرئيس مبارك في مقر أحد أعضاء الحزب الوطني بحيَ السيدة زينب، والاجتماع كان مع "مقاول الحزب الوطني" (ملحوظة: سألته عن مقاول الحزب هذا، فقال: مقاول بلطجة يتم التعامل معه بالاتفاق حسب الطلب وبمقابل مادي مجزي لجلب أفراد من الأشقياء والخارجين عن القانون للقيام بمهام محددة خلال فترات الانتخابات وأثناء المظاهرات التي تتحرك في الشوارع)، وأخبرني أن البلطجية لا

يدخلون مقر عضو الحزب الوطني، ولكن الاتفاق يكون مع المقاول، والمقاول يقابل الأفراد ويتفق معهم على المقاهي أو أي مكان آخر. وقالوا لنا: المهمة عبارة عن مسيرة مظاهرات تبدأ من ميدان مصطفى محمود في شارع جامعة الدول العربية في تمام التاسعة صباحا يوم الأربعاء وممنوع التأخير عن مكان وميعاد التجمع، وتتحرك المسيرة إلى ميدان التحرير وتظل هناك حتى التاسعة مساءا، ولكل واحد خمسين جنيه قبل المهمة، وخمسين جنيه أخرى بعد نجاح المهمة، وناس أخذت أكثر.. وقالوا لنا إن ميدان التحرير فيه ناس (كفرة) وشيعة من إيران وإسرائيليين.. ولازم نطهره.. دول بيمارسوا الزنا وبيتجوزوا هناك ويشربوا مخدرات ولازم نأكلهم أكل.. وإحنا معاكم..". ثم سألني عدة أسئلة غريبة من نوعية " أين الحمامات.. أين تنامون.. نساء مع رجال مع بنات؟.!.. هو فيه كنتاكي ودولارات ومخدرات وبنات بترقص؟!

سرنا سويا أثناء حديثنا وتوقفنا أمام لجنة التفتيش الثانية في منتصف المسافة ما بين ميدان التحرير وميدان عبد المنعم رياض، وكانت اللجنة منقسمة إلى ثلاثة أقسام، الأول للخروج من ميدان التحرير إلى الجبهة دون تفتيش، والقسم الثاني للقادمين من الجبهة، يتم تفتيشهم قبل دخول الميدان حتى لا يتسلل بينهم عناصر غريبة، والقسم الثالث لتفتيش السيدات والفتيات.. في نظام دقيق مثل قوانين المرور.. وإلى يمين اللجنة يجلس شاب معاق على كرسي متحرك وأمامه مجموعة من الخوذات والدروع وبجواره لافتة " أمين الجبهة " بحيث يضع القادمين من الجبهة خوذاتهم ودروعهم حتى يعودون إليها أو يستعين بها غيرهم في حالة الضرورة.. وتجد الخارجين من الجبهة يضعون خوذات ودروع يدوية والقادمين إليها بعد الاستراحة يأخذون خوذات ودروع في عملية تبادل مستمر.. وعلى يسار اللجنة يقف مجموعة من الأشخاص يحملون مأكولات مغلفة وشطائر وزجاجات مياه وتمور رطبة وجافة، يتنافسون في توزيعها على القادمين..

وعلى بعد خطوات حيث تقف مدرعات الجيش ودباباته، تجد مجموعات من الناس تجلس أمام الدبابات وبين عجلاتها المعدنية، وتجد شابا غلبه النوم أمام جنزير الدبابة، وعندما تتحرك دبابة خطوة يتجمع الناس أمامها في تحدٍ صارخ للقوة بالإرادة والعزيمة، وربما لو أدارت الدبابة مدفعها من اتجاه لآخر يتحركون معه حتى ولو أدارت محركاتها يتزاحمون حولها.. وأذكر أن أحد الضباط حرك سرية من دبابات الجيش المتواجدة في الميدان (سرية: ٣دبابات)، وبمجرد أن أدارت الدبابات محركاتها تجمع نصف الجماهير حولها رافضين تحركها وهم يهتفون " الجيش والشعب إيد واحدة " فأخذ الضابط في إقناعهم أنه في مهمة خاصة لتأمين منشأة حساسة وسيعود إليهم مرة أخرى.. وهنا سمحت له الجماهير بتحريك دباباته.

وحاولت أن أتفقد الكثافة البشرية في الميدان صباح اليوم.. وهالني المؤشر بقفزاته الحادة؛ أعداد الوافدين في زيادة مستمرة.. خطاب الثورة يتجدد ويتحول من الاستغاثات إلى الإصرار والصمود وتتكرر الدعوة إلى

جمعة الرحيل غدا.. لافتات وأعلام ترفرف من جديد.. تجمعات وهتافات تجوب الميدان.. تغيرت اللهجة الثورية كثيرا بعد أحداث الأمس، وصارت معظم اللافتات تتمسك بالإصرار على الرحيل، بعضها يقول " فاستخف قومه فأطاعوه " ، " أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا" – " إنما النصر صبر ساعة"، "اصبروا وصابروا ورابطوا "، " وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله..". لكل داء دواء يستطاب به إلا الحماقة أعيت من يداويها" إذا نقص عدد المتظاهرين ليلا من الممكن أن تتكرر مذبحة الأربعاء الدامي" ، "أنصاف الثورات أكفان للشعوب "

ومع أعداد الجماهير الوافدة تحولت من لحن الدعاء والرجاء إلى لحن الدعابة والفكاهة

- ألو.. رئاسة الجمهورية .. عفوا لقد نفذ رصيدكم
- تمام يافندم .. كله تمام .. مافيش حد في الميدان..
- التليفزيون المصري يُعلن أن الزعيم حسني مبارك شارك في غزوة بني قريظة
- لا بديل عن الرحيل "
- تاريخ انتهاء صلاحية النظام٢٥ يناير ٢٠١١
- مسلسل نحن لا نصنع المولوتوف (من مسلسل نحن لا نزرع الشوك)
- هم يقولون بأن الشعب المصري غير مؤهل للديمقراطية، والشعب يسأل هل هم مؤهلون لحكم مصر؟
- قارئة الفنجان تقول لحسني: لا تحزن فالرحيل مكتوب عليك مكتوب مكتوووب..
- في البداية سيتجاهلونك ثم يحاربونك ثم يحاولون قتلك ثم يفاوضونك ثم يتراجعون ثم تنتصر "غاندي"
- " اللهم ارفع عنا الغلاء والوباء وأبو علاء"
- عنواني الجديد : ٢٥ يناير- ميدان التحرير – جمهورية التحرير

- بينما الهتافات أخذت طابعا ثوريا مفعم بالتحدي أكثر من اللافتات، حيث تحركت مجموعات من الشباب تدور في الميدان هاتفة :
- "مش بنخاف م البغال..صوتنا العالي يهد جبال "
- " يا سوزان قولي للبيه ..ربع قرن كفاية عليه "
- " يا سعودية.. فينك فينك .. جايلك خاين م المنوفية "
- " يا شفيق روح لنظيف .. عايزين مجلس وزراء شريف"
- " حسني مبارك يا فرعون .. كل يوم فيه مليون"
- " ياللى فاضلك ست شهور .. خد أجرتهم يلا وغور "

بينما كان المتجمهرين بميدان مصطفى محمود لا زالوا يهتفون" يا مبارك يا طيار أوعى تسبها تولع نار.."فرد عليها ميدان التحرير بهتاف" كلموه بالعبري .. ما بيفهمش عربي"

وقد عادت الإذاعة إلى فقراتها وأغنيات شادية الوطنية والشيخ إمام الثورية، ومن وقت لآخر يتخللها بعض التحذيرات والتنبيهات، كان أهمها الابتعاد عن كوبري أكتوبر والاكتفاء بميدان عبد المنعم رياض لأن الجبهة عرضة لخطر القناصة المنتشرين فوق أسطح المباني المجاورة.. وتنبيهات إلى لجان التفتيش من دخول أشخاص يحملون محظورات.. أسلحة بيضاء أو شرائح معدنية حادة وقطع الزجاج وغيرها.. أو تنبيه الشباب للتطوع في لجان التفتيش على مدخل قصر النيل ذو الكثافة العالية من القادمين.. واستغاثات لنقص في المواد الطبية ومستلزمات الجراحة وغير ذلك..

وكان الزحام شديد حول المستشفى الميداني خلف منصة الإذاعة الرئيسية، فاقتربت لاستطلاع الأمر عن قرب، وعرفت من الشباب القائمين على خدمتها أنه كانت هناك أزمة حادة في المواد والمستلزمات الطبية وحتى الأطباء، عندما وقعت الأحداث الدامية أمس، وزاد عدد الجرحى والمصابين فجأة وبكثافة عالية، ولم يكن عدد الأطباء والمواد الطبية كافيا بأية حال، لأن المستشفى الميداني كانت من بقايا جمعة الغضب ولم يكن أحد يتوقع ما حدث، ورغم استغاثات الإذاعة الميدانية أكثر من مرة إلا أنها لم تستطع حل الأزمة ووقف النزيف المتواصل مع سخونة الأحداث ووصول جرحى جدد بكثافة عالية من الجبهات المختلفة.. إذ أن مستشفى ميداني واحد لكل جبهة لن يكفي بالطبع.. وحاول بعض الناشطين نشر رسائل استغاثة على المواقع الإلكترونية .. وكان الدكتور محمد البلتاجي قد أجرى مداخلة مباشرة على قناة الجزيرة للإعلان عن حالة الميدان والنقص الحاد في المواد الطبية، برغم وقوف عشرات من سيارات الإسعاف الحكومية متراصة في شارع قصر العيني، وبعد وقت جاءت رسالة الاستغاثة بنتائج جيدة، وتمكن البعض من تهريب مواد طبية إلى داخل الميدان.

وفي مقر قيادة الجبهة في إحدى شركات السياحة الموجودة على جانب ميدان التحرير، اجتمعت مجموعة ضمت المستشار محمود الخضيرى (قاض)، والدكتور عبد الجليل مصطفى، منسق الجمعية الوطنية للتغيير، والقيادي العمالي بحزب الكرامة كمال أبو عيطة، وأشرف بدر الدين، وجمال زهران النائب المستقل السابق، ومن نواب الإخوان السابقين د.محمد البلتاجي، وأحمد دياب، وفريد إسماعيل، هذه المجموعة بالتنسيق مع شباب ائتلاف الثورة، أدارت تلك المجموعات مع آخرين تنظيم الصفوف وطلب الإمدادات والإشراف على المستشفى الميداني، ورفضوا التفاوض مع قيادات كبيرة من أجهزة سيادية إلا بعد إنهاء المهزلة التي تحدث في الميدان.

وبدأت القيادات الشبابية في الميدان تتخذ موقفا رسميا تجاه ما يحدث، وقرروا الإعلان عن ائتلاف شباب الثورة باعتباره متحدثا عاما باسم الشعب. يقول زياد العليمي، عضو ائتلاف شباب الثورة: "عندما جاء خطاب الرئيس يبحث عمن يتفاوض معهم. كنا حتى هذه اللحظة قيادة مختفية للأحداث، ثم اتخذنا القرار بالظهور الرسمي في مؤتمر صحفي اليوم ٣ فبراير رافعين شعار لا تراجع قبل رحيل مبارك، ورفضنا التفاوض، وبدأت تسمية الائتلاف أولا" ائتلاف شباب ثورة الغضب"انطلاقا من تسمية جمعة الغضب، لكن بعض السياسيين نصحونا بتغيير الاسم إلي ائتلاف شباب ثورة ٢٥ يناير." ومن هذا التوقيت بدأ جدول أعمال مختلف عما قبل الأحداث الدامية وهجوم البلطجية، أصبح للميدان سلطة صناعة القرار فعليا.

فبعد خطاب مبارك ليلة الثلاثاء الماضي مباشرة تشكلت جبهة مناهضة للثورة وبدأت عملها على عدة محاور، ربما كان أولها المحور الإعلامي الذي نشر أخبار عن تزاحم الملايين من الجماهير المؤيدة لبقاء مبارك في ميادين العاصمة وحول الجمهورية، بالإضافة إلى شحن أعضاء الحزب الوطني ورموز النظام لأتباعهم وعمالهم في مسيرات مستأجرة، وبدأت اللجان الإلكترونية بغزو الشبكة ونشر ملايين من التغريدات المؤيدة لاستمرار مبارك، وتشكلت لجان تفتيش منظمة تحيط بميدان التحرير من كل جانب، حيث كانت لجان التفتيش الخاصة بميدان التحرير تقف على مداخل ومخارج الميدان مباشرة، بينما تشكلت لجان تفتيش الحزب والنظام في نطاق دائري محيط بالميدان ويبعد عنه من ٢٠٠ متر إلى ٥٠٠ متر لتفتيش القادمين إلى الميدان ومنعهم والتحفظ على ما معهم من مؤن ومستلزمات ومواد طبية ومواد إعاشة وغير ذلك في محاولة لمحاصرة الميدان وفضة بالضغط والحصار.. ومن هنا تناقصت المواد الطبية، ولذا لجأ الأطباء إلى الاقتصاد في استهلاك المواد الطبية واختصار العمليات الجراحية إلى الحد الأدنى الذي يكاد يكفي فقط لوقف نزيف الدماء، وإن احتاج الأمر لإعادتها فيما بعد أو تكميلها..

وتتذكر الآنسة " هبة غنام" الناشطة، من المواقف التي لا تنسى، هي اكتشافها لخدعة اللجان الشعبية بباب اللوق وعابدين قبل موقعة الجمل، والتي لم تكن لجانا شعبية عادية بل مجموعة من أفراد الحزب الوطني، وبدلا من تفتيش السيارات لتأمينها كان دورها هو تفتيشها لمنع دخول الطعام والمياه إلى المعتصمين بالميدان، واكتشفت ذلك عندما قررت التحرك بسيارتي بعد أن جمعت نقودا من جيراني وأصدقائي لإحضار زجاجات مياه وطعام إلى المعتصمين، وهى المهمة التي قام بها عدد كبير من الشباب، وفوجئنا جميعا باعتراضنا من قِبل اللجان الشعبية المؤدية للميدان، حتى كسروا أبواب سيارتي وأخذوا كل ما فيها والأمر نفسه مع زملائي، وبعد الإمساك بأحد هؤلاء البلطجية، وجدنا معه كارنيه الحزب الوطني، وعرفنا أنه كمين وليس مجرد لجنة شعبية، ومن هنا بدأت القيام بمهمة تنسيق اللجان الشعبية بين أهالي كل منطقة حتى انتهت تلك الأيام العصيبة، ليتحول دورنا إلى حماية الممتلكات العامة وقت المظاهرات».

وذكرت "اليوم السابع": أنعدد من البلطجية وأفراد من الشرطة، في زى مدني، أغلقوا كافة الطرق المؤدية لميدان التحرير ومنعوا الصحفيين وكافة المؤن الطبية والغذائية من الوصول للمتظاهرين، ومنع البلطجية السماح لأي سيارة من الدخول إلى ميدان التحرير إلا إذا قال كلمة السر وهي "الشعب".. كما منعوا عبور سيارات الإسعاف إلى داخل الميدان. (٢٠١١/٢/٣)

وبمرور الوقت أتت الدعوة على المواقع الالكترونية بنتائج باهرة، فقد وصلت الميدان من جهة وسط البلد سيارة تحمل الكثير والكثير من المواد الطبية ومستلزمات الجراحة، خاصة الإبر والخيوط الطبية والبنج.. والمتطوعين بهذه المساعدات لم يكونوا يعلنون عن هوياتهم.. رغم أن هناك شركة قامت بإرسال سيارتين محملتين بعبوات مياه معدنية لتوزيعها على المعتصمين بالميدان، لكن الشباب طلبوا من القائمين عليها عدم دخول ميدان التحرير بسياراتهم مرة أخرى لأن السيارات تحمل العلامة التجارية للشركة، وهو ما قد يفهمه البعض على أنه دعايا تجارية.. وكانت السمات العامة في الميدان هي النزاهة الخلقية والإخلاص والتفاني الذي مثل أولى دعائم الثورة ومبادئها..

وقد رصد الكاتب البريطاني روبت فِسك حركة الوعي الجمعي بين فئات الشعب المصري، ولاحظ هو الآخر اختفاء ظاهرة العنف الطائفي في ظروف الثورة.. غير أن المشكلة الكبرى تكمن في أغلبية المصريين قليلي الثقافة والفكر والنضج أو الوعي السياسي، وهو ما ظهر في تعاطف أغلبية الشعب مع خطاب مبارك، ثم ما لبسوا أن عادوا سريعا بعد خطاب البلطجة. وعلى أي حال، فقد وقفت الشرائح البسيطة من الشعب خلف صفوف الشباب حتى اكتملت أركان الثورة وتحولت من انتفاضة شباب إلى ثورة شعبية.. ثم ما لبثت هذه الشريحة الساذجة أن تخلت عن الشباب لتؤيد بقاء مبارك ونظامه وتتعاطف مع خطابه الأخير، ثم تنضم إلى أنصاره وحزبه الحاكم غصبا واتحدوا لمحاربة الشباب المعتصمين بالميدان، وبعدما صمد الشباب أمام حربهم القذرة سياسيا وإعلاميا وتكتيكيا، وأصروا على مطالبهم وحققوا نصرا باهرا على الحزب وأنصاره وبلطجيته وبغاله.. وهنا عادت الجماهير مرة أخرى لتقف مع الشباب.. ومهما كانت تنازلات ووعود مبارك فلن تجد شيئا لأنه لم يعد له رصيد شعبي.

و كتب الأستاذ روبت فِسك مقال لصحيفة «الإندبندنت» البريطانية، قال فيه؛ إن الرئيس مبارك أوشك على مغادرة منصبه نهائيا، وأن استقالة هيئة مكتب الحزب الوطني، بمن فيهم جمال مبارك، لن ترضى المتظاهرين المطالبين بتنحية الرئيس. واعتبر فيسك أن حديث الرئيس مبارك لشبكة «إى بى سى» الأمريكية، الذي أكد خلاله أنه يريد الرحيل لكنه يخشى الفوضى، هو أول إشارة على أن الرئيس في طريقه للرحيل نهائيا. وقال أن النظم المستبدة، ومن بينها مصر، عادة ما تلقى باللوم، عندما تكون تحت

تهديد، على «أياد خفية » و«أجندات أجنبية » للثورات. وقال أن عناصر الأمن الذين أرغموا على الاختفاء من شوارع القاهرة وعصابات المخدرات المأجورة، يشكلان جزءا من الأسلحة المتبقية للنظام الخطير والجريح، وأن هؤلاء العناصر البلطجية الذين يعملون بأوامر وزارة الداخلية، هم من يهاجمون المعتصمين في ميدان التحرير ليلا". وقال: " أن الشعب المصري تخطى جيلين من النضج، وأن المهمة الأولى الأساسية للنظام المصري المستبد هي القيام بما سماه «أطفلة» شعبه، لتحويله سياسيا إلى طفل في العام السادس من عمره، بحيث يكون مطيعا لوالده، أي حاكمه". وأضاف:" إن قوة الشباب والتكنولوجيا جعلت المصريين ينضجون ويقومون بثورتهم الحتمية، وهو ما أثبت أن النظام المصري هو من كان يتألف من مجموعة أطفال".

وقال أيضا:" إن الرئيس مبارك لم يكن يجهل بالمظالم التي ارتكبها نظامه، وحكمه استند إلى القمع والتهديد والانتخابات المزورة، وسفراء الولايات المتحدة المتعاقبون في القاهرة ظلوا يخبرونه بالأعمال الوحشية التي يرتكبها النظام باسمه، لكنه كان يكتفي بالتعبير عن دهشته أو التعهد بإنهاء وحشية الشرطة، لكن لم يتغير شيء على الإطلاق، وهو ما اعتبره موافقة منه على ما يفعله رجال الشرطة في مصر". وأكد «فيسك» أن المتظاهرين المؤيدين للديمقراطية لاحظوا ظاهرة غريبة، هي أنه في الأشهر التي سبقت اندلاع الاحتجاجات في ٢٥ يناير، تعرض الأقباط لسلسلة من الهجمات على كنائسهم، وأنه أثناء أحداث ٢٥ يناير لم يُمس قبطي واحد بسوء، مرجعا ذلك إلى انشغال مرتكبي تلك الجرائم بتنفيذ مهمات عنيفة أخرى. واختتم فيسك مقاله، بقوله: " إن رحيل الرئيس مبارك، سيكشف النقاب عن حقائق رهيبة، وفى حالة تحقيق الشباب للنصر، سيكونون في أمان، لكن إذا لم يكن الوضع كذلك، فسيطرق (زوار الفجر)، أبواب الكثير من المحتجين".

وبالطبع تغيرت لهجة السياسيين الكبار، الذين لم تنمو الثورة في أدبياتهم حتى وإن كانوا معارضين، لكن خطابهم المضاد للفساد كان ناعما، مثل خطاب عمرو موسى ود. أحمد زويل وغيره من المثقفين الذين تغيرت لهجتهم واصطبغت بالحدة الشديدة بعد هذه الأحداث المؤسفة، حتى أن البرادعي صرح في بيانٍ حاد اللهجة واضح العبارات، قال فيه: أن المطلب الشعبي الآن محاكمة الرئيس وليس فقط مغادرته

أكد الدكتور محمد البرادعي مدير وكالة الطاقة الذرية السابق في تصريحه لـ«الشروق» أن إنقاذ حياة آلاف الشباب الذين يتعرضون للتصفية في ميدان التحرير الآن مرهون بتدخل الجيش المصري حفاظا على مصداقيته لدى أبناء الشعب المصري. وأن الرئيس المصري الآن فقد شرعيته بعد أن فقد مصداقيته. وحقنا للدماء إذا لم يرحل سلما سيقوم الشعب بانتفاضة لطرده من البلاد. وأشار البرادعي إلى أن بطش النظام بلغ حدا غير معقول حتى أن بلطجية الأمن اعتدوا بالأمس على مراسل CNN عقابا له على إجراء مقابلة معه، منوها

إلى أنه أثناء حديثه مع «الشروق» هاتفيا كانت مظاهرة من بلطجية النظام الحاكم في طريقها إلى منزله بالهرم. وشدد البرادعي على أننا الآن نواجه ديكتاتورا لا يعي ولا يفهم ولابد له أن يرحل، مؤكدا أن يوم غد الجمعة سوف يشهد مظاهرة غضب عارمة ستؤدى إلى نهايته. وذكر البرادعي أنه تلقى اتصالات من وزير خارجية ألمانيا ورئيس الوزراء اليوناني ونائب وزير الطاقة الأمريكي، وكل هؤلاء عبروا عن إدانتهم وقلقهم مما يجرى في مصر من أحداث دموية، موضحا أنه إذا استمرت هذه الأوضاع فإن مجلس الأمن لابد أن يجتمع، كون المجتمع الدولي مطالبا الآن بإنقاذ شعب في دولة تحت الحصار ويقتل أبناؤها بطريقة منظمة معبرا عن ذلك بالقول «هذا النظام يقتل شعبه».

وقال البرادعي إنه لا توجد حاليا أية اتصالات أو مفاوضات مع أركان النظام، ولن يحدث ذلك قبل أن تتوقف المجازر ويفهموا أنه لا بديل سوى رحيل مبارك، «مع الأخذ في الاعتبار أن المفاوضات لن تكون على تكتيك بل على مبادئ واضحة هي رحيله والدخول في فترة انتقالية وضمانات لانتخابات حرة». وأكد البرادعي ثقته في أن الشعب المصري ثار ولن يعود مرة أخرى إلى الوراء، وأن مطلب الشعب الآن صار محاكمة الرئيس وليس فقط مغادرته. (الشروق٢٠١١/٢/٣)

إن الكارثة التي سعى نظام مبارك إليها، وهي أنه عندما فشل في استخدام قوات الجيش لمواجهة المتظاهرين، ووجد موقف القيادة العسكرية متصلبا ومتضامنا مع الشباب ومطالبهم " المشروعة " ، وبعد فشله في عزل المشير طنطاوي أو تحريكه عن منصبه لتعيين قائد مطيع له، هنا فكر مبارك ونظامه بخبث في تحريك موقف الجيش نفسه بطريق الالتفاف عليه.. إذ أنه طالما وجد موقف الجيش متصلب في التضامن مع " المطالب المشروعة للشعب" وكان من الصعب تغيير موقف الجيش، فلم يبق أمامه إلا إعادة تكييف" المطالب المشروعة للشعب" ، وذلك من خلال الحصار الذي فرضه الحزب الحاكم على ميدان التحرير، ومئات الألوف من عمال وموظفي شركات البترول الحكومية وشركات رموز النظام ومقاولي البلطجة التابعين لأعضاء البرلمان وغيرهم من البسطاء لتشكيل " المشهد الجماهيري " الذي يفوق القلة " المتصلبة " في ميدان التحرير في محاولة للتشويش عليها تارة وترويعها تارة وتقزيم حجمهم والتغطية على خطابهم الإعلامي تارة.. ومن هنا تمكن بالفعل من تحريك موقف الجيش بصورة غير مباشرة عن طريق إعادة تكييف " المطالب المشروعة للشعب". وما هي معايير المشروعية؟ هل حتما أن تكون المشروعية من الميدان؟ أم أنها مشروعية الجماهير أيا كان ميدانها؟ وقد حدث ذلك بالأمس حينما هاجمت الجماهير من أنصار مبارك ميدان التحرير وتنحى الجيش جانبا، برغم أن مدرعاته منتشرة في كل مكان، وبرغم أنه بإمكانه فض هذا الاشتباك في ثوانٍ معدودة، سواء بإطلاق أعيرته النارية في الهواء أو بنشر الأسلاك الشائكة.

بل إن نظام مبارك نجح في وضع الجيش في موقف حرج للغاية ما بين استمالتهم بالتعاطف مع خطابه وما بين تجييش الجماهير المأجورة والتضخيم منها، والحصول على تعهد من قيادة الجيش بعدم التعرض أو التدخل بين الجماهير، حتى أن ضباط الجيش تركوا معداتهم لأنصار نظام مبارك يستخدمونها في الهجوم على ميدان التحرير، وتوقفت مروحية الجيش العسكرية عن الدوران في سماء الميدان، كي يشعر الشباب وكأن الجيش قد تخلى عنهم ووجه أكثر من تنبيه بإخلاء الميدان، لأنهم لم يعودوا هم الشعب أو الأغلبية صاحبة الشرعية، ثم بعدما وضحت الرؤية وانتصر الشباب المعتصمين في الميدان على أنصار مبارك، عادت المروحية العسكرية لتغطية الميدان مرة أخرى ونشرت قوات الجيش لفائف من الأسلاك الشائكة حول الميدان في الصباح، بل وأشرف ضباط الجيش بأنفسهم على تشكيل وتنظيم لجان التفتيش من شباب الميدان وفرضت حصارا شديدا على الميدان لمنع دخول البلطجية وضباط الأمن والشرطة بالزي المدني.. وبالتالي فقد خسر مبارك جانب من أسلحته وهو الجيش الذي لم يعد على الحياد السلبي بل تحرك موقفه وأصبح على الحياد الإيجابي حفاظا على ماء الوجه..

وأما صولجان مبارك فكان بيد نائبه عمر سليمان، وهذه أكبر الألاعيب التي قطع بها مبارك شوطا عظيما.. فيقول الكاتب أكرم القصاص: حين تم تعيين عمر سليمان نائبا لمبارك، طلب جمال مبارك وذكريا عزمي وسوزان أن يكون نائبا بلا اختصاصات أو سلطات أو حتى مكتب أو سكرتير، بل كان نائبا لرئيس الجمهورية في الهواء، وهو ما قاله سليمان لأحد المقربين منه". وبالنظر إلى كون عمر سليمان رجل تربى في ذات الدار وهو رجل مخابرات من الطراز الأول، فحاول مبارك استخدامه كورقة للعب بها على الجمهور باعتباره الأكفأ في وضع خطة محكمة تعين مبارك على تجاوز الأزمة.. ولذلك عهد لعمر سليمان بمسألة الحوار مع المعارضة، واختار مبارك شخصا مخابراتيا للحوار كي يدير الطاولة باحتراف، ولم يختر أحد من السياسيين، لأن الأخير كان أمهر في إدارة اللعبة، فقرر استقطاب الإخوان في اتفاقات سرية خلف ستار الحوار الوطني مقابل صفقة سرية تتعهد بالإفراج عن بعض معتقليهم، وقرر استضافة مجموعة من الشباب الثائر مع "سيف الله فهمي" من شباب رجال الأعمال، علي أساس أنهم يذهبوا إلى رئاسة الجمهورية ويطلعوا مع الرئيس في صورة أو صورتين بعد الغداء ويبقي الثورة لا تتخاصم مع شبابها وهكذا ينتهي المشهد.. ولما لم يفلح السيناريو على هذا الوضع اتصل به نظيره الأمريكي "جو بايدن" نائب الرئيس الأمريكي، وأخبره عمر سليمان بأن الشباب في ميدان التحرير ليس لهم قيادة، ومن الصعب جدا الحوار معهم.

في الوقع كان مبارك يلعب بذكاء شديد للغاية؛ كونه يسند مهمة الحوار الوطني إلى شخصية مخابراتية وليست سياسية؛ ذلك لسببين؛ الأول هو كبرياء مبارك وعناده الشديد بشهادة المقربين منه، وأما السبب الثاني، فهو إصرار مبارك على الاقتناع بأن المحرك الرئيس للجماهير هو الإخوان، برغم أن تقارير

المخابرات الحربية والعامة وتقارير المخابرات الأمريكية أكدت له أن المعتصمين بميدان التحرير من كافة طوائف الشعب وفئاته، ومع ذلك سيطر عليه الشعور بأخونة الثورة واستغلالهم الموقف نظرا للصراع الطويل الذي عايشه معهم خلال فترة حكمه، مع علمه المسبق بأن الإخوان لن يفلح في الحوار معهم سوي شخص مخابراتي من الدرجة الممتازة، فإن كان الدهاء سمة أساسية مطلوبة في أي رجل مخابرات ليكون ناجحا، فإن الخبث والمناورة هو غريزة متعمقة ومشتركة في نفوس الإخوان لا يدرك أبعادها إلا رجل مخابرات ناجح، ولهذا كان اختياره للواء عمر سليمان، لأنه بطبيعة نشأته العسكرية يعلم جيدا أن رجل المخابرات لا يمكن أن تحصل منه على معلومة لا يريد هو تصديرها لك.. ولن تستطيع قراءة أفكاره مهما فعلت، وهذا من الأساسات المبدئية في صميم عمل المخابرات، وأن مهمة رجل المخابرات في الأساس تقوم على فكرة إدارة حوار مع الغير والقدرة والاحترافية في توجيه دفة الحوار في اتجاهٍ دون آخر مع إلقاء بعض الإشارات "طعم" لإجبار هذا الغير على المرور عليها تلقائيا ليلقي بحمله حولها دون وعي، ومن ثم حصد المحصول المرجو. وكذلك يعتمد العمل المخابراتي على تطعيم فكر هذه الغير بمقاسات جديدة للوقائع والأحداث ومن ثم حمله على تغيير أولوياته وإعادة ترتيب أوراقه لتسير على النسق المخابراتي دون إدراك. غير أن مبارك كان على وعي وإدراك كامل بمفهوم الوطن وفكرة الولاء لهذا الوطن في عقلية الإخوان المنتفعين بمنعهم من الانضمام لصفوف الجيش لأداء الخدمة العسكرية كأقرانهم من أبناء الوطن، وهو ما يعني فهمه لاستعداد الإخوان إجراء صفقة مع النظام على حساب الشعب.

وكانت غاية مبارك ونظامه من وراء مشروع الحوار هذا هو فقط المماطلة وتفتيت شعلة الثورة، لأن المهاترات الحوارية هي التي من شأنها أن تخرجه من المأزق بسلام، ولذلك يقول أحمد أبوالغيط وزير الخارجية: أن مبارك طلب منه أن يقوم بتمويه الأمر مع الجهات الخارجية ليكسب وقت قدر المستطاع. وفي الوقت ذاته فالحوار ينتهي بمجرد وعود نظرية وليس وقائع عملية، ومن الممكن الاستفادة منه في المماطلة وإهدار الوقت حتى تزهد الجماهير تلك الحالة الثورية التي أصابت حياتهم بالشلل.

أما من الجانب الآخر، فمن السذاجة، بل من الجنون أن يقبل شخص الحوار مع شخص آخر مخابراتي أو إخواني، فإذا لم ينتصر رجل المخابرات سيتوقف الحوار حتى وإن كان هو الخاسر، فبالنسبة له أن يفقد القدرة على تحصيل أي نتيجة أولى من أن يتورط في تقديم تنازلات لم يرتب لها مسبقا. وهو ما حدث مع عمر سليمان، فقد كان يحمل أجندة محددة لطرحها على طاولة الحوار لم يكن من بينها رحيل مبارك ولم يسمح هو لأطراف الحوار بالحديث حول هذا المطلب باعتباره " عيب" لكنه أدرك كون مطالب الثورة صارت شعبية ومهما تحاور مع الشباب فلن يجرؤ أحدهم على مجاهرة الجماهير بالعودة إلى منازلهم.

كان مبارك قد خطط لوأد الثورة بكل ما أوتي من حيل، فلم تعد القوة قادرة على إخراجه من الأزمة، وبدأ يفقد توازنه في اللعب، بل ربما فقد جميع الخيوط من يده، الخارجية منها والداخلية في وقتٍ معا.. فقد كشف مبارك لأول مرة عن أسرار خطيرة في مذكراته؛ منها أن أمريكا كانت من أهم أسباب سقوطه، خاصة أنهم في البيت الأبيض منحوه يوم ٣١ يناير ٧٢ ساعة لتصفية الثورة وأنهم لم يعترضوا على أي طريقة يمكن بها وأد الثورة على حد تعبيره، لكنهم لم يعلنوا عن ذلك السر نهائيا وقال: «لم يكن معي بالقصر سوى زكريا عزمي وصفوت الشريف وجمال مبارك وعلاء مبارك وسوزان يوم الاتفاق مع البيت الأبيض، وما حدث من رموز النظام الذين علموا مني بالاتفاق الأمريكي السري تصرفوا بشكل بربري وغبي يوم ٢ فبراير المعروف بموقعة الجمل، وما قاموا به أمام كاميرات العالم جعل البيت الأبيض يلغى الاتفاق قبل نهاية المهلة بـ٢٤ ساعة. فانهارت كل الخيوط من يدي في يوم ٢ فبراير ٢٠١١، ويؤكد مبارك لو أنه أخذ بالاتفاق الأمريكي لكان قد قمع الثورة في التحرير في يوم واحد. ثم يقول:ولم أكن أتحكم في البلاد بداية من مساء ٢ فبراير وكل ما حدث من ٢ فبراير إلى ١١ فبراير من الظلم أن تنسبوه لي، والمسئولون عن تلك الأحداث أحرار طلقاء بل منهم من يسعى للسلطة" دون أن يشير تحديدا إلى أي أسماء.(روزاليوسف ٣٠ /٣/ ٢٠١٢).

وما يؤكد هذا الاتفاق السري بين مبارك وأمريكا، أنه أثناء وقوع أحداث الهجوم الغجري على ميدان التحرير، كان هناك هجوم لمؤيدي مبارك من شارع قصر العيني، وظهر أفراد من قوات المارينز الأمريكية بالزي العسكري يقفون أعلى سطح السفارة الأمريكية لتصوير الأحداث فيديو (شاه الفيديو https://youtu.be/xm05GLlFbcs)

وعلى ما يبدو أن الجيش استغل الثورة لضرب مشروع التوريث ولم يكن موافقا على إسقاط مبارك ، حتى وإن كتبوها على دروع الدبابات عند نزولها عشية جمعة الغضب.. تقول الدكتورة ليلى سويف الناشطة الحقوقية" إنها لم تشعر بالراحة أبدًا إزاء نزول قوات الجيش إلى الشوارع عقب "جمعة الغضب"، موضحة أن موقف المؤسسة العسكرية من الثورة بدا "مريبًا"، خاصة عندما امتنعت عن حماية معتصمي التحرير من هجمات أنصار مبارك ورصاص القناصة، في حين أنه تم الكشف في اليوم التالي لـ"موقعة الجمل" عن اعتقال الجيش للعديد من المحتجين وتعذيبهم داخل المتحف المصري، في الوقت الذي كان يغض فيه البصر عن هجمات المسلحين و"البلطجية". (صحيفة التحرير ٢٠١٦/١/٢٩) .. فلا يمكن التذرع كما يقول اللواء عبد الفتاح السيسي مدير المخابرات الحربية واللواء الرويني قائد المنطقة المركزية بأن " المواطنين الشرفاء" جاؤا للتعبير عن رأيهم بتأييد الرئيس، في الوقت ذاته الذي جاء مدير المخابرات الحربية إلى ميدان التحرير مخاطبا البلتاجي ومطالبا بخروج الشباب المعتصمين ومحذرا إياه من وقوع " مقتلة" قائلا " لا أريد إراقة الدماء التي سوف

تحدث"، وهو ما يعني أن مأمورية البلطجية كانت مدروسة ومخططا لها بعناية فائقة، ربما تنتهي خيوطها إلى أبعد ممن أشرفوا على تنفيذها.

كان اللواء عبد الفتاح السيسي رئيس المخابرات الحربية، يمارس دورا مهمًا جدا وخطيرًا داخل المجلس الأعلى بقيادة طنطاوي لصناعة القرار. وهذا دور متوقع بطبيعة الحال نظرا لخطورة مركز المخابرات والاستطلاع ومدى أهميته في صناعة القرار .لكن ما حدث صباح اليوم ٣ فبراير كان أمرا غريبا جدا، إذ أننا لم نكد نتعافى من ضربة موقعة الجمل(٢)، حيث اقتحمت قوات الشرطة العسكرية والمخابرات العسكرية جميع المراكز الحقوقية في وسط القاهرة، حيث كان يعقد الثوار اجتماعاتهم التنظيمية فيها،واستولت الشرطة على جميع أجهزة الكمبيوتر، واعتقلت كثير من شباب ائتلاف الثورة، حيث تم إلقاء القبض عليهم من أماكن متفرقة في القاهرة، وعُصبت أعيُنهم وتم اقتيادهم إلى منطقة مجهولة، بعد السير لمسافات طويلة بالسيارة، وفقا لرواياتهم، وعرف أحدهم من الطعام الذي تم تقديمه إليهم أنهم في إحدى الوحدات العسكرية، بالنظر إلى نوعية وجبات الطعام (الخبز والمربى) التي قدمت لهم، حسب خبرته، فقد سبق له أداء خدمته العسكرية كجندي في القوات المسلحة .

٢ـ من الجدير بالذكر أنه بعد انتهاء أحداث الأربعاء الدامي مباشرة بدأت التحقيقات القضائية فيها، وطالت تهمة الإعداد لموقعة الجمل ٢٥ متهما بينهم عدد من رموز نظام مبارك أبرزهم الأمين العام السابق للحزب الوطني صفوت الشريف، ورئيس مجلس الشعب فتحي سرور، ووزيرة القوى العاملة عائشة عبد الهادي، ورئيس اتحاد العمال الأسبق حسين مجاور ورجل الأعمال وعضو الهيئة العليا للحزب الوطني إبراهيم كامل، ورجل الأعمال محمد أبو العينين، ومرتضى منصور رئيس مجلس إدارة نادي الزمالك.

وفي ١١ سبتمبر ٢٠١١، بدأت أولى جلسات محاكمة المتهمين في "موقعة الجمل" ووجهت النيابة إليهم اتهامات بقتل متظاهرين، والشروع في قتل آخرين، وإحداث عاهات دائمة فيه، والاعتداء عليهم بالضرب بقصد الإرهاب، واستئجار مجموعات من البلطجية للاعتداء على المتظاهرين السلميين بميدان التحرير، وتحريضهم على فض التظاهرات المناوئة لمبارك بالقوة والعنف. وتضمنت قائمة أدلة الثبوت ـالواقعة في ٥٥ صفحةـ أقوال ٨٧ شاهد إثبات بينهم صحفيون، ومحامون، وأطباء، ورجال أعمال، وموظفون، وأعضاء بالحزب الوطني، وخيالة بمنطقة نزلة السمان القريبة من أهرامات الجيزة التي جاء منها المهاجمون.

وخلال جلسات المحكمة قال محمد البلتاجي القيادي بجماعة الإخوان المسلمين في شهادته إن ضابطا في المخابرات العامة المصرية برتبة لواء اجتمع به في مكتب شركة للسياحة بميدان التحرير قبل موقعة الجمل، أكد له أن أنصار مبارك سيخرجون في مظاهرات تأييد له وسيأتون إلى ميدان التحرير، طالبا منه "انسحاب المتظاهرين من الميدان حتى لا يقع صدام بين الجانبين يتسبب في إراقة الدماء". وأضاف البلتاجي "قلت للواء كيف تسمحون لهؤلاء البلطجية بالدخول إلى ميدان التحرير فرد قائلا إنهم مواطنون مصريون يريدون التعبير عن رأيهم بتأييد الرئيس"، فرد البلتاجي قائلا "هل ضاق بهم ميدان مصطفى محمود وكل ميادين مصر للتظاهر فيها؟ ومن الممكن أن يتم فتح ملعب القاهرة الذي يستوعب الآلاف إن كانوا يريدون التعبير عن رأيهم"، فكان رد اللواء "هم يريدون التعبير عن رأيهم بميدان التحرير مثلكم ولا أستطيع منعهم".

وفي ١٠ أكتوبر ٢٠١٢، قضت محكمة جنايات القاهرة، ببراءة جميع المتهمين في موقعة الجمل، ثم أغلقت محكمة النقض في وقت لاحق ملف القضية نهائيا برفض الطعن المقدم من النيابة في أحكام البراءة، وأمر النائب العام حينئذ هشام بركات في مذكرة قانونية بحفظ التحقيق في أحداث موقعة الجمل.

ويقول محمد عرفات الشاب الناشط بحملة البرادعي؛ « يوم ٣ فبراير ٢٠١١ كنا في اجتماع عند البرادعي بمنزله، وبعدها خرجنا، وجلسنا على قهوة بشارع فيصل، فتمَّ القبض علينا جميعًا، وكان عددنا تسعة، وتمَّ احتجازنا ليلتين، الأولى بسيارة الاحتجاز، والثانية تمَّ تغمية أعيننا وذهبنا إلى معسكر تابع للجيش في منطقة مدينة نصر، وعلمنا أنَّ البرادعي أجرى اتصالات مع قيادات المجلس من أجل ذلك.« ويؤكد عمرو عز، أنه تم التحقيق معهم لمدة يومين وبعدها تمَّ إلقائهم في الشارع معصوبي العينين، وطلب منهم الانتظار وعدم فض العصابة إلا بعد مرور ربع ساعة، بعدها عرفوا أنهم في منطقة العباسية"

كما تم في ذات اليوم اعتقال الأستاذ " المحامي الحقوقي أحمد سيف الإسلام عبد الفتاح أستاذ العلوم السياسية، واعتقل من معه من حقوقيين وصحفيين ومراسلين بينهم ممثل منظمة العفو الدولية من مركز هشام مبارك للقانون وتم الإفراج عنه بعد يومين.

تقول الدكتورة ليلى سويف الناشطة الحقوقية "أن الجيش كان مصطفًا مع مبارك إبان موقعة الجمل ففي اليوم التالي لموقعة الجمل، الخميس ٣ فبراير، هاجمت عناصر من المخابرات الحربية مقر "مركز هشام مبارك للقانون"، واعتقلت جميع المتواجدين به من حقوقيين وإعلاميين، ومن بينهم زوجي الراحل، أحمد سيف الإسلام، قبل أن يلتقيهم اللواء عبد الفتاح السيسي، مدير المخابرات الحربية آنذاك، ويطلب منهم الذهاب للتحرير، ومحاولة إقناع المتظاهرين بقبول ما جاء من وعود في الخطاب الذي ألقاه مبارك ليلة ٢/١ فبراير. ولما رفض المعتقلون مطلب مدير المخابرات الحربية، وأوضحوا له أنهم حتى لو حاولوا تنفيذ الأمر فإنه لن يلقى قبولا من المعتصمين بالتحرير، فما كان من السيسي إلا أن هددهم قائلا: "لو مأقنعتوش المتظاهرين بمغادرة التحرير مش هتشوفوا الشمس تاني" ، قبل أن يضطر للإفراج عنهم تحت تأثير الضغوط الشعبية التي زحفت بالملايين غلى ميدان التحرير، وبعدما تأكد إصرار الشباب بتنظيمهم لأسبوع الصمود والتحدي.

ونشرت الناشطة منى أحمد سيف، عبر صفحتها في "فيسبوك"، رواية مشابهة لهذه الرواية، والتي أكدت تهديد السيسي لوالدها قبل وفاته، وذلك أثناء احتجازه بمبنى المخابرات العسكرية، قالت في تغريدتها "أفتكر بفخر جدا أبويا لما اتاخد هو ومجموعة من مركز هشام مبارك أثناء اعتصام الثورة، بعد يوم موقعة الجمل، واحتجزوا في مبنى تابع للمخابرات الحربية، وقعدنا يومين مش عارفين نوصلهم ولا نطمن عليهم". "وبابا في الحجز ظهر لهم السيسي، وابتدا يشخط على إن اللي بيعملوه ما ينفعش، ويديهم محاضرة عن مبارك، وأما بابا رد عليه اتجنن واتعصب وقعد يقولهم "انتوا مش هتشوفوا الشمس"، وبعدها بساعات الميادين اتملت واضطروا يخلوا سبيلهم".. وهو ما أكده موقع ميدل إيست أي، البريطاني: أن اللواء عبد الفتاح السيسي،

رئيس الاستخبارات العسكرية، التقى ببعض الشباب المعتقلين أثناء ثورة ٢٥ يناير و قال لهم إنهم «يجب أن يحترموا حسني مبارك والقيادة العسكرية» ويجب أن يعود المتظاهرون إلى منازلهم وترك ميدان التحرير.

وفي ذات اليوم حوالي العاشرة صباحا ٣ فبراير ٢٠١١ جاء اللواء حسن الرويني قائد المنطقة المركزية من مدخل عبد المنعم رياض.. تخطى الحواجز المعدنية والمتاريس التي وضعها الشباب على مدخل الميدان لتعصمهم من هجمات البلطجية.. أمر اللواء الرويني مجموعة من الجنود بالوقوف خلف الحواجز والمتاريس لفض الاشتباك الذي قد يحدث، لكنه كان واضحا جدا أن وجهة الجنود بأسلحتهم مصوبة في صدور الشباب والفتيات داخل الميدان، وكانت ظهورهم إلى حيث يهجم البلطجية.. بدأ اللواء الرويني حديثه مع الشباب بنبرة عصبية تحمل الكثير من الغضب واللوم على النصر الذي حققوه بالأمس.. وقال إنه تلقى رسائل استغاثة ليلة الثلاثاء ١ فبراير بعد خطاب مبارك العاطفي، مفادها أن الشباب المعتصمين بالميدان يمنعون الجماهير عنوة من مغادرة الميدان ويحتجزونهم للاعتصام رغم إرادتهم في الخروج والاكتفاء بتنازلات مبارك ! برغم أنه لو راجع نفسه لحظة في هذا الكلام لاكتشف عدم معقوليته لأن الجماهير خرجت أغلبها من الميدان دون قيود ولم يتبق سوى ألفين أو ثلاثة، ولعرف أن أولاده (ضباط الجيش) هم المسئولون عن تأمين الميدان، وقد تراصت معدات الجيش ودباباته في كل شبرٍ من الميدان وفي محيطه، ومن شأن أي فردٍ يريد الخروج أن يتوجه إلى أقرب ضابط جيش بالميدان ليخرجه.. هذا على فرض منع الشباب له !..



ثم استمر اللواء الرويني في القدح بعصبية وانحنى ليتناول قطعة من الرخام المسنن الذي ملأ الأرض والطرق في الميدان من آثار هجوم البلطجية، معتبرا إياه دليل إدانة للمعتصمين لأنهم استخدموا هذه الحجارة، وكأن البلطجية مؤيدي مبارك من حقهم جلب الحجارة والرخام والزلط من خطوط السكك الحديدية لقذف الميدان، حق مشروع لهم، وأن استخدامنا لهذه الحجارة ذاتها في الدفاع عن أنفسنا عدوان على "مواطنين شرفاء" حضروا بالمولوتوف والحجارة والقنابل وعلى ظهور الحمير والجمال بالخناجر والسيوف.. ليعلنوا تأييدهم لمبارك..! وأخذ الرويني يتحدث في عصبية ويعنف الشباب على منعهم دخول بطجية مبارك، ويعترض على لجان التفتيش التي وضعها شباب الميدان على مداخله، ولما حاول الشباب توضيح حقيقة ما حدث.. رفض الرويني الاستماع لهم و (شخط فيهم بعصبية: انصراف.. انصراف.. انصراف) .. ثم قال لصحفية ("دي زيطة كده بس.. منظر.. عشان يضغطوا ع الحكومة.. محدش يقدر يضغط على الحكومة.. مش ده اللي هيضغط على الحكومة ويحقق مطالب فئة معينة.. إطلاقا" .

شاهد الفيديو زيارة الرويني لميدان التحرير :

https://www.youtube.com/watch?v=DkNS4RghLLQ





وهذا ما عبر عن التناقض في بيانات العسكري التي حرص الجيش فيها على تصدير كل الطمأنينة للشباب المعتصمين بالميدان منذ اليوم الأول، فالفرق شاسع بين ما يقوله العسكريين وما يفعلونه برغم أنهم بالفعل لم يطلقوا رصاصة واحدة بالميدان، إلا ما قد أطلقته القناصة ليلا إذا كانوا.. ففي الوقت الذي ظهر فيه تعاطف العالم أجمع مع موقفنا ومطالبنا، وحتى شعبنا المصري، بدا العسكريين غاضبين للدرجة القصوى.. حتى أن اللواء الرويني جاء ليتساءل؛ لماذا دافعتم عن الميدان ولماذا أقمتم هذه الحواجز والمتاريس، ولم يسأل نفسه لماذا سمح بعبور جيش من البلطجية مزودين بالسيوف والخناجر على ظهور الحمير والجمال إلى قلب الميدان؟ ولماذا أفسحت قواته لهم الطريق؟ ولماذا صدرت أوامره لضباطه بعدم التعرض للبلطجية والسماح لهم بطرد الشباب من الميدان؟ أو لماذا حضر مدير المخابرات الحربية اللواء عبد الفتاح إلى ميدان التحرير صباح يوم المجزرة وطلب من الشباب المغادرة قبل أن تقع المجزرة، حيث قال: لا أريد إراقة الدماء التي ستحدث اليوم"، ولماذا لم يذهب إلى ماسبيرو حيث حظيرة الحمير والجمال ليمنعهم من الذهاب إلى ميدان التحرير حتى لا تقع مثل هذا المجزرة؟ ولماذا قامت قوات الحرس الجمهوري بتأمين مرور قافلة البغال في تشريفة متجهة إلى ميدان التحرير للتعبير عن رأيهم؟

ثم انعطف اللواء حسن الرويني إلى قيادة ضباط الجيش المستقرين في حديقة المتحف، وأرسل شخصا لإحضار الدكتور محمد البلتاجي للحديث معه.. وحضر البلتاجي ومعه مجموعة من رجالات الثورة (د.عبد

الجليل مصطفى والمستشار الخضيري.. أبو العز الحريري والدكتور أبو الغار والدكتور أحمد دراج) فرفض الحديث مع المجموعة وطلب الانفراد بالبلتاجي، فوافقوا بعد مشاورة.. ثم تحدث الرويني إلى البلتاجي وطلب منه إنزال الشباب الذين صعدوا أسطح العمارات المواجهة للمتحف، فرد البلتاجي بأنه ليس لديه عليهم سلطة، فأمر الرويني أحد الضباط بتوجيه المدفعية تجاه الشباب، مع أنه لم يأمر بمنع البلطجية أمس من استخدام مصفحاته وسياراته في الهجوم عليها ، إذ رفعوها رفعا بأيديهم من على الرصيف المجاور للمتحف وعدلوها في منتصف الشارع وقاموا بتحرير الكوابح وناقلات الحركة ثم دفعها يدويا بقوة لتكنس الميدان بمن فيه.. استخدموا معدات الجيش في التمترس والهجوم علي الميدان، ومع ذلك اعتبرهم مواطنين شرفاء !

فعاد البلتاجي ووافق على المحاولة في إنزال شباب الميدان الذين صعدوا فوق السطوح لتأمينها.. كانت هذه المجموعة من الشباب صعدوا أسطح العمارات أمس لضمان عدم احتلالها من قبل البلطجية وإلقاء القنابل والمولتوف على المعتصمين بالميدان.. وكنا مجموعة صعدنا عصر الأربعاء الدامي لصد هجوم البلطجية بالمولوتوف من أعلى أسطح العمارات، وتمكنا من الوصول إلى السطح عبر سلم الطوارئ الحلزوني، ورفعنا عتادنا عبر المصعد ومن الشراعة الزجاجية فوق باب المصعد بالطابق الأخير، وتمكنا بعون الله وحده من صد هجوم البلطجية ووقف مجزرة المولوتوف فوق أسطح العمارات.. وعندما اشتدت هجمتنا بالأسفل وتمكنا بعون من الله من إزاحتهم مسافة عشرين مترا، فتفككت صفوفهم وانهارت قوتهم وانكشف مدخل العمارة الأولى التي صعدوا منها بالملتوف إلى السطح وقمنا بمحاصرة البلطجية والقبض عليهم وإيداعهم السجن الشعبي في قلب الميدان.. ووصل عدد البلطجية المقبوض عليهم يومها ٧٧ بلطجي.. وبذلك أخلينا أسطح العمارات منهم، وكان من الطبيعي أن تصعد مجموعة من شبابنا مكانهم لتأمين هذه العمارات ومنع صعود البلطجية مرة أخرى، وهذه المجموعة هي التي رآها اللواء الرويني وأمر بإنزالهم لأنهم يقفون في الأعلى فيكشفون اجتماعات قيادات الجيش في حديقة المتحف لأنه مقابل لهذه العمارات، ولم يرق للرويني هذه المشهد المكشوف، فاستدعى البلتاجي وأمره بإنزال الشباب وإلا توجيه المدفعية إليهم..

لكن الإعلام الفاسد تناول هذا الحوار بطريقة عكسية تلائم مذهبه.. فاعتبر قول الرويني للبلتاجي إنزال الشباب من فوق أسطح العمارات مع إقرار البلتاجي بأنهم من شباب الاعتصام.. فاعتبرهم الإعلام الفاسد أنهم هم القائمون بالهجوم البلطجي بالملتوف أمس، ولم يدرك أن بلطجية المولوتوف تم القبض عليهم وإيداعهم السجن الميداني والحلول محلهم بمجموعة من شباب الميدان لتأمين أسطح هذه العمارات.. والغريب أن اللواء الرويني كان يؤيد هذا الكلام برغم علمه بالحقيقة..ثم عندما سأله البلتاجي : يا سيادة اللواء كيف

تسمحون بقدوم هؤلاء البلطجية مسلحين بالجمال والخيول والسيوف والخناجر هكذا ؟فرد الرويني بعصبية قائلا: " خلاص.. الموضوع ده انتهى واحنا قلنا له لم الشراميط بتوعك"[3] !

٣ـ حينما طلبت المحكمة شهادة اللواء حسن الرويني عن حقيقة الأحداث، أكد أنه أجرى اتصالا بالفعل من داخل ميدان التحرير بأحد المسئولين في الدولة في هذا الوقت وقت كان موضوع الاتصال هو عبارة " خلاص.. الموضوع ده انتهى واحنا قلنا له لم الشراميط بتوعك" . وحاول المدعي بالحق المدني أن يوجه له سؤالا عن هذا الشخص الذي أجرى معه الاتصال، فانفعل الرويني وقال: "أنا ممكن أمشى وحاكموني مش مشكلة". وتدخلت المحكمة وطلبت من المحامى عدم الحديث لأن الرويني حلف اليمين وهو مسئول أمام الله..! وكانت المحكمة على صواب بالفعل لأن الرويني تم استدعائه للمحكمة شاهدا وليس متهما.

لكن اللواء حسن الرويني لم ينكر معرفته بالمسئول الذي تسبب في هذه الأحداث والذي أجرى معه الرويني اتصالا هاتفيا وقتها من داخل المتحف وقال له" لم الشراميط بتوعك" هو فقط رفض الإفصاح عن اسمه أمام المحكمة مبررا ذلك بأنه لا يفهم في السياسة.. ثم يؤكد اللواء حسن الرويني في شهادته للمحكمة أنه: عاد إلى ميدان التحرير الساعة العاشرة صباحا يوم ٣ فبراير ٢٠١١، وأصدر تعليمات بإعادة توزيع القوات المسلحة المتواجدة بميدان التحرير لتأمين مداخل ومخارج ميدان التحرير، وهى حوالي ٩ مداخل تقريبًا لمنع حدوث اشتباكات أخرى بين مؤيدي النظام ومعارضيه، والفصل بين الطرفين". وبرغم ذلك لم تسأله المحكمة لماذا لملمتها أولا كي تقوم بإعادة توزيعها على مداخل الميدان التسعة؟ أو لماذا وجدت القوات بميدان التحرير مبدئيا لأن الميدان ليس منشأة عامة يشترط حمايتها مثل المتحف وماسبيرو، ولو اعتبر الميدان منشأة عامة وأن الجيش مكلف بحمايته فلماذا سمح بوقوع هذه المجزرة في هذه المنشأة العامة؟

وأكمل "الرويني" بأنه شاهد عند وصوله مجموعات متواجدة أعلى كوبري ٦ أكتوبر فوق ميدان عبد المنعم رياض لا يعلم هوية أفرادها مؤكدا أنهم "أشخاص مصريون" عبارة عن أشخاص يشاهدون الميدان، وكلفت القوات بفض تلك المجموعات. وأكد الشاهد أن الاشتباكات قد انتهت في ذلك الوقت، وأمر بصعود الدبابات والمدرعات على كوبري ٦ أكتوبر". ومع ذلك لم تسأله المحكمة لماذا لم تأمر قواتك بفض هذه المجموعات عند هجومها منذ ٢٤ ساعة مضت؟ طالما كنت تملك أن تأمر بفض المجموعات في ذلك الوقت؟ أو لماذا أمرت بفض هذه المجموعات برغم كونها سلمية (عبارة عن أشخاص يشاهدون الميدان) ولم تأمر بفض المجموعات التي كانت مسلحة بالخناجر والسيوف والخيول والجمال؟.. بالطبع لأن الموقف اختلف اضطراريا بعد النصر الذي حققناه في موقع الجمل يوم وطوال الليل، وأصبح قلم التاريخ بيد الظافر.

ثم أكمل شهادته أمام المحكمة قائلا: أنه " وتوجه داخل الميدان وحاول إعادة المتظاهرين المتواجدين في ميدان عبد المنعم رياض إلى داخل ميدان التحرير، ولكنهم رفضوا واعتقدوا أنهم اكتسبوا تلك المنطقة ليلة ٢ فبراير". ومع ذلك لم تسأله المحكمة، لماذا حاول إعادة المتظاهرين من ميدان عبد المنعم رياض إلى داخل ميدان التحرير الذي يفيض بطبعه بالمتظاهرين في كل مكان حوله، ولماذا لم يأمر بإعادة متظاهري ماسبيرو ومصطفى محمود أمس بعدم الهجوم على ميدان التحرير؟

ثم يكمل اللواء حسن الرويني مسيرته في الاختصار، فيحاول عنوة اختصار ميدان التحرير في جماعات من الإخوان برغم كونهم قد قرروا الانسحاب بعد خطاب مبارك ومن بقي منهم في الميدان لم يكن يعلم بقرار الانسحاب ولما علموا انشق بعضهم عن الإخوان مثل القصاص ولطفي، ومع ذلك يقول الرويني أنه" عندما دخل الميدان سأل عن الذي يقوم بالسيطرة على الميدان، فأبلغه البعض بأن هؤلاء جماعات من الإخوان المسلمين، فسأل عن المتواجد من قيادات الإخوان المسلمين المسيطر على الميدان فأبلغوه بأنه الدكتور محمد البلتاجي، فأرسل له شخصا ملتحيا يدعى عبد العزيز ليدعوه للقائه، فعاد له ذلك الشخص وأبلغه بأن الدكتور البلتاجي رفض مقابلته بمفرده، وقال له إنه سيقابله مع مجموعة تطلق على نفسها "الحكماء"، وكان في ذلك الوقت متواجدا داخل حديقة المتحف المصري، وأبلغ الشيخ بموافقته على حضورهم جميعا وكانت الساعة حوالي الـ ١٢ ظهرا بتاريخ ٣ فبراير ٢٠١١. وإنهم وصلوا بعد حوالي ساعة إلا ربعا تقريبًا وكنت أعرف منهم أبو العز الحريري وتعرفت إلى الدكتور أبو الغار والدكتور عبد الجليل مصطفى والدكتور أحمد دراج والدكتور محمد البلتاجي، وتقابلنا خارج المتحف وشكرتهم على حضورهم وطلبت منهم مقابلة "البلتاجي" بمفرده، فتشاوروا فيما بينهم ثم وافقوا على أن ألتقيه منفردا".

أما مبارك فكان يلعب بذكاء شديد للغاية وفي أكثر من جبهة، لكن مشكلته أنه لم تعد أدواته تكفي ولم يعد له رصيد فجأة، وبالفعل تمت عدة لقاءات بين المعارضة وعمر سليمان وعدد من الأقطاب وممثلي أحزاب المعارضة التي قبلت حضور اللقاء، وكان أولهم الإخوان، وبدا الحوار الوطني جديا وقبلت المعارضة مبدأ الحوار وتقديم التنازلات من نظام مبارك والتفاوض عليها، وهو ما يعني الموافقة مبدئيا على بقاء النظام، واتفقوا على إلغاء قانون الطوارئ وإجراء بعض التعديلات الدستورية، لكن حضور بعض الشباب جاء فقط لإثبات الاعتراض على الحوار مع نظام فقد شرعيته.

كان عمر سليمان وطنيا لكنه ثعلب مخضرم في الوقت ذاته، ولم يكن من مؤيدي الثورة بل لديه ولاء شديد لنظام مبارك رغم رفضه للفساد ومشروع التوريث، لكنه رجل دولة نظامي مثل نظيره بالمخابرات الحربية تماما وكلاهما يحترم العسكرية ويحترم قائده مبارك الذي تخرج من ذات المؤسسة، ونتيجة تشبعهم بالعسكرية وفلسفتها القائمة على الانضباط الشديد وأن الاعتراض والتجمهر هو جريمة لا تغتفر بأي حال.. وباعتبار كلاهما تقوم فلسفته على فكرة الأمن بمفهومها العسكري، فمن الطبيعي والضروري أن يريا هؤلاء أن الأمن والاستقرار ـ الذي هو صميم عملهما – هو الضرورة الملحة وذات الأولوية على مطلب مكافحة الفساد والظلم ودعم الديمقراطية "الثورة"..لكن نظام الدولة المدنية يكفل حق التظاهر والاعتصام والاحتجاج السلمي، وكانت هذه نقاط الاختلاف بين قادة الجيش ورؤساء المخابرات.

أما شريحة المثقفين المخلصين والسياسيين الوطنيين، فقد ثبتوا على موقفهم في دعمهم للشباب وأيدوا إصرارهم، وعلى النقيض من ذلك؛ فهناك أحزاب المعارضة التي ثبت بالفعل أنها مجرد هياكل هشة تتراقص عن

في هذه الشهادة للرويني أمام المحكمة نجده في محاولة مستميتة لتقزيم لحمة المجتمع بالميدان واختصاره في جماعة الإخوان بناءً على كلام شخص مجهول، وبرغم أنه تعرف على الليبرالي أبو العز الحريري ومحمد أبو الغار والدكتور أحمد دراج والدكتور عبد الجليل مصطفى (منسق الجمعية الوطنية للتغيير) إلا أنه رفض حتى الاعتراف بلجنة الحكماء وتكلم عنها بصيغة المجهول وفق قوله (مجموعة تطلق على نفسها "الحكماء")، ومع ذلك يصر على استبعادهم وطلب الحديث مع البلتاجي منفردا برغم أن الحوار الذي دار بينهما ليس له علاقة لا بشخص البلتاجي ولا بجماعة الإخوان وإنما متعلق بمجموعة من شباب الميدان تواجدوا فوق أسطح العمارات المواجهة للمتحف لحراسته من هجوم البلطجية، وطلب إنزالهم لأنهم يكشفون مقر ضباط الجيش داخل المتحف !.

ثم في النهاية يتمسك اللواء الرويني بدليل البراءة أمام المحكمة وهو عبارة مجموعة صور رسمية من الأحكام العسكرية التي صدرت ضد البلطجية مؤيدي مبارك في موقعة الجمل، فيقول الرويني:" أن يوم ٣ فبراير تم إلقاء القبض على ٧٧ شخصا من المؤيدين بواسطة المتظاهرين داخل الميدان وقاموا بتسليمهم للقوات المسلحة، وتمت إحالتهم للنيابة العسكرية وصدرت ضدهم أحكام، وقدمت للمحكمة صورة من الأحكام الصادرة ضدهم". ومع ذلك لم تسأله المحكمة أين كان رجال القوات المسلحة المرابطين بمعداتهم وأسلحتهم بالميدان عندما قبض المتظاهرين على ٧٧ بلطجي؟ من الذين سمح لهم الجيش بالهجوم على الميدان من مدخل عبد المنعم رياض كما فعل النقيب ماجد بولس في مدخل طلعت حرب؟

يمين ويسار مثل لعب الأطفال (كان مبارك يداعب مصطفى الفقي من حين لآخر ويسأله : إيه أخبار مراجيح الهوا يا مصطفى؟)، وهي مجرد حزمة من الأحزاب والمنظمات السياسية فصّلها الحزب الحاكم أو سمح لها بمقاييس معينة لتكون غطاءً له وعونا في أداء دور المعارضة التي من المفروض أنها حكومة الظل وهي غالبا ما تكون ـ إذا أخلصت ـ أهم وأفضل من البرلمان نفسه الذي يمكن التحايل على أعضاءه بطرق ملتوية ومختلفة؛ أما حكومة الظل المتمثلة في أحزاب المعارضة، فلا يكون همها إلا انتقاد النظام الحاكم وسياساته لإصلاحها أو الحلول محلها في حال تمكنها من كسب الثقة لدى جماهير الشعب..

وأما جماعة الإخوان المسلمين التي من المفترض أنها أشد أنواع المعارضة وأكثرها تحفظا، فقد اهتزت قياداتها وتذبذبت فيما صمد بعض شبابها، وكان لهم دور عظيم الأثر في النصر الذي حققناه أمس، بالإضافة إلى دورهم التنظيمي داخل الميدان. ونظرا لتغير الظروف والأحداث واختلال الموازين على الساحة السياسية، فقد ارتدت الجماهير عائدة إلى الميدان مرة أخرى بكثافة عالية، وبدا واضحا أن الثورة عادت لتأخذ مسارها الصحيح وتصب فيضها الزاخر في الميدان بعد أن نزحت عنه الملايين عقب الخطاب البائس مساء الثلاثاء الماضي، وبدأت الوفود بمسيرة من أساتذة الجامعات ليعلنوا تأييدهم لموقف الشباب ويباركوا ثورة الشعب.. وتزامن ذلك مع الدعوة إلى "جمعة الرحيل" غدا، فقد انعقد العزم على الصمود حتى رحيل النظام.

وهنا بدأ الإعلام المصري الرسمي يتحوّل تدريجيا بعد أن فقد مصداقيته، وبدأ العاملين به يشعرون بالحرج الشديد، وبدأت مراسلي التليفزيون المصري وكاميراته تأتي إلى الميدان على استحياء، لكن للأسف الشديد منعوهم الشباب من التسجيل وطالبوهم بالخروج، مع أنها كانت فرصة رائعة لدعم شباب الثورة بالإعلام الرسمي نفسه الذي هاجمها قبل أيام، فالانتقام من التليفزيون الرسمي ليس مطلبا من مطالب الثورة، ولن يضيف جديدا للثورة، والخطأ مغفور على كل حال، خاصة أن أغلبية الإعلاميين والعاملين بالإعلام المصري سواء في ماسبيرو أو مدينة الإنتاج الإعلامي، كانوا يمرون من ميدان التحرير وسط الشباب المعتصمين كل يوم ويراقبون بدقة كافة الأمور في الواقع، ومعظمهم كانوا غير راضين تماما عن التقارير التي يفرض عليهم قراءتها أمام الشاشات، ومنهم من أعلن رفض الاشتراك في هذا التضليل الإعلامي ومنهم شارك على مضض ثم أعلن استقالته من العمل الرسمي بعد أحداث الأربعاء الدامي، حتى أن أول خبرٍ تناقل إلينا عن احتمالية وقوع مجزرة قبيل فجر الأربعاء الدامي كان من خلال مكالمة الإعلامية منى الشاذلي هاتفيا مع أحد معارفها، وقد شعرت بصدمة عندما أخبرها بأن وزارة الداخلية تعمل جاهدة لتصفية ميدان التحرير قبل الفجر، فأصيبت بفزعٍ لما قد يحدث، برغم أنها هي التي أذاعت الكثير والكثير من الأكاذيب في تقاريرها وبرنامجها " العاشرة مساءً ".

وعندما لوحت الشمس بالغروب في ذلك اليوم، كانت مجموعات من سكان الأقاليم والمحافظات قد وصلت الميدان تضامنا مع المعتصمين به، وأخبرونا أن مئات الآلاف كانوا في طريقهم من محافظات مصر المختلفة إلى القاهرة، لكن القوات المسلحة أقامت أكمنة ولجان أمنية على الطرق السريعة التي تربط القاهرة بالمحافظات ومنعت هذه الجماهير من الوصول إلى القاهرة، مما اضطرهم إلى العودة ثانية إلى بلادهم، غير أن أقلية من هذه الجماهير أصرت على مواصلة المسيرة وتركوا سياراتهم وحافلاتهم تعود بركابها، وقطعوا عشرات الكيلومترات سيرا على الأقدام حتى وصلوا إلى الميدان، وكان من بين هذه الوفود التي لقيت ترحيبا واحتفاءا بالغا، مجموعة من الشباب لا يتعدى عمرهم الخمسة عشر عاما، جاؤا من أقصى صعيد مصر من أسوان، وفور وصولهم أعلنوا عن هويتهم بهتاف جماعي من وحي خيالهم التلقائي " جيناكم من أسوان.. لا مبارك ولا سليمان.." (مع تعطيش حرف الجيم وكسر الياء) وأخذوا يتجولون في الميدان والجماهير تلتف حولهم وتفسح لهم الطريق بين حارات وأرصفة الميدان، ثم أعطوهم مكبرا للصوت ليجددوا هتافهم مرة ثانية قائلين " يا جمال قول لأبوك.. شعب السد بيكرهوك " وكانوا كلما مروا في اتجاه تصطف الجماهير على الجانبين لتحيتهم، وكنا سعداء جدا بوصولهم، فقد جاءوا من أقصى صعيد مصر قاطعين ما يقرب من الألف كيلو متر خلال أكثر من عشرين ساعة من السفر وعشرات الكيلومترات قطعوها سيرا على الأقدام، ورغم العوائق والعقبات فلم تضعف أو تكل عزيمتهم وأصروا على التضامن مع ثورتنا.. كانوا يسيرون في الميدان لا تخطئهم الأعين بقاماتهم فارعة الطول مثل أعمدة الإنارة، وبشرتهم اللامعة وأسنانهم ناصعة البياض مع لهجتهم الغنائية المميزة..

إن هؤلاء بحضورهم أثبتوا للجميع أن الثورة تجدد لها ما يكفيها من رصيدٍ شعبي حتى في عقول البسطاء، يمتد من أصغر ثائر في العريش، وحتى حدود مصر العليا في أسوان وشعب السد العالي.. وعلى النقيض من الموقف الثوري، بدأ النظام بفقد رصيده الشعبي وتزعزعت أركانه واهتزت بعنف، لا لأنه أثبت بأحداث الأمس الدامية أنه يفعل عكس ما جاء في خطابه الأخير.. بل فقط لأننا انتصرنا، فكما ذكرت آنفا، فإن الشريحة العريضة من الشعب المصري هي من البسطاء الذين يرتمون في أحضان الأغلبية بدون وعي، ومع ذلك فلها القدرة بكثافتها العددية على قلب موازين الأمور وترجيح كفة على حساب أخرى.. فلو كان الحزب الوطني قد انتصر علينا في هجمته الغجرية، لكان البلطجية قد أصبحوا أبطال في نظر الشعب، وأصبحنا نحن قلة مندسة وتم التخلص منها على خير.. فالقلم مع الظافر في كل حين..والمنتصر هو من يكتب التاريخ

فالجماهير التي احتشدت بمئات الآلاف أمس وغزت الميدان مستهجنة بقاء الشباب واستمرار صمودهم في الميدان وتمسكهم بمطالبهم، هذه الجماهير تلاشى أثرها اليوم واقتصرت على بضعة آلاف تراصوا على

كوبري أكتوبر لمشاهدة ما يحدث في الميدان، وما لبثت أن انضموا إلينا.. ومجموعات صغيرة منهم تفرقت على مداخل الميدان وربما اشتبكت مع اللجان الأمنية لدقائق أخرى وبعدها تسرب بعضهم إلى داخل الميدان وتلاشى الآخرون.. وهنا بدا واضحا أن النظام في حالة انهيار مستمر، فالشريحة العريضة التي كسبها النظام بخطاب بائس ما لبث أن خسرها واكتسبناها نحن بعد ساعات..

وبانهيار النظام سياسيا، بدأت آلاته الإعلامية تنهار وبنفس الوتيرة المتسارعة؛ فالإعلام بما فيه من إمكانيات واستوديوهات وقنوات فضائية دعم دولة آل مبارك وورجاله وذوي القربى بالتقارير الكاذبة وبث الشائعات لتضليل الرأي العام، ورغم ذلك لم يستطع الصمود أمام إذاعة الثورة على بعد خطوات منه في جمهورية التحرير.. مع أن صوتها لا يتعدى حدود الميدان لكن صداها كان أقوى من كل إعلام.. فلم تكن إذاعة الثورة تقبل بالتميز بين الانتماءات الفكرية والتيارات السياسية المختلفة.. ولهذا كانت فرصة نجاحها أقرب.. وتمكنت من جذب الملايين من جماهير الشعب حولها.

فقد نشرت صحيفة الشعب الإلكترونية خبرا يقول: مذيعة تليفزيون تتهم أنس الفقى بممارسة البلطجة.. و٦٥ منظمة حقوقية تدين القمع الأمني للمظاهرات.. وتنتقد أداء الإعلام الحكومي خلال نقل التظاهرات..:حيث طالبت هالة فهمي، المذيعة بالتليفزيون المصري، بالقصاص من أنس الفقى، وزير إعلام مبارك، وذلك بسبب اشتراكه في تمويل وتنظيم البلطجية المتظاهرين تأييدا لحسنى مبارك، رئيس الحزب الوطني الحاكم، وذلك في يوم (٢ فبراير ٢٠١١). وحضرت المذيعة التليفزيونية إلى ميدان التحرير وشاركت المتظاهرين وقفتهم ضد ظلم النظام الحاكم للشعب المصري، وظهرت هالة فهمي وهى تحمل لافتة ورقية مكتوب عليها: أنا المذيعة هالة فهمي أشهد بأن أنس الفقى قام بتمويل البلطجية أمام مبنى التليفزيون. وقالت أنه قام بمنع العاملين في مبنى التليفزيون المصري من المشاركة في المظاهرات الشعبية المناهضة لنظام مبارك، مشيرة إلى أنه، الفقى، مارس ضدهم إرهابا معنويا وماديا بتهديدهم بالفصل من العمل في حال انضمامهم للشعب، ودعت هالة فهمي زملائها للنزول مع الشعب في ميدان التحرير لكسر الخوف والظلم، حسب تعبيرها. وقد أدانت ٦٥ منظمة حقوقية مصرية محاولات الانقضاض علي مطالب المجتمع المصري والتي قامت من أجلها ثورة ٢٥ يناير، تارة بأعمال القمع وأخري بأعمال البلطجة، وثالثة بالمناورات السياسية العقيمة التي تحاول الالتفاف علي هذه المطالب. وانتقدت المنظمات، طريقة التناول الإعلامي التي انتهجتها المؤسسات الإعلامية الرسمية، مؤكدة أن وسائل الإعلام الرسمية تخلت عن مهنيتها وحاولت تقزيم الانتفاضة العظيمة بوصفها تابعة لجهات خارجية أو داخلية أو مأجورة دون أن تكلف نفسها عناء

التفكير في دلالة هذا الإجماع الوطني للإصرار علي التغيير بعد أن فشلت كل جهود المجتمع لحمل النظام علي الإصلاح لوقف الفساد والقمع...

وكان النظام قد عمد إلى إخماد الثورة بالعصا الغليظة، ولما لم تفلح، اتجه إلى نشر سيناريو الفوضى ومخطط الانفلات الأمني، ولم يفلح، ثم اتجه إلى الخطاب الناعم الليّن وحاول في النهاية القضاء عليها بحشد مئات الآلاف من البلطجية والمأجورين من أنصاره لإعدام الثورة في مهدها والقضاء عليها تماما.. فإن الثورة منذ اللحظة الأولى لميلادها أخذت السلام طريقا لها حتى وصلت إلى الميدان، وأخذت ترسخ مبادئها من خلال إذاعتها الثورية، وتوجه شبابها إلى حفظ الأمن والأمان للجميع، فعمد الشباب إلى تشكيل لجان الأمن الميداني بذات القدر من التلقائية والعفوية التي شكل بها الشعب اللجان الشعبية في كافة شوارع مصر بعد انسحاب الأمن النظامي، فحل الأمن الشعبي محله بكفاءة.. وتشكلت اللجان الأمنية داخل الميدان من متطوعين من الشباب لتفتيش القادمين إلى الميدان منعا لدخول العناصر الغريبة والمحظورات من أسلحة بأنواعها ومتفجرات، ومراقبة مداخل الميدان وغير ذلك، وتشكلت فرق أخرى خارج اللجان الميدانية تعمل كاستطلاع على مداخل الميدان لمتابعة هجمات أنصار الحزب الوطني أول بأول وتبليغ الجموع في الميدان، ولهذا سيطرت على الإذاعة لليوم الثاني على التوالي حالة من الاستنفار، فمن حين لآخر تذيع تنبيهات وتحذيرات على الجماهير فتندفع إلى الجبهة التي حددتها الإذاعة لصد الخطر، لكن الأمر لم يكن يتعدى سوى عشرات من الشباب العاطل أرادوا إزعاج الميدان فقط واستنفار المعتصمين به، خاصة في منتصف الليل ومعظمهم نيام.. لكن الأمور ما لبث أن هدأت واستقر حالها..

وفي ذات اليوم كانت جهات رسمية قد أعلنت ضمن خطة محاصرة ميدان التحرير، قطع الكهرباء تماما عن محيط الميدان حتى لا يتمكن المعتصمين من تشغيل منصاتهم الإذاعية، أو الصمود طوال الليل في ظلامٍ حالك وتنصرف عنهم الجماهير المؤيدة لهم بسبب الظلام وتوقف الإذاعات، لكن الشباب تغلبوا على ذلك بجلب مولدات كهرباء تعمل بالبنزين لتشغيل وحدت الإنارة وأجهزة الإذاعة الميدانية ومكبرات الصوت، وبوجهٍ خاص كانت الحاجة إلى الإنارة ملحة جدا في المستشفيات الميدانية التي امتلأت بما يتجاوز ألفين وخمسمائة من الجرحى والمصابين، وبرغم اصطفاف عشرات من سيارات الإسعاف على بعد خطوات في شارع قصر العيني إلا أنها لم تقدم خدماتها للشباب، وفي ذات الوقت رفض الشباب نقل المصابين إلى مستشفى قصر العيني خوفا من اعتقالهم. وعلى كل حال، كانت فكرة توليد الكهرباء بمحركات البنزين ناجحة جدا على مدار ليلتين كاملتين..برغم الصعوبات التي واجهت الشباب في جلب البنزين اللازم إلى الميدان بسبب حصار اللجان الأمنية حوله.. كان الخوف فقط من هجوم عصابات البلطجة في محيط الميدان الذي يغلفه الظلام من كل جانب، ولذلك انتشر الشباب فرقا للاستطلاع والتنبيه المبكر حول الميدان.

وفي موعده المعتاد، قرابة العاشرة مساءا وصل الدكتور محمد سليم العوا مع نخبة من المثقفين بينهم المستشار القاضي محمود الخضيري، وكالمعتاد، عندما يصعد الدكتور سليم العوا إلى المنصة ينصت الجميع ليتحدث هو بعقليته القانونية الشامخة في الفقه الثوري، الفرق بين الشرعية الدستورية التي مصدرها النصوص والشرعية الثورية التي مصدرها الجماهير، وكان في المرة السابقة له قد تحدث عن المرحلة الأولى من مراحل الثورة ، ثم دخل في مرحلتها الثانية، وتتمثل هذه المرحلة في تشكيل مجلس رئاسي يتولى إدارة شئون البلاد خلال فترة انتقالية يحددها إعلان دستوري ثوري، ويتم اختيار أعضاءه من الشخصيات العامة من بين الجماهير والمشهود لها بالنزاهة والإخلاص والعلم والقدرة على تسيير مهام رئاسة الجمهورية، ويعاون المجلس في ذلك حكومة انتقالية تتشكل من مجموعة وزراء تكنوقراط أي متخصصين في مجالاتهم المهنية، وليسو سياسيين، وتكون مهمتهم تسيير وإدارة شئون الوزارة بعيدا عن الاتجاهات السياسية المختلفة خلال الفترة الانتقالية وبدون خطط تنموية وسياسية طويلة الآجال حتى يتم انتخاب رئيس جديد وحكومة جديدة وبرلمان يعبر عن إرادة الشعب ويحقق مطالب الثورة ومبادئها..

وكان الدكتور محمد سليم العوا كلما تحدث بعبارة، قاطعته الجماهير بالهتاف والتصفيق الحاد.. تعبيرا عن مدى تواصل الجماهير مع الفقه الثوري الذي يناقشه، ولأنه كان يصف عن قرب ما يدور في عقول وقلوب الجماهير الثائرة.. فقد كان حديثه يداعب العمود الفقري للثورة، ولهذا كان حديثه يجد في قلوبنا صدى.. فقد كان لنا بمثابة المستشار القانوني للثورة. وتحدث في تفاصيل كثيرة مما يخص المجلس الرئاسي وكيفية تشكيله بالاستفتاء الشعبي العام في كافة أنحاء الجمهورية ثم الاستقرار عليه، وأنهى خطابه بمقدمة بسيطة عن المرحلة القادمة من مراحل الثورة وهي عرض الأمر على النظام العالمي ومطالبة الدول الخارجية بالاعتراف بشرعية المجلس الرئاسي والحكومة الانتقالية التي خرجت من رحم الثورة.. فالثورة ليست شأنا داخليا محضا، بل لها آثارها على السياسيات والمعاملات الخارجية والعلاقات الدبلوماسية مع كافة دول العالم.

وتبع حديثه المستشار محمود الخضيري وتحدث عن الفساد السياسي والمالي في مصر، والذي لم تظهر له حدود، فكلما فتح بابا من أبوابه وجد أفاقا متناهية الاتساع، وتحدث كذلك عن العوار الدستوري في كثير من مواد الدستور التي لابد من وضع تعديلها ضمن أولويات مطالب الثورة، والتي كان النظام قد تعمدها في تفصيله للدستور كي تتمخض عن مجموعة الثغرات القانونية التي تقنن له الفساد وتصرح بممارسته..

كانت الساعة قد أشارت إلى الواحدة منتصف ليل القاهرة، ولا زال حديث الفقه الثوري يرن في أذني، ولا زال حديث الفساد يزعجني، مع أن الإذاعة قد أنهت خطابها الثوري بأمسية غنائية وطنية، تجلى فيها صوت

السيدة كوكب الشرق بقصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي " وقف الخلق جميعا ينظرون كيف أبني قواعد المجد وحدي..". وكنا نشعر حقيقة أن العالم أجمع يشاهدنا ونحن نبني المجد على أرصفة ميدان التحرير وطرقاته وفي ظلال أشجاره المتناثرة في حديقته..

وفي هذه الليلة الباردة، حينما اقتربت الساعة من الثانية بعد منتصف الليل، غلبني النوم وتحداه الإرهاق والإجهاد وبرودة الليل، فقررت الذهاب إلى منزلي رغم بعد المسافة التي تصل إلى ثلاثة كيلو مترات وعلىَ أن أقطعها سيرا على أقدامي المتهالكة وحيدا في شوارع القاهرة، وحظر التجوال وتداعيات الفراغ الأمني، التي طالما أزعجنا ماسبيرو بتقاريره المفبركة عنها.. وحينما خرجت من جهة قصر النيل، عبرت الكوبري، حيث وقف مجموعة من الشباب في أول لجنة شعبية تقابلني بميدان سعد زغلول، وعندما اقتربت منهم سمعت أحدهم يقول للآخر " لا زال المعارضين مسيطرين على الميدان "، وهنا أدركت فورا أنهم من أنصار الحزب الوطني، وربما وقفوا في هذا المكان لتفتيش القادمين إلى الميدان أو منعهم من الدخول ومصادرة مؤنهم.. على أي حال سألوني، عن وجهتي.. سمحوا لي بالمرور طالما كنت خراجا من الميدان، حتى وصلت إلى ميدان الجلاء، فوجئت بمجموعة من الرجال وقفوا على كوبري الجلاء مشكلين لجنة شعبية ومعهم فتاة سمراء فارعة الطول، ولا أعرف ما إذا كانوا من أنصار الحزب أو وربما عناصر أمنية في ذي مدني على ما يبدو..سألني أحدهم " مؤيد أم معارض ؟ "، فقلت : مؤيد، فسألني : مؤيد لمين؟ ميدان التحرير أم مصطفى محمود، قلت : للرئيس مبارك، فقام بتفتيشي ذاتيا وعثر على أوراق مفكرتي وجريدتي، وكنت قد أخفيتها في صدري، ودخلت في عالم مظلم من الترقب لا نهاية له.. وأنا بطبيعتي، لا أهاب الموت لكنني لا أطيق لحظة واحدة من الإذلال أو التعذيب.. ولم أرد في ذات الوقت أن أكون المتنبي في عصره وأقول لهم أن " الخيل والليل والبيداء تعرفني.."

وقفت بجوارهم ما يقرب من نصف ساعة مثل النعامة المسالمة حينما تقع في قبضة الصياد.. كانت المشكلة أنهم عثروا على مفكرتي مخفية في صدري.. تفحصوا أوراقها ورقة ورقة وكلمة كلمة، وكلما قرءوا ورقة تبادلوها ومزقوها وألقوا بها في مياه النيل.. ومع أول ورقة كاد قلبي أن يقفز خلفها ليعود قبل أن تهوى في المياه وتذوب كلماتها.. شعرت بالمرارة ولم أتنهد حتى آخر ورقة.. فلم أرد إزعاجهم وفضلت التظاهر باللامبالاة، وكان عددهم كثيرا ويقفون بشموخ رجال الشرطة قبل ٢٥ يناير، وكانت معهم أشياء كثيرة ربما تحفظوا عليها من القادمين إلى الميدان ومنعوهم من الذهاب إليه، ولم أتيقن ما إذا كانوا أفرادا من الأمن وهل معهم أسلحة نارية أو بيضاء فقط.. لكن إلى الآن ولم يستعملوها، ووددت لو ظلت ساكنة على حالها حتى يمر ليلنا بسلام.. وما قطع الظلام إلا ثلاثة من الرجال قدموا من حي المهندسين في طريقهم إلى ميدان التحرير، فأوقفوهم، وأخذت الفتاة السمراء الفارعة تصرخ في وجوههم مثل الكلبة التي وضعت حزمة من الجراء لتوها.. والباقون وقفوا خلفها مثل التيوس، وكانت تلوح بيدها وتصرخ " كفاية.. عاوزين أمن

واستقرار.. كفاية فوضى ووقف حال وخراب" في حين أن الرجال على ما يبدوا لم ينتبهوا لصراخها ووقفوا متصلبين في ريبة من أمرهم وأعينهم شاردة إلى حركة التيوس وعضلاتها المفتولة وما ظهر معهم من خناجر وقضبان معدنية استعدوا بها للانقضاض على الفريسة الثمينة..

وأثناء هذا الحوار الساخن قالوا لي " انتظر هنا على جنب" وانشغلوا هم مع الفتاة التي تصرخ في وجوه الناس، فتسللت خفية من خلفهم وتواريت في الظلام على رصيف الكوبري، وكنت أتحرك ببطء وثقة.. لم ألتفت حولي حتى وصلت مدخل الأوبرا في طريقي عائدا إلى ميدان التحرير، وقطعت المسافة جريا في أقل من دقيقة حتى وصلت الميدان مرة أخرى..وهنا بدأت أنظر خلفي كي أتأكد أنهم لم يتعقبوني، أو لم يلاحظوا هروبي منهم.. تمام.. لا حس ولا خبر..كنت أكثر ما أخشاه أن يتم اعتقالي ولا أتمكن من مواصلة الثورة مع رفاقي.

وأجمل ما قرأته من كتابات الشباب الذي يصف حالتي النفسية بدقة في هذا الوقت، كتب "السيد خضري" يقول: للتاريخ.. هنا ميدان التحرير.. حيث انصهرت الألوان والاتجاهات الفكرية والعقائد الدينية .. هنا كل المتضادات تلتئم وتتعانق.. أصبح ميدان التحرير شاطئي الذي ألجأ إليه كلما قذفتنى الأمواج .. مشاعر الخوف التي كانت تحاصرني كلما مررت بإحدى اللجان الشعبية " المزيفة " كانت تتبدد كلما اقتربت من دفء الميدان..هناك حيث لا أسماء لا أحزاب لا يوجد غنى وفقير، عبد وسيد.. الكل تبدلت أسماءه وصفاته ليصبح شيئا واحدا " مصري" . في الميدان انصهر المجتمع في عنق الحرية.. هاتفا بعلو صوته "مدد مدد مدد شدى حيلك يابلد".. وكلما تأخرت لحظة الميلاد هتف الأحرار"شدى حيلك يابلد الحرية بتتولد"



الآن أشعر بالبرودة تنساب تحاول أن تخترق الميدان يقاومها الثوار بالارتماء في حضن الوطن .. وحول شعلة من النار دار الحديث لم نعرف أسماء بعضنا البعض إلا أننا تلاحمنا وتعانقت الأحلام والأجيال والخبرات.. تتخلل كلماتنا إحدى الفتيات تحاول التقاط بعض أعقاب السجائر من حولنا، وصوت مجموعة من الشباب يرتفع في سكون الليل بالدعاء وصوتا يأتي من الجانب الآخر للميدان عذبا يتغنى بكلمات الشيخ إمام :" دور يا كلام على كيفك دور خلى بلدنا تعوم في النور وارمي الكلمة في بطن الضلمة تحبل سلمى وتولد نور. "

وقفت لحظات أمام الجامعة العربية لأتدبر أمري، أبحث عن مكان أغتسل فيه ومكان آخر يأويني من برودة الليل، واتجهت إلى مسجد عمر مكرم، فوجدت طابورا طويلا يمتد من داخل المسجد وحتى تمثال عمر مكرم، وعندما سألت، قيل لي : أن هذا الطابور للاستحمام لأنه ليست كل دورات المياه مجهزة بصنابير خاصة بالاستحمام بل خمسة منها فقط، ولكل شخص خمسة دقائق فقط يقضيها في دورة المياه ويخرج..

وكان في منتصف هذا الطابور الطويل شاب معاق يجلس على كرسي متحرك، وقد غلبه النوم في انتظار دوره، وكان على الشخص الذي وقف خلفه أن يدفع الكرسي خطوة للأمام من حين لآخر كلما تناقصت رأس الطابور.. فشعرت بالخجل أن أترك مثل هذا الشاب المعاق ينام على كرسيه في ظل برودة الجو، وأذهب أنا لأنام في غرفتي الدافئة.. لكنني تذكرت أن ملابسي صارت مثل عمال المحاجر مع بعض الإصابات،

فلم أغادر الميدان منذ بداية الأحداث الدامية.. فحاولت الخروج من شارع عمر مكرم وصاحبني شاب من لجنة الأمن الميداني بجوار المسجد وأوصلني إلى ميدان سيمون بوليفار، فأوقفنا أفراد الشرطة العسكرية للتفتيش وسمحوا لنا بالمرور حتى وصلت إلى فندق "الفورسيزون" في شارع الكورنيش.. أوقفني كمين عسكري، وطالبني الضابط بكل ما يثبت شخصيتي بالإضافة إلى ما يحدد موقفي من التجنيد.. كان إلى جواره حافلة عسكرية مليئة بالشباب وبينهم فتيات لا أعرف وجهتهم ولا سبب احتجازهم.. فقدمت له كل ما أراده، ورغم ذلك، اصطحبني إلى مركز القيادة العسكرية على بعد خطوات، وإثناء سيرنا معا قال لي: أنت جاي من أين؟.. وبتعملوا إيه هناك ؟أنتم في ميدان التحرير تستحقون إعدام فوري.. وأن الجيش يمهلكم بعض الوقت ليسحق من فيه بمدرعاته.."لأول مرة كنت أشعر عن قرب بماهية النظام العسكري.. وربما لو كانت قيادة الجيش تنظر للثورة بهذه الفلسفة الفجة، لكان ميدان التحرير تحول من أول لحظة إلى حفرة عميقة من الدماء.

وعلى أي حال، أوقفني ضابط الجيش أمام سيارة مرسيدس يقف حولها مجموعة من الضباط وقال : هذه سيارة الأمن الرئاسي.. خذوه.. فأخذوني ونقلوني من قائد إلى قائد حتى وصلت إلى مكتب القائد العام، وقبل دخولي مكتبه، رأيت ضابطا خرج وبيده شابا يبكي بالدموع والنحيب.. فتأكدت من المصير المحتوم في هذه الليلة السوداء.. في سراديب الأمن أو معتقلات أمن الدولة أو السجن الحربي.. وكله أسود من بعضه..

أخفيت صوتي المتهدج عندما دخلت مكتب القائد، وكان بيده أوراقي الشخصية سبقتني إليه.. ورفع بصره إليَ وقال : أين كنت؟ وماذا تفعلون في ميدان التحرير، ألم يكف ما حققتموه؟ ما زلت طالبا في جامعة الإسكندرية ؟ قلت: نعم.. فقال: كمان؟ وجاي من اسكندرية عشان تعمل ثورة هنا؟ يومك أسود..عارف يعني إيه حظر التجول واختراقه؟ فأخذت أشرح كل ما جادت به بديهتي، لكنه لم يقتنع.. وهنا تأكدت أن الأمر بالنسبة للقوات المسلحة صار مختلفا عن الوضع بداية الثورة، هم يؤدون واجبهم الوظيفي ويحصلون على أعلى الرواتب الشهرية في مواعيدها، ومن ثم لا علاقة لهم بالفساد ولا الفاسدين وهم غير مضرورين منه، فقط مشمئزين من مشروع التوريث، ومنهم من ينظر إلى مبارك باعتباره " القائد الأعلى للقوات المسلحة" لا باعتباره رئيس مدني لدولة يحكمها نظام جمهوري. فالضابط الأول لو كان بيده الأمر لاكتسح الميدان بمدرعاته، وأما الثاني فتحدث معي عن موقفي من التجنيد وعن اختراق حظر التجول فقط وعبر عن اكتفائه بما حققه الشباب وأنه لا حاجة لاستمرار الاعتصام.. فقلت له:" أنا كده كده مروح ومش راجع تاني".. فأعطاني أوراقي وقال لي:" اتفضل وأرجوك احترم القوات المسلحة كما تحترمك.."

وعلى مسافة مائة متر أخرى قابلني كمين عسكري آخر، عبرته بسلام إلى أن وصلت كوبري الجامعة كنت قد مررت على خمسة أكمنة وكمين آخر في ميدان نهضة مصر، وسرت في شارع شارل ديجول،

خضت حروبا كلامية مع شباب اللجان الشعبية التي تراصت خلف بعضها بكثافة مرهقة للغاية.. وعلى ما يبدو أن الشعب خارج الميدان لا زال متعاطفا بقوة من خطاب مبارك، ورافضا لإصرار الشباب واعتصامهم في الميدان رغم الأحداث الدامية التي وقعت عصر الأربعاء الماضي.. والغريب أن كثير من الناس اعتقدت أن شباب الميدان هم الذين بدؤوا بالاعتداء على أنصار مبارك ومؤيديه ومنعوهم من دخول الميدان رغم سلميتهم وأمطروهم بالحجارة.. بناءً على تقارير الإعلام.. ورغم محاولاتي المضنية لتوضيح الأمور إلا أنه يبدوا أن الشعب قال كلمته بعد خطاب مبارك، وصمت بعد أحداث الأربعاء الدامي.. وكنت لأول مرة في حياتي أشعر وكأنني إرهابي يتخفى في الشوارع ليلا في ظل الانفلات الأمني وفي ظل قانون الطوارئ وحالة حظر التجول وفي ظل مطاردة الشعب نفسه للثوار.. فمن الصعب جدا أن تحاول إقناع كل أفراد لجنة شعبية تمر عليها في الشوارع بأن شباب ميدان التحرير على حق وأنهم لم يبدأوا بالاعتداء.. ومن السهل جدا في الوقت ذاته أن يقول مذيع تليفزيوني كلمة أو كلمتين فتتغير قناعة الشعب من اليمين إلى اليسار..

المشكلة الأكبر في هذه الليلة، أنها كانت موعد صرف المرتب،وخلال أحداث الأربعاء الدامي تعرضت لأزمة مالية، وحدث خلاف مع مديري في العمل"مكتب محاماة بالقاهرة"،على خلفية تركي للعمل واعتصامي بميدان التحرير، وبرغم أنني كنت في كل مرة يهاتفني من الإسكندرية، أقول له بثقة أنني موجود بالفعل في المكتب ولم اخرج نهائيا، ويحذرني من شباب الثورة والانجرار خلفهم، أؤكد له في كل مرة أنه لا علاقة لي بالثورة..لكن كانت المشكلة أنني لا أرد على الهاتف إلا بعد أن أخرج من الميدان والزحام واتجه إلى أحد الأزقة الصامتة لاتصل به وأؤكد له أنني موجود بالمكتب.. إلا أنه اتخذ هذه المسافة الزمنية المتكررة قرينة، وهي أنني لا أرد عليه فورا، ولا أسمع الهاتف في الزحام، وبعدما أخرج من الزحام اتصل به حتى لا يسمع صوت الجماهير.. وكانت نظرته صائبة بالطبع وهو ما اضطرني للصمت المحرج لأول مرة في حياتي صُعقت من رده.. لأن العصافير أخبروه بأنهم لم يروني بالمكتب منذ بداية الثورة إلا مرة أو مرتين لدقائق معدودة، وهذا ما وضعني في موقف لا أحسد عليه من أمانة وصدق هؤلاء العصافير، لم يتركوا لي فرصة حتى للهروب من الحرج.. أغلقوا كل الأبواب.. ثم فوجئت به يقول لي بحزم: "محمد.. أنت شخص أنا يحترمه، ومش عايز أخد موقف منك.. وقدامك فرصة أخيرة تختار حل من اتين خلال ٢٤ ساعة.. إما الشغل وإما الثورة"..

فجاء الفرج وقلت له: الثورة.. وانتهى الأمر ببقائي في الميدان دون أي رصيد للمصاريف، خصوصا أنني كنت منتظر المرتب حيث يتم صرفه يوم ٣ من كل شهر.. وهنا انقطعت كل السبل، وما عليَ إلا العودة للإسكندرية فورا.. وكان ذلك مستحيل لأي سبب إلا بعد تنحي مبارك ونجاح الثورة، وكانت المرة الأولى لي صباح الخميس ٣ فبراير أن أتناول من السندوتشات التي يتم توزيعها مجانا، كان حظي نصف رغيف به

شريحتين من الطماطم، لكننا كنا سعداء خصوصا أنه كان بصحبتنا طوال الليل الأستاذ الصحفي محمد عبد القدوس، وهو رجل خفيف الظل، لكنه كان حزينا جدا على ما يحدث لنا والدماء التي سالت في كل مكان، ولم يتركنا طوال الليل.. وفي هذا اليوم تعرفت على صديق كان طالبا في جامعة القاهرة، وطلبت منه المساعدة بفكرة في حل أزمتي المالية، فوافق على الفور وأعطاني رقم هاتفه، وقمت بتوصيله هاتفيا إلى أحد أصدقائي بالإسكندرية، وطلبت منه أن يشحن لي رصيد على هذا الرقم، وبالفعل قام بتحويل رصيد على رقم صديقي الطبيب البيطري فأعطاني قيمة الرصيد فورا، كانت هذه وسيلة ناجحة لأن إجراء حوالات بنكية أو مصرفية لم يكن متاحا وقتها..(وكان ذلك قبل ظهور خدمة فودافون كاش) والعجيب أنه كان معظم الأقارب والأصدقاء يتصلون بي ليس للاطمئنان علىَ وإنما ليسبوا ويلعنوا ليس فقط شخصي ولكن أهلي وكل القلة المندسة في ميدان التحرير وأهاليهم.. ثم بعد طلبي تحويل رصيد فوجئت بهم جميعا يتصلون ليعتذروا والكل يريد تحويل رصيد لي ويطلب مني عدم المغادرة حتى تنجح الثورة.. كان معظمهم بسطاء يصدقون تقارير الإعلام الكاذب عن توزيع وجبات كنتاكي جاهزة ودولارات وغيرها من العملات الصعبة، إضافة إلى أنهم قبضوا على كثير من السجناء الخارجين من سجن وادي النطرون في طريقهم على مدخل الإسكندرية، وهذا سبب رعبا للأهالي وجعلهم ناقمين على الثورة..لأنهم عاشوا فعليا في الحدث الخلفي للثورة،وبرغم أحداث الأربعاء الدامي والحمير والجمال التي كشفت سوءات النظام ونواياه، إلا أنهم مازالوا مصدقين أننا نستحق الإعدام وليس فقط الدهس بالخيول والجمال..لكن بعدما طلبت منهم دعم مالي حتى أعود، تغيرت رؤيتهم للثورة وتأكدوا فعلا أننا لا نحصل على كنتاكي ودولارات ويورو مقابل التظاهر والاعتصام ..

وقرابة الرابعة فجرا وصلت إلى برج مراد حيث أقيم مؤقتا، فوجدت حراس البرج يجلسون أمام الغرفة التجارية والأنوار مطفأة تماما، وعندما سألتهم قالوا لي : تعليمات الأمن.. وأكثر ما كنت أخشاه أن يدلي الحراس بأي معلومات عني لقوات الأمن، فأصبح سرابا، فعادة ما ينظر البسطاء والجهلاء للثورة من صورتها الخلفية فقط،وأنها مجرد فوضى وخراب للبلد، وكان الحراس والجيران من أصحاب المحال التجارية والعاملين بها في شارع مراد ينظرون إليَ وكأنني " الخط " وينظرون إليَ في ذهابي وإيابي بنظرة ريبة واستهجان..على أي حال، كان عليَ أن أصعد على السلم إلى الطابق السادس عشر في ظلام دامس، لأن المصعد كان متوقفا لانقطاع الكهرباء بأوامر الأمن.. ولم أر في حياتي كتل الظلام بهذا الشكل وكأنني أسير في نفقٍ مظلم طوله ستة عشر طابقا، أوله مغارة وآخره مغارة.. وبالكاد تحسست درجات السلم والجدران وفتحت باب غرفتي.. فتحت شرفتي وكان ضوء القمر خافتا، أحضرت بعض الأوراق وجلست استرجع ذاكرة اليوم التي ذابت كلماتها في مياه النيل..

****

وصلات خارجية

١. يوميات الثورة المصرية ٠٣ فبراير
https://www.youtube.com/watch?v=zDrKCwYjN4s

٢. عمار الشريعي يفضح التليفزيون المصري
https://www.youtube.com/watch?v=mKKSLKNmI04

٣. مؤتمر صحفي لرئيس الوزراء الفريق أحمد شفيق ٣ فبراير
https://www.youtube.com/watch?v=6_A44nNQEkA

٤. أخبار جمعة الرحيل ٤ فبراير ٢٠١١ بي بي سي
https://www.youtube.com/watch?v=0IgB7jyWOic

(١٩)

جمعة الرحيل

الجمعة ٤ فبراير ٢٠١١

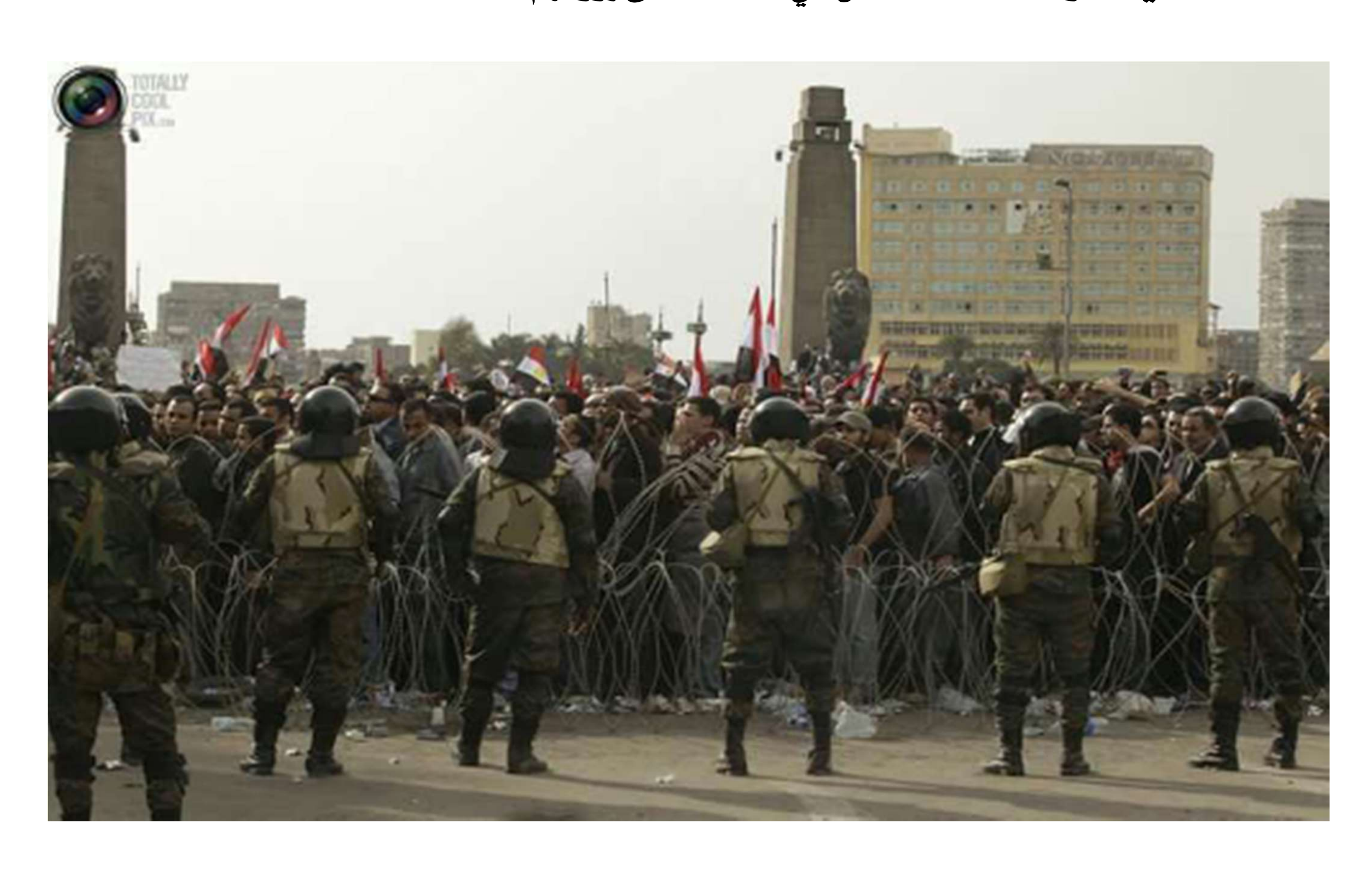
في الطريق إلى الميدان مبكرا.. على امتداد شارع التحرير، وقف حاجز عسكري آخر مع بعض من شباب الحزب الوطني للتفتيش على كوبري الجلاء، وتزاحم المواطنون أمامه بالآلاف في طوابير للمرور، وقفوا يتفحصون أوراقهم الشخصية بكفاءة معمل البحث الجنائي، وببطء شديد، حاولوا أن يحاصروا الميدان بقوة ويعرقلون توافد المواطنين إليه ويقطعون المعونات وكل شيء ما عدا السجائر.. وحاول شاب منهم أكثر من مرة أن يصرخ كلما تزايد عددهم وكأنه يهددهم بالأمن والاستقرار وإما الفوضى.. ثم أخذ يبحث عن شخص من أنصاره يحمله على كتفه كي يصرخ في الجماهير، وعلى ما يبدوا أنه كان ثقيل الوزن فلم يتطوع أحد من أنصاره بحمله.. فثار غضبا وأخذ يسب الدين والوطن والجميع.. كانوا يتحفظون على كل ما معهم أو يلقونه في مياه النيل.. مأكولات ومشروبات وأدوية ومستلزمات طبية.. بطاطين وأغطية، وحتى مياه الشرب يلقونها في مياه النيل.. وكأننا سنموت عطشا والنهر كله تحت أيدينا..

وعلى كوبري قصر النيل، العابر فوق النيل إلى الميدان، وشريان الحياة الرئيس الذي تفيض منه الجماهير إلى الميدان.. بدت الحياة هادئة على صفحة مياه النيل التي تلوح في الأفق صافية عذبة تغازل ضوء الشمس وتترقرق في هدوء كأنها تترنم بأنشودة السلام.. ويتلوى شريط المياه بامتداد النيل في الأفق ليتوارى في جزره ونتوءاته الخضراء، حتى يتلاشى أثره تحت ظلال غابة معمارية شاهقة الارتفاع.. ولا زال يروي قصص الحب وحكايات الغرام.. يعانق الأرض ويجري بمحاذاة أرصفته الخضراء، وقد تزينت في عرسها بحلقات عقدٍ قرمزيٍ قوامه مقصورات راسيات وعائمات، تتخللها ظلال أشجار وقوارب وأشرعة وصواري باثقة في الهواء مثل قصبات الصيد.. وقد ساد هدوء ونقاء لا يشوبه سوى شارة حمراء باثقة من القاع، تتراقص مع الموج متفاخرة بعبور قطارات المترو تحت أجنحتها.. كل شيء ساكن للحظات وربما ساعات احتفاءا بثورة شعبٍ قادها جيل من شبابه، استطاع بعبقريته أن يلجم التاريخ ويجبره على تغيير مساره كي يحقق آمال شعبٍ عاش آلاف السنين على ضفاف النيل، بنا مجدا، وشيد حضارة عجز العالم عن فك شفرتها.. وها هو الشعب المصري يقف ثائرا على بعد خطوات في ميدان التحرير من أجل تحرير الإرادة. ليعيد بناء حضارته برؤيته هو لا رؤية حكامه المستبدين..

يتهادى إلى أذني هدير الجماهير الثائرة في تناغم ساحر مثل طنين النحل جعلني أهتف بقلبي كما يهتفون " مصر هي أمي.. نيلها هو دمي.. شمسها في سماري.. شكلها في ملامحي حتى لوني أمحي.. لون نيلك

يا مصر.. مصر.. مصر"، وكلما تكررت على مسامعي هذه الكلمات الساحرة بألحانها وموسيقاها الوطنية، جعلتني أحث الخطى إلى الميدان كي أتماهى في جموع الشعب..

وقد بادر الشباب باستغلال فرصتهم، خاصة بعد المسرحية الهزلية وأحداث الأربعاء الدامي، بادروا بنشر الرسائل على المواقع الإلكترونية وكافة وسائل الاتصال للدعوة إلى المشاركة في جمعة الرحيل، وتغلبت الحملة الإلكترونية لجمعة الرحيل على الحملة المضادة للجان الإلكترونية من مؤيدي مبارك، وقاموا بتحميل الصور ومقاطع الفيديو مع الرسائل خاصة التي تصور مشاهد اقتحام الخيول والجمال لميدان التحرير، وفرق البلطجية الذين صعدوا أسطح العمائر وألقوا القنابل الحارقة.. وكان الأمر مفهوما لدى الجميع أنها مدبرة من قبل النظام وأن من نفذوها هم مجرد دوبلير يتقاضى أجرا محددا في نهاية المشهد.. وبدأ الاستعداد مبكرا اليوم لاستقبال الجماهير لجمعة الرحيل، حيث لقيت الدعوة ترحيبا واحتفاءا عارما من المواطنين، وكانت قادرة على استنفار الرأي العام مرة أخرى وحشد الشريحة العظمى للاعتصام في الشوارع والميادين.. وكان الجميع على يقين بأن رحيل النظام سيكون عقب صلاة الجمعة، حيث الجماهير محتشدة في الشوارع والميدان ولن تعود لمنازلها قبل أن تقول كلمتها.. ووقفت صفوف المواطنين ممتدة ومتزاحمة في كافة منافذ الميدان، وتحت أشعة الشمس التي تعامدت على رؤوسهم..



لحظات على كوبري قصر النيل، يدهشني إصرار المواطنين رغم امتداد الصفوف تحت أشعة الشمس إلى منتصف كوبري قصر النيل، وصفوف أخرى تنعطف في شارع الكورنيش على اليمين وحتى فندق " فورسيزون " تقابلها صفوف أخرى على اليسار ممتدة وحتى مقر الحزب الوطني المحترق على كورنيش النيل.. وتتجمع الصفوف من كافة الاتجاهات أمام مدرعات الجيش التي تقف مثل القطط الأليفة ما بين الجامعة العربية ومبنى وزارة الخارجية القديم في مدخل قصر النيل وهو المحور الرئيس للميدان، ومع تزاحم الجماهير على حاجز التفتيش العسكري، صعد الضباط فوق مدرعاتهم وطلبوا من الموطنين إبراز هوياتهم للتأكد منها ومنع العناصر الأمنية والشرطية من الدخول وكذلك غير المصريين باستثناء الإعلاميين.. كان الزحام شديدا جدا حتى أن أحد المغردين على تويتر وصفه قائلا: " الواحد لما كان يشوف طابور في مصر كان يجيلو إحباط،اليوم طابور دخول التحرير كان بادئ من قبل شيبرد بشارعين وناس ملتزمة ومبسوطة"

وفي المقابل كانت تعليمات الإذاعة تقضي بعدم دخول كل من يحمل رقم قومي تم استخراجه بعد يوم ٢٥ يناير، لأن قوات الأمن السري والشرطة السرية تقوم باستخراج بطاقات رقم قومي حسب الطلب تحمل بيانات معينة غير حقيقية لأداء مهمات خاصة.. وتوزع أفراد الأمن الميداني من الشباب خلف الحاجز العسكري إلى مجموعتين، الأولى إلى اليمين وتتكون من عدد من الفتيات لتفتيش السيدات، والمجموعة الثانية من الشباب لتفتيش الرجال، وتتركز مهمة لجنة الأمن الميداني في إعادة فحص بطاقات الرقم القومي ومنع دخول الأشياء المحظورة، ما بين أدوات وشفرات حادة وقضبان معدنية وسكاكين وخناجر وسيوف وقنابل يدوية وقنابل مولوتوف وشرائح زجاجية وغير ذلك مما قد يشكل خطر على المعتصمين في الميدان..

وبعد عبورنا حواجز التفتيش في محور قصر النيل.. يصطف الشباب على الجانبين في استقبال حافل ويهتفون لك " مرحب مرحب بالأبطال.. مرحب مرحب بالأحرار "، وبمجرد دخولك الميدان تلاحظ من الوهلة الأولى ارتفاع مؤشر الطاقة البشرية بصورة غير عادية.. تجعلك على يقين بأن الشعب قد قال كلمته، وما على النظام إلا أن يرحل.. فاليوم هو جمعة الرحيل.. وكثافة الجماهير تشير بوضوح إلى أنه يوم الرحيل..

"نتخطى معا الحواجز الأمنية التي اصطفت الجماهير أمامها.. بين المتظاهرين وقف «محمد عادل»، طالب بكلية دار العلوم، عند المدخل الرئيسي لميدان التحرير، لكي يمر جميع المتظاهرين بعد مرورهم بنقاط التفتيش على لافتته، ولكي تصل رسالته إلى أكبر عدد من المواطنين، حرص "محمد" على كتابتها باللغتين العربية والإنجليزية.« I dont think Mubarak has a TV »، «هو ما عندوش تليفزيون ولا إيه؟»، دونها «محمد» بخط يده، وزين لافتته بألوان علم مصر الذي علا جبهته، إذ لون بعض كلمات اللوحة باللون الأحمر، واستخدم قلما أسود في كتابتها وترك خلفية اللوحة بيضاء."

" وفى أركان الميدان تناثرت اللافتات كبيرة الحجم، التي تحمل المطالب الجماعية للمتظاهرين، وهى اللافتات التي أعدها الخطاطون، المنتشرون في أماكن معروفة للجميع في الميدان، وتتضمن مطالبة الرئيس بالتنحي، ومحاكمة النظام بسبب تخريب مصر، ومحاكمة حبيب العادلى، وزير الداخلية السابق، وإنهاء حالة الطوارئ، وتشكيل حكومة إنقاذ وطني مؤقتة، وحل مجلسي الشعب والشورى، وإنشاء جمعية لتغيير الدستور، ومحاكمة فورية للمسئولين عن قتل الشهداء.. وعلق المتظاهرون لافتة مكتوبا عليها كلمة واحدة " إرحـــــــــــل "، وهى اللافتة التي وقع عدد من المتظاهرين بأسمائهم عليها، كما دونوا عليها بعض الشعارات التي يرددونها أثناء التظاهر ومنها «مش هنمشى لما يمشى"[٤]

يتجول مراسل «الإمارات اليوم» في الميدان، حيث التنظيم المبهر، فلا احتكاكات رغم التزاحم، ولا أثر للقمامة التي قال أحمد عبدالله من مجموعة «كلنا خالد سعيد»، إن هناك علماء وأساتذة جامعات وإعلاميين ومثقفين يشتركون في جمعها أولا بأول.. وقال عبدالله إن «هناك لجان حماية وتفتيش وإنذار مبكر في مداخل الميدان، تقوم بمنع دخول الأسلحة والبلطجية، وتطلب العون السريع في حال إقدام البلطجية إلى الميدان. وعقب أحداث اعتداء الأربعاء الماضي، تم تخصيص مدخل للسيدات وآخر للرجال، وهناك مكان للإذاعة التي يتحدث فيها ممثلو التيارات السياسية بانتظام. وهناك مجموعات من الشباب تتطوع بتجهيز النبال، لقذف الحجارة مسافات طويلة لمواجهة القناصة الذين قتلوا أول أمس ثلاثة متظاهرين». وقال رئيس جمعية ضد الغلاء محمود العسقلاني، إن «ميدان التحرير يشهد تجسيدا حيا لمحاربة الغلاء، إذ تنخفض الأسعار داخله عن نصف سعر السلع بالخارج.« وأوضح أن «علبة الكشري بثلاثة جنيهات، بينما تباع في الخارج بستة جنيهات، والأمر نفسه بالنسبة للأطعمة والسندوتشات والمياه المعدنية والغازية وجميع مستلزمات الحياة.«

وكان لافتا تلك السيدة المسنة التي تحمل على صدرها صورة لابنها الذي استشهد الأربعاء الماضي، وقالت «أم حسين» من بولاق ومن أصول صعيدية، إنها جاءت لكي تنتقم ممن قتل ابنها، وتقول بكل ثقة وتقسم بأنها تعرف من قتل حسين، وستلف يديها على رقبته حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة في يديها. وقالت «قتلوا ابني بضربة عنيفة فجرت رأسه، وفشل المسعفون في المستشفى الميداني في إنقاذه، فاستشهد مثله مثل المئات من

---

٤. (تقرير صحفي)

الشباب». وكان لافتا ذلك الحضور لفلاحي مصر الذين يحمل بعضهم لافتة عن غياب بذور القمح حتى نجوع، وآخر عن تدمير أراضيهم بالبذور المسرطنة، وثالثة عن فساد مسئولي وزارة الزراعة."[5]

وقد أشارت ظلال الشمس إلى التاسعة صباحا.. جمعة الرحيل.. وما بين جمعة الغضب وجمعة الرحيل أيام قليلة وتاريخ طويل، وإن لم تأت البداية في أحداث العنف والقمع الوحشي الذي شهدته جمعة الغضب، فقد تواترت الأحداث وتغيرت من حال لحال حتى كادت الثورة أن تخمد في مهدها على أثر الخطاب العاطفي، وما هي إلا ساعات قلائل حتى وقعت الأحداث الدامية والتي كان بمقدورها أن تكشف النقاب عن كثير من الخبايا، وبدا واضحا أن النظام لا يسعى إلى الإصلاح، بل عمد إلى تخدير حالة الحماس الثوري بخطاب ناعم يتمكن من القضاء على الثورة وإخمادها، بعد أن فرق عنها الملايين ولم يبق سوى حفنة من الشباب الثوري.. ثم حاصرها بجحافل من الجهلاء والمنافقين والمأجورين كي يحطم الميدان على من فيه.. وهنا تأكد للجميع أن النظام لم يعترف بالثورة بعد.. ولا زالت براثنه مغروسة في كرسيه، ولن يستسلم مهما كلفه الأمر، وبدا واضحا أيضا أن ميدان التحرير صار خطرا محدقا بمن فيه، حتى أن الساسة والإعلاميين الأجانب صاروا على قناعة بأن نظام مبارك قد أصابته رعشة لكنه ما لبث أن استقر وأحكم قبضته على الأمور، وسيسعى من الآن فصاعدا إلى استئصال براعم الثورة بكل الطرق، ولهذا رحل كثير من الإعلاميين الغربيين الذين جاؤا من بلادهم لمتابعة أحداث الثورة منذ بدايتها، فلما شعروا بالخطر استقلوا خطوطهم الجوية عائدين إلى بلادهم، ولم يبق سوى حفنة من الصحفيين والمراسلين على رأسهم الكاتب الصحفي البريطاني العملاق "روبرت فيسك " الذي ظل على قناعة تامة بقدرة الشباب المصري على صناعة التاريخ وأن نضالهم سيصير مادة مفضلة للدراسة في أرقى جامعات العالم، ولهذا تحدى الشائعات والأوهام والأخطار التي حاصرت ميدان التحرير ولم ينفصل عن شبابه لحظة واحدة، ولم يفقد الأمل مع من فقدوه.. كان يتجول بين صفوفنا في الاشتباكات والأحداث الدامية ليراقب عن قرب مدى إصرار الشباب المصري على تحقيق أهدافه وتطلعاته، ومدى التضحيات التي يمكنه إن يقدمها في سبيل ذلك، كان الكاتب المخضرم يغرس بصيرته داخل صدور الشباب ليقرأ مكنونها ومن ثم يتوقع الأحداث ويحرث بقلمه في مدونته، وجمع أكبر كم من المادة الإعلامية التي توثق أحداث الثورة ليقوم بتحليلها وعرضها في وكالات الأنباء العالمية إيمانا منه بمدى قدرة الشباب المصري على صناعة التاريخ..

٥ـ مقال منشور على موقع الإمارات اليوم بعنوان" »التحرير« حديقة للثورة تضم كل الاتجاهات، بقلم خالد محمد علي – القاهرة بتاريخ٨ فبراير ٢٠١١

لقد حاول النظام الحاكم أن يحكم قبضته على رقاب الشعب بخطط وتكتيكات دقيقة وناعمة ومتخبطة أحيانا ومتشعبة مثل خيوط العنكبوت التي نسجت في الظلام بيدٍ نحيلة.. وما لبث العنكبوت أن تحول إلى أخطبوط هائج يحاول القبض بعنف على رقاب الثوار والانتقام منهم معتمدا في ذلك على قلوبه الثلاث التي تضخ الحياة بقوة في أذرعه الثمانية حتى وإن بدا وكأنه يرقص رقصة المذبوح..

وقد تمثل قلبه الأول: في مؤسسة الرئاسة والقائمين عليها، فبعد أن آلت للسقوط حاولوا الحفاظ على أقل قدر من الثبات والاستقرار أو حتى التظاهر بذلك أمام الشعب الثائر، وعلى رأسها الرئيس مبارك وسوزان ثابت و جمال مبارك وأنس الفقي وزير الإعلام وفتحي سرور رئيس مجلس الشعب وصفوت الشريف رئيس مجلس الشورى وذكريا عزمي رئيس ديون رئاسة الجمهورية..

والقلب الثاني: تمثل في أصحاب المعالي الذين طلوا على البسطاء من أبراج عاجية متعالين على صرخاتهم وساخرين من أحوالهم، فهم يشكلون دائرة رجال الأعمال الفاسدين، الذين يحيطون بالنظام المترنح مثل القطط التي ثمنت ولا زالت تنهش في جسد الوطن حتى يتداعى فتجهز عليه، وعلى رأسهم : أحمد عز وحسين سالم وغيرهم من أعضاء الحزب الوطني وأصحاب المال السياسي الذين عملوا بإخلاص في تخريج موقعة الجمل والبلطجية..

والقلب الثالث: يتمثل في أجهزة القمع الأمني التي تعيش متطفلة على الشعب مستفيدة من السلطة والمال.. وهذا يبدو واضحا في كل الدول القمعية؛ فالنظام يعتمد على مجموعة من القيادات الأمنية والمخابراتية التي تحرس مصالحه بقوة نفوذها واحترافها لخرق القوانين، وهي عبارة عن شبكة متشعبة من العلاقات تخدم مصالح متشعبة في مناصب حساسة. وهذه الأوتاد الأمنية تسعى بصفة مستقلة عن رأس المال السياسي على تثبيت مواقعها والحفاظ على مستحقاتها السلطوية ونفوذها ومصالحها المهددة بسقوط النظام.

فهذه التنظيمات الثلاث مثلت قلوب الأخطبوط التي تضخ دماءه في عروقه لتقوى أذرعه فيحكم قبضته على رقاب الثوار ويعتصرها حتى تنفجر مثل المرارة، لكن الواقع أثبت العكس تماما، فرقاب الثوار التي اعتقدوا أنها غضة وطرية، لم تكن كذلك. بل عصرها القمع ومص دمائها الظلم والقهر، حتى صارت مثل أقصاب البامبو، ولهذا لم تنفجر رقاب الثوار تحت قبضة الأخطبوط، بل انفجرت أذرعه من شدة الحزق..

وكان الذراع الأول : هو العصي الغليظة متمثلة في جيوش الأمن المركزي بمئات الآلاف من الضباط والجنود، مسلحين بالجهل والغباء قبل العصي والدروع والهراوات السوداء والغازات الحارقة للعيون والمصفحات ومضخات المياه والأسلحة النارية، وقد توزعت قوات الأمن المركزي في الشوارع والميادين تدعمها قوات

الشرطة، وقوات مكافحة الشغب بالإضافة إلى قوات الحرس الجمهوري، ونتج عن ذلك آلاف الجرحى والمصابين ومئات الشهداء..

الذراع الثانية : تمثلت في مخطط الانفلات الأمني الذي وضعته وزارة الداخلية وقامت بسحب رجال الأمن والشرطة لإخلاء كافة مواقعها وفتح السجون والأقسام وتسريح المساجين والمسجلين خطر لنشر الفوضى وأعمال النهب والقتل والترويع، وظهر ذلك واضحا في خطاب مبارك الأول مساء جمعة الغضب، فقد وضع الشعب أمام خيارين، إما بقاء النظام وإما الفوضى..

الذراع الثالثة : وتتمثل في الخطاب اللين الناعم الذي يدغدغ مشاعر البسطاء، فقد أراد النظام أن يضرب بعنف على أوتار النغمة العاطفية في قلوب الشعب المصري، فخرج علينا مبارك من منبره ليقول " أتحمل المسؤولية كاملة فيما حدث "، " خدمت الوطن حربا وسلاما لأكثر من ستين عاما "، " أتمنى أن أموت على أرض الوطن وأدفن في ترابه "، وهكذا أراد أن يشعرنا بالذنب فيما نفعله تجاه الوطن، لكننا كنا أكثر صلابة مما توقع هو، ولم تستطع كلماته ودموعه أن تدغدغ مشاعرنا..

الذراع الربعة : حاول النظام تكوير قبضته في وجوهنا قمعا وترويعا لإخماد ثورتنا، فتحولت قبضته إلى عنقه.. فقد عمد إلى دفع الكثير من أنصار الحزب الوطني ومعهم المأجورين والبلطجية وأفراد من الأمن في زيّ مدني مسلحين بأسلحة بيضاء وحاصروا الميدان بالبغال والخيول والجمال لترويعنا والقضاء علينا، ودفع بمئات الآلاف تجوب الشوارع ليل نهار وتهتف باسمه وحياته.. لكن الله جعل كيده في نحره..

الذراع الخامسة: حرب الشائعات.. حيث قام الجهاز الإعلامي بحملة شنعاء في تشويه الثورة وتلويث سمعة شبابها بالشائعات المغرضة ونشر تقارير كاذبة هدفها التضليل لصرف غالبية الشعب عن شباب الثورة فاتهمتهم بالسعي لأجندات خارجية تهدف إلى قلب نظام الأمن في البلاد، وأنهم يتقاضون أجورا يومية بالدولار من أجل ذلك، وتوزع عليهم وجبات جاهزة، بل يمارسون الرذيلة ويتزوجون فيما بينهم ويتعاطون المخدرات وأن بينهم جواسيس من إسرائيل، وأنهم تلقوا تدريبات في الخارج للعبث بأمن الوطن والمواطنين.

الذراع السادسة: تمثلت في التعتيم الإعلامي الكامل منذ بداية أحداث الثورة وتقزيمها ووصف مئات الآلاف من الجماهير الغاضبة بأنهم مجموعة من شباب الإخوان سعوا للخراب والسلب والنهب في البلاد.. بل كانت كاميرات الإعلام المصري تقف على كوبري أكتوبر الهادئ لتنقل الخبر إلى المشاهد بأن ميدان التحرير خاليا تماما من المتظاهرين، وعندما خرج أنصار الحزب الوطني ليلا بعد الخطاب العاطفي، صورهم

الإعلام وكأنهم الشعب بأكمله خرج لتأييد الرئيس مبارك وأن ميدان التحرير لم يعد به سوى حفنة من الشياطين ذوي الأجندات الخارجية، مع أن ميدان التحرير هو الذي انتصر في نهاية الأمر..

الذراع السابعة: وتمثلت في مسرحية الحوار الوطني، فقد عاد النظام إلى التحايل على رموز الأحزاب الكرتونية التي خرجت من رحمه في زعم أنها المعارضة وقام بدعوة الأطراف لحضور جلسات الحوار الوطني مع نائب الرئيس عمر سليمان، وكون عمر سليمان مدير المخابرات العامة، فهذا يكفي كدليل على أن الحوار الوطني مجرد خدعة وطنية أو مسرحية هزلية ووعود جوفاء وتنازلات وهمية سعى من خلالها النظام إلى الضغط على يد الرموز السياسية كي تبتعد عن شباب الثورة حتى ينفرط عقد الثورة، ومن ثم يتمكن من إخمادها، لكنه قد غاب عنه أن الثورة ليست لها قائد، وإنما قادها الشباب بإرادتهم ووقف رموز الأحزاب السياسية في صفوفهم الخلفية، مما يعني أن إرادة الشباب أقوى من الرموز السياسية، وأن ضم هذه القوى السياسية لن يعني بالنسبة للشباب سوى كونهم أذيال وبقايا النظام الذي لابد من رحيله..

الذراع الثامنة: الحرب النفسية، فقد عمد النظام إلى دس المئات من أعوانه بين المعتصمين من الشباب في الميدان ليشنوا حربا نفسية تقضي علينا وتخمد ثورتنا، وقد مثل هذا أخطر الأوراق التي من شأنها إخماد الثورة بيد الثوار أنفسهم، فقد حاول النظام اللعب بورقته الأخيرة ومن ثم نشر بيننا من يثير القلق في نفوسنا على سلامة الوطن وتداعيات الثورة.. فإذا كان هدفنا مصلحة الوطن، حاول إقناعنا بأن الاستقرار والأمن هي المصلحة الأولى، وأراد أن تكون ذراعه الأخيرة مرنة وناعمة، فبعث أعوانه (الأمنيين والسياسيين من حزبه) يقولون لنا في هدوء وتوسل " البورصة خسرت ٤٠ مليار.. والحدود مكشوفة والجيش مشغول بالأمن الداخلي وإسرائيل تعبث على الحدود.. والأسطول الأمريكي يرسو في مياه البحر المتوسط.. وإسرائيل تنوي ضرب السد العالي.. وأن الاقتصاد ينهار.. وأن الرئيس وعد بتعديل الدستور.. وحكومة جديدة.. وباقي له ستة أشهر فقط.. وعين نائب.. وألغى مخطط التوريث.. وفزاعة الإخوان والسلفيين والإرهاب في ظل الفراغ الدستوري الذي سيحدث حال خروج مبارك من الحكم.. وغيرها الكثير والكثير، وكأن السماء ستسقط على الأرض برحيل النظام.. هؤلاء كانوا ينتشرون في الميدان بكثافة مثل الدودة الشريطية في الأمعاء.. ما دفعنا لتشكيل لجنة " التوعية السياسية" لينتشر أعضاؤها لتوعية المعتصمين بمناورات هؤلاء المبعوثين من الخارج لتصفية الثورة.وفي حقيقة الأمر كانت هذه الذراع هي أخطر ما في الأمر وإن لم يتحدث عنها أحد، لكن بحول الله وقوته جعل إرادتنا واعية وعقولنا أكبر من أن تأكلها الديدان التي أطلقها.. كانت الحرب النفسية كالأفعى وجهها النظام لتنفث سمومها في وجوهنا.. وكان المقصود منها صرف الجماهير عن الميدان حتى يجد الشباب أنفسهم منعزلين عن الشعب.. فارتدت سمومها في وجهه..

لقد فشل النظام في كافة المحاولات التي لجأ إليها في صراعه الأخير مع الحياة، رغم أنه أجاد اللعب بكافة الأوراق التي طرحت على طاولته، لكن حاله يسير من الأسوأ إلى الأكثر سوءا، وبمرور الوقت تتكشف عوراته أكثر وأكثر حتى صار العثور على ورقة التوت أمرا مُحالا، وبدأت رموز الفساد تتساقط كأوراق الخريف بتقديم حبيب العادلي للمحاكمة والتحقيق مع أحمد عز وزهير جرانة وآخرين.. كبش من كل عنبر.. أمن.. اقتصاد.. سياسة.. النظام حاول في البداية أن ينقذ المركب الغارق بإلقاء بعض من حمولته.. لكن الثوار ما زالوا مصرين على إغراق المركب كله.. وهذا ما تسبب في أزمة.. خصوصا بعدما ظهرت نياتهم ليلة الخطاب العاطفي. مما يعني أن الفرصة سانحة للثوار كي يفرضوا كلمتهم ويجبروا النظام على الرحيل اليوم ويكون الغد احتفالا بالرحيل.. لكن يبقى موقف الجيش غامضا حتى الآن..



وكانت الضمانة الأولى التي قدمها الجيش لشباب الثورة هي ذلك البيان الذي أذاعه ضباط الجيش في الميدان يوم الاثنين الماضي أثناء الأعمال التحضيرية للمليونية الأولى يوم الثلاثاء، خاصة بعدما نشر الناشطون بيانا موجها إلى القوات المسلحة بإعلان موقفهم من الثورة.. وبحلول المساء وبعد الخطاب العاطفي بدأ الجيش

يطالب الإعلاميين والصحفيين بالخروج من الميدان استعدادا لإخلائه، وهو ما كان تمهيدا لما وقع يوم الأربعاء الدامي، ولأن الثوار انتصروا في هذه المؤامرة، اضطر الجيش لتغيير موقفه مع الشعب.. وجاءت الضمانة الثانية في توقيت حرج، حينما قال اللواء حسن الرويني "الموضوع ده انتهى خلاص.. واحنا قولنا له لم الشراميط بتوعك.." لكن جاء القرار هذه المرة تلقائيا من الجيش قبل طلب الثوار.. وقامت قوات الجيش منذ الساعات الأولى بنشر الأسلاك الشائكة في جميع محاور الميدان لحماية الشعب في الميدان من الغزو الغجري وهجمات البلطجية من أنصار الحزب الوطني.. وكذا نشر الجنود في كل مكان لفض الاشتباكات إذا ما وقعت.. وهذا أقصى ما كنا نتمناه منذ بداية الأحداث الدامية يوم الأربعاء الماضي..

وبدأ توافد المثقفين والشخصيات العامة التي لقيت قبولا وترحيبا من الشباب وكان على رأسهم الإعلامي البارز عمرو الليثي والفنان خالد النبوي واللاعب الرياضي نادر السيد وحملهم الشعب وساروا بهم في الميدان يهتفون بهتافات مناهضة للنظام ومطالبة بالحرية والكرامة..

وحاول الدكتور صفوت حجازي إقناع الشباب بتسليم الأسرى من موقعة الجمل والذين تم احتجازهم خلف قضبان محطة المترو في قلب الميدان.. لكن الشباب اعترضوا خشية أن يقوم ضباط الجيش بتسريحهم.. إذ أنه في السابق كُنا نقبض على البلطجية ونسلمهم للجيش فيقوم بإخلاء سبيلهم، ثم أخبرنا أحد الضباط بأن نتحفظ عليهم حتى الليل ولا نسلمهم إلا في الليل كي تتم محاكمتهم بتهمة اختراق حظر التجول ! بما يعني أن يتم تقديمهم للنيابة العسكرية بأن تم ضبطهم ليلا في ميدان التحرير بتهمة اختراق حظر التجول !. وبعد مداولات مع الشباب وصفوت حجازي وضباط الجيش، أقنعهم خلالها الضباط بأن هؤلاء سيتم عرضهم على النيابة العسكرية والتحقيق معهم ثم ترحيلهم إلى السجن الحربي.. لكن الشباب اشترطوا أن يحصلوا على اعترافات الأسرى وتسجيلها كاملة قبل أن يتم تسليمهم، واستدعوا مراسلي بعض وكالات الأنباء العالمية "الجزيرة" والـ"بي بي سي "عربي وقناة العربية، لتسجيل اعترافات الأسرى الذين وافقوا على الاعتراف الكامل بشرط عدم الاعتداء عليهم.. وجاءت اعترافات مفاجئة بالنسبة لنا ومراسلي وكالات الأنباء، جاء أثرها مفاجئا وثقيل الوطأة مثل الكبسة الخليجية، حيث جمعت في قصعتها ما بين اللوز والفستق والثريد مع الدهن الثقيل.. إذا كان بينهم ضباط وأمناء الشرطة والأمن السري والأمن العام، وشباب من أنصار الحزب الوطني دفعهم التعصب الحزبي والسياسي إلى صفوف البلطجية، وشباب ومراهقين من المشردين والمسجلين خطر استأجرهم أعضاء الحزب الوطني في مهمة القضاء على ميدان التحرير والسيطرة عليه.. وكان معهم أوراق وصور شخصية تم عرضها أمام كاميرات الإعلام.. ثم بعد ذلك شكل الشباب طوقا بشريا بسواعدهم لحماية الأسرى من الاعتداءات أثناء ترحيلهم إلى مقر القيادة العسكرية بالمتحف..

بدا يوم جمعة الرحيل يوما جديدا تغير فيه مسار الثورة التي انتقلت من مغالبة الموت في قبضة النظام ومخالبه إلى الصمود والإصرار وتجدد خطابها، وانتشرت لافتات تقول " أنصاف الثورات أكفان للشعوب" و " سمعنا كلامك مليون مرة.. اسمع كلامنا مرة.." و "لن ينسى التاريخ محاربة شعبك وقتل أبناءه ولن تستطيع تزويره لأنه محفور بدمائنا" و " ذبحنا الخوف في ميدان التحرير " و "في التحرير حتى التحرير"، وأما الخطاب الصوتي الذي تمثل في الهتافات فقد اقترن بلهجة غنائية وجمع بين اللهجة المصرية والعربية الفصحى، مثل " الشعب المصري.. شعب أصيل.. شعب حضارة وادي النيل "، وأخرى باللهجة المصرية خرجت بتلقائية ساذجة عبرت عن مكنون الضمير العام لدى البسطاء مثل " الداخلية دي بلطجية.. احنا شعب مية المية.. هما شوية حرامية."



وددت لو آخذ جولة سريعة في معرض الصحافة اليومية في الميدان.. فقد اعتاد الشباب في كل صباح أن يطرحوا صفحات الجرائد اليومية الحرة "المصري اليوم" و "الشروق" الدستور" وغيرها على الحاجز المعدني أمام تمثال عمر مكرم أو أبواب المحال التجارية ويثبتونها بلواصق طبية حتى يتمكن الجميع من الإطلاع عليها بكل حرية لأن الشهداء دفعوا دمائهم ثمنا لهذه الحرية.. وذكرني هذا المشهد بأيام الجامعة، كان الطلاب يقومون بعرض الصحف اليومية بهذه الطريقة للاطلاع الحر مجانا.. وعندما نتفقد صحف اليوم، نطلع على

العناوين العريضة والمانشتات الرئيسية، تطالعنا في الصفحة الأولى صورة حبيب العادلي وزير الداخلية و٣ من مساعديه، فقد وضع تحت الإقامة الجبرية ومنع رشيد محمد رشيد (وزير التجارة والصناعة) من السفر وعناوين أخرى تثير الشهية.. " المتحدث باسم الأزهر يستقيل من منصبه ويؤكد لن أغادر التحرير إلا بعد رحيل مبارك ".. وفي منتصف جولتنا الصحفية، تجد زحاما على إحدى صفحات " المصري اليوم " ربما حملت شيئا من الخطط البوليسية وتفاصيل عن بعض خيوط العنكبوت التي تم نسجها في أروقة الحزب الوطني للتخلص من الثورة..

وعندما تحركت ظلال الشمس وتعامدت على رؤوسنا، زادت المروحية العسكرية من نشاطها في سماء الميدان، ربما احتفاءً بوصول المشير طنطاوي قائد الجيش إلى الميدان، حيث دخل من محور عبد المنعم رياض والتف حوله الشباب وهتفوا له " يا مشير يا مشير.. احنا ولادك في التحرير.. "ولقي المشير طنطاوي احتفالا عارما في الميدان..لكنه لم يتحدث كثيرا، بل قال عبارتين موجزتين لم تلقيا قبولا من الشباب، العبارة الأولى " من كبيركم ؟ "، والثانية " قولوا للمرشد يروح مع أحزاب المعارضة للحوار مع الحكومة..". لكن كلماته في لحظة أطفأت كثيرا من شعبيته في الميدان، ورد عليه الشباب بأن الثورة قادها الشعب، ومن أراد الحوار فعليه أن يذهب هو إلى المنصة يخاطب هذه الجماهير التي جمعت كافة فئات وطوائف الشعب.. ومع أن كثيرين تزمروا من إشارة المشير لمرشد الإخوان وهو ما يحمل إساءة وسخرية للثورة وشبابها، برغم أن تقارير المخابرات الحربية أكدت أن المعتصمين في ميدان التحرير هم كافة طوائف وفئات الشعب المصري..

وأراد المشير أن يهدئ من ردة فعل الشباب فقال لهم : " يا جماعة الراجل قال لكم إنه لن يرشح نفسه مرة ثانية " في إشارة إلى ما جاء في الخطاب العاطفي. ولم يتجه المشير إلى المنصة كما طالبه الشباب، بل اتجه إلى ضباط الجيش المتواجدين بالمتحف.. بدا واضحا للجميع في تلك اللحظات أن اليوم ليس يوم الرحيل وأن التصعيد الثوري ربما يحتاج لآليات أخرى لا تقتصر على الاعتصام ليوم أو أكثر في ميدان التحرير.. إذ أنه على ما يبدو أن قيادة الجيش لازالت منخدعة بمسرحية الحوار الوطني أو أن الحوار والمناورة بإمكانهما حلحلة الأمور سلميا بصورة يرتضيها الجيش..ثم توجه المشير طنطاوي إلى ماسبيرو وتحدث مع الضباط المرابطين حوله وربت على أكتاف الجنود قائلا : مصر محتجالكم الآن.."

لكن شيئا آخر كان يحدث في الطابق الخامس بمبنى الإذاعة والتليفزيون حيث يجلس على مكتبه عبد اللطيف المناوي رئيس قطاع الأخبار، ويحكي محمد المغربي المذيع بقطاع الأخبار بالتلفزيون المصري "أن التليفزيون المصري مورست عليه ضغوط كبيرة لن تتكرر بسبب المطالب المتضاربة، والصراع بين الأجهزة

السيادية بالدولة. وأن رجال مبارك والمنتفعين من حوله حاولوا أن يخلقوا قوة شعبية على الأرض لمساندة مبارك توازي قوة ميدان التحرير".



وطالب المغربي، اللواء إسماعيل عتمان رئيس هيئة الشئون المعنوية وعضو المجلس العسكري ، بالكشف عن تفاصيل ما قاله على الهواء في أحد البرامج التليفزيونية، عندما قال: أن عبد اللطيف المناوي (رئيس قطاع الأخبار) ومن معه، قاموا بخدمة وطنية وعملوا تحت ضغوط صعبة، وسيذكر التاريخ دورهم في الحفاظ على البلاد ولا أستطيع الآن أن أتحدث عن الدور الذي قاموا به"، مؤكدا: "لم أر روح الوطنية لدي أو لدى زملائي مثلما رأيتها خلال الـ١٨ يوم لثورة يناير".

يبدو أن هناك لغزا ولازال الأمر غامضا وبحاجة للكشف عن هذا الدور الوطني الذي لعبه عبد اللطيف المناوي وزملاءه في قطاع الأخبار كما يقول اللواء إسماعيل عتمان. بدأ هذا الغز في اللقطة التي عرضها التليفزيون المصري من غرفة العمليات (م-١٠) بجبل المقطم يوم ٣٠ يناير، والتي ظهر فيها مبارك وعمر سليمان وسامي عنان رئيس الأركان في غرفة عمليات القوات المسلحة ولم يظهر فيها المشير طنطاوي برغم وجوده على يمين الرئيس مبارك.. ربما اضطر المونتاج وقتها لحذف صورة المشير طنطاوي من اللقاء نظرا لطلب مبارك عدم ظهور جمال الذي كان يجلس في الصف الثالث خلف المشير تحديدا، لكن ذلك غير مقنع، فلماذا حضر جمال أصلا؟ وربما كان ذلك تمهيدا لشيء ما سيحدث فيما بعد.

فقد كشف الأستاذ محمد سعد خطاب في" صوت الأمة " أنه في صباح ذلك اليوم أرسل حسني مبارك C. Dمسجل في القصر الجمهوري إلى أنس الفقي وزير الإعلام لإذاعته من ماسبيرو علي الهواء! وحين وصل مندوب الرئاسة الذي يحمل الـ C. Dلتسليمه كان أنس الفقي مستغرقا في النوم بعدما ظل مستيقظا لثلاثة أيام متصلة، فاستلم عبد اللطيف المناوي رئيس قطاع الأخبار الـC. D وقام بفحص محتواه في وجود اللواء إسماعيل عتمان، وكانت صدمة لكليهما، ((قرار مبارك بإقالة المشير حسين طنطاوي مسجل فيديو))، قام الاثنان بتسليم الـ C. D للمشير طنطاوي الذي استدعي المجلس الأعلى للقوات المسلحة لجلسة طارئة دون حضور مبارك لأول مرة ، لتبدأ إجراءات جديدة... وبالطبع كان قرار مبارك بإقالة المشير طنطاوي مزيلا بتعيين قائد جديد للجيش، ولا يهمنا كثيرا الوقوف حول شخصية القائد الجديد سواء كان من داخل المجلس العسكري أو من خارجه، ولا حتى المهندس الذي بإمكانه إدارة العملية وتحييد موقف الجيش ضد الثورة.. سواء بإغراق الثوار في بحرٍ من الدماء أو بأي وسيلة أخرى.. والغالب أنها كانت الوسيلة الأخرى لأنه سبق أن أجرى الجيش استطلاعا للرأي بين الضباط وجاءت النتيجة ساحقة بالامتناع عن ضرب الميدان بأي طريقة.

هذا السر ربما يجيب علي أسئلة كثيرة ظلت تتردد حول الإشادة بدور عبد اللطيف المناوي من قبل المجلس العسكري، ولماذا قال المناوي للإعلامي محمود سعد في برنامج "مصر النهارده" إنه أدي دورا وطنيا كبيرا سيذكره له التاريخ، ورفض الحديث عن هذا الدور رغم محاولات محمود سعد استدراجه للإفصاح عنه. ولماذا قال اللواء إسماعيل عتمان إن المناوي وطني محترم لعب دورا هاما في أوقات عصيبة!

وعلى ما يبدو أن هناك أخبارا من هذا النوع قد تسربت إلى شباب الثورة في ميدان التحرير، ولذلك بادروا برفع لافتات (المجزرة.. مبارك يقيل الشرفاء من الجيش)، لدرجة أنني استغربت جدا من هذه اللافتة، ولم أعي ماذا تقصد وقتها.. وكنت أتساءل عن علاقة هذه اللافتة بالثورة؟ لأنها لو اعتبرت مظلمة لبعض ضباط الجيش فإمكانهم التحدث فيها بعد إسقاط مبارك، لأن ميدان الثورة ليس للمطالب الفئوية.. ثم لماذا يطلق صاحبها عبارة " مجزرة " على إقالة مبارك لضباط الجيش الشرفاء برغم أن فساد مبارك غطى كل شيء حوله، ولم يُقل الشرفاء من ضباط الجيش فقط بل من كل مؤسسات الدولة! في الواقع كان هناك شخصيات قوية جدا وثورية جدا في مواقع حساسة بالجهاز الإداري للدولة، هؤلاء كانوا يسربون هذه المعلومات للثوار دون أن يعلنوا عن هوياتهم الوطنية، وظلوا يعملون في صمتٍ تام.. حتى أن أدق التفاصيل كانت تتسرب إلينا على غير المعتاد في صحف وجرائد المعارضة مثلا، لدرجة أننا ليلة جمعة الغضب تسرب إلينا خبر أن حبيب العادلي وزير الداخلية ما زال موجودا بمكتبه بالدور الثاني بالوزارة، فحاصر المتظاهرون مبنى الوزارة ومنعوه

من الخروج وعادت به المدرعة حتى وصلت قوات الجيش وأنقذته.. هؤلاء الأبطال الصامتون تحركوا من أجل مساعدة الشعب المظلوم على التحرر واسترداد كرامته.

ربما انعقد اتفاق سري بين الجيش ومبارك ليلة التحضير للخطاب العاطفي، وكان مبارك قد اتفق سريا مع الأمريكان على أن يمكنوه من فض الميدان بأي وسيلة خلال ٧٢ ساعة، وتعهد أعضاء النظام والحزب الوطني تجييش مظاهرات مضادة ومسلحة لتصفية الثورة، وتعهد له الجيش بعدم التعرض، في محاولة أخيرة للتعافي بعد أن كسر الثوار ظهره، لكنه بعد انتصار الثوار في أحداث الأربعاء الدامي، عاد الشعب ليتعاطف معهم، وأنهى الأمريكان اتفاقهم بعد ٢٤ ساعة فقط، وتركه الجيش وحيدا وعاد إلى الميدان بعودة الشعب.. وبعدما انكشف قرار مبارك السري بإقالة المشير طنطاوي من قيادة الجيش.. ظل طنطاوي في حالة استنفار طول الوقت دون أن يخبر أحدا بمحاولة مبارك للإطاحة به في هذا الظرف العصيب، واستمر قادة الجيش في حالة انعقاد شبه مستمرة منذ هذا التاريخ، وكان المشير طنطاوي وأعضاء المجلس العسكري يبيتون في مكاتبهم، كل قادة القوات والأفرع الرئيسية والجيوش المختلفة، كانوا يغادرون مكاتبهم فقط للذهاب للأمانة العامة لوزارة الدفاع، في منطقة كوبري القبة لعقد اجتماعات مع المشير طنطاوي قائد الجيش والفريق سامي عنان، رئيس الأركان، ويفوضون خلال مدة تركهم مكاتبهم رؤساء الأركان في قواتهم للقيام بجميع المهام لحين عودتهم. فواجباتهم كانت مزدوجة؛ الجانب الأول هو تأمين المواطنين والمنشآت الحيوية، والثاني إدارة الموقف سياسيا، خاصة مع تمسك المتظاهرين بسقف المطالب في ميدان التحرير، وميادين المحافظات.

.. نعود إلى ميدان التحرير.. حيث كانت سياسة الجيش قد تغيرت في التعامل معنا كثيرا؛ بعد أن سمح بدخول المستلزمات الطبية ومياه الشرب (التي احتجزها أنصار الحزب الوطني خلال اليومين الماضيين) وانتشرت عدسات المصورين العسكريين في الميدان بما يعني أن الثورة بالفعل قد أصبحت حدثا قوميا في نظر الجيش يستحق التوثيق. فقد فتح لنا نافذة على العالم كي تصل ندآتنا وهتافاتنا بالتغيير.. إذ سمح الجيش بدخول فرق الإعلام الغربي إلى الميدان، مراسلين أجانب وصحفيين وكُتاب، وساهم في حمايتهم من اعتداءات أنصار الحزب الوطني، حيث تم منعهم من الدخول منذ الأربعاء الدامي وبعضهم تعرض للاعتداء والإهانات من قبل أنصار الحزب الوطني، وكثير منهم تعرض للاعتقال والتعذيب ومصادرة كاميراتهم وأجهزتهم من قبل الأجهزة الأمنية، وتعرضت الصحفيات والمراسلات الأجنبيات للاعتداء والتحرش الجنسي وتمزيق ملابسهن من قبل أنصار الحزب الوطني، كما أخبر مراسل قناة الـ "بي بي سي" أنه وزميلته تعرضا للضرب والسحل وقام المعتدون

بالتحرش بزميلته ومزقوا ملابسها، وأتلفوا كاميراتهم، وأكد المراسل أنهم "ليسوا من ثوار التحرير".. وقد سمح الجيش بدخولهم في حمايته منذ الساعات الأولى لجمعة الرحيل..[٦]

وبرغم الكثير من الضمانات التي قدمها الجيش للشعب، إلا أن موقفه لا زال غامضا أحيانا كثيرة، وأحيانا يقف على مسافة متساوية من النظام والثورة معا، وربما علق آمالا على ما ستؤول إليه مسرحية الحوار الوطني المزعومة التي يقودها مدير المخابرات العامة عمر سليمان بعد أن عيّن نائبا للرئيس، وليس أدل على ذلك من موقف الجيش في أحداث الأربعاء الدامي..

نعود سريعا منذ اشتعال الثورة، حيث انتشرت قوات الجيش في الشوارع لتأمين المنشآت وحفظ الأمن العام. صحيح أنه لم يطلق النار على المتظاهرين في ميدان التحرير، ولم يرهبهم ولم يعمل على تطبيق حظر التجول بالنسبة للمعتصمين في ميدان التحرير، وعارض كثير من محاولات التحريض ضد المتظاهرين، خاصة

٦ـ نشر محرك البحث " جزايرس" تقريرا بعنوان: "اعتداءات بالجملة على المراسلين الأجانب في ميدان التحرير "
تحولت مكاتب الفضائيات العربية والصحفيين العرب والأجانب وحتى بعض المصريين خلال الثلاثة أيام الأخيرة إلى هدف للبلطجية الذين جندهم أنصار الرئيس مبارك. وبدأت الاعتداءات في أعقاب غلق مكاتب قناة الجزيرة والتضييق على أي بث للقناة عبر القمر المصري (نايل سات) واعتقال ستة صحفيين تابعين للقناة الانجليزية للجزيرة .فقد تعرض صحفيون عاملون في شبكات التلفزة العالمية مثل ، بي بي سي وأي بي سي نيوز وسي آن آن لاعتداءات وتهديدات مختلفة، ومن بينهم أندرسن كوبر وهالة غوراني، إلى جانب منتجة ومصور من المحطة.كما تعرض للاعتداء أيضا مراسل صحيفة "لو سوار" البلجيكية. إلى جانب أيضا ثلاثة من صحفيي قناة فرانس ٢٤ الذين احتجزوا أثناء تغطيتهم للأحداث.من جهتها ذكرت صحيفة واشنطن بوست، أن مديرة مكتبها في القاهرة، ليلى فاضل، والمصورة ليندا ديفيدسون بين صحفيين اعتقلا صباح الخميس من قبل وزارة الداخلية المصرية.كما اعتقل بن راجيش بهاردواج وهو مصور صحفي تابع لشبكة "سي إن إن إي بي آن"، في ميدان التحرير بالقاهرة و دمرت بطاقة هويته والأشرطة التي كانت بحوزته. كما تم اعتقال صحفي بلجيكي وتم اتهامه بأنه جاسوس. وتعرض أيضا مصور تابع للتلفزيون الكندي للضرب على أيدي أشخاص في ميدان التحرير، وكذلك تعرض مراسل "بي بي سي" العربية أسد الصاوي للاعتداء في بداية الأحداث.وذكرت وسائل إعلام دانماركية أن متظاهرين مؤيدين لمبارك ومسلحين بالعصي ضربوا ستيفن ينسن المراسل بالشرق الأوسط أثناء تقديمه تقريرا صحفيا بالهاتف، فيما تم احتجاز مراسل هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" روبرت وينجفيلد من طرف أفراد من الشرطة السرية بالقاهرة لساعات. من جهتها، أكدت وكالة أنباء أسوشيتد برس أن اثنين من مراسليها عوملا بخشونة أثناء تغطيتهما لتجمع مؤيد لمبارك. و تعرض بدوره مراسل يومية "كاثي ميريني" اليونانية بيتروس باباكو نستانتينو للضرب على رأسه بالهراوات من قبل البلطجية، فيما أصيب مصورا للصحيفة أيضا بجروح. البلطجية استهدفوا أيضا مراسل قناة العربية، أحمد عبد الله، كما تعرضت أيضا زميلته الإعلامية دينا سالم وطاقم قناة "العربية" المرافق لها للاعتداء.كما لم تسلم صحفا مصرية من الاعتداء ومن بينها هجوم أفراد من الشرطة يرتدون الزي المدني على مكتب صحيفة الشروق المصرية بالقاهرة.وفي حادثة مماثلة، عثر على صحفي مصري وقد تعرض لضرب مبرح.و قد أثارت الهجمات التي تعرض لها الصحفيون إدانة المنظمات المدافعة عن حرية الصحافة، التي اتهمت إحداها صراحة الحكومة المصرية بأنها تقف وراء تلك الهجمات وهي ذات الإدانات التي صدرت أيضا عن مسئولين رسميين وكذا انتقادات واشنطن والاتحاد الأوروبي
.https://www.djazairess.com/annasr/11435

إطلاق النار وعارض المشير طنطاوي تنفيذ الخطة " إرادة " لتهديد المتظاهرين باستخدام الطيران الحربي برغم أنه تم تنفيذها في اليوم التالي وتنحت الطائرة الهليكوبتر جانبا من سماء الميدان لحين انتهاء الطيران الحربي من تنفيذ الخطة إرادة. لكننا نتساءل؛ ما هو الدافع لدى قادة الجيش لتأييد ثورة الشعب واحتضانها؟ والجواب بطبيعة الحال، ليس كما كانت مطالب ثورة عرابي (رفع أجور الجند وتحسين أوضاعهم وتحسين وجبات الطعام التي تقدم لهم..إلخ) ولا كان دافع الجيش هو إلغاء قانون الطوارئ لأنه بالطبع لا ولن يتعرض ضابط جيش أو شرطة للاكتواء بنار قانون الطوارئ، وليس بالطبع (عيش..حرية.. عدالة اجتماعية) لأن مرتبات ضباط الجيش كافية، بل ومن أفضل المستويات في مؤسسات الدولة، وكذلك ليس مطلب (الشعب يريد إسقاط النظام) ولا إعادة هيكلة أمن الدولة ، ولا أي شيء من مطالب الشعب.. فقط الجيش يرفض "مشروع التوريث".

وعلى هذا الأساس تضامن الجيش مع الشعب ولم يطلق النار على المتظاهرين المعتصمين في ميدان التحرير، حتى ألقى مبارك خطابه الأول، ولم يرتضى الشباب واستمر اعتصامهم في الميدان ليوم الثلاثاء ١ فبراير حتى ألقى خطابه الثاني منتصف الليل وأخذ يستعطف الجميع ويلقى بالتنازلات والوعود ويستعطف الجميع لحفظ كرامته من الخلع.. هذه القنبلة الذهنية التي ألقاها مبارك في وجه الجميع وأسالت مشاعر الملايين من الشعب، لم يقتصر أثرها عند حدود هذه الملايين الساذجة التي استجابت لخطابه العاطفي، وإنما أسكر العسكريين أنفسهم، وذكرهم بأنه "من أبناء قواتنا المسلحة" حارب وانتصر وضحى من أجل بلاده، وهذا ما يعني أن اهتزاز مبارك في نظر الشعب أكثر من ذلك هو اهتزاز لشخصية عسكرية بالأساس، وليس مجرد رئيس.. غير أن الخطاب كان وافيا بالعتاب لجميع قادة الجيش أن يتركوه ينهي فترته الرئاسية ليحفظ ماء وجهه.. وتضمن الخطاب – من حيث عناصره لهجة عتاب وخضوع وتضرع واستعطاف ووعد واستسلام في ذات الوقت، وهو ما رآه القادة العسكريين كافيا لتركه مدة الستة أشهر الباقية، وهذا ما أدى لتقديمهم التعهد بعدم التعرض للبلطجية.

ولذلك تغير موقف الجيش مع أغلبية الشعب المصري وإن اختلفت الدوافع والخلفيات أو المصالح التي يرعاها كل جانب. فإذا كان الجيش قد تضامن مع الثورة منذ بدايتها، وقدم اللواء عبد الفتاح السيسي تقريرا من المخابرات الحربية إلى المشير طنطاوي يؤكد فيه ضرورة التضامن مع الشعب، وهو – اللواء السيسي – مهندس خطة التأمين ونشر القوات في المدن والأحياء للتأمين. وهو ذاته اللواء الذي قدم تقريرا مخابراتيا قبل الثورة بستة أشهر ينبه المشير طنطاوي ويلفت نظره إلى احتمالية وقوع اضطرابات بسبب الاحتقان على خلفية التزوير الفج في الانتخابات الأخيرة وغيرها من أسباب الغضب، وطلب أيضا الانضمام للشعب وأكد على ضرورة حفظ الدور المحوري للجيش. وقد استمر هذا التضامن مع الشعب حتى ليلة الثلاثاء ١ فبراير، وبعدها

انقلب كل شيء. ذلك لأن دوافع الجيش انحصرت في تعطيل مشروع التوريث، وإذا كانت الشعب قد أبرز الكارت الأحمر للنظام وعلى رأسه مبارك، فمن المنطقي القول بسقوط مشروع التوريث، ولم تعد للجيش مآرب أخرى في استمرار الثورة، ولذلك تضامن منذ البداية لكنه تمسك بالشرعية الدستورية رافضا الشرعية الثورية التي من شأنها أن تأتي برئيس من الميدان إلى القصر.

أيضا هناك سؤال يثور في هذا الشأن: تري هل فكر أحد ما الذي كان سيئول إليه مصير أعضاء المجلس العسكري لو أن النظام كان قد نجح في البقاء بعد بيان أول فبراير؟! بالطبع شكل هذا السؤال هاجسا مخيفا في أذهان قادة الجيش، خصوصا إذا لم ينجح الشباب في الثورة وتوقفت عند حدود الخطاب العاطفي الذي ألقاه مبارك يوم ١ فبراير وتحولت أغلبية الشعب لتأييد مبارك وبقي مجموعة من الشباب معتصمين في ميدان التحرير، هم أقلية ولا يمثلون الشعب بالفعل لكنهم تمسكوا بمطالبهم ودافعوا عنها بدمائهم، فلو لم تقع موقعة الجمل والفضيحة التي تسببت فيها للنظام، لكانت الثورة قد انتهت عند هذا الحد، فإذا لم يكن موقف الجيش مؤيدا بوضوح لاستمرار النظام لكان مصير قادة الجيش غير معلوم بالضرورة، ومن هنا مال موقف الجيش مع مبارك والشعب على حساب الأقلية المحتجة بالميدان. وبدا ذلك واضحا في عدة مظاهر على النحو التالي:

- أولا: بدأ التغيير في موقف الجيش يظهر بداية من ليل الثلاثاء؛ إذ أنه عندما كانت تحاك خطة هجوم البلطجية في هذه الليلة، لابد أن المخابرات العامة والحربية كانتا على علم بما يتم تدبيره؛ لأنه ببساطة كانت قافلة الخيول والجمال تجوب شارع الهرم منتصف الليل بضربات أقدامها التي أزعجت الجميع، ولأول مرة تدخل هذه الكائنات شارع الهرم وتنعطف مرورا بجامعة القاهرة حتى تصل إلى ماسبيرو وسط القاهرة دون أن يصل خبرها إلى المخابرات العامة والحربية.. فهذا أمر مفروغ منه ولا يمكن الاعتراف بهذه الأجهزة إذا لم تكن تعلم بتحرك هذه القوافل الغجرية وسط شوارع القاهرة، بل إن دور الأجهزة المخابراتية هو التنبؤ بما سيحدث، وليس مجرد العلم بحقيقة ما يحدث.

- ثانيا: تحركت قوافل الغجر المأجورين إلى ميدان التحرير وكان رئيس المخابرات الحربية اللواء عبد الفتاح السيسي على علم بما ستقوم به هذه القوافل، ولذلك حضر بنفسه إلى ميدان التحرير قبل وصول مؤيدي مبارك بساعة وتحدث مع الدكتور محمد البلتاجي وطلب منه إخلاء ميدان التحرير من الشباب المعتصمين تفاديا للمجزرة التي ستحدث بعد قليل، ووعد البلتاجي بتأمين الشباب حال خروجهم من الميدان (من الملاحقات الأمنية)، وقال أنكم مواطنون تعبرون عن رأيكم وهو مواطنون يعبرون عن رأيهم، حتى ولو كانت وسيلتنا هي الهتاف والغناء ووسيلتهم هي السيوف والخناجر.

- ثالثا: بمجرد وصول قوافل البلطجة على مشارف ميدان التحرير أخلى الجيش معداته من الأفراد وتركها لمؤيدي مبارك يستخدمونها في الهجوم على شباب التحرير، وبعض الجنود أغلقوا دباباتهم وجلسوا في صمتٍ بداخلها حتى بدت كما السلاحف الساجدة، ولم يتدخل أي من ضباط أو جنود الجيش لمنع وقوع المجزرة برغم أنهم استخدموا سيارات ومعدات الجيش في الهجوم علينا. وتكدست قوات الجيش أفراد وجنود داخل المتحف على بعد خطوة واحدة من موقع المجزرة

- رابعا: عندما طلبنا من ضباط الجيش وقف هذه المجزرة رفض الضباط التدخل وقالوا بأن مهمتهم هي تأمين المنشآت وليس لديهم إمكانية فض حروب الشوارع، وأنهم لو أطلقوا النيران ستكون مجزرة للجميع دون تفرقة، وقالوا بهدوء أنكم مواطنون تعبرون عن رأيكم وهو مواطنون يعبرون عن رأيهم. مع أن تبريراتهم لم تكن مقنعة لنا لأن التعبير عن الرأي لا يكون بالسلاح. إنما السلاح فقط للتعبير عن القوة.

- خامسا: خلال أحداث المجزرة كان شباب الميدان يمسكون بعض عناصر البلطجة ويسلمونهم لضباط الجيش فيطلقون سراحهم ليعودوا إلينا مرة أخرى بسيوفهم وخناجرهم.

- سادسا: نظمت مجموعات من البلطجية عمليات هجوم على ميدان التحرير من داخل محطة المترو، برغم أن منافذ محطة المترو في ميدان التحرير كانت مغلقة جميعا إلا أن ضباط الجيش فتحوا لهم منفذ المحطة كي يخرجوا ليهاجموا ميدان التحرير من الداخل وقت اشتعال الجبهات جميعها وانشغال الشباب عليها، مما اضطرنا لتوقيف بعض شبابنا حراسة مستمرة على منافذ محطة المترو وسط الميدان. وجمع هؤلاء الشباب بقايا سيارات الأمن المحترقة في أطراف الميدان من جمعة الغضب ووضعوها في مداخل محطة المترو لغلقها بإحكام حتى لا يخرج منها البلطجية مرة أخرى.

- سابعا: في تلك الليلة-الأربعاء ٢ فبراير- بعد الهزيمة الساحقة لمؤيدي مبارك، وإخلائهم ميدان عبد المنعم رياض، ولم يتبقى منهم إلا مجموعة فوق كوبري أكتوبر، وقمنا مجموعة من عشرين شابا بالالتفاف حول المتحف وصعود الكوبري، وقمنا بمهاجمة مؤيدي مبارك الواقفين أعلى الكوبري فجأة فهرعوا جميعا وتركوا أسلحتهم وسياراتهم وقنابلهم اليدوية وسيوفهم وكل أدواتهم، وتقدمنا خلفهم إلى بعد منتصف كوبري أكتوبر، وهنا انطلقت مدفعية الجيش بكثافة عالية جدا في الهواء بأسلحة المدرعات وحاملات المشاة (متوازي أو متعدد) لدرجة أننا لم نحتمل صوتها المرعب وفوهات الشرر التي تصعد منها، فتوقفنا جميعا في أماكننا وسكتت الدنيا حولنا، ولم يكن من الصعب على قوات الجيش المنتشرة في هذا المكان إطلاق هذه الطلقات نفسها في الهواء وقت الظهيرة عند هجوم مؤيدي مبارك بالأسلحة، ولو كان حدث ذلك لكانوا قد عادوا فورا، لكن الجيش سمح لهم بالمرور واستخدام معداته وسياراته في الهجوم

علينا، وعندما تطور هجومنا واجهنا الجيش بطلقات الرصاص في الهواء وطلب منا قائد سرية الدبابات المتوقفة على مطلع الكوبري أن نترك الكوبري وتعهد بالمقابل منع عبور أي شخص من مؤيدي مبارك، وقد فعل ما تعهد به وتوقفت الهجمات، لكن بعدما تحقق انتصارنا عليهم.

- ثامنا: في اليوم التالي ٣ فبراير طوقت الشرطة العسكرية والمخابرات الحربية منطقة وسط القاهرة واقتحمت كافة المقرات والمراكز الحقوقية التي كان يأوي إليها شباب ائتلاف الثورة ومجموعات من المثقفين ورموز الثورة، حيث كانوا يعقدون فيها لقآتهم واجتماعاتهم للتنسيق فيما بين ائتلافات الشباب وترتيب وإعداد خطوات تصعيدية للثورة، اقتحمت المخابرات والشرطة العسكرية هذه المقرات واعتقلت كل من وجد فيها ومن بينهم مجموعة من شباب ائتلاف الثورة والأستاذ أحمد سيف الإسلام، المحامي وأستاذ العلوم السياسية، ومعه مجموعة من مركز هشام مبارك للقانون، وكان بينهم ممثل منظمة عفو الدولية، وغيرهم مجموعة من الشباب تم اعتقالهم من أماكن متفرقة من القاهرة واحتجازهم في مبنى المخابرات الحربية، وتم التحقيق معهم خلال يومين، وبعدما امتلأت الميادين بالجماهير تم إلقائهم في الشوارع.

- تاسعا: خلال فترة احتجاز الشباب الذين تم اعتقالهم من المراكز الحقوقية وشوارع القاهرة يوم ٣ فبراير دخل عليهم اللواء عبد الفتاح السيسي وقد بدا عليه الغضب والانفعال الشديد وأخذ يلقي عليهم اللوم على استمرارهم في الاعتصام وقال لهم ينبغي احترام الرئيس مبارك وأثنى عليه وطالبهم باحترام القيادة العسكرية، وكان يتحدث بانفعال شديد.. ووردت على لسانه كلمات "احترام الرئيس مبارك والقيادة العسكرية"، وهي ذات العبارة التي وردت على لسان اللواء عمر سليمان مدير المخابرات العامة ونائب مبارك خلال جولات الحوار الوطني مع أحزاب المعارضة والشباب، وهذا ما يوضح أنه في هذا التوقيت كان مبارك والقيادة العسكرية على اتفاق، لأن اللواء السيسي هو من قدم تقريرا مخابراتيا للمشير طنطاوي في بداية أحداث الثورة وأوصى بالانضمام للشعب وحفظ الدور المحوري للجيش في الدولة. وهذا ما يؤكد أن موقف الجيش قد تغير عقب خطاب مبارك الثاني الذي أسال مشاعر أغلبية الشعب، ووجه اللوم والعتاب لرفاق السلاح.

- عاشرا: خلال يومي ٢ و٣ فبراير منعت قوات الجيش المتواجدة في محيط ميدان التحرير دخول أي معونات أو ضروريات إلى ميدان التحرير سواء كانت وسائل الإعاشة (مياه شرب أو أطعمة أو بطاطين أو أدوية ومستلزمات طبية، كان يمنع دخول كل شيء وأي شيء ما عدا السجائر) وكانت بعض وحدات الجيش تتحفظ على هذه الأشياء وبعضها يلقي بها في النيل مباشرة.

- حادي عشر: خلال يومي ٢ و ٣ فبراير منعت قوات الجيش دخول الإعلاميين والصحفيين والمصورين تماما، بعدما تم إخراج الإعلاميين من الميدان في الليلة السابقة، ولهذا سافر معظم المراسلين والصحفيين الأجانب إلى بلادهم.

ثم بدأ يتغير موقف الجيش اضطراريا بعدما تأكد انتصارنا يوم الجمعة ٤ فبراير وتزاحمت الجماهير في ميدان التحرير وكافة الميادين الأخرى في أنحاء الجمهورية. ففي يوم ٤ فبراير بعد انتهاء أحداث الاشتباك وموقعة الجمل، نشر الجيش خطوط من الأسلاك الشائكة حول الميدان بالكامل ومنع دخول البلطجية تماما إلا بعد تفتيشهم والاطلاع على هوياتهم.

- ثانيا: تعاون مع شباب الميدان في ضبط اللصوص والمندسين والبلطجية ولم يعد يطلق سراحهم مرة أخرى. وتم تشكيل لجان للأمن الميداني من الشباب تحت إشراف ضباط الجيش. ووقفت دبابات الجيش متراصة في مداخل الميدان متلاحمة وما بينها فاصل متر واحد فقط لعبور القادمين إلى الميدان بعد الاطلاع على بطاقات هوياتهم والتأكد من أنهم ليسو من عناصر الأمن أو الشرطة أو الخارجين عن القانون

- ثالثا: من يوم ٤ فبراير سمحت قوات الجيش في محيط الميدان بدخول (كافة أنواع المؤن ومواد الإعاشة: مأكولات ومشروبات ومياه معدنية وغازية وأطعمة مختلفة وبطاطين وكل شيء.

- رابعا: جمعت قوات الجيش الأشياء التي كانت قد تحفظت عليها يومي ٢ و ٣ فبراير من بطاطين وأدوية ومستلزمات طبية وغير ذلك، تم جمعها في (ميني باص) نقلها إلى داخل ميدان التحرير قبل المغرب وكان معها مصور صحفي عسكري.

- خامسا: سمحت قوات الجيش لكل وسائل الإعلام والصحافة والمصورين والكاميرات بدخول ميدان التحرير لدعم الشباب المعتصمين إعلاميا.

- سادسا: تم الإفراج عن الشباب الذين تم اعتقالهم يوم ٣ فبراير جميعا.

- سابعا: يوم ٣ فبراير حضر اللواء حسن الرويني ، قائد المنطقة المركزية وتحدث مع الشباب ووعدهم بعدم تكرار ما وقع يوم الأربعاء الدامي. وفي اليوم التالي حضر المشير طنطاوي قائد الجيش بنفسه وتحدث إلى الشباب وطمأنهم.

- ثامنا: قدم الجيش معونات طبية للشباب المعتصمين بميدان التحرير، وأنشأت مستشفى ميداني لعلاج المصابين والمرضى حتى ولو لم يكون ممن أصيبوا في أحداث الثورة، بالإضافة إلى علاج أفراد القوات المسلحة

من الضباط والجنود المتواجدين في الميدان، وقدمت الإدارة العامة للخدمات الطبية مجموعة من الصيدليات المتنقلة وعدد من سيارات الإسعاف توقفت بجوار سور الجامعة الأمريكية لنقل الحالات الحرجة إلى المجمعات الطبية العسكرية ومستشفى " حلمية الزيتون " وعلقت نشرات صحية وقائية في أنحاء الميدان.

- تاسعا: أحضر الجيش سيارات نقل عسكرية برفقة مجموعات من الضباط والجنود لجمع أكوام القمامة في أطراف الميدان، ورفض الشباب أن تمتد يد الجنود عليها وقاموا هم بتحميل القمامة في سيارات النقل العسكرية.

- عاشرا : حلقت المروحية العسكرية في سماء الميدان وألقت آلاف الأعلام تتهاوى فوق رؤوس الجماهير في الميدان فتحول الميدان إلى حفلة وطنية.

والضابط الوحيد المخالف لموقف الجيش كان هو النقيب ماجد بولس في شارع طلعت حرب، حينما هجم أنصار الحزب الوطني، ولم يكن شباب الميدان قد استعدوا بعد لمثل هذا الهجوم المفاجئ.. وعندما رأى النقيب ماجد مشهد الهجوم الغجري تلفت حوله في ذعر وقلق، فلم يجد أحدا من شباب الميدان مستعدا لصد الهجوم، فتحرك خطوات وصوّب سلاحه الشخصي وأطلق عدة طلقاتٍ في الهواء مخالفا بذلك الأوامر العسكرية التي تلقاها بعدم التعرض للبلطجية.. ففر الغجر مذعورين وعادوا على أعقابهم.. ولولا شجاعة هذا الضابط وولاءه لشعبه ووطنه، لكانت قد وقعت مجزرة في الميدان لأن جميع الشباب كانوا منشغلين على جبهة عبد المنعم رياض في واقعة هجوم الخيول والجمال والبلطجية.

أما اليوم وقد تغير موقف الجيش وإن لم يتضح بصفة نهائية، إلا أن موقفه المتعاون مع شباب الثورة جاء خطوة للأمام، وكان الشباب مع اقتراب صلاة الجمعة الأولى في ميدان التحرير، اتصل أحدهم بشيخ أزهري ليتولى الخطبة، فحضر قبلها بساعة.. هذا الشيخ أصر أن يقول كلمة للجماهير الساعة ١١ قبل الخطبة، قال كلمة كان فيها معنى من معاني المدح لأحمد شفيق، رئيس الوزراء، فقوبل بعاصفة من الاستهجان الشديد حتى أوشكت الناس أن تتدافع على المنصة، وطالبت بإنزاله فورا.. تقدم الشيخ صفوت حجازي وطلب منه الاعتذار للناس، فاعتذر ولكنه انكسرت نفسه ولم يكمل خطابه وانصرف.. وجاء الشيخ مظهر شاهين، خطيب مسجد عمر مكرم ليتولى خطبة الجمعة في الميدان، وكان هذا الشيخ ثوريا بما يشبع قلوب الجماهير، خصوصا أنه محسوب على النظام، فهو موظف رسمي في مسجد من أكبر مساجد العاصمة..

كان الجميع قد استعدوا لصلاة الجمعة وارتفع الأذان في إذاعة الميدان، وانتشر الكبار والصغار.. فتيات وأطفال، حاملين زجاجات المياه من أجل الوضوء.. وكان بينهم أقباط يفعلون ذات الأمر برضا وطيب خاطر..

ولم يكن غريبا في ذات الوقت أن تجد شخصا لا تعرفه ولا يعرفك.. ربما كان شابا أو طفلا أو أستاذا جامعيا يصب لك الماء على قدمك كي تتطهر لصلاتك، ولم يكن غريبا كذلك أن ترى فتاة تصب لك ماء الوضوء ويتدلى على صدرها صليبا ذهبيا لامعا.. ربما عكس ضوء الشمس في وجهك دون حرج من الطرفين.. فقد تجلى في الميدان مدى التسامح المصري وسموا الأخلاق إلى درجة تتصافى معها القلوب مهما اختلفت الأديان؛ فالأخلاق والقيم والتسامح مبادئ سامية لا تتنازع عليها الأديان..وأحيانا، قد يتعثر الإنسان في التعبير الحقيقي ويعجز عن تعبئة المعاني والمشاعر النبيلة في تجربة واقعية تحمل الكثير من المبادئ الإنسانية السامية.. فالأمر لا يتوقف على كون أستاذ جامعي أو شاب أرستقراطي أو فتاة قبطية تصب ماء الوضوء للجميع تطوعيا ودون تمييز.. بل أنه يحمل الكثير من المعاني والمبادئ الإنسانية التي يعجز قلمي أن يحملها إلى القارئ..

كانت السيدات والفتيات يصلين داخل الخيام لأنه كان من الصعب أن يقفوا خلف صفوف الرجال؛ فالميدان لا يسع هذه الأعداد في حاراته وأرصفته، لأن الحدائق كانت ممتلئة بالخيام.. وأما الأقباط فقد شكلوا من تلقاء أنفسهم دروعا بشرية متشابكة الأيدي والسواعد حول المصلين من جميع الجهات تحسبا لأي هجوم غجري من أحد منافذ الميدان أثناء الصلاة.. والغريب أنه عندما وقف المصلون للدعاء، وقف الأقباط ورفعوا أيديهم بالدعاء مثلنا، ويرددون آمين.. آمين.. هكذا صلينا الجمعة أكثر من مليون مصري متضامنين، وهي الجمعة الأولى في ميدان التحرير بعد جمعة الغضب، بينما كان شيخ الأزهر يدرس احتمالية إلغاء صلاة الجمعة في المساجد تجنبا لتجمع المواطنين.. حتى أن أحد الشباب غرد على تويتر قائلا " شيخ الأزهر يعلن احتمال إلغاء صلاة الجمعة...مش دا اللي طول النهار بيقولينا إننا هنخش النار لو ما صليناش؟"

وعقب صلاة الجمعة وقف الجميع لصلاة الغائب على أرواح الشهداء الذين صعدت أرواحهم منذ بداية الأحداث في يوم الغضب، الثلاثاء العظيم ٢٥ يناير مرورا بجمعة الغضب وحتى فجر الخميس الماضي ٣ فبراير وأثناء الأحداث الدامية.. وبدأت أعداد الوفود القادمة من كافة المحافظات تتزايد بوضوح، وتمكنت مجموعات كثيرة من الإفلات من أكمنة الجيش على الطرق السريعة التي تربط القاهرة بالمحافظات، واشتعل الميدان بالهتافات والأناشيد الوطنية، وكأن " مصر اليوم في عيد ".. وأغنيات الشيخ إمام الثورية، وتحول الميدان إلى كرنفال شعبي حافل، خاصة مع انخفاض درجات الحرارة

وعلى حافة الرصيف جلس خطاط الثورة ماجد إبراهيم، وهو كاتب شاب انضم إلى صفوف المتظاهرين يوم الخميس٢٧يناير، واستغل موهبته في الكتابة وتألي فالعديد من الشعارات. ولم يكتفِ بذلك بل بسط سلاحه" أقلام وورق مقوى" وجلس على الأرض معلنا أنه خطاط متطوع، فتهافت عليه الثوّار ليحمل كل منهم

لافتة مختلفة. وجلس أمامه "محمد ممدوح" ينتظر دوره، ويروى حكايته، أنه موظف، ومع بدية اندلاع المظاهرات في ٢٥ يناير لم يشارك بسبب مخاوفه، حتى شجعته إحدى زميلاته في العمل على النزول لمساندة الثوار بالميدان، وعندما نبهها لاحتمالية إصابته أو موتهم كان ردها "روحنا مش أغلى من اللي ماتوا" فتشجع بشكلٍ أكبر وقرر النزول. وعند نزوله الميدان أدرك معنى أن الجميع يد واحدة، فلا فرق بين أي دين أو اتجاه سياسي، لأن الجميع اجتمع على مطلب من أجل مصر، فكانت هناك السلاسل البشرية من المسيحيين التي تحمي المسلمين أثناء أداء الصلاة".

كان ماجد هو الشرارة الأولى لوجود الخطاطين والرسامين المتطوعين بالميدان، وتوالى بعده الكثيرون، ورسموا على أرض الميدان شعارات الثورة ومطالبها وعبارات تكريم للشهداء. الجميع في الميدان كانوا يستغلون مواهبهم، فمنهم من يتميز بصوتٍ قوي فيقود الهتافات، ومنهم الموهوب بالرسم فيرسم الكاريكاتير على اللافتات، ومنهم الموهوب في الأشعار والتأليف فتسيل الشعارات المبتكرة على لسانه. فالميدان هو نفسه الذي دفع مجموعة من الفنانين والشعراء والخطاطين للمبيت في الميدان منذ اندلاع الثورة لكتابة اللافتات تطوعا، مستغلين مهارتهم في رسم الحروف العربية والإنجليزية، كي تصل رسالتهم إلى جميع أنحاء العالم من خلال الفن والإبداع.

وكذلك المهندس محمد خضر، طوال أيام اعتصامه داخل الميدان، لكنه قرر هذه المرة أن يمسك القلم ليكتب فوق إحدى اللافتات «يسقط مبارك». قال: «الرسم من أجمل الأشياء التي يمكن للإنسان أن يعبر بها عما بداخله، وكانت حضارة الفراعنة مزدهرة بفنون الرسم والنحت، لذلك لا أمانع من مساعدة أي شخص يرغب في كتابة لوحة، كما أننا نتبادل الأقلام الملونة كي ينجز كل واحد منا لافتته في أجمل صورة".



وهناك الآلاف من المبادرات الفردية، فالأصل أن يقوم كل متظاهر بكتابة شعاراته كيفما شاء، وباستخدام الخامات المتاحة له حسب إمكاناته، وهكذا جلس أخو الشهيد حمادة يوسف على أحد أسوار حدائق الميدان، رافعا لافتة مكتوبا عليها : «دم الشهداء في رقابنا»، وعلى أحد القضبان الحديدية التي علق عليها حبال خيمته، رفع محمد أحمد لافتة غريبة من نوعها، فانلته، وكتب عليها عبارة «ثورة الشهداء ٢٥ يناير»، ورسم وردة حمراء، أهداها لأرواح الشهداء.

أما بالنسبة للوحات واللافتات الكبيرة التي تحمل مطالب الثورة، فيكون إعدادها بالتضامن بين مجموعات من الشباب، لأن مثل هذه اللوحات الكبيرة ، خاصة تلك التي تتعلق بمطالب الثورة، أو التعبير عنها بالصور الفنية، تحتاج مثل هذه اللوحات إلى توافق مجتمعي داخل الميدان، ولا تتم بالمبادرة الفردية.. فيؤكد حازم وهو أحد أعضاء اللجنة الشعبية بالميدان، أن هناك تنظيما وتنسيقا لكتابة وتعليق اللافتات في الميدان، خاصة اللافتات كبيرة الحجم، التي تكتب عليها مطالب الجماهير، وقال: «أغلب اللوحات مقاس ٣ أمتار، نشترى قماشها من محال معينة، بسعر ١٥ جنيها للمتر بدلا من ٢٧ جنيها، حيث حرص أصحاب المحال على عمل تخفيضات لنا بعد أن علموا أننا نشتريها على نفقتنا الخاصة لصناعة اللافتات، وقد تصل تكلفة اللوحة إلى ٦٠ جنيها بعد شراء ألوان الطلاء لتلوينها، كما أن هناك لوحات بلاستيكية يتم طبعها في مطابع خاصة، بعد اختيار العبارات والألوان التي نحددها لهم مسبقا.»



ويلفت نظرنا إلى اليمين على مقربة ما بين مسجد عمر مكرم ومجمع التحرير، تجد رسالة أخرى، حيث تقف سيارة مصفحة محترقة تماما من بقايا أحداث العنف في جمعة الغضب.. وقد تحولت إلى مقلب للقمامة ، ومكتوب عليها بالخط العريض " مقر الحزب الوطني الديمقراطي "، وأكثر ما يضحك، أنها مكتوبة بخط الرقعة وبيد فنان بارع في رسم الخط.. ربما ليجذب الأنظار إليها وليؤكد على هوية الحزب الوطني وموقعه في التاريخ..

وخطوة أخرى إلى اليسار، تجد بائع الأعلام يفترش الرصيف مثبتا عشرات الأعلام ترفرف على الأرض ويحمل عشرات أخرى ترفرف على كتفه، ويقف إلى جواره طفله الصغير بلافتة "اشتري علم مصر.. شعار الأحرار" فتتجه إليه فورا كي تشتري شعار الأحرار من هذا الطفل البريء، فيأخذ علما من والده يعطيه لك وتدفع ثمنه للطفل، فيأخذه بهدوء ليرده إلى والده.. وما تكاد ترفع بصرك حتى تطالعك سيدة نشرت زراعيها بصفحات جريدة " الشروق " المصرية، وقد حملت الصفحة صورا لأحمد عز ورشيد وزهير جرانة وإبراهيم سليمان خلف القضبان.. وإلى جوارها سيدة أخرى وضعت على صدرها صفحة جريدة " المصري اليوم "، لتقرأ : " الورد اللي فتح في جناين مصر" مع صور لبعض الشهداء وقد كتبت بخط يدها على إحدى صور الشهداء " ده ابني وأنا أم البطل " وقد تشعر بالدموع تترقرق في عينيك والجميع يتزاحم عليها لالتقاط صور تذكارية، وتتأكد بأن هذه اللوحة صارت أيقونة الثورة بلا منافس.. وربما كانت هذه اللمحات الإنسانية بسيطة جدا، لكنها لابد أن تحتفظ بشعور عميق في ضميرك..

تأخذ استراحة قصيرة وتكمل جولتك حول الدائرة الخضراء في قلب الميدان، تطالعك لافتة قماشية ضخمة تقول " الشعب يريد إسقاط النظام "، وتحيط بها سلسلة من اللافتات، تقاربت في أحجامها وأطوالها، نقرأ بعضها؛

- الأولى تقول : " علماء الأزهر يباركون ثورة الشعب المصري العظيم "
- والثانية تقول : " مهندسو مصر يؤيدون ثورة الشباب العظيمة "
- والثالثة تقول " لست إخوانيا ولكن أصبح مبارك هو المحظور "
- والرابعة " معلمو مصر يؤيدون ثورة الشعب المصري "
- والخامسة " أساتذة جامعات مصر يؤيدون ثورة الشعب "
- والسادسة " أطباء وصيادلة مصر يباركون ثورة الشعب المصري ويتضامنون مع شبابها المعتصمين بميدان التحرير"
- والسابعة " لا بديل عن الرحيل "
- والثامنة " Go Out Mubarak "
- والتاسعة "اتحاد النقابات العامة يؤيدون ثورة الشعب المصري "
- والعاشرة "عمال مصر يؤيدون ثورة الشباب "
- والحادية عشر "قضاة ومحامو مصر يؤيدون ثورة الشعب المصري العظيم "

بعد هذه الجولة السريعة في قلب الميدان والتي لم تتكلف سوى خطوات بسيطة يصير يقينا لديك بأن كافة طوائف وفئات الشعب المصري تتهافت على الانخراط في الميدان والتضامن مع جموع الشعب المحتشدة به.. وتمر لحظات من الحماس الوطني تجعلك تنصت لإذاعة الميدان وتنصت لأغنياتها والجمهور من حولك يردد " وطنيتنا.. مصريتنا.. حماها الله.. حماها الله.. ".وعلى هذه النغمة الوطنية الثورية، تتابع الإذاعة فقراتها الغنائية، ولا يعترض فيضها الشعوري سوى بعض الكلمات البسيطة التي تخرج على ألسنة قائليها مثل السهام تستقر في القلوب.. فعندما تتطلع إلى منصة الإذاعة الرئيسية، يطالعك بالحديث رجل بسيط ذو طلة بهية، تبدو عليه ملامح الفلاح المصري الفصيح، يرتدي عباءة قطنية أنيقة أخذت بعضا من لون شعره الرمادي وبيده حقيبة صغيرة، وقف في شموخ ليتحدث إلى الجماهير قائلا :" أنا من سكان القناطر الخيرية وهذه الحقيبة بها طعام، أخذها ابني محمد إلى ميدان التحرير ليلة الثلاثاء ٢٥ يناير، فامتدت إليه يد الغدر في الطريق.. وبعد يومين من غيابه بحثت عنه، وذهبت إلى مستشفى قصر العيني، فلم أعثر عليه.. وتوجهت إلى المشرحة فوجدته ملقى على ظهره وثقوب الموت بادية على صدره.. وإلى جواره على الطاولة حقيبة الطعام هذه.. فأحضرتها لأنه لم يتمكن من الوصول إلى الميدان قبل أن تصعد روحه ".. يقف لحظات ليبكي، ثم

يقول " وأنا هنا معكم مكانه.. وأنتم جميعا أبنائي " ويقف ليبكي ويمسح دموعه بطرف كوفيته "، ويقول : " كلنا فداكي يا مصر " فتردد خلفه الجماهير بأعلى صوتها : فداكِ يا مصر.. فداكِ يا مصر..

لتصدح الإذاعة مرة أخرى " وطنيتنا.. مصريتنا.. حماها الله.. حماها الله.. ".

كلمات بسيطة، لكنها قادرة على تغذية الروح الوطنية بأقصى قدر من الطاقة يدفعها إلى المضيَ قدما مهما كلفها ذلك من تضحيات، ويزرع فيها روح الصبر والإصرار.. فتجدهم يلجئون إلى شجرة وارفة الظلال في حديقة الميدان يضعون عليها لافتة تقول: " أمتعة أبو جهل – غنائم موقعة الجمل " ونشروا على أغصان الشجرة أشياء بسيطة تنوعت ما بين سرج حصان ورِكاب وكرباج وحدوة حصان ولجام.. وربما يرى الناظر للوهلة الأولى أنها أشياء تافهة ورديئة لا تحمل حسا جماليا ولا تثير ذائقة فنية على الإطلاق.. لكن الموقف الثوري كان قادرا على أن يحمّلها بالكثير من المعاني الدلالية.. ففي ذات الموقف، طلبت فتاة أن ألتقط لها وزملائها صورة تذكارية مع غنائم موقعة الجمل هذه، وأعطتني الكاميرا ووقفت هي وقريناتها وقالوا لي : " صوّر.. فكبست زر الكاميرا ونظرت في شاشتها، فلم أجد إلا الفتيات الأربع تبدو وجوهن مضيئة مثل بتلات الورد، وبجوارهم " فردة حذاء ميري "!.



وحيث كانت باقي الغنائم مختفية خلف الفتيات، ولم يظهر منها في الصورة إلا " فردة الحذاء الميري " وهي إحدى الغنائم.. وكانت معلقة في طرف من السرج.. فلما أخذن الكاميرا ونظرن في الصورة.. وضحكن كثيرا، وسألتني إحداهن: السرج والركاب واللجام، هي عتاد الفرس المحارب، وهذه الحدوة هي حذاء الحصان، لكن.. فقاطعتها قائلا : " فردة الحذاء الميري هي حدوة البلطجي راكب الحصان من أنصار الحزب الوطني ومؤيدي مبارك في موقعة الجمل.. وفسرت لها الأمر بأن الأستاذ سعد عبود (محام وعضو البرلمان السابق عن حي شبرا)، نبهنا في زيارته الثانية مساء الأحد الماضي ٣٠ يناير بأن الحزب الوطني لن يستسلم بعد انسحاب

الشرطة، وسيجمع أنصاره من البلطجية والمسجلين خطر وسيطلقهم مثل البقر في الميدان ليدهسوا من فيه، وسيعطونهم أحذية جنود الداخلية حتى يتمكنوا من طحن عظامكم ضربا وركلا بالأقدام حتى تهجروا الميدان وتعودوا إلى منازلكم.. وهي ذات الخطة التي كانوا يستخدمونها في قمع المواطنين وتزوير الانتخابات.. ففي حال إذا هجم عليكم بلطجية الحزب فلتنظروا إلى أقدامهم وستجدونهم جميعا ينتعلون " أحذية ميري" الخاصة بجنود الداخلية وما عليكم إلا أن تخلعوها وتضربوهم بها على رؤوسهم، وسيفرون من تحت أيديكم مثل الجرذان.. ثم بعد ذلك تحتفظوا بهذه الأحذية كي تسلموها إلى لجان تقصي الحقائق ومنظمات حقوق الإنسان وتفضحوهم..

انبهرت الفتيات بما رويت لهن وسألنني أين الأستاذ سعد عبود الآن؟، فأخبرتهم أنه كان مقيما في أحد الفنادق بالقرب من الميدان كي يشاركنا الثورة. لكنه انقطع فجأة وعلمنا بعد ذلك أن مجموعة من البلطجية أنصار الحزب الوطني دخلوا عليه غرفته بالفندق وانهالوا عليه ضربا وركلا بأحذيتهم الميري حتى حطموا عظامه، ثم حملوه من أطرافه مثل الذبيحة وألقوه في الشارع.. ورغم أنه نبهنا إلى طريقة التعامل مع البلطجية إلا أنه وقع تحت أيديهم بمفرده ولم يتمكن من الاحتفاظ بأحذيتهم " الميري " لأنه كان وحده في الغرفة ولم يسعفه أحد، حتى تم نقله إلى المستشفي وما زال بها يتلقى العلاج.. بينما وفقنا الله وانتصرنا عليهم في موقعة الجمل واحتفظنا بكل غنائمها حتى الأحذية " الميري "

بدا اليوم مختلفا عن كل الأيام، فقد كنُا في بداية الأمر أغلب المتظاهرين والمحتجين من الشباب والفتيات، كنُا فرادى لا نعرف بعضنا بعضا.. وإن كانت هناك تجمعات فقد بدأت تتكون أواصر صلاتها على الصداقة في الميدان، أو تلك المجموعات التي شاركت من الحركات السياسية ومعظمهم يعرفون بعضهم بعضا.. أما اليوم فقد انضمت إلينا تشكيلات جديدة لم تعهد الثورة من قبل، وانتشرت الخيام الأسرية والعائلية في كل مكان.. بدأ الاعتصام يضم تنوعا حقيقيا من كافة شرائح المجتمع.. كل ذلك التغير حدث بعد موقعة الجمل التي كشفت عورات النظام وصفّرت رصيده الشعبي حتى تحولت الجماهير من القصر إلى الميدان.. حتى أن وكالة رويترز الإخبارية قد رصدت هذه الظاهرة ، فكتبت تحت عنوان: (في ميدان التحرير.. أسر مصرية تكسر حاجز الخوف وتحتج لأول مرة)

"لم يكن لأسرة أيمن عطية المكونة من خمسة أفراد أي نشاط سياسي لا من قريب أو بعيد لكنها قررت فجأة النزول لميدان التحرير تعبيرا عن تضامنها مع ثوار التحرير. ولا تقتصر احتجاجات الميدان على الشباب والرجال، بل فيها نساء وأطفال ومن مختلف الأعمار والأطياف السياسية والاجتماعية. وهناك أناس

شجعتهم "ثورة النيل" على كسر حاجز الخوف والمشاركة في نشاط سياسي للمرة الأولى في حياتهم نظرا لما تحمله من "أهداف جماعية" بحسب ما يرى خبير في علم الاجتماع السياسي.

ويقول أيمن عطية الذي شارك وزوجته وأبناؤهما الثلاثة في اعتصام ميدان التحرير أمس الاثنين وهي المرة الأولى التي يقدمون فيها على فعل ذلك "لم يعد هناك أي خوف.. لقد كسرنا حاجز الخوف الذي زرعته الحكومة في نفوسنا لعقود.. عليهم الآن تغيير الدستور وتنفيذ مطالبنا لأن هذا هو السبيل الوحيد". وأضاف أيمن وهو مهندس ميكانيكا (٤٤ عاما) لرويترز "أردت أن يرى أطفالي هذه الوجوه الثائرة وأن يشاركوا ولو بشكل رمزي في التغيير الذي يحدث في بلدهم".

وكان مبارك بعد اندلاع الاحتجاجات قد عيّن نائبا له للمرة الأولى منذ توليه الحكم وهو عمر سليمان رئيس المخابرات كما أقال حكومة أحمد نظيف الملقبة بحكومة "رجال الأعمال" وعين حكومة جديدة برئاسة الفريق أحمد شفيق وزير الطيران المدني وقائد القوات الجوية السابق. وتعهدت الحكومة الجديدة في أول اجتماع لها بعد الاحتجاجات بالإبقاء على مخصصات الدعم بصورة كاملة وجذب الاستثمارات الأجنبية. كما أعلنت في بيان أمس الاثنين إنها سترفع بعض الرواتب الحكومية والمعاشات بنسبة ١٥ بالمائة، وتعهد بعدم الترشح للرئاسة مرة أخرى.. لكن كل هذا لم يمنع أيمن من اصطحاب زوجته دعاء وأطفاله الثلاثة للمشاركة في الاحتجاجات. وقالت دعاء وهي أيضا مهندسة في مجال الهندسة المدنية "نريد أن نشارك هؤلاء الشباب كي نشعر أن لنا دورا فيما يحدث... بدأت أشعر بالأمان لأن ما حدث كان فضيحة للحكومة أمام العالم ولن تلجأ الحكومة لاستخدام العنف بعد ما حدث". وأضافت دعاء "لم نعد نخشى شيئا ... مضى وقت الخوف وحان وقت التغيير".

وشجعت مشاركة أيمن وزوجته في الاحتجاجات أطفاله على إبداء رأيهم فيما تشهده البلاد. وقالت ابنته هاجر (١٢ عاما) "عايزة الريس يمشي والبلد تتصلح علشان كده جيت المظاهرات". وحتى ابنته منة التي لم يتجاوز عمرها أربع سنوات كانت لها مطالب وقالت "عايزة أروح كارفور عشان اشتري لعب من هناك بس كارفور اتسرق.. عايزة حسني مبارك يمشي علشان أروح كارفور" وكانت العديد من المحال التجارية الكبرى تعرضت لأعمال سلب ونهب على يد "بلطجية" في أعقاب اختفاء أفراد الشرطة في رابع أيام الاحتجاجات والذي أطلق عليه "جمعة الغضب".

وقال حسن الغول (٤٢ عاما) والذي قضى الليل في ميدان التحرير لرويترز "لم نشارك في أي نشاط سياسي أو مظاهرات من قبل، ولكن بعدما رأينا ما فعله هؤلاء الشباب زال عنا الخوف ... وهدفنا من المشاركة التغيير والعدالة الاجتماعية وحرية المواطن". وأضاف الغول الذي يعمل محاسبا في القطاع الخاص "هذه ليست ثورة جياع... نريد الكرامة والحرية ... أكبر حسنة قدمها النظام دون أن يقصد أنه خلق مدينة فاضلة في ميدان التحرير". وقالت زوجته هويدا وهي ربة منزل من ميدان التحرير لرويترز "شاركت بعد أن كنت مغيبة من الإعلام الحكومي، ولكن شاهدت الشباب وأردت أن أشاركهم ... لقد انتهى الخوف فأنا لم أعد أخشى بطش النظام لأنه فقط الشرعية".

ووصف سعيد صادق أستاذ علم الاجتماع السياسي بالجامعة الأمريكية في القاهرة ما شهدته مصر مؤخرا بأنه "ثورة شعبية اشتركت فيها كل الطبقات وكل مكونات المجتمع المصري". والسبب الذي كسر حاجز الخوف لدى الكثير من الأفراد والأسر الذين لم يسبق لهم المشاركة في أي عمل سياسي والذي دفعهم للمشاركة في الاحتجاجات الأخيرة هو أن "هذه الثورة لها أهداف جماعية وليست مجرد احتجاجات فئوية تعبر من مطالب طبقة أو فئة محددة". وقال صادق إن الفضل يرجع كذلك في هذه المشاركة الواسعة في الاحتجاجات إلى "سياسات الحكومة وأخطاء الحكومة وبطئها وطريقة تعاملها المتكبرة" مع مظالم الشعب ومطالبه" [٧].

وكانت الشمس، قد بدأت تتوارى أشعتها خلف الجامعة العربية في ذات الوقت الذي حضر فيه أمين الجامعة عمرو موسى إلى الميدان مهنئا الشباب بثورتهم وداعيا للحوار الهادئ.. وربما جاء لتغذية روح الثورة واستطلاع رأي الشعب فيه كرئيس محتمل بعد رحيل نظام حسني مبارك، والتف حوله الشباب بالهتافات تأييدا لحضوره..

وفي حوالي العاشرة مساءا حضر الدكتور محمد سليم العوا في موعده المعتاد ومعه كثير من الشخصيات العامة والبارزين.. وصعد الدكتور كمال أبو المجد إلى المنصة وطرح البيان الثالث بالنيابة عن لجنة الحكماء.. لكن كثير من الشباب قاطعوا حديثه بالهتافات والأناشيد الوطنية وتحولت الإذاعة من طرح بيانه إلى أغنية " مصر اليوم في عيد ".

٧ـ منشور على موقع " الوسط." على الرابط التالي:
http://www.alwasatnews.com/news/526121.html

ولم نعرف على وجه الدقة متى تشكلت هذه اللجنة ومن الذي اختار أعضائها وأنابهم للتحدث باسم الشعب والمعتصمين في الميدان.. وكان بيان اللجنة الذي طرحه أبو المجد يتمثل في عدة مطالب منها : تأمين حياة وحقوق جميع أفراد الشعب المصري خصوصا المعتصمين في الميدان وسائر محافظات مصر.. والتوقف الفوري عن أعمال البلطجة والاعتداء الوحشي على المواطنين وتوقف عمليات الاعتقال والتعذيب، ومطالبة القوات المسلحة بتأدية دورها الوطني في حماية الشعب المصري وضمان ثورته والانتقال السلمي للسلطة.. وكان من بين أعضاء هذه اللجنة الدكتور كمال أبو المجد والدكتور عمرو حمزاوي والمهندس نجيب ساويرس ومنير فخري عبد النور والدكتور أسامه الغزالي حرب والدكتور أحمد زويل وغيره كُثر..

وعلى ما يبدو أن الشباب في الميدان رفضوا بيانات هذه اللجنة التي فرضت نفسها على الساحة الثورية، ولم تنص في مطالبها بوضوح على المطلب الرئيسي للشباب وهو رحيل النظام ومحاكمة الفاسدين، بل اكتفت بالحديث عن الانتقال السلمي للسلطة من خلال نقل سلطة الرئيس إلى نائبه عمر سليمان خلال الفترة الانتقالية، وتعهده بحل مجلسي الشعب والشورى وتعديل الدستور..إلخ. وهو حديث فضفاض ليست له حدود وآليات وأطر زمنية محددة.. بالإضافة إلى أن الشباب رفض اللهجة التي تتحدث بها هذه اللجنة وهي لهجة التوسل أو الالتماس، التماس لطلب " الأمن والحماية وتسليم السلطة والذي تمثل في طلبهم حماية المتظاهرين من أخطار الملاحقة والاضطهاد وانتهاك الحقوق. التوقف الفوري عن اعتقال المشاركين في التجمعات التي تطالب بالتغيير والإصلاح، ذلك أن استمرار هذه الأعمال ينزع ما بقى من الثقة المتبادلة فضلا على أن الحق في الاجتماع والتظاهر السلمي حق يقرره الدستور ، وقف الحملات التي يشارك فيها أجهزة سياسية وإعلامية للتشهير وإساءة وتشكيك في النوايا الحسنة للمواطنين المتظاهرين تشكيكا يصل إلى استخدام عبارات التخوين غير المقبولة في سياق ينبغي أن يمتنع أطرافه جميعا عن شق الصف وتفكيك النسيج الوطني".

(يبدو أن اللجنة تولت المرافعة نيابة عنا مقابل تمرير طلبات مبارك)

وهذا ما يؤكد أنهم لم يدركوا بعد أن الشباب بصمودهم وإصرارهم في الميدان صاروا في وضع يمكنهم من أن يفرضوا مطالبهم وعلى النظام تطبيقها عاجلا لا آجلا، إذ لم يبق للنظام إلا أن يرحل بأمر الثورة بعد فضيحة الأربعاء وليس بالتوسل والالتماس والذي ظهر واضحا في لهجة الحديث التي لجأت إليها لجنة الحكماء هذه.. أي أنهم لم يحددوا موقفهم بعد.. وما إذا كانوا مع الشرعية الثورية أم أنهم ارتضوا بدور هزلي في مسرحية الحوار الوطني وهو ما يعني أنهم لا زالوا مُحاصرين بطوق الشرعية الدستورية.. ولهذا لم تلق اللجنة قبولا من الشباب، وأطلقوا عليها مسمى"لجنة التعساء"..

بعد أن قاطع الشباب حديث الدكتور كمال أبو المجد، حينما بدأ في قراءة بيان لجنة الحكماء، جلسنا معه مجموعة من الشباب على سور حديقة الميدان، وحاولت الاستفسار منه عن حكاية هذه اللجنة ومن أسسها وما هي مهمتها.. والغريب أنه كان سعيدا جدا بوطنية الشباب وحماسهم، رغم مقاطعهم لحديثه، وإطلاق مسمى" لجنة التعساء في وجهه، وجلس يحفزنا على استكمال ثورتنا، ويبتكر لنا طرقا وآليات للتصعيد ويطرح نماذج للعمل الجماعي.

علمنا بعد ذلك أن هذه اللجنة لم تمثل الميدان بالفعل ولم يتطوع أعضاؤها من تلقاء أنفسهم للوساطة بين شباب الثورة والنظام، بل فقط تشكلت تحت عين وبصر النظام للقيام بدور الوساطة بين القصر والميدان لتمهيد عملية الخروج الآمن من المأزق وليس الخروج من السلطة، وكانوا نخبة من المثقفين وليس كلهم معارضين، وجاءتهم الدعوة من دار" الشروق" التي اتخذوا فيها مقرا لانعقادهم بمساعدة صاحبها "إبراهيم المعلم"، والغريب أنه كان لأنس الفقي وزير الإعلام والعدو اللدود لشباب الثورة، كان له دور في تشكيل هذه اللجنة بتكليف من مبارك نفسه وترشيحات من رجاله. ثم أنهم بعد ذلك يجلسون على طاولة الحوار مع عمر سليمان نائب الرئيس ! وهذا ما يشير بداهة أنهم ممثلين عن شباب الثورة ورجالاتها للتفاوض مع ممثل النظام عمر سليمان. كانت هذه اللجنة تسعى جاهدة للخروج من الأزمة ولو بانتقال صوري للسلطة إلى نائب الرئيس عمر سليمان، واللواء عمر سليمان هو أكثر الطرق آمانا لخروج عائلة مبارك ومعاونيه الفاسدين، إذ أن وجود عمر سليمان في السلطة لا يعني قيام ثورة ولا تغيير نظام ولا شيء سوى تغيير وجه بآخر من داخل النظام، ولن يمكّن الدولة من ملاحقة الفاسدين بأي حال، ولن يمكّنها من تكملة مسيرة التغيير، لأن عمر سليمان هو أحد أعمدة هذا النظام حتى ولو لم يكن خائنا أو فاسدا لكنه ينظر إلى مبارك بنظرة القائد، ومن وجهة نظره أنه ليس من قيم العسكري أن يقول لقائده ارحل كي أقود أنا، أو أن يلاحقه قضائيا أو أن يفعل شيء من شأنه تعكير مزاج قائده.

لكن بعد فشل لجنة الحكماء في مهمتها، اختفى تماما الكتاب الذي كانت دار الشروق قد طبعته في مقرها، واختفت كل نسخه تماما.. هذا الكتاب الذي ألفته السيدة سوزان قرينة مبارك لتحكي فيه إلى الشعب عن أشجانها لرحيل حفيدها الطفل محمد علاء !.. فكانت تعد خطابا عاطفيا مثل زوجها ليلة موقعة الجمل، لكن خطابها كان ذا طابع أنثوي مفعم بمشاعر الحنين والشجن ..كتمهيد لتمرير مشروع توريث السلطة لابنها جمال.. لم يكن مبارك وحده الذي استخف بقومه فأطاعوه..

أما الدكتور محمد البرادعي فكان قد تغيّب عن المشهد منذ جمعة الغضب ولم نره إلى الآن، وإن أخبرتني إحدى الفتيات الناشطات في الجمعية الوطنية للتغير أنه قد خضع لتهديد بالاغتيال من قبل عناصر

أمنية ومخابراتية وتم تحديد إقامته جبريا وفي سرية تامة..وإن كنت أنا شخصيا أميل إلى تصديق هذه الرواية ، فقد قرأت خبرا عابرا في إحدى الصحف عن تحديد إقامته الجبرية منذ جمعة الغضب، لأنه بالفعل لم يظهر بعد الساعات الأولى للمظاهرة التي خرجت من مسجد الاستقامة ولم يتحرك معنا باتجاه ميدان التحرير، غير أن هناك خلفية عريضة تبعث على ذلك، وربما جعلت النظام يبعده عن ميدان التحرير بأي وسيلة، فمجرد دخول البرادعي ميدان التحرير، فسيكون مبارك قد طعن نفسه بنفسه لأنه على اعتقاد أن البرادعي مدعوم من أمريكا للإطاحة بمبارك. وهذا ما جعل نظام مبارك يخشى من وصول البرادعي ميدان التحرير أكثر من خشيته من شباب الثورة أنفسهم لأن ما يعلمه البرادعي عن ملف مبارك في أمريكا لا يعلم ربعه شباب الثورة، وهذا ما يعني أن السماح للبرادعي بالوصول إلى منصة الإذاعة بميدان التحرير هو نهاية حتمية وفورية لنظام مبارك، ولهذه الأسباب لم يظهر البرادعي في أي من فعاليات الثورة في الميدان ولم يظهر له صوت بعد جمعة الغضب ، حتى أنهم تجاهلوه من الدعوة إلى اجتماعات الحوار الوطني التي أجراها عمر سليمان، برغم كونه من أوائل الشباب الذين أشعلوا شرارة التغيير في مصر..

على كل حال، مرت المليونية على خير، واستجابت الجماهير لنداء الشباب المعتصمين بميدان التحرير، كانت مليونية رائعة جدا، وكل من يأتي ليستكشف الأمر يعقد نيته على العودة مجددا ومعه آخرين.. وكان من بين هؤلاء العابرين، الصحفي الشاب "سامي عبد الراضي" الذي قضى ثلاث ساعات بيننا وخرج إلى عمله بجريدة "اليوم السابع" ، وفي المساء كتب يقول:

هنا.. ميدان التحرير،الجمعة، ٠٤ فبراير ٢٠١١

كنت هناك أكثر من ثلاث ساعات عقب صلاة الجمعة.. الطريق إلى هناك منظم.. يقف رجال الجيش على رأس كمائن تشكل دائرة على الميدان.. تبرز بطاقتك الشخصية.. وترفع يديك إلى أعلى وأنت تبتسم ليفتشك أحدهم بأدب وذوق وهدوء.. ثم كلمة: "اتفضل".. تنطلق وحولك عشرات إلى الميدان تجد شبابا مصريا يكون صفوفا بالعرض.. ويعاود النظر إلى بطاقتك ويفتشك دون أن تشعر بـ"لحظة ضيق".. ويقولون لك: "حمد الله على السلامة"

تدخل هناك.. وتقف بين الصفوف.. لن تهتف مباشرة تحت أي ظرف.. لكن ستقف دقائق ربما تصل إلى حاجز الـ١٥ دقيقة.. وبعدها "أتوماتيك".. ستقول مع الشباب.. وفى صوت واحد: "زكريا عزمي.. باطل.. فتحي سرور.. باطل.. أحمد عز باطل وحبيب العادلى باطل.. والقائمة لا تتوقف عند أحد وتصل إلى الرئيس

وجمال".. شيء غريب يدفعك أن تهتف ويخرج الصوت من الأعماق وأنت ترفع يدك اليمنى أو اليسرى وتقول:"إيد واحدة.. إيد واحدة.. إيد واحدة.. سلمية.. سلمية"

كان صوت عبد الحليم حافظ حاضرا.. صوته "يجلجل" في ميدان التحرير.. بكلمات عمنا صلاح جاهين.. صورة.. صورة.. كلنا كده عايزين صورة.. ويا زمان صورنا.. إلى جواره يأتي إليك صوت وردة.. حلوة بلادي السمرا.. بلادي الحرة.. قبل أن يأتي إليك صوت شادية.. يا حبيبتي يا مصر.. إلى جوارهم جميعا.. يظهر صوت الرائع الراحل محمد حمام.. يا بيوت السويس يا بيوت مدينتي.. استشهد أنا وتعيشي انت.. ويصفق الجميع ويغنى.. هنا ميدان التحرير.. هنا كرنفال سياسي لا مثيل له.. شباب وفتيات وشيوخ وسيدات مصريون لديهم إصرار وقوة وثبات وثقة وحب.. يسقط هاتفك المحمول وسط الزحام.. تجد عشرات يبحثون عنه ويقولون لك: "اتفضل".. آخر بجوارك يريد أن ينهض.. يجد أياد تمتد له وتساعده: "قوم يا مصري".. عندما تدخل أم وخلفها ٣ من بناتها.. تجد شبابا ينادى:"وسعوا يا اخوانا".. وتجد طريقا يفتح بـ"سحر" وسط الزحام.. لا تجاوز ولا تحرش ولا أي شيء مخل.

ميدان التحرير اليوم كان "مشرفا و رائعا وجميلا.. تشعر أن مصر كلها هناك.. مصر هناك دون صفعة قلم واحدة.. مصر هناك دون حجر واحد.. هناك دون "شومة" أو خرطوم مياه.. دون رصاصة أو قنبلة مسيلة للدموع.. أو دهس تحت مدرعة.. أو طعنة سنجة أو مطواة.. كانت مصر: "حلوة.. بهية.. جميلة".. تشعر أن قلبك يتنفس وكأنه لأول مرة.. هذا هواء جديد.. وروح لم تكن موجودة.. أو كانت "مكبوتة" وها هي خرجت ولن تعود إلى حيث كانت.. كنت هناك وعدت إلى عملي وأنا متأكد أن أي شخص سيدخل ميدان التحرير في هذه الظروف ويقف إلى جوار مصريين هناك سيهتف ويقول كل شيء.. "

" شكرا للأستاذ سامي وجميع الأحرار الذين غردوا للثورة باسم الحرية والحضارة"، وكثيرين غيره حضروا اليوم جمعة الرحيل وغردوا على المواقع وعبروا عن تجربتهم، نسترجع معا تغريدات هذا اليوم على هاشتاج."#Jan25"

https://almanassa.com/ar/story/1015

- "سليمان محذرًا: كلمة "الرحيل" هي بمثابة نداء للفوضى بالبلاد http://bit.ly/eUuHcw#egypt# Jan25."
- " التليفزيون المصري بيقول أن المتظاهرين عايزين يخرجوا بس الخروج أمن #Jan25 "

- "شبكة رصد :شاهد عيان من ميدان التحرير: الميدان هادئ تماما، لا توجد اختراقات من البلطجية، إلا أن المتظاهرون في حالة استنفار شديدة "
- قناة الجزيرة"المتظاهرون يكذبون ما تبثه وسائل إعلام حكومية بشأن رغبتهم في الخروج من ميدان التحرير"
- " المعتصمون بميدان التحرير ينفون إجراء أي اتصالات مع عمر سليمان نائب الرئيس المصري"
- RTبالصور: الثوار يغلقون مداخل محطات المترو بسيارات ومتاريس تحسبا لأي هجوم للبلطجية منها http://yfrog.com/h7p55naj
- " تابعوا معنا ..نواصل نشر حالة كل مدخل من مداخل الميدان "
- "يا جماعة مبارك طول عمره وبقاله ٣٠ سنة في الحكم .. بطئ.. بطئ وبيمشي جوه الحزمة الأول عايزين تستعجلوه دلوقتي؟"
- بعض الشباب على خط التماس بمداخل شوارع التحرير:البلطجية الصغار سنا قالوا: احنا إخوات وأصلهم فهمونا إنكم عاوزين الريس يمشي وأمريكا تحتلنا "
- " إنها الجمعة المباركة برحيل مبارك وليس له من اسمه نصيب"
- خلينا نوحد الدعاء الليلة أن تكون هذي آخر ليلة لمبارك وأعوانه وعقبال ما يتسحل ويتصلب في ميدان التحرير ونشوف فيه يوم"
- New post: متاريس ولجان أمن شعبي لحماية الاعتصامhttp://bit.ly/en7E6B
- افتكروا يا جماعة،بن علي رحل بعد شهر ، محدش يزهق من دلوقت #jan25
- "إذا لم تشاركوا في الثورة اليوم..فاستعدوا لإحناء رؤوسكم خجلا من أبنائكم في المستقبل عندما يسألونكم عن ذلك وعن مشارككتكم"


د. ماهر أبو العينين نائب رئيس مجلس الدولة يكتب: حتى لا تجهض الثورة وحتى لا نقع في الفراغ الدستوري 11


صلاح منتصر يكتب: لو استقال الرئيس؟ 7


المصري اليوم

رسالة «مليونية» جديدة: الرحيل أولاً

حشود ضخمة في «التحرير» والمحافظات.. وهتافات تؤيد ترشح «موسى» للرئاسة.. و«سليمان»: لن نقدم أكثر من تعهدات الرئيس







وزير الدفاع يدعو لإقناع «مرشد الإخوان» بقبول الحوار.. و«الصحة» تعلن إصابة ٥ آلاف في المواجهات.. وتشديد الحراسة على القصر الجمهوري

منع «رشيد» من السفر.. و«المصري اليوم» تنشر اتهامات الفساد ضد «العادلي وعز وجرانة والمغربي»

مصادر: النائب العام يصدر خلال ساعات قرارات جديدة ضد وزراء سابقين وعدد من أعوان إبراهيم سليمان



لجنة الحكماء تدعو «الجيش» لضمان انتقال آمن إلى «الديمقراطية»

أبرز المطالب: توقف الدولة عن أعمال البلطجة، وعدم اعتقال المطالبين بالتغيير



منسق «٦ أبريل» لـ«المصري اليوم»: لن نتفاوض قبل الرحيل.. ولن نقبل أن يحكمنا التيار الإسلامي

متمسكون بتفويض عمر سليمان بصلاحيات الرئيس وتشكيل حكومة انتقالية لمدة سنة





..وقال الشعب كلمته فى الثلاثاء العظيم

محمد حسنين هيكل يتحدث لفهمى هويدى:

- أسوأ ما فى مصر حاول بشراسة قتل أنبل ما فيها

- الداخلية تقول: إن جهازًا سريًا ليس تابعًا لها وراء الفوضى التى حدثت

الشروق الجديد

السبت

www.shorouknews.com

مصر الغاضبة

ملف شامل داخل العدد

مصر تغيَّرت

ملايين المصريين يصلُّون «جمعة الرحيل» ويبدأون «أسبوع الصمود»

الأقباط يحرسون المسلمين أثناء الصلاة ▪ موسى و«الحكماء» يزورون الميدان لدعم الانتفاضة

- بديع: الإخوان لا يسعون لكرسى الحكم
- البرادعى: يمكن منح مبارك خروجًا آمنًا وبكرامة

عمرو موسى لـ«الشروق»: الجيش يستطيع حماية الفترة الانتقالية

لجنة الحكماء تدعو الجيش لتحقيق الانتقال الآمن نحو الديمقراطية

حظر التجول من السابعة مساءً حتى السادسة صباحًا

المشير طنطاوى وقادة الجيش يتفقدون ميدان التحرير جوًا وبرًا

أسبوع الصمود والتحدي

قضت الحياة أن يكون النصر لمن يتحمل الضربات، لا لمن يضربها

" الرافعي"

(٢٠)

انطلاقة ثورية جديدة

السبت ٥ فبراير

ارتفع قرص الشمس من جديد ليبدأ رحلته اليومية في ميدان الثورة، وبدأت الحركة تملأ الميدان.. نظرت حولي وتأملت الأشياء والأشخاص ومحتوى المكان والعتاد الثوري المبعثر تحت أشعة شمس الضحى. في هذه الدقائق كانت الإذاعة الميدانية قد بدأت وتهادى إلى أذني نغمات هادئة ساحرة ممزوجة بصوتٍ أنثوي رقيق. الصوت هو شادية، أما الكلمات، فدعونا نسمعها معا : " يا حبيبتي يا مصر ..يا مصر.. يا حبيبتي..يا مصر ..ماشافش الرجال السمر الشداد ..فوق كل المحن ولا شاف العناد..في عيون الولاد وتحدي الزمن ..ولا شاف إصرار..في عيون البشر ..بيقول أحرار.."

حينما ذهبت غشاوة النوم عن عيني، كانت مجموعة من الشباب يدورون في الميدان ويهتفون" قوة عزيمة إيمان.. ثورة عظيمة في كل مكان"، ثم يتغير الهتاف " لسه فينا صحة.. حتى تتنحى".. ومجموعات أخرى تتهيأ لصلاة الصبح..نفضت جريدتي من أوراق الشجر والحشائش، إذ كنت مستلقيا عليها بين الشجيرات والخيام.. وإلى جواري رجل قروي ممشوق القامة، أتذكر أنني رأيته منتصف الليلة الماضية، لم يجد مكانا يتمدد فيه، تلفع بعمامته وعبأ جسده في أطراف عباءته ونام متكئا على حافة الرصيف بين شجيرتين.. وتحت الخيمة يجلس ذاك الشاب الجامعي الأزهري بملامحه الهادئة ذات البشرة السمراء، وعمامته الحمراء.. عينه معصوبة برباط طبي من بقايا الأربعاء الدامي، وإلى جواره مصحف صغير وكوبا من الشاي وهاتفه المحمول.. وقد وضع على ركبتيه جهاز لاب توب وهام بأنامله في عالمه الافتراضي، يسبح بين مواقعه الإلكترونية في ميدان الثورة في صباح يوم جديد من أيامها..

أتذكر في الأيام الأولى للثورة، كان شباب الإخوان قد حددوا موقعهم في خيمة كبيرة بالميدان، وكانوا كعادتهم يستيقظون مبكرا لصلاة الفجر ثم يبدؤون في ممارسة بعض الرياضات البدنية، لكن بقية الشباب المعتصمين من غير الإخوان لم يكن يروق لهم هذا المشهد؛ لأن هذا الطابور الرياضي يتميز به الإخوان دون غيرهم من التيارات السياسية، وهو ما قد يلفت نظر عيون النظام وأبواقه الإعلامية لتلتقط عدساتهم الصورة خلسة ويخرجوا للجماهير ليقنعوهم بأن المعتصمين في الميدان هم فقط الإخوان، غير أن الشباب قد تعاهدوا بداية الثورة على انعدام الفئوية والحزبية.. وفي هذا الوقت كانت فزاعة الإخوان والتيارات الدينية تلهب الجميع في الداخل والخارج، حتى أن عدسات الإعلام الحكومي والأجنبي على السواء كانت تتحين الفرص لالتقاط صورة لشخص ملتحي أو امرأة منتقبة للتدليل على أن التيار الديني يعبث

بالبلد ويحرك الثورة إلى وجهته، وهو مرفوض سياسيا، ومن ثم نبه الشباب على الإخوان عدم تكرار الطابور الرياضي فاستجابوا.

وفي هذا الصباح طالعتنا الصحف بعناوينها العريضة، إصلاحات فاترة وتضحيات باردة قدمها النظام قربانا لشباب الثورة، كان أهمها، تفاصيل التحقيقات في فساد الكبار، واستقالة جمال مبارك من أمانة الحزب الوطني، ورفع كلمة (محظورة) عن جماعة الإخوان المسلمين.. ولا زال الحبل على الجرار.. وكان بائع الصحف قد اعتاد كل صباح أن يعرض صحفه بجوار المنصة الرئيسية مرتبة على حامل مع معدني من الأعلى إلى الأدنى.. ويضع في الصف الأول "المصري اليوم" و "الشروق " و "الدستور" وفي الصف الثاني "الفجر" و "اليوم السابع" و "الأسبوع"، وتتوالى الصفوف حتى يصل إلى الجرائد الحكومية في المرتبة الأدنى وبأعداد قليلة لأنه يعرف مبيعاتها مسبقا.. وقد اعتاد ذات المكان، بملامحه الهادئة وأسلوبه الوقور، يسمح لك بتناول جريدتك المفضلة وتعطيه ثمنها جنيها واحدا مع أن كافة الأسعار قد ارتفعت بمعدل ٤٠٪ خلال أيام الثورة ورغم ما تتعرض له الصحف من أخطار ومضايقات خلال رحلة وصولها إلى الميدان، حيث كان شباب الحزب الوطني يترصدونها في الشوارع القريبة ولا يسمحون بدخولها الميدان خاصة الصحف المستقلة والتي عادة ما كانت تتأخر عن موعدها بسبب الظروف الأمنية والتعتيم والحصار الإعلامي المفروض على الميدان.. ومع ذلك نحاول تصفح جرائد الصباح؛

- خارجون على القانون يقطعون الطرق المؤدية للعاصمة لمنع المتظاهرين من المشاركة في جمعة الرحيل
- اختطاف 6 ناشطين من ميدان التحرير
- بدء التحقيقات مع المتورطين في الانفلات الأمني وأحداث التحرير
- محمد حسنين هيكل:
- الشعب قال كلمته يوم الثلاثاء العظيم في استفتاء لم يُزوّر
- الداخلية تقول إن جهازا سريا ليس تابعا لها وراء الفوضى التي حدثت
- ثورة الشباب حددت ما يريده المصريون والعقلاء عجزوا عن الاتفاق حول ما يريدونه
- صلاة غائب يؤمها أزهريون وقساوسة يبتهلون بالدعاء..
- تجميد ممتلكات رشيد محمد رشيد ومنعه من السفر
- تفاصيل التحقيقات في فساد الكبار
- مئات الآلاف في جمعة الرحيل بالإسكندرية
- "الشرطة تتراجع لصالح"الجيش وشباب 25 يناير" لا تراجع ولا استسلام"

- أوباما يبحث مع مسئولين مصريين رحيل مبارك "فورا "
- واشنطن تريد حكومة انتقالية برئاسة سليمان
- بانكي مون يدعو لانتقال منظمو سلمي للسلطة في مصر
- واشنطن تبحث عن ضامن جديد لمصالحها

إلى هنا وقد بدأ الرأي العام العالمي يتحول ضد نظام مبارك بعدما فشل مخططه لفض ميدان التحرير باستخدام الخيول والجمال، ولم يعد أمامه سوى ورقة التفاوض التي عهد بها للواء عمر سليمان، لكن هذه الورقة الأخيرة لن تؤدي إلى شيء لأن نفوس الثوار مشتعلة بروح الثورة، ولم يعد هناك ما يجبرهم أو يضطرهم لقبول حل وسطي بديلا عن رحيل مبارك.

كانت الإذاعة تواصل فعالياتها الثورية بأغنيتها الوطنية، وقطع صوت الإذاعة شاب عرض على الجماهير مطلبا لقادة الجيش بتحريك مدرعاتهم من أماكنهم خطوات قليلة وفتح الطريق للمرور.. لكن الشباب رفضوا بقوة مطلب ضباط الجيش واعتبروا ذلك خطوة لتضييق الخناق على الميدان والمعتصمين به، خاصة بعد فتح الطريق للمرور يتآكل الميدان خطوة وراء خطوة حتى يتلاشى المعتصمون في زحام المرور.. أو على أقل تقدير تضييق المساحة المتاحة لهم حتى لا يتمكنوا من جذب أعداد أكثر من جماهير الشعب.. غير أن هذه الخطوة في حد ذاتها جديرة بوأد الثورة؛ لأن مجرد تسيير الحركة في ميدان التحرير، فهذا يعني أن تعود الحياة لطبيعتها تدريجيا دون الحاجة إلى ترضية المعتصمين بالميدان، وعلى فرض أنهم رفضوا الخروج من الميدان، فتكون كافة مؤسسات الدولة تعمل بطاقتها الطبيعية، وهذا ما يعني بالفعل أن مليون متوقف عن العمل في ميدان التحرير لن يؤثروا على باقي التسعين مليون، حتى وإن تفاوض معهم النظام بعد ذلك، لكن ليس بيدهم ما يجبرونه على مطالبهم، إنما ما يجبره على الاستجابة لمطالبهم هو تعطيل العمل بمؤسسات الدولة أي الإضراب العام، وليس فقط ميدان التحرير.. كانت الخطة هي محاصرة الميدان، واعتباره مؤتمرا للمعارضة لا أثر له على الدولة..

ولهذا، كان أمامنا مجموعة من التحديات لابد لنا كي تصل الثورة إلى أهدافها أن نجتازها بجدارة كي يتحقق لنا النصر في هذه المعركة السياسية، أما التحدي الأول فهو متمثل في موقف الجيش الذي يحمل الكثير من الغموض والترقب، ورغم أنه قادر على حسم الأمر، لكن لا أحد يعرف لماذا الصمت طالما أعلن أنه ضامن لمطالب الشعب.. ولماذا تتكرر مطالبته للشباب كل يوم بإخلاء الميدان والعودة لمنازلهم.. أم أنه لا زال في انتظار ما ستؤول إليه قلوب الكثير من ضباط الجيش، لكن على مستوى القيادة العامة في المؤسسة العسكرية والتي هي في احتكاك مباشر مع القيادة السياسية والأمنية، يبدو أنها لازالت تقف على مسافة

متساوية من الطرفين في صراع النظام من أجل التعافي والبقاء وصراع الثورة من أجل الوصول. وإن كانت الثورة لا تريد أن تتحول إلى انقلاب عسكري، لكنها كمن يغالب الموج في بحر هائج.. ولو انتهت مخاوف الثوار من الجيش لانتصرت الثورة. لكن الجيش يتمسك بالشرعية الدستورية ويرفض فكرة الشرعية الثورية

وهذا ما يؤكد بالفعل موقف الجيش وأنه لم يظل ثابتا، ولكن بدأ بتأييد ثورة الشعب ثم مال مع الأمن والاستقرار بعد خطابه الناعم، ثم عاد لتأييد الثورة بعد انتصارنا على أنصار مبارك يوم الأربعاء الدامي. وما حدث من مواقف مختلفة من ضباط الجيش يفيد أن ضباط الجيش على المستوى الفردي مختلفون في الرأي بين مؤيد ومعارض للثورة، ليس من وجه الوطنية أو عدمها، ولكن من منظور الأولوية اعتبار المظاهرة هي محض فوضى طبقا للتقاليد العسكرية، بينما الموقف العسكري على مستوى المؤسسة ربما يكون مترددا بين تأييد الثورة تارة وتأييد الأمن والاستقرار تارة ومسك العصا من المنتصف بين القصر والميدان تارة أخرى حسب موازين القوة لكلا الطرفين، حتى أن قادة الجيش كانوا خجولين من إعلان موقفهم النهائي أمام رأس النظام رغم مرور خمسة عشر يوم من الاحتجاجات التي أصابت البلاد بالشلل في كافة مناحي الحياة.. غير أن موقف الجيش أصبح حرجا للغاية أمام الساحة العالمية وأمام الشعب المصري نفسه خاصة بعدما انهزمت جماهير مبارك وكشفت نيته وسوء تدبيره، تزاحمت ملايين الجماهير في كافة الميادين، ولم يعد أحد بإمكانه صرفها لا سلما ولا حربا، لا بالحوار وبالعصا.. وهذا ما دفع المخابرات الحربية لإطلاق سراح الشباب الذين تم اعتقالهم يوم الخميس الماضي، حيث تم تسريحهم صباح اليوم.

وأما التحدي الثاني : فتمثل في مسرحية الحوار الوطني التي دعا إليها النظام في محاولة جديدة للضغط من تحت الطاولة على يد رموز الأحزاب السياسية المعارضة وتطويع إرادتهم والالتفاف على ثورة الشعب، وركزت مسرحية الحوار الوطني على كسب تأييد البسطاء وإقناعهم بأن الحوار فرصة لتقديم الطلبات في (بوفيه مفتوح)، وهو الأكثر أمانا من تداعيات الثورة والانفلات الأمني والفراغ الدستوري.. في محاولة لاستقطاب فئات من الشعب وتأليبهم على الثوار لإضعاف شعبيتهم، وتقزيم حجمهم. ومن ثم يصبح مطلبهم فئويا وليس مطلبا شعبيا.وفي الحقيقة، فإن هذا الحوار لم يكن سوى كمينا للثورة والثوار.

والتحدي الثالث: جاء في مضمار الحرب النفسية على الثوار في عباءة الحكمة ومصلحة الوطن، فقد حاول النظام أن يغرس سمومه في الميدان من أفراد أمن الدولة والمخابرات والعملاء الأمنيين ونشرهم في الميدان مثل الثعابين يزرعون الخوف والقلق من تداعيات الثورة في قلوب الناس باسم الحكمة والتعقل والحوار الهادئ وقبول الرأي والرأي الآخر.. وأقاويل ومهاترات من قبيل أن الثورة بذلك قد حققت أهدافها، وأننا عرفنا الطريق

إلى ميدان التحرير وجربنا المظاهرات السلمية، وأن البلد صارت في حالة من انعدام الأمن والفوضى والخراب بالإضافة إلى ما سيحدث من فراغ دستوري عند رحيل النظام.. والغريب أن هذه النغمة اللينة في الحديث ربما حاولت أن تصل إلى الناس من مبدأ الوطنية والخوف على مصلحة الوطن العليا، وكانت غالبا ما تصدر من أشخاص تبدو ملامحهم وقورة للغاية وملابسهم مهندمة أنيقة، ربما كان بعضهم سفراء أو دبلوماسيين ورموز من الحزب الحاكم سيدات ورجال غير معروفين للرأي العام.وكانت قدت شكلت لجنة أمنية منذ ليلة الخطاب العاطفي للقيام بما يشبه مهمة الأمن العام أو المخابرات داخل الميدان، ومن يشكون في أمره يطلبون بأدب إثبات هويته ثم تفتيشه ذاتيا، وهنا كانت المفاجأة، فبعض من قبض عليهم كانوا دبلوماسيين بالفعل وأفراد تابعيين للأمن الرئاسي والحزب الوطني..

وأغرب شيئا وقع أمام عيني، كان شابا في الخامسة والثلاثين من عمره يبدو أنيقا في ملبسه ولحيته المهذبة وبدأ يتحدث إلينا حول مبادئ الثورة وأهدافها وسبل نجاحها وكيفية وضرورة مواصلة الضغط على النظام الفاشل حتى يرحل، ثم تابع حديثه باقتراح تشكيل فريق للعب كرة القدم في الميدان كنوع من الرياضيات الشعبية وشيء يعبر عن البهجة والفرح بالثورة وإنجازاتها، ولسوء حظه التعيس، كان بيننا شابا في لجنة الأمن الميداني وقد تجمعت لديه الخبرة الكافية خلال أيام ليفهم مغذى هذا الاقتراح الغريب من هذا الشاب الملتحي الذي من المفترض أن ينصح الشباب بالصلاة والدعاء وقراءة القرآن في الميدان بدلا من اللهو واللعب في مثل هذه الظروف العصيبة، واصطحبه زميلنا إلى مقر اللجنة الأمنية خلف المنصة الرئيسية وتعامل معه بهدوء تام وعرفنا بعدها أنه ضابط من أمن الدولة، وكنا نتعامل مع مثل هؤلاء بهدوء وحذر تام لأن الصحافة كانت تبحث لنا عن إبرة في كومة قش، فأذكر أنه في يوم الخميس الماضي عقب حرب الغجر، كانت بعض المعاول والقضبان المعدنية التي استخدمناها في تكسير البلاط وتسويته، كانت ملقاة على أحد الأرصفة، فنبهني أحد الشباب لإخفائها حتى لا يرصدها الإعلاميون وينقلون الصورة على أن هذه هي أدواتنا وأسلحتنا الثورية وأننا نستخدمها في الهجوم على من يختلف مع مبادئ ثورتنا وخصوصا التليفزيون المصري، في حين أن هذه الأدوات كانت فقط للدفاع عن الميدان ضد هجوم البلطجية..

وأذكر أنه في ذات اليوم، جاء شخص يبدو وقورا وثقيل الفكر والثقافة وتحدث إلينا قائلا:" ما رأيكم في عمر سليمان وأحمد شفيق " ؟، فرد عليه الجميع بصوت واحد " لا شفيق ولا بونبوني.. وعمر سليمان بطل صفقات الغاز ببلاش لإسرائيل وصفقات السلاح لجنوب السودان حتى انفصل عن شماله" وبدؤوا يصفقون ويهتفون بصوت عالٍ " أرحل يعني باااره.." فغضب شاب كان بصحبته وقال " عيب يا جماعة ما يصحش كده.. ده أستاذ في جامعة القاهرة وأنا زميله " فأصيب الجميع بحرج وسكتوا عن الهتاف، وخرج الرجل من الميدان صامتا ولم يعقب..

وأما التحدي الرابع والأخطر، فقد تمثل في محاولة النظام إعادة تدوير عجلة الحياة المعطلة عنوة رغم ما أصابها من شلل منذ جمعة الغضب.. في محاولة ماكرة لإقناع المواطنين والبسطاء بأن الثوار قد قبلوا الحوار الوطني وأن الحياة عادة بانتظام دون عوائق، وأن حالة الشلل التي أصابت مؤسسات الدولة وعطلتها منذ جمعة الغضب قد انتهت على أثر الحوار المجتمعي.. وفي هذا السبيل دفع النظام بأفراد الشرطة والمرور وكافة الأجهزة الأمنية إلى مواقعها بعد الانسحاب الذي أدى إلى الانفلات الأمني في جمعة الغضب.. وكذا دفع الموظفين العموميين إلى مكاتبهم لملء فراغها ولو لم يتمكنوا من القيام بمهامهم الوظيفية.. حتى عمال الصيانة والإصلاح عادوا إلى مواقعهم وبدأت معاولهم ومعداتهم تدق في محيط ميدان التحرير في مبنى وزارة الخارجية القديم، ومبنى فندق النيل هيلتون.. وحاول بعض المواطنون التسلل إلى مجمع التحرير لفتحه وتشغيله رغم الكثافة العددية للمعتصمين بالميدان والتي يكون الوصول خلالها إلى مجمع التحرير أمرا مستحيلا.. وبرغم تدخل ضباط الجيش لمحاولة فتح المجمع إلا أن الشباب المعتصمين رفضوا فتحه إلا بعد الاستجابة لمطالب الثورة..

في هذا اليوم كتب روبرت فسك: " الانتفاضات لا تتبع جداول زمنية، ومبارك يبحث عن انتقام من انفجار الأمس المتجدد من الغضب والإحباط نحو حكمه الذي امتد ثلاثين عاما.. ليومين، حاولت حكومته الجديدة – وقد عادت للعمل – أن تصوّر مصر كأمّة تعود من السُبات مرة ثانية لحالتها القديمة الاستبدادية.. محطات البنزين مفتوحة.. سلسلة من الاختناقات المرورية الإجبارية.. البنوك تصرف مبالغ مالية بسيطة إلى حدٍ ما.. المحلات تعمل في حذر شديد، والوزراء جالسين في إنصات في التليفزيون المصري.. بينما الرجل الذي سيظل ملكا لخمسة أشهر أخرى يحاضرهم عن الحاجة إلى الخروج من الفوضى إلى النظام.. هذا هو السبب الوحيد المعلن لإصراره على التمسّك بالسلطة ".

وما دفع النظام إلى هذه الحيل المتكررة، إلا أنه محاط بشبكة متشعبة من التنابلة الذين يبذلون قصارى جهدهم ليل نهار حفاظا على مناصبهم ومكتسباتهم ومصالحهم المسترسلة من وراء نظام حكم عاش عمره معصوب العينين بالفساد، وظنوا أن الشعب تعايش مع الفساد واستكان له، ولم يدركوا أن استكانته لبعض الوقت فقط، وأنه لم يستسلم بعد.. ولهذا دفعهم الغرور والاستعلاء لأن يخطوا في إصلاحات فاترة لا تطفئ جذوة الثورة الملتهبة في قلوب الشعب الغاضب، معتقدين أن خطواتهم المترنحة كفيلة باحتواء الأزمة..

وعلى هذا الوضع بدأ الميدان انطلاقته الثورية في أسبوع " الصمود والتحدي "، بحملة ثورية ساخنة من اللافتات والشعارات السياسية المطبوعة وأعمال فنية تلقائية تناولت مشاهد العنف والقمع الأمني، وصور

الشهداء وقوائم الفساد وصور السواعد المتعاضدة، وهتافات مناهضة تنوعت ما بين " المحاكمة.. المحاكمة للعصابة اللى حاكمة" و شدي حيلك يا بلد .. الحرية بتتولد" – " متعبناش متعبناش الحرية مش ببلاش " .. " لا تفاوض ولا حوار.. إلا بعد رحيل النظام"

وعبر الأستاذ روبرت فسك عن ذلك المشهد بقلمه حينما وصف حالة ثورية واحدة من مئات الآلاف، فكتب يقول:

" إن مبارك يحدد الاختيار (إما هو وإما الفوضى)، ولكن يأتي "عصام عتمان" دليل على أنه على خطأ.. كان عصام يحمل طفلته خديجة، ذات الخمس سنوات على كتفيه في ميدان التحرير، متحملا الدفعات في الزحام من الآلاف حوله.. يهتف رافعا صوته فوق صوت المظاهرة: "أنا هنا من أجل ابنتي". "من أجل حريتها .. أريد أن يرحل مبارك.. لست فقيرا.. عندي شركة نقل ومحطة بنزين.. كل شيء مغلق الآن وأنا أعاني، ولكن لا يهمني.. أدفع للعاملين لديَ من جيبي الخاص.. هذا من أجل الحرية. وتستحق أي شيء." وفي نفس الوقت، كانت الطفلة الصغيرة تجلس على كتف والدها وتحدق في الحشود الملحمية في عجب؛ لن يضاهي هذا أي عرض مبهر لهاري بوتر".

و كان الأستاذ الكاتب الصحفي محمد عبد القدوس كعادته يجلس وسط الشباب يؤلف لهم الشعارات والهتافات المناهضة للنظام والتي مثلت بجدارة إحدى أهم دعائم الخطاب الثوري، بالإضافة إلى الأدبيات الثورية التي اخترعها الشباب المصري بتلقائية في الميدان ليضيف إلى تاريخ الفقه الثوري جانبا جديدا وملمحا فنيا بارعا وهو الأدب الثوري، والذي تنوع ما بين الفكاهة والنكتة السياسية الساخرة وأعمال كاريكاتورية وأناشيد وأغنيات أبدعتها قريحة الشباب الثورية الوطنية بذائقة فنية رائعة، وانتشرت مجموعات وفرق موسيقية غنائية أبدعت فنها على أرصفة الميدان.

وكل الثورات التي شهدتها مصر وحتى الحركات التي لم تكتمل كان لها كاتب ومطرب معبر عن آرائها وأفكارها وداعم لأهدافها وممجد لكل انتصاراتها ورموزها منذ ثورة ١٩١٩ والتي اختارت سيد درويش مطربا لها بإرادة الشعب والثورة ورموزها وغنى لها وللشعب أعظم أغانيه ثم دعمت أم كلثوم وعبد الحليم ثورة يوليو إلى أن برز عبد الحليم حافظ كمطرب للثورة ورمزها الأكبر جمال عبد الناصر ومن بعدها قاد الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم كل الحركات الاحتجاجية في نهاية الستينيات والسبعينيات وكان أبرزها حركة يناير ١٩٧٧م. أما ثورتنا فقد صنعت مطربيها وفنانيها من الشعب مباشرة وبفنونه التلقائية وهتافاته المسجوعة وبالإضافة أغنيات وطنية حفظها الشباب من جيل الطرب الأصيل، فقد جمع الميدان بين الثقافات من كل الأجيال وكل فئات الشعب المصري.

ومن أهم أغاني الثورة "بحبك يا بلادي"، التي غناها عزيز الشافعي ورامي جمال، وهناك أيضا أغنية "ياالميدان"، التي كتب كلماتها ولحنها وغناها أمير عيد وفريقه كايروكي، بمشاركة الفنانة عايدة الأيوبى، ومن أهم أغاني الثورة أيضًا "صوت الحرية بينادي في كل شارع في بلادي" التي غناها كايروكي، بمشاركة الفنان هاني عادل، وتقول كلماتها "نزلت وقلت أنا مش راجع، وكتبت بدمى في كل شارع، سمعنا اللى مكنش سامع، واتكسرت كل الموانع، سلاحنا كان أحلامنا، وبكرة واضح قدامنا.. في كل شارع في بلادي.. صوت الحرية بينادي» كانت بادرة إبداعية هي الأولى من نوعها، استطاعت المزج الفني بين موسيقى الروك الغربية على أوتار الجيتار وكلمات الأغنية العربية بلهجة مصرية. هذا بالإضافة إلى شعراء الثورة الشباب الذين أبلغو في التعبير عنها نثرا وشعرا وزجلا.

انتشر الشباب في كل مكان يهتفون ويغنون ويرفعون لافتاتهم وأعلامهم.. وهنا فوق غرفة مكيفات المترو التي ترتفع عن الأرض مترا واحدا،تجلس بائعة الأعلام.. الطفلة ابنة العاشرة من عمرها وقد اعتادت نشر بضاعتها الرائجة في هذا المكان، عندما استأذنتها لالتقاط صورة تذكارية لها وأعلامها اعتذرت خوفا من ملاحقات أمن الدولة.. الذين يتجولون بالمئات مثل الثعابين بيننا في الميدان يصورون كل ما تقع عليه أعينهم بهواتف محمولة وكاميرات دقيقة تمهيدا لاعتقالهم بعد فض اعتصام الميدان عاجلا أو آجلا..

وإلى جوارها على سطح غرفة تكييف محطة المترو، يقف مراسل قناة الـ" بي بي سي " الإخبارية يتجول بعدسته في أنحاء الميدان.. يسلطها لحظات على طفل رضيع في يد والدته التي كتبت على وجهه عبارة " ارحل من أجلي " وتحمل بيدها الأخرى لافتة تقول : " هذا الجيل يسألك الرحيل ".. وفي المنتصف على الطريق جلست فتاة على الأرض بأدواتها وفرشاتها ومساحيق الألوان ترسم لوحة " تحرير مصر " على أرض الميدان.. وإلى الأمام، بائع الفيشار بعربته الصغيرة، وبجواره يقف بائع البطاطا المشوية بعربته الخشبية وعليها فرنه الصغير وأمامه كومة من البطاطا.. ويخرج القطعة ساخنة من الفرن.. يلفها في ورقة بيضاء قبل تقديمها، ثم يمسح يده ليأخذ ثمنها جنيها واحدا..

ثم يلتفت مراسل الـ" بي. بي. سي فجأة ويدور في الاتجاه المعاكس.. اتجاه عابدين، حيث لفتت الأنظار بقدومها الإعلامية منى الشاذلي، كثير من الشباب اعترضوا على دخولها الميدان، وحاول جنود وضباط الجيش تهدئتهم دون جدوى، رفض الشباب دخولها الميدان بسبب ما أذاعته من تقارير كاذبة وشائعات عن ميدان التحرير والمعتصمين به.. مع أنها طالما حضرت إلى الميدان، فلابد أنها جاءت كي تعتذر لشبابه عما بدا منها دون وعي بحقيقة الأمور وطاعتها العمياء لوزيرها الإعلامي الفاشل أنس الفقي.. ورغم اعتراض الشباب فلم يؤذها أحد وتعاملوا معها بأدب واحترام حتى قامت وانصرفت في هدوء واخذوا وأشارت إليهم " أنتم على راسي

من فوق "وفي ذات الوقت، كان الشباب يحتفلون بقدوم الفنان خالد النبوي في شارع طلعت وسط بهجة الجميع بحضوره، وحمله شاب وسار به إلى قلب الميدان والجميع يهتف خلفه بهتافات الثورة.

وإلى اليسار قليلا تقف مراسلة أجنبية تحاور أحد الشباب المصري بالإنجليزية.. وربما تعثر في بعض الكلمات والتعبيرات، فتساعده هي ببعض الكلمات العربية وبلهجة مصرية "مكسّرة ".. بينما تمر سيدة يظهر عليها الثراء والرفاهية، ومن كلامها يظهر أنها من مؤيدي مبارك، وجاءت لتتفقد الميدان وترى بنفسها كيف يتم توزيع وجبات كنتاكي جاهزة على المعتصمين وعملات أجنبية، كانت تمر على الرصيف أمام مطعم كنتاكي وتتلفت يمينا ويسارا وتبحلق فيمن حولها بغضب وهي تثرثر مع ابنتاها وتقول لها :" الجيش هيجي يشيل القرف ده.. دي سويقة "..

وعلى الرصيف المقابل، يقف مراسل لبناني، يتحاور مع الشاب أحمد بدوي (٢٥ عاما) من القليوبية ومقيم في الميدان منذ أسبوع،هو عضو بأحد اللجان الميدانية الذين يحرسون الميدان، يتحرك أحمد بنشاط، يلقي التحيات يمنة ويسرة، يرحب بالصحافيين الأجانب، يروي لهم قصص المعارك، ويدلهم على مكان تجميع المواد الغذائية أو مركز استقبال المصابين والعناية بهم..وعرض أحمد على الصحافيين الانتقال إلى غرفة عمليات الثورة بميدان التحرير، داخل مقر شركة سفير للسياحية، حيث يلتقي فيه الجميع، يستقبلون الصحافيين، يعطون التوجيهات للشباب الميدانيين، ويحلمون بمستقبل جديد.

وأمام هذا المقر وقف عشرات الشباب حراسا له، وقد شبكوا أيديهم بعضهم ببعض لمنع دخول من لا يريدون وسط هذه الزحمة الشديدة. وبعد نقاش قصير مع أحمد، سمح لمجموعة الصحافيين بالدخول إلى المقر حيث كان بانتظارها القيادي اليساري أبو العز الحريري.. وهنا داخل مقر كان قبل عشرة أيام شركة سياحية ناشطة، يبدو الازدحام خانقا والحركة لا تتوقف وسط صراخ بات ضروريا للتغطية على أصوات فرقة موسيقية في الميدان تطلق العنان لأغانٍ وطنية تعود إلى حرب السويس.

أبو العز الحرير يبدو هادئا وواثقا، أراد بحديثه اليساري الممنهج التخفيف قليلا من طابع الفوضى والعفوية الطاغي على المكان.. قدم نفسه على أنه عضو لجنة الحوار الوطنية التي تشكلت من رموز الثورة للتفاوض إذا لزم الأمر مع أركان النظام في مصر.وتضم هذه اللجنة بشكل خاص محمد البرادعي، محمد البلتاجي من جماعة الإخوان المسلمين، وحمدين صباحي من حزب الكرامة قيد التأسيس (ناصري) وأسامة الغزالي حرب من الجبهة الوطنية الديمقراطية، إضافة إلى "خمسة أشخاص من ممثلي الحركة الشبابية".

ويقول أبو العز "اللجنة لن تدخل في حوار مع النظام قبل رحيل مبارك، إلا أننا مستعدون لإجراء حوار حول

كيفية رحيل" الرئيس المصري. وقال إن عضوين من اللجنة زارا رئيس الحكومة أحمد شفيق لمناقشة كيفية رحيل الرئيس المصري، وأن الرد من شفيق لم يأت بعد، مع أنه وافق على العمل سريعا لإطلاق سراح المحتجزين لأسباب سياسية.

يستخدم أبو العز التعابير اليسارية. فما يحصل هو "ثورة" ونجاحها مرتبط أولا بمدى تصاعد قوتها وضغطها، وهذا يتحقق كل يوم، وثانيا بمدى ضعف النظام القائم، وهو واقع قائم برأيه منذ تعهد الرئيس مبارك عدم الترشح. والمطالب هي "إصدار قرار بقانون لإجراء انتخابات تشريعية بإشراف قضائي، وإنهاء حالة الطوارئ، والإفراج عن المعتقلين، حل مجلسي الشعب والشورى وإجراء الانتخابات التشريعية قبل الانتخابات الرئاسية، قيام البرلمان الجديد بتعديل القوانين الخاطئة الموجودة. "ويقول أبو العز الحريري "إذا كان الرئيس مبارك يريد فعلا الاستقرار فليسهل الأمر ويقوم هو بنفسه كرئيس بحل مجلسي الشعب والشورى وإصدار قرار بقانون لإجراء انتخابات تشريعية بمراقبة قضائية، تنتج سلطة تشريعية قادرة على تغيير ما هو ضروري من قوانين."

وأوضح أنه يطلب ذلك من الرئيس المصري لأن صلاحيات نائب الرئيس لا تتيح له إصدار قانون للانتخابات بقرار. وأكد أبو العز أن المحتجين مستعدون للموافقة على رفع الاعتصام "في حال نقل الرئيس مبارك بالفعل صلاحياته كاملة إلى نائبه عمر سليمان واكتفى بمركز فخري فقط خلال الأشهر القليلة المتبقية له من ولايته. "وعما إذا كانت هذه اللجنة التي شكلوها تعتبر مجلسا لقيادة الثورة، ابتسم أبو العز وقال "لا يمكن أن نكون مجلسا لقيادة الثورة، ونحن نقوم بدور بسيط لفترة انتقالية" ريثما يعاد بناء المؤسسات.

وكان "وليد السخاوي" يقف أمام مدخل المقر بسترة جلد أنيقة وربطة عنق زاهية وهندام يختلف كثيرا عما هو سائد في ميدان التحرير. هو دكتور في علم الموسيقى وطبيب صحة في الوقت نفسه. أما مطالبه فهي بكل بساطة "استقالة الرئيس ونائبه عمر سليمان وكل أعضاء الحكومة ومجلسي الشعب والشورى على أن يقوم رئيس الأركان وقائد الحرس الجمهوري بالقبض عليهم لإجراء محاكمات علنية لهم. "والأمر محسوم بالنسبة له: "إذا لم يتحقق هذا الأمر فلن نكون قد حققنا شيئا". ولكن كثيرا من الشباب حوله علقوا ضاحكين "إنه واقعي للغاية.[٨]

٨ـ المصدر: موقع القوات اللبنانية https://www.lebanese-forces.com/2011/02/05/125226/

ويعود مراسل الـ " بي بي سي" مرة أخرى بعدسته ليرصد قلب الميدان.. ويسلط الضوء على فتاة شابة تدور في الميدان، تدعوا الجميع لحضور صلاة القداس المسيحي غدا يوم الأحد، في الحادية عشر صباحا " مليونية الشهداء " وتعرف الجميع بأسماء القديسين والقساوسة الذين سيحضرون القداس غدا.. ولا أحد يتسبب لها بحرج من عدم حضور المسلمين لقداس مسيحي.. الجميع يعدها بالحضور في بشر وسرور..

وفي هذه الأثناء تهبط المروحية العسكرية قليلا أثناء دورانها في سماء الميدان والجمهور يهلل ويلوح لها بالأعلام واللافتات ويهتفون " مش هنمشي.. هو يمشي.. " و " قولولوا تل أبيب أولى بيه.. والسعودية في انتظاره.. وزين بيدور عليه"، ويصعد رجل في الستين من عمره أعلى حامل إشارة المرور كي يلوح بعلمه الكبير الذي انفرد به فوق رؤوس الجماهير.. ثم يضعه جانبا ويتناول لوحة جلدية رفعها له شاب وتحمل صورة حسني مبارك ويقوم الرجل بالضرب عليها بحذائه والجماهير تصفق وتهتف " حاللو يا حاللو.. مبارك شعبه خلعه.. حاللو يا حاللو مبارك شعبه ذله.. ".

وفي دائرة صغيرة، تحلق الجمهور حول رجل في السبعين من عمره، عريض المنكبين فارع الطول، وقد ارتدى كفنا أبيض وثبت عليه عشرات اللافتات بأحجام وألوان مختلفة وعبارات وشعارات متعددة، تعبر كلها عما يدور في الميدان.. غطى بها جسده كاملا وذراعيه ورأسه باللواصق ووقف يقول للجمهور المحتشد حوله وكأنه بهلوان.. يقول بابتسامة خفيفة " لست مجنونا ولكني أحب مصر.. "

أينما تتلفت يمينا أو يسارا تأثر انتباهك مشاهد إبداعية وخلاقة.. فالجمهور حولك بالملايين.. يتحرك ويتفاعل في تناغم وتلاحم وتنوع خلاق.. هديره يفوق طنين النحل ولا يخفت.. لا نجد فراغا في المكان أو الزمان وحتى الهواء مشحون بالملايين من الهتافات والنداءات والنغمات.. فالشعب بطبعه مبدع أينما كان، يعرف كيف يعبر ويفهم الإشارة والرمز والمعنى.. ويعرف كيف يوصل رسالته بالنكتة والفكاهة مهما كان الظرف صارما.. شعب يدمن العمل والبناء ويجيد الفن والإبداع، ويخلق من أحلك من الظروف معجزاتٍ تبهر العالم من حوله..

وبعد الظهر، توافد إلى الميدان جماهير غفيرة وارتفعت الكثافة البشرية إلى ما كانت عليه أمس (جمعة الرحيل) التي لم يرحل فيها، ووصل العدد إلى أكثر من المليون.. وتوافد الكثير من الشخصيات العامة السياسية والثقافية وكثير من الفنانين والمشاهير الذين لم نكن نر أحدا منهم إلا على الشاشة فقط.. وربما خرج هؤلاء عن صمتهم وقلقهم أو خوفهم من يد البطش والملاحقة الأمنية بعد أن تأكد للجميع أن الكفة مالت بأثقالها في الميدان..

ويأتي دور هؤلاء من البارزين والمشاهير إعلاميا في جذب شريحة عريضة من المجتمع المصري من معجبيهم ومشجعيهم والذين ليس لهم القدرة على تبني رأي ما وإنما ينساقون وراء من يعجبون بفنه.. وهي ذات اللعبة التي لجأ إليها الإعلام المصري منذ بداية الثورة بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية، وتسجيل كلمات موجهة من الفنانين والمشاهير إلى معجبيهم من الجماهير.. وربما لم يكن لهؤلاء المشاهير من الفنانين أي رأي أو انتماء سياسي معين، لكنهم ينساقون وراء الأغلبية والأكثر أمنا لهم، وعلى النقيض، هناك مجموعة أخرى من المشاهير فضلت البقاء في حضن النظام ضمانا للأمن والاستقرار طالما تحققت مصالحهم، ومن أمثالهم، الأخوين حسام وإبراهيم حسن وطلعت ذكريا وأحمد السقا وأرجوز الكوميديا الهابط عادل إمام، وغيرهم من فئة الأوفياء التي تدين بالوفاء والولاء لأصحابها طالما ألقى إليهم الطعام..

وأذكر أنه في منتصف الليلة الماضية، جاء الفنان الشاب تامر حسني وحاول أن يصعد المنصة ليتحدث إلى شباب الميدان ويعتذر لهم عما بدا منه وما قاله في حق المعتصمين، فقد بث الإعلام مقطعا تسجيليا يتحدث فيه تامر حسني إلى الشباب ويأمرهم بالعودة إلى منازلهم وأن يكتفوا بما آلت إليه البلاد من الخراب والفوضى.. لكنه بعدما رجحت كفة الميزان في الميدان جاء ليلتحق بقطار الثورة ويعتذر لشبابها عما قاله في حقهم، لكن الشباب فوجئوا به يصعد المنصة قرب الثالثة والنصف فجرا فهاجموه هجوما عنيفا وكادت المنصة تتحطم بسبب الزحام والتدافع، واعتدى عليه البعض بالإيذاء والإهانة وحطموا نظارته وهاتفه المحمول، وكاد هو أن يتحطم في يد الشباب لولا أن تدخل جنود الجيش وحاولوا سحبه في أمان إلى مقهى " كوفي شوب التحرير ".. ولاحقه بعض الشباب بكاميراتهم وهو يبكي بالدموع والنحيب ويتوسل لمن حوله أن يحضروا له شريحة هاتفه الذي تحطم تماما..

ولم يكن تامر حسني هذا، هو أول المتحولين من المشاهير لتأييد الثورة بعدما رجحت كفتها، لكن الشباب واجهوه برفض شديد لم يحظ به أي من زملاؤه المتحولين، وقد يعود ذلك إلى مواقفه المخزية والمتكررة بصورة وقحة، كان آخرها، أنه جاء يعتذر لشباب الميدان في الساعة الثالثة فجرا بعدما أنهى سهرته الراقصة في الكازينو الليلي، وهذا ما أثار غضب الشباب على العكس تماما من السيدة الإعلامية منى الشاذلي التي حضرت في العاشرة من صباح اليوم، والفنان خالد النبوي في ذات التوقيت وغيرهم.. هذا بالإضافة إلى أنه هارب من الخدمة العسكرية وتعرض للسجن برفقة زملاءه من الخونة.. ولا نعرف كيف لهذا الهارب من شرف العسكرية أن يغني باسم الوطن.. ثم يخرج على شاشات الإعلام يعنف شباب الثورة ويمدح في النظام الفاسد.. ويستغل شهرته في التأثير على الرأي العام لصالح النظام..

فاليوم يوم الفنانين على ما يبدوا.. ومن هنا، كان قدوم مثل هذه الشخصيات العامة له أثره على الرأي العام وانضمام أعداد كبيرة إلى الميدان، بغض النظر عن مدى أهمية هذه الشخصية العامة وغيرها من ناحية الفكر والثقافة أو الانتماء السياسي من عدمه.. خاصة أن غالبية الشعب تتحرك وراء الكتلة، وكما هو معروف أن الكتلة لا عقل لها، لكنها تزن الكثير..

وكانت تعقد حلقات للحوار كل مساء، فلم تكن كافة حلقات السمر ليلا تدور في الغناء والزجل وعزف الموسيقى وإلقاء الشعر، أو التعبير بالنكتة السياسية، بل كانت هناك حلقات سمرٍ ومناقشاتٍ كثيرة تدور حواراتها حول شكل المنظومة السياسية المنتظر تشكيلها عقب نجاح الثورة، وهو ما يتناول المنظور القانوني والسياسي للثورة وكيفية تعطيل وإنهاء الشرعية الدستورية القائمة وتفعيل الشرعية الثورية الجديدة.. هذا الجانب من النقاشات أخذ وقتا طويلا مع تحليل الأحداث الجارية وتداعياتها وما قد تؤول إليه النتائج في النهاية.. تحدثنا عن تجربة الثورة الفرنسية وكيف أدركت أهدافها بمرور وقتٍ طويل، وتحدثنا عن تجربة الثورة الأمريكية وكيف استغرق إبراهام لينكولين ١١ عاما لوضع دستور جديد للولايات المتحدة مازالت مبادئه مستقرة حتى اليوم.. وتحدثنا عن الثورة الإيرانية وكيف انحرف بها مجلس الملالي وكيف تحولت إلى مجزرة سقط على أثرها أكثر من تسعين ألف ذبيحٍ سياسيٍ في الشوارع.. وبالطبع لم نجد نموذجا من هذه الثورات صالحا لاقتباسه، لأن ثورتنا تميزت بطابعها الثقافي واعتصام شبابها في ميدان التحرير الذي أصبح أكثر بقاع مصر أمنا وأمانا خلال أيام الثورة، وهو ما مهد لقدوم الفتيات والنساء والأطفال وكبار السن من المثقفين والسياسيين لإثراء حوارٍ وطنيٍ مفتوح، ما جعل من الميدان مؤتمرا ثقافيا وجمعية تأسيسية لنظام سياسي جديد، وليس مجرد ساحة للممارسات الثورية التي شهدتها أي من دول العالم. هذا إلى جانب الخطب السياسية التي كان يلقيها المثقفين من الشخصيات العامة على منصة الميدان. وأما الجانب الفكاهي في الثورة الذي تناول النكتة السياسية والشعارات الساخرة فجاء لكسر حاجز الملل ولتشجيع الجماهير على الاعتصام والصبر،وقد يكون بعضها بسيطا مضحكًا – لكنها تحمل كثيرًا من الدلالات والبلاغة في التعبير.

وعندما لوحت أشعة الشمس بالغروب كانت أعدادنا تخطت المليون واشتعلت المنصات الإذاعية بالخطب السياسية والأغاني الوطنية، ووقفت السيدة إكرام يوسف الكاتبة على منصة الإذاعة الثانية أمام ساحة مجمع التحرير وتحدثت إلى الجماهير عن خطط النظام الحاكم لفض اعتصام الميدان، وقالت إن آخر لعبة قذرة يتبعها النظام هي الحرب النفسية التي لم تلجأ إليها إلا إسرائيل بين أنظمة العالم في تعاملها مع الفلسطينيين والعرب، وتحدثت كذلك عن اضطهاد النظام للصحافة وتنكيله بالصحفيين والكُتاب والزج بهم خلف قضبان السجون والمعتقلات دون محاكمات وعلى ما يبدو أن حديثها جذب انتباه الكثيرين، ولهذا

تزاحمت الجماهير أمام منصتها أثناء حديثها، فغالبية الناس كانوا يتجولون في الميدان وسط الزحام ويتنقلون بين إذاعات الميدان لاختيار أفضل الندوات والأغنيات والهتافات.. وكانت هذه السيدة تتحدث بصوت شجي وكأن الدموع في قلبها أو كأنها تشتكي إلينا وتستغيث بنا لننقذ الوطن من هذه المهزلة اللاإنسانية.. وتحدثت كذلك عن لقاء تليفزيوني دار بينها وبين وزير الإعلام الفاشل أنس الفقي وسألته : سيادة الوزير.. هل تحب مصر ؟، فقال لها مستنكرا : " إزاي تسأليني سؤال زي ده ؟ دا أنا بحب مصر لدرجة إن نفسي حديقة حيوان الجيزة تبقى أكبر حديقة حيوان في العالم ". ثم قالت لنا وهي تكاد تبكي: أن وزير الإعلام يرى مصر مجرد حديقة حيوان وأن المصريين هم مجموعة من الحيوانات لابد أن تعيش داخل أقفاص حديدية ويلقى لها الطعام.. اشتعل حماس الجماهير على إيقاع كلماتها المؤثرة، وراحوا يتغنون على أوتار العود بكلمات الشاعر الكبير أحمد فؤاد نجم" ناح النواح والنواحة "

****

وصلة خارجية:

رأي الكاتبة أهداف سويف أحداث ميدان التحرير ٥ فبراير ٢٠١١

https://www.youtube.com/watch?v=oo9Nn0WGoWI



(٢١)

" أحد الشهداء "

الأحد ٦ فبراير

في صباح اليوم قررت تغيير خط سيري المعتاد مبكرا إلى ميدان التحرير ، فبدلا من المرور على كوبري قصر النيل، اخترت المرور من الزمالك إلى كوبري أكتوبر.. وكانت رائحة الغاز لا تزال تنبعث في الهواء.. عادت إلى ذاكرتي مشاهد القتل الجماعي للشباب المتظاهرين يوم جمعة الغضب في طريقهم إلى ميدان التحرير.. و كوبري أكتوبر هو معبر غاية في الخطورة كونه قريبا من مبنى الإذاعة والتليفزيون الذي تتوزع حوله بكثافة قوات الحرس الجمهوري والقناصة منتشرين أعلى المباني والفنادق في كل مكان.. والذين تصيدوا المتظاهرين بالجملة قبيل الفجر من يوم الأربعاء الدامي، وما زالوا قابعين فوق الهلتون حتى الآن.. نظرت إليهم بعين السخط ثم وقفت لحظات صمتٍ وحداد.. فتأسرني ذكريات المكان والزمان والحدث.. من هنا عبرت درافيل المتظاهرين تطوي جسرا هائلا من الزمان.. ومن أسفله عبرت الجمال والحمير وحضرات السادة الضباط مع الجمع الكريم من "المواطنين الشرفاء".. وأتذكر بحزنٍ وأسى موقف الجيش الذي وقف ضباطه يشجعون البلطجية على اقتحام الميدان وتصفيته..أرفع كاميرتي باتجاه الأفق.. أحرر العدسة قليلا وأضبط أبعادها.. لتقع على النصب التذكاري للبطل عبد المنعم رياض.. الذي يقف هادئا شامخا بنظرته الثاقبة.. يرفع منظاره الحربي تجاه الأفق، والتف حوله الثوار ملوحين بأعلام النصر عشية انتصارهم في غزوة بني قينقاع..

هذا الجنرال الذي استشهد على جبهة قناة السويس في سبتمبر ١٩٦٩ على أثر قذيفة مدفعية إسرائيلية استهدفته، فبرغم كونه رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة إبان حرب الاستنزاف إلا أنه اعتاد أن ينزل الميادين الحربية ويتفقد جنوده بنفسه.. يتحسس آلامهم وآمالهم بقلبه ونبضه هو لا من تقارير مساعديه، فشعر الإسرائيليون بوجوده فأرسلوا له قذيفة مدفعية أنهت حياته في الحال، لم يقتله القناص الإسرائيلي الذي رصده ، بل اجتمع الضباط حوله وأوقفوه عن الضرب ريثما يوجهوا المدفعية الثقيلة.. يا الله.. كانت ضربة موجعة للمصريين، شعروا بالإهانة والانكسار لمقتل قائدهم بهذه الطريقة البشعة.. فخططوا للانتقام بمعسكرٍ كامل..



كان هو معسكر الصواريخ فوق جبل سانت كاترين، حيث أنشأه الإسرائيليون عقب النكسة وخصصوه لمنصات صواريخ تحمل رؤوسا نووية سيتم توجيهها إلى القاهرة عند اللزوم، وإلى السد العالي عند المناوشة.. وكانت هذه النوعية من الصواريخ حديثة وليس لدى المصريين سلاح مضاد لها، وليس بإمكان أسلحة الدفاع الجوي ملاحقتها، وكانت مزودة بتقنية التوجيه الآلي بالتتبع الراداري، ولها القدرة على

المناورة والإفلات من المقاتلات الاعتراضية، أي سيطلقها الإسرائيليون ويجلسوا في مكاتبهم يوجهونها يمينا ويسارا بالريموت كنترول حتى تتفادى المقاتلات الحربية المصرية التي قد تحاول اعتراضها.. ومن ثم فكر المصريون في الانتقام، فأرسلوا فرقة من القوات الخاصة مكونة من خمسة عشر ضابطا ومهندس وفرد من القوات الخاصة للإجهاز على المعسكر وتدميره بعد سحب إحدى الرؤوس النووية لنقلها إلى القاهرة كي يتم تفكيكها والتعرف على محتوياتها..

وما كان من الضابط المصري ميخائيل، مهندس الصواريخ إلا أن اسلخ من مجموعته واندفع زحفا بأدواته تجاه سور المعسكر ومعه كلبه الحربي عالي التدريب، وتمكن من تفكيك الرأس المخروطي للصاروخ وغرس كل ما معه من ذخائر وألغام إلكترونية- تنفجر ذاتيا بعد وقت محدد –حول سور المعسكر وزحف عائداً، لكن الكلاب الإسرائيلية شعرت بحركته فنبحت عليه، وانشغل كلبه الحربي في مناوشتهم في الظلام حتى يبتعد صديقه ميخائيل، بينما صرخت أجراس الإنذار الإسرائيلية بعدما شعروا بالخطر، اندفع باقي أفراد الفرقة المصرية للتغطية على انسحاب رفيقهم ميخائيل، وانفجر المعسكر بكامله وتفحمت محتوياته، بكل أفراده وضباطه ومعداته ومنصات الصواريخ.. وخلال أربع دقائق كانت قوات الطوارئ الإسرائيلية تحوم حول المعسكر بطائراتها، بينما دخلت مجموعة الاقتحام المصرية في مغارة في بطن الجبل، وظلت طائرات الهليكوبتر الإسرائيلية تحيط بالجبل بكشافاتها عالية الإضاءة ومركزة في كل شبرٍ حول الجبل، واستمر البحث لأيامٍ دون العثور على أحد من المصريين، فجاءت فرقة متخصصة من الإسرائيليين لفحص المغارات في الجبل، وكان عددها ٢١ مغارة، فحصوها جميعها إلا مغارة واحدة لم يتمكنوا من دخولها بسبب وجود خلية نحل بري على مدخل هذه المغارة، وهي المغارة التي اختبأ فيها المصريون، وجاءت لجنة من خبراء النحل لفحص المغارة فلم يدخلوها وكتبوا تقريرهم وعلقوا لافتة قرب مدخلها بامتناع أي بشرٍ الاقتراب من هذه المغارة بسبب خطر النحل البري..

ومع ذلك استمرت القوات الإسرائيلية في محاصرة المكان، لأنهم حصروا عدد الرؤوس النووية فوجدوا نقصا فيها، فتأكدوا أن الفاعل هو فرقة مصرية مُدربة تدريبا عسكريا على أعلى مستوى احترافي، وليسو أشخاص من الفدائيين الهواة في شبه جزيرة سيناء..فحاصروا الجبل بمعداتهم وطائراتهم على مدار خمسة عشر يوما، وبرغم أن المصريين بداخله إلا أنهم رفضوا الاستسلام للذل والهوان، فوضعوا قنبلة يدوية سريعة الاشتعال قرب مدخل المغارة حتى إذا ما دخل عليهم اليهود فجروا المغارة بمن فيها حتى لا يضطرهم الإسرائيليون للاعتراف بأسرار الجيش المصري، ولم يجرؤ اليهود على الدخول فاستمر المصريين في الاعتصام داخل المغارة حتى نفذت مؤنتهم، الماء والغذاء، فقرروا الاستشهاد في سبيل الوطن، أن يرقدوا جميعا صفا واحدا، كل واحد يحتضن سلاحه ويرقد في وضع الدفن طبقا للشريعة الإسلامية، حتى إذا جاءه الموت من شدة

الجوع والعطش، نام على وضعه مكفنا بملابسه العسكري.. فماتوا واحدا تلو الآخر، ومازال الإسرائيليين محاصرين الجبل، وكان كل واحد حينما يشعر باقتراب أجله يتناول المفكرة ويكتب وصيته إلى أهله، ثم تنتقل المفكرة من واحدٍ لآخر حتى انتهت في يد الرقيب مصطفى شوقي الذي كتب آخر لحظات حياته، فذكر أنه يتعرض للإغماء من وقت لآخر ويفقد ذاكرته ثم يفوق وتعود إليه ذاكرته .. هكذا وثق كل شيء في مفكرته حتى سكرات الموت..

ثم مرت عامين ولا يعلم أحد عنهم شيء، بينما كلبهم يذهب صباحا مساءا إلى بئر الماء ليشرب ويلتقط قوته ثم يعود لينام ليله بجوار هياكلهم العظمية.. وفي عام ١٩٧١م كان ضابط المخابرات المصرية عابد المصري قد تم إرساله في مهمة استطلاعية حول مطار رأس نصراني (مطار شرم الشيخ الحربي حاليا)، فعثر الضابط على الكلب الحربي عند بئر الماء، فحاول تتبع هذا الكلب الذي لا يبدو غريبا، ربما كان من كتيبة الكلاب الحربية عالية التدريب والتي استوردتها قواتنا المسلحة من ألمانيا إبان حرب الاستنزاف للاستعانة بها في حرب تحرير سيناء، فوجده يذهب كل مساء لينام برفقة الهياكل العظمية الخمسة عشر المصفوفين على جنوبهم داخل المغارة وأسلحتهم في أحضانهم، ويمتد بجوارهم فتيل القنبلة اليدوية حتى باب المغارة، وعثر على المفكرة التي كتبوا فيها وصاياهم جميعا وعثر بجوارهم على ثقاب الكبريت والقلم وأقراص من الوقود الحربي، وعثر بجوارهم على الرأس المخروطي (رأس الصاروخ النووية التي أحضرها المهندس ميخائيل من معسكر كاترين قبل تفجيره)، فحملها في الظلام وعاد إلى مخبأه في الصحراء وانتظر موعد الإرسال، حيث كانت المخابرات المصرية تستمع إلى ندائه كل يوم في تمام الساعة الخامسة وخمسٍ وخمسين دقيقة لمدة خمس دقائق فقط على إذاعة الشرق الأوسط في برنامج "سلام للأهل والأحباب"، وكان الراديو وقتها يعمل بتقنية الإرسال والاستقبال معا، ففتح عابد جهازه على وضع الإرسال في الموعد مخاطبا: "أستوديو إذاعة الشرق الأوسط.. أيوة يا فاندم .. كل سنة وانتم طيبين.. أخبار الأسرة والأولاد .. سلامي للأهل والأحباب.. ونداء إلى عائلة أبو طربوش والورثة الشرعيين لاستلام الطربوش.."

انتهى نداءه وسلامه إلى عائلة أبو طربوش والتي كانت هي المخابرات الحربية التي يجلس ضباطها في مكاتبهم بالقاهرة ينصتون لإذاعة الشرق الأوسط بتركيزٍ شديد.. وكان الطربوش هو إشارة رأس الصاروخ النووية التي أحضرها الضابط من المغارة، فأرسلت المخابرات المصرية مندوبا إلى مكتب مخابرات السويس ومنه إلى الغردقة ليعبر الخليج في رحلة يرافقه فيها بدوي من أهالي سيناء إلى المغارة ليتسلم الطربوش ثم ينقله إلى القاهرة، ثم ترسله القاهرة إلى روسيا ليتم تفكيكه بهندسة عكسية للتعرف على محتوياته وآلية عمله، ومن ثم تصميم السلاح المضاد له ..

هؤلاء رجال احتضنوا الوطن بين قلوبهم وأرواحهم..كانوا جميعهم حول الوطن.. أما اليوم فقليلون حول الوطن..كثيرون حول السلطة .. فالجيش طالما كان في نطاق العسكرية فهو في قمة الوطنية، وبمجرد أن يستدير إلى الداخل للعب بالسياسة تنقلب المعايير ١٠٠٪ ، لأنه يماس السياسة بأدواته المخابراتية، لكن مع الشعب والقوى السياسية، فيجعل منهم خصما في الملاعب بالسياسة.. فعقب وصول الجيش إلى الصلة بقيادة الضباط الأحر في خمسينات القرن الماضي، وكان الفقيه الدستوري عبد الرزاق السنهوري يعمل جاهدا على إعداد دستور لمصر يحفظ كرامتها، لكن ذلك لم يرق للضباط بأي حال، فالدساتير قيود للشعوب عليهم. ففي صباحات أحد الأيام، استيقظ السنهوري من نومه مبكرا، فسألته زوجته عما به فأجابها بأنه يشعر أن الضباط الأحرار قد استغلوه في تدمير الحياة السياسية في مصر.. طالبته زوجته بالكف عن مهاجمة الضباط الأحرار وأن يتحدث فقط عن عودة الجيش إلي ثكناته كما وعدهم.. فأشار لها دون اهتمام بأنه لن يعود... ثم ارتدي ملابسه وفي طريقه إلي مبني مجلس الدولة بالجيزة، وعند وصوله وجد حالة استنفار أمني فسأل السائق عن السبب فأبلغه أن هناك دعوات للتظاهر.. وفي تمام الساعة الثانية عشر ظهرا تجمع عمال شركة النقل العام بموقف عبد المنعم رياض، وبدأوا يهتفون لعبد الناصر، وفي ذات التوقيت بدأت تتجمع مجموعات من بعض مصانع وشركات القطاع العام وتقابلوا مع مظاهرة عمال النقل العام، وفجأة بدأت التجمعات تهتف بأغرب هتافات في تاريخ البشرية... حيث طالبو بسقوط الدستور وإعلان الأحكام العرفية وسقوط الأحزاب.. ثم توجهت المظاهرات صوب مجلس الدولة وحاصروا المجلس وبدأوا يهتفون ضد السنهوري ونعتوه بالخائن والعميل...



كان باب المجلس مغلقا بسلاسل حديدية لمنع دخول أحد، ودخل الضابط المكلف بأمن مجلس الدولة وطلب من السنهوري أن يخرج إلي حديقة المجلس ليخاطب المتظاهرين، وما إن خرج السنهوري حتى قام مجهول بفتح الأبواب ودخل المتظاهرون وقاموا بالاعتداء علي السنهوري وضربه على رأسه.. ثم تجمع عمال مجلس الدولة حول السنهوري وأخذوه إلي الداخل. ظل السنهوري حتى الليل محاصرا داخل المجلس خائفا من الخروج حتى لا يتم الفتك به في ظل الحصار من الخارج، لم ينقذه من ذلك السجن إلا قدوم الضابط صلاح سالم أحد أفراد تنظيم الضباط الأحرار، اللاعب المخابراتي الكبير، تم لف السنهوري في أحد سجاجيد مكتبه وخرج وسط المتظاهرين. كان يمكن لصلاح سالم أن يخرج بالسنهوري كما هو دون أن يمسه أحد وفي حماية أفراد الجيش، ولكن إمعانا في إهدار كرامته حتى لا يتجرأ علي الحديث عن الدستور مرة أخري... وفي اليوم

التالي كانت النيابة العامة بمستشفي الجلاء تستمع لأقوال السنهوري في واقعة الاعتداء عليه وقتها اتهم السنهوري صراحة الضابط جمال عبد الناصر بالتحريض علي الاعتداء عليه وأنه هو من دبر خروج تلك المظاهرات... وفي اليوم التالي جاء عبد الناصر بنفسه إلي المستشفي لزيارة السنهوري والاطمئنان عليه إلا أن السنهوري رفض أن يدخل عبد الناصر إلي غرفته وعاد عبد الناص مثلما جاء..

نعود للتجوال في الميدان مرة أخرى، وذكريات أحداث الأيام الماضية، حيث كانت الجبهة ولا زالت علي حالها.. آثار الدماء والخراب والدمار.. المصفحات العسكرية المحترقة وبقايا حرب الغجر، لا زالت مبعثرة في مكانها.. الدروع والمتاريس لازالت صامدة وخلفها حراسها من شبابنا.. ولا زالت فرق الصحافة والإعلام العربي والأجنبي تفد مباشرة إلى الجبهة لتتقصى حقيقة الأحداث الدامية على أرض الواقع.. وأكثر ما يلفت النظر أن الصحفيين الأجانب لا زالوا يستخدمون أغطية الرأس والخوذات البلاستيكية لوقايتهم من التراشق بالحجارة الغجرية.. رغم أن الثوار وضعوا أغطية رأسهم منذ يومين.. وبجوار إحدى الدبابات في الميدان، طالعني رجل ملأ الشيب وجهه الأسمر، أظنني قد ذكرته قبل أن يدركني بطرفه.. كان منهمكا في الحديث مع ضباط الجيش أثناء وضعه "شهادة العبور"(٩) على إحدى المركبات العسكرية.. ربما تحدث معهم في ذكرياته عن حرب أكتوبر ورحلة عبوره خط بارليف..فبادرته قائلا " أهلا بك عم سعيد.. هل تذكرني؟ فرد منبهرا: نعم أذكرك جيدا .. واستغرقنا لحظات بالأحضان.. وقال لي: " أعترف بأنك كنت على حق". كانت هذه الكلمات هي بداية حوار دار بيننا.. وهو الرجل الذي تطوع جنديا في حرب أكتوبر المجيدة حينما كان في الثامنة عشر من عمره.. ولا زالت كف يده تحمل آثار طلقة رصاص من طراز كلاشينكوف أطلقها عليه ضابط إسرائيلي على خط بارليف أثناء العبور الأول فاخترقت يده وتركت آثارها إلى اليوم..

هذا الرجل، عملت معه منذ عام، وكان مديرا لإحدى محطات الوقود على الطريق الصحراوي قرب الإسكندرية، كان كلما نظر إلى كف يده وتذكر الحرب، يلعن مصر وشعبها وكل من فيها.. وحاولت أكثر من مرة أن أوضح له بعض الأمور لكنه يأبى، وكان يشتاط غضبا كلما قلت له إنني أحب مصر وأن مصر وطن وليست حكومة.. فيأمر أحد مساعديه ليصعد إلى السطح ويحضر علم مصر من فوقه ويمزقه قطعا ليمسح بها مكتبه وحذاءه ثم يضعها تحت قدمه طوال اليوم.. وكان كل صباح قبل بدء نوبة العمل بالمحطة ينادي عليَّ ويسألني : لسه بتحب مصر يا محمد؟ فأقول له : طبعا، مصر هي وطن وليست حكومة، فيأتي بقطعه من العلم يمسح بها مكتبه وحذاءه، ثم يضعها تحت قدمه طوال اليوم.. وهكذا كل يوم حتى

٩ـ عقب الانتصار في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م منحت الحكومة المصرية كل من عبروا قناة السويس وخط بارليف في فرق ووحدات الجيش المصري " شهادة عبور " وهي بمثابة شهادة تقدير من الحكومة تمنح للضابط والجنود الذين اشتركوا في عمليات العبور الأولى.

اهترأ العلم وتمزق تماما وتحول بألوانه الثلاث (الأبيض والأحمر والأسود) إلى لون حذاءه.. كان كل يوم ينتقم من حبي لمصر بسبب انتقام مصر منه كما قال لي، فقد شارك عم سعيد في حرب أكتوبر وعبر خط بارليف ولا زالت يده تحمل آثار الحرب ولا زال يذكر رصاصة الكلاشينكوف التي اخترقت كف يده، ونال العديد من الجوائز والمكافآت والإعانات الشهرية والسنوية ، كان يعيش بكرامة وسط أهله في عهد السادات، لكن كل شيء توقف عقب اغتيال الرئيس السادات.. وجرده عصر مبارك من كافة مصادر رزقه، حتى أنه لم يجد فرصة عمل وسط الشباب برغم شيب رأسه، وألقت به الأقدار للعمل في محطات الوقود بعدما جاوز الستين من عمره، ولهذا يكره مصر ويلعنها وشعبها كل يوم.. وقد حاولت أكثر من مرة أن أوضح له الفرق بين مصر.. الأرض.. والوطن.. والشعب والتاريخ.. والحضارة.. وما بين مصر الحاكم الذي قد يكون عادلا أو ظالما فهو في كلتا الحالتين راحل.. وحاولت أن أقنعه بأن مصر هي وطن حتى لو اغتصبها حكامها لآلاف السنين، لكنه كان يرفض الحوار معي في هذا الأمر مُصرًا على رأيه. وكنت أعرف جيدا أن هناك مثله الكثير يكرهون وطنهم بسبب الظروف التي وضعهم فيها نظام حسني مبارك..

حالة عم سعيد ليست فريدة من نوعها، بل هناك غيرها كثير، ولا يفسر هذا الشعور الوطني المقيت سوى ما قاله أستاذنا الدكتور عبد الحليم قنديل في نظريته عن السياسة الجوفية، حيث يقول: "إن المجتمع المصري منذ كامب ديفيد وحتى ٢٥ يناير كان من أبرز ما حدث فيه هو التوقف عن التصنيع وعن التنمية الاقتصادية ونتج عن هذا نوعان من الهجرة. هجرة في الجغرافيا بحثا عن العمل والرزق، وهجرة في الزمن بحثا عن الخلاص في الدين والأصولية الدينية، وهما هجرتان ساهمتا في تحويل المجتمع المصري إلي ما يمكن تسميته بالغبار البشري، أناس ينتظرون علي رصيف السفر، وأجيال تعلم أبناءها لكي يهاجروا، وفي عهد مبارك حدث انفصال واضح بين المصريين ومصر، بين الناس والوطن، وحدث بطء شديد في عملية التطور الاقتصادي والتصنيعي، وجرت عملية فرز للطبقات والفئات الاجتماعية، وهو الأمر الذي يفسر انهيار الهياكل السياسية العلنية منذ ١٩٧٧ وحتى الآن ليجري اختزال حيوية المجتمع المصري فيما يسمي بالسياسة الجوفية التي أنتجت آبار الغضب الهائل.."

أما، وقد تقابلنا اليوم وجمعتنا أقدارنا في جمهورية التحرير، فقد تغير حال "عم سعيد" وعاد إلى فطرته السليمة التي دفعته لتلبية نداء الوطن في حرب أكتوبر، وهو لم يزل بعد صغيرا.. واعتذر عما فعله سابقا بعلم مصر في مكتبه وألح في مصالحتي، وقال: انتم جيل الشباب لديكم الطموح والأمل في المستقبل، وما زال لديكم الوقت والعمر لتصنعوا أحلامكم. وأما نحن الكبار فقد غطى الشيب واليأس أعيننا.. لكن أراد لي قدري أن أكون بطلا على خط بارليف، وشاهدا على الثورة في جمهورية التحرير..وكان قد وضع شهادة عبوره على إحدى المركبات العسكرية وعليها كافة بياناته ورقم هاتفه.. فأخذته من يده المصابة

وانطلقنا معا نتجول في الميدان.. أخذته إلى "منشر" خشبي علق الشباب عليه بقايا ملابس الشهداء المخضبة بدمائهم، وقلت له: هذه شهادة عبور كوبري قصر النيل.. أنتم عبرتم خط بارليف ونحن عبرنا قصر النيل.. كان عبوركم من النكسة إلى الشرف، أما عبورنا جاء من الظلم إلى العدل ومن القمع إلى الحرية..

بين الجماهير والمدرعات والحافلات المحترقة والدروع والمتاريس وأكوام الحجارة والأسلاك الشائكة، دارت العديد من المحاورات الصحفية مع المثقفين وشباب الثورة حول الأحداث الدامية في حرب الغجر الذين جاؤوا بالخيول والجمال والحجارة والسيوف والخناجر وكل أسلحة العصور الوسطى.. هذه الأحداث التي كان البعير فيها هو القشة التي كسرت ظهر البعير الذي فكر في مواجهة اللاب توب بديوان امرئ القيس "مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معا.. كجلمود ضخرٍ حطه السيل من علٍ".

وبين الحطام والركام والأحجار والدروع، يتجول وفد صحفي من كوريا بصحبة فتاة مصرية تترجم لهم كل ما تراه وتسمعه، وهم يتساءلون حول كل ما تقع عليه أعينهم.. وتستعين بالشباب حولها على تقصي الأحداث ومعرفة تفاصيلها وأماكن القناصة ورماة الأحجار والمولتوف.. إلا أن الكوريين كانوا يتحسسون كل شيء بأناملهم.. آثار الحجارة وكسر الرخام وزجاج المولوتوف ، وتعجبوا من وقوع هذه الأحداث على بعد مترين من ضباط الجيش، وكيف سمحوا بحرق معداتهم .. وتساءلوا عن إمكانية الصعود إلى أسطح العمارات، حيث كان يقف مؤيدو مبارك ويقذفون الحجارة وزجاجات المولوتوف على الشباب المعتصمين بالميدان يوم الأربعاء الدامي.. فصعد بهم مجموعة من الشباب أعلى سطح العمارة المطلة على الجبهة، وبدؤوا يشرحون لهم كيف بدأت الأحداث عند هجوم أنصار مبارك، وما كان عليه موقف الجيش من الحياد السلبي بين الطرفين.. وأشاروا لهم على وكر القناصة فوق فندق رمسيس هيلتون على بعد خطوات.. وأماكن البلطجية[١٠] الذين كانوا يرشقون شباب الثورة بالأحجار وقنابل المولوتوف الحارقة من فوق أسطح العمائر.. وتعرفوا على المشهد العلوي وعلى الخريطة الجغرافية لميدان التحرير وملحقاته ومنشآته الحيوية..وأخذوا يلتقطون صورا تذكارية لكل ما تقع عليه أعينهم.. أو يلوح لهم من بعيد.. وبعدما نزلوا، تفقدوا المستشفيات الميدانية المنتشرة في كل مكان، واتجهوا مباشرة إلى السجن الميداني الذي حبس فيه الأشقياء يوما بليلة حتى تم تسليمهم إلى ضباط الجيش.. وكانت آثارهم لا تزال باقية خلف بوابة المترو، والأقفال والسلاسل التي أغلقت عليهم أبواب السجن طوال الليل.. وبعدها تحركوا إلى غنائم موقعة الجمل، وكانت معروضة خلف منصة الإذاعة الرئيسية، ، وتفحصوها واحدة واحدة.. سرج عربي أصيل، وحدوة

١٠- إشارة: كلمة بلطجي أصلها العربي بلطة، وهي كل أداة حادة وقاطعة، وأضيف إليها المقطع التركي "جي" بعد حذف التاء فصار اسم الفاعل منها "بلطجي" ومثلها سفرجي وقهوجي.

وركاب ولجام وكرباج وحذاء "ميري" وخرطوش وقنابل غاز مسيل للدموع ودرجات نارية وقنابل مولوتوف وسيوف وخناجر وقضبان حادة وسلاسل معدنية وقنابل يدوية بدائية الصنع وبطاقات شخصية (بدون عمل – أمين شرطة – ضابط شرطة برتبة ملازم – قطاع الأمن العام بوزارة الداخلية)، وكارنيهات شرطة سرية وأمن سري وبطاقات انتخابية للحزب الوطني، وصور شخصية بالزي العسكري لوزارة الداخلية وأحذية "ميري"..







وتفصلها خطوة واحدة على يمين المنصة وحدة الأمانات، حيث يجلس مدير لأحد البنوك المصرية وقد تطوع لمساعدة الشباب، فجلس وأمامه طاولة عليها أشياء ومتعلقات شخصية فقدها أصحابها أثناء تجوالهم واعتصامهم في الميدان، مثل الهواتف المحمولة، ومفاتيح شقق سكنية ومفاتيح سيارات وبطاقات شخصية وجامعية أو مبالغ مالية وأشياء أخرى.. وكانت مهمة الأمين أن يجلس إلى طاولة الأمانات وعندما يأتيه شخص فقد شيئا من متعلقاته في الميدان، فيدلي بعلاماتها ويأخذها فورا..

ورصدت "المصري اليوم" ذلك المشهد ونشرت تقريرا بعنوان: «إسماعيل» مدير بنك يشارك في الثورة

" وسط الزحام الشديد في ميدان التحرير، ما بين متظاهرين يرددون الهتافات وحاملي اللافتات والباعة الجائلين والسياسيين، والأطفال الذين يحملون علم مصر فوق رؤوسهم، جلس رجل أربعيني يرتدى زيا أنيقا، على كرسي بجوار أحد أرصفة الميدان، لا تظهر عليه علامات تفسر سبب وجوده في المكان، فهو يهتف قليلا ويصمت طويلا، ولم يحمل لافتة أو يكتب إحداها، ولكنه وضع أمامه منضدة مغطاة بقطعة قماش تخفى

ما تحتها.. وبالاقتراب منه تظهر هويته من جملة كتبها ولصقها على كتفه، وهي موجودة أيضا على كتف اثنين بجواره، تقول «لجنة أمانات الثورة».

مع بدء المظاهرات جاء إسماعيل عبدالله – مدير عام بأحد البنوك إلى الميدان ليعبر عن رأيه كغيره من المتظاهرين، خاصة بعدما أغلقت البنوك أبوابها وأصبح لديه متسع من الوقت للقيام بذلك، وبمرور الوقت بدأ يجد بطاقات شخصية سقطت على الأرض بعد أحداث يوم الرحيل الذي شهد معركة ضارية بين مؤيدي ومعارضي مبارك، فبدأ ينصح الشباب بجمع كل ما يجدونه من أموال أو متعلقات شخصية لوضعها في لجنة الأمانات إلى أن يسأل عليها صاحبها، ولتبقى المظاهرة قائمة بشكل متحضر، على حد تعبيره.

يحكي «عبدالله» قصته مع المظاهرات فيقول: «في البداية جئت لأعبر عن رأيي لمدة دقائق وأرحل، ولكن بعد اختفاء شقيق زوجتي الذي من المحتمل أن يكون من المعتقلين، وبعد وفاة ٣ أولاد من أبناء شارعي تغيرت نظرتي للمظاهرة، وزاد اهتمامي بضرورة تواجدي هنا، وبالفعل بدأت أحضر وزوجتي للميدان لساعات طويلة، لنعلن عن غضبنا لما حدث من اعتقال أو قتل، وبمرور الوقت جاءت فكرة لجنة الأمانات للحفاظ على متعلقات المتظاهرين».. وبمجرد أن رفع «عبدالله» الغطاء عن المنضدة، ظهرت عشرات البطاقات الشخصية ورخص القيادة وعدد من الهواتف المحمولة والساعات والمحافظ الشبابية والنقود، مفقودات كثيرة تنتظر أصحابها.

ورغم عودة البنوك للعمل رفض «عبدالله» استئناف عمله ويوضح السبب قائلا: «لن أعود إلى عملي حتى يتم الإفراج عن شقيق زوجتي وتحقيق مطالب الثوار الشهداء الذين سالت دماؤهم على قارعة هذا الميدان، فالأمر بالنسبة لي أصبح أشبه بالثأر لشباب لا ذنب لهم سوى أنهم أرادوا الحرية».(المصري اليوم)

وخلف المنصة الرئيسية تقبع غرفة الهندسة الإذاعية لثورية، وشكل شباب الائتلاف حلقة نصف دائرية احتوت كافة الأجهزة اللازمة لإدارة وتشغيل الإذاعة وشاشة العرض الكبرى، هذه الحلقة عبارة عن استديو بث إذاعي وتليفزيوني مباشر، حيث احتوت أجهزة لاب توب وبروجيكتور (جهاز عرض سينمائي) وأجهزة استقبال الإرسال التليفزيوني لعرض القنوات الإخبارية على الشاشة الكبرى، وكاميرات فيديو وأجهزة تسجيل ومخرجين ومهندسين شباب، بالإضافة إلى أعضاء اللجنة المنظمة لعمل الإذاعة وإعداد فقراتها وندواتها وترتيب الشخصيات العامة والمثقفين، كل ينتظر دوره لإلقاء كلمته، ويتم فحص الطلبات المقدمة مسبقا من خلال اللجنة المنظمة للإذاعة.. وحتى الصور ومقاطع الفيديو التي توثق أحداث الثورة منذ جمعة الغضب يتم فحصها وعرضها على الشاشة من حين لآخر..

بعد هذه الجولة السريعة ، تقابلت مع مجموعة من أصدقاء الاعتصام ، وجلسنا نطالع الأخبار في جريدتي الصباحية، نقرأ معا:

- الجيش أنقذ 20 صحفيًا بقناة الجزيرة من البلطجية
- قضاة يدعون لإعداد دستور جديد احترامًا لشرعية الثورة
- رياح: 25 يناير" العاصفة تهب على الكنيسة
- سيناريو التفاوض في وجود مبارك يصطدم بمخاوف التراجع ..ودعاة رحيل الرئيس يواجهون شبح الفراغ الدستوري
- متظاهرو التحرير يستعدون لأسبوع صمود
- الدعوة لتأسيس حزب جمهوري يمثل ثوار التحرير
- الآلاف يتدفقون رغم حصار البلطجية للميدان ومحطات المترو
- أساتذة جامعة الإسكندرية :صامدون حتى النصر
- «أسبوع الصمود» يبدأ في الإسكندرية
- « أطفال معتصمون يهتفون: يادى الذل ..ويادى العار ..أخ بيضرب أخوه بالنار
- القبض على « مخبرين سريين » حاولوا إفساد المسيرات .. وتجديد الدعوة لمظاهرات حاشدة اليوم بالميادين العامة
- توزيع وجبات للجان الشعبية في مطروح
- د.محمد فوزي مساعد وزير الداخلية الأسبق: معظم رافعي لافتات" نعم لمبارك" دفعتهم جهة عجزت عن إجهاض الثورة
- مسيرات التضامن مع الثورة تجتاح العالم
- لافتات بكل اللغات:" شيكاغو تحب مصر" و"تعيش الثورة العربية"
- سيناريوهات أمريكية لحل أزمة التنحي
- نيويورك تايمز : اقتراح بإقامة مبارك في شرم الشيخ لحين نهاية ولايته أو رحلة علاج طويلة إلى ألمانيا
- الساهرون في دولة التحرير الحُرة يغنون للصباح
- غضبة التحرير تتحول إلى ابتسامة بحجم فيسبوك

- استقالة هيئة المكتب السياسي للحزب الوطني الديمقراطي الحاكم بالكامل، بما تضمه من أسماء جمال مبارك وصفوت الشريف وذكريا عزمي، وتعيين الدكتور حسام بدراوي كأمين عام للحزب وأمين لجنة السياسات.
- المبعوث الأميركي لمصر فرانك وايزنر يؤكد أن مبارك يجب أن يبقى في السلطة حتى يدير التغييرات المطلوبة، والإدارة الأمريكية تعلق بأن وايزنر يعبر عن رأيه الشخصي.
- الجيش المصري يطالب المتظاهرين بمغادرة ميدان التحرير.
- مبارك يجتمع بوزراء الاقتصاد والتجارة والنفط في إشارة إلى أنه ما زال يمارس صلاحياته
- وفاة الصحفي بجريدة الأهرام أحمد محمد محمود بخيت متأثرا بإصابته أثناء تظاهرات يوم ٢٩ يناير
- وضع وزير الداخلية الأسبق حبيب العادلي مع ٣ من كبار مساعديه وقياداته تحت الإقامة الجبرية تمهيدا للتحقيق معهم
- تفجير أنبوب الغاز بين مصر والأردن، وإسرائيل تعلق وارداتها مؤقتا من الغاز الطبيعي المصري بعد الهجوم
- صحيفة الغارديان البريطانية تنشر تقريرا مفصلا عن تقديرات خبراء اقتصاديون من الشرق الأوسط لثروة عائلة مبارك بنحو ٧٠ مليار دولار أمريكي، تتركز غالبيتها في أرصدة في بنوك بريطانية وسويسرية وعقارات في لندن ونيويورك ولوس أنجلوس، فضلا عن امتلاكها مساحات راقية واسعة في مدينة شرم الشيخ على شواطئ البحر الأحمر
- محاولة فاشلة لاغتيال عمر سليمان نائب الرئيس

يبدو أن الثورة قد استقام مسارها وبدأ الدعم الدولي، حتى أن الإدارة الأمريكية رفضت الاعتراف بما قاله سفيرها عن ضرورة بقاء مبارك حتى إتمام الإصلاحات، لكن الملفت للنظر هو هذا التقرير الذي نشرته صحيفة الغارديان البريطانية، فنحن كنا على علم بأن نظام مبارك فاسد ويسمح للمنتفعين بالتطفل حول السلطة، ولكننا لم نتوقع أن يكون مبارك نفسه لص يسرق أموال شعبنا.. خصوصا لو علم البسطاء من هذا الشعب المسكين بموضوع هذا التقرير سيهبون من بيوتهم الآن إلى الثورة..

في منتصف الميدان تقف شجرة متوسطة العمر تحمل لافتة قماشية مكتوب عليها" اللهم اجعل هذا البلد آمنا ". وبجوارها أمام علق الشباب في قائم المرور لوحة جلدية كبيرة تحمل صورة لشخصية عسكرية.. مكتوب عليها: لن ننسى شهداء مصر

والواجب.. هو الشهيد اللواء محمود البطران (مدير مصلحة السجون بالفيوم) قتله زملاءه من ضباط الشرطة في صباح يوم السبت ٢٩ يناير، حيث كان في زيارة تفقديه لسجن القطا لتهدئة المساجين ومنع هروبهم بمساعدة الضباط.. لأن الضباط في بعض السجون استعدوا لتنفيذ خطة وزارة الداخلية (الخطة ١٠١) وقاموا بقطع المياه والكهرباء عن المساجين كي يتمردوا ويكسروا القضبان وينطلقوا في الشوارع لترويع المواطنين، ومن ثم إجبار المتظاهرين على العودة لمنازلهم..

ومن بين القفشات التي أثارها المتظاهرون حول هذه الشخصية، هو رغبتهم في تحريك العيد القومي للشرطة مسافة أربعة أيام من التاريخ ليصبح ٢٩ يناير من كل عام عيدا قوميا للشرطة يجسد فيه بطولة اللواء البطران الذي تحدى زملاءه وانتصرت إرادته على الفساد.. فحتما سيحتفل المتظاهرون كل عام بانتصارهم على الشرطة في هذا التاريخ ٢٥ يناير، ومن المنطقي أن يحتفل رجال الشرطة بانتصارهم على أنفسهم بعد ذلك بأربعة أيام ٢٩ يناير.. ففي ٢٥ يناير الأولى عام ١٩٥٢ تصدت قوات الشرطة بقسم الإسماعيلية لقوات الاحتلال الإنجليزي ورفضت تنكيس العلم المصري، وإن لم تنتصر الشرطة المصرية في النهاية ووقعت مجزرة بشرية مؤسفة، وقدمت الشرطة تضحيات هائلة.. لكن في النهاية فهو يوم تضحية وليس نصرا، ومن المهم أن تكون الأعياد القومية تخليدا لذكرى انتصارات وليس انكسارات كي تغرس في الأجيال القادمة روح العمل والبناء والإنتاج ، لا تقديس الماضي والدماء فقط والتمسح بتضحياته لأن ذلك لا يثير في النفوس سوى النوستالجيا أو الحنين إلى الماضي وهو صفة غير مرغوب فيها على كل حال.. أما إذا كان الاحتفال بنصر أو إنجاز ما، فهذا يثير الروح الإيجابية لإعادة تجسيد هذا النصر أو تكملة مسيرة الإنجاز بصورة عصرية، عكس الحال من الاحتفال بواقعة تضحية ونزيف وخسائر ودماء سالت هدرا دون نصر.. ثم ماذا يستدعي الاحتفال بواقعة مقتل ٨٠ إنسان ظلما وعدوانا؟ وكيف تقوم الشرطة اليوم بعد ٦٠ سنة من هذه المجزرة بالاحتفال وتوزيع الورد والشيكولاتة في الشوارع والمطارات؟ إنهم يوزعون شيكولاتة كثيرة جدا بحجم الدماء التي سالت في ذات التاريخ..مع أن الطفل بطبيعة الحال يحلم بأن يكون عظيما مثل سعد زغلول وطلعت حرب، ولا يحلم بأن يكون من نكسة ١٩٦٧ الذين تم قتلهم ظلما مثلا.. وبالتالي لم يعد ٢٩ يناير مناسبا للاحتفال به كعيد قومي للشرطة أيضا، خاصة أن التضحية والبطولة الشرطية قدمها شخص واحد ضد أغلبية زملاءه، بينما أغلبية الضباط هم من قتلوا هذا البطل، ولو لم يكونوا جميعهم قتلوه فقد اشتركوا جميعا في واقعة الخيانة العظمى للوطن حينما انسحبوا من مواقعهم عشية جمعة الغضب تنفيذا للخطة (١٠١)، حتى قطاعات الشرطة التي ليست لها أي صلة بالمظاهرات مثل أفراد تأمين الشركات والبنوك والمستشفيات والمترو انسحبوا من مواقعهم تنفيذا للأوامر.. وقد تحولت ذكرى أحداث يناير في أذهان الشعب عيدا قوميا لانتفاضة الشعب.

فاليوم يوم الأحد، مليونية الشهداء، ومع أن كثيرين يعتقدون أن الشهداء هم فقط من سقطوا من الشباب المتظاهرين برصاص قوات الأمن وتحت عجلات مدرعاتهم.. لكن الميدان له منطق آخر.. فالشهيد هو من ضحى بروحه فداءا لوطنه، ولذا كانت صورة اللواء محمود البطران هي أول صور الشهداء التي دخلت الميدان صباح اليوم وأكبرها حجما.. وإلى جوارها لوحة أصغر منها تحمل صورة لطفل صغير، عندما تقترب منها تقرأ : الشهيد بلال سالم.. أول شهداء الثورة.. قتل برصاص الأمن في مدينة رفح – العريش يوم الثلاثاء ٢٥ يناير.. كان يملأ زجاجات المياه ويقوم بتوزيعها على المتظاهرين ثم يعود ويملؤها ثانية فقتله ضباط الأمن".

وهنا في الجهة الأخرى من المنصة صورة للشهيدة سالي زهران (عروس الثورة) التي سقطت عصر جمعة الغضب من شرفة منزلها عندما منعتها والدتها من الانضمام إلى المظاهرات التي تمر أمامها في الشارع، فحاولت النزول من شرفة المنزل فاختل توازنها وسقطت على الأرض هامدة.. ومن المؤسف أن يأتي شيخ سلفي ليشق الصف الوطني بغبائه .. في هذا الجو المفعم بالوطنية والإيثار والفضيلة، جاء الشيخ السلفي في الصباح ونزع صورة الشهيدة سالي زهران رافضا اعتبارها من الشهداء بحجة أنها غير محجبة ! وهذا ما أثار ضجة في الميدان، وتمسك الشباب بنشر صورتها في كل مكان حتى حظيت على لقب " أيقونة الثورة "، ثم في مساء المليونية ذاتها صارت " موناليزا الثورة" وصارت الصحف المستقلة تتزين بها في صفحاتها الأولى.



كلما تحركت خطوة للأمام أو الخلف طالعتني صور تحمل الكثير من الحكايات والأمجاد.. فوراء كل صورة حكاية شهيد لابد أن يذكرها التاريخ ويحفها بالمجد.. هكذا كُنا نطبع ونغلف صور الشهداء بأسمائهم وآخر حكايتهم في الميدان.. وعندما أشارت ظلال الشمس إلى التاسعة صباحا، وبدأت إذاعات الميدان كلماتها الافتتاحية، كانت الأعداد في الميدان تقترب من المليون ونحن لازلنا في بداية اليوم.. والتاريخ يطل بوجهه على الثورة من جديد، يسجل أغنياتها ولافتاتها وهتافاتها واليوم أضاف شهدائها فامتلأ الميدان بلوحات ولافتات تحمل صور الشهداء مع آخر رسائلهم للشعب.. هؤلاء بدمائهم سطروا التاريخ.



ربما قامت الثورة بسواعد الشباب وصرخاتهم الغاضبة ودمائهم التي روت الطرق والأرصفة والميادين، وربما عانت كثيرا من التعتيم الإعلامي والتضليل المتعمد من النظام وأعوانه وأبواقه الكاذبة.. لكنها في الوقت ذاته وجدت من يساندها بقوة من المثقفين ورجال الأعمال الوطنيين الذين ضحوا من أجل الثورة بالكثير وخاطروا بسمعتهم وهي رأسمالهم وعرضوا مستقبلهم وحياتهم للخطر في حال إذا ما أحكم النظام قبضته على رقاب الثوار ومن ساندهم.. ولا نخص بالذكر شخصا دون آخر، فالشرفاء كُثر.. لكننا نذكر موقفا نبيلا قام به المهندس ممدوح حمزة، حيث كان قد تبرع بمبلغ مليون جنيه لصالح وزارة التعليم العالي منذ عام قبل الثورة كي تجهز بعثة من خمسمائة طالب من خريجي كليات العلوم والهندسة حتى يساهموا في ارتقاء العلوم والتكنولوجيا الحديثة في بلادهم، لكن الوزارة لم تصغ لطلبه، وظل المبلغ وديعة في أحد البنوك حتى قامت الثورة فاستعان به في دعم الثورة وتوفير الإسعافات والمواد والطبية والأغطية وأجهزة الإذاعة الميدانية ومكبرات الصوت والمطبوعات والمنشورات.. وفتح مكتبه للجميع وكذا مطبعته الخاصة لطبع جميع المنشورات واللوحات دون مقابل ودون رقابة منه على أحد ممن يخالفه في الرأي أو الفكر.. فالعمل من أجل الوطن.. وهذا ما ساهم في إذكاء الروح الوطنية والثورية بآلاف المنشورات واللافتات ومئات من صور الشهداء التي غطت أرجاء الميدان..

وهنا وقعت الكثير من المشاهد التي يندى لها الجبين.. حيث كانت الفكرة في جمع صور الشهداء من المستشفيات والأحداث الدامية ثم طبعها ونشرها في الميدان وفوجئ الكثير بوفاة أقاربهم وذويهم وأصدقائهم لم يكونوا وقد علموا بوفاتهم بعد إلا من خلال الصور التي علقت للشهداء في الميدان ونقلتها شاشات التلفزة العالمية.. وأذكر من بين هذه المشاهد أن سيدة جاءت تهرول إلى الميدان باحثة عن ولدها بين الشباب وقد تغيب عنها منذ أحداث الأربعاء الدامي.. وبمجرد اقترابها من المنصة، فوجئت بصورته على لوحة معلقة بين صور الشهداء، فانهارت وسقطت على الأرض، وحاول الجميع إفاقتها ومساندتها، إلا أنها أصرت على أن تفحص صورة ابنها وملامحه ولازال فؤادها متعلق بروحه لا تصدق أنها لن تراه مرة ثانية.. فظلت تبكي وتصرخ في حالة من الهذيان حتى توقفت الإذاعة حدادا على روح ولدها الشهيد..

فاليوم ملحمة الشهداء.. فهناك صور ولافتات معلقة في كل مكان.. وصور لشهداء في المشرحة وثقوب الرصاص منتشرة على صدورهم ووجوههم.. وآخرين سقطوا تحت عجلات المدرعات العسكرية وبعضهم تلاشت ملامحه وغطت وجوههم الدماء وكتب على صورهم " شهيد مجهول " إذ لم يتسنى لذويه التعرف عليه بعد.

وكان الأستاذ روبرت فِسك يتجول بين الجماهير المتزاحمة وقد أذهلته المشاهد في الميدان، خاصة في مليونية الشهداء، فكتب يقول: " كل الثورات لديها "شهداءها"، وكذلك ثورة المصريين، وأخص بالذكر منهم؛أحمد بسيوني، والشابة سالي زهران، ومحمود محمد حسن، و"مجهول" ، توجد في لافتات بكل مكان في الميدان، مع صور لرؤوس مشوهة في بشاعة.. عبارة واحدة مطبوعة بجانبها تقول بحسم " إذا تركت الحشود التحرير الآن.. سيكون هذا بمثابة خيانة لهؤلاء الشهداء ". وإذا حقا صدقنا نظرية "النظام الحاكم أو الفوضى" التي لازالت تستحوذ على واشنطن ولندن وباريس، فسيكون أيضا بمثابة خيانة للطبيعة الإنسانية، والديمقراطية المتحضرة لهذه المظاهرة العظيمة".



وكانت المسيرات تجوب الميدان في مجموعات متحركة في اتجاهات مختلفة وسط الزحام وبهتافات تنوعت ما بين " يا حرية.. فينك.. فينك.. دم ولادنا بينا وبينك " و " يا شهيد نام وارتاح واحنا نكمل الكفاح.. "، كانت الجماهير تخترع أوزانا شعرية غنائية عجيبة في الهتافات والشعارات تتطور باستمرار مع الأحداث متنوعة ما بين العربية الفصحى واللهجة المصرية التي طبعت صورا فنية من الفلكلور الشعبي عبرت عن مكنون النفوس ومخزونها الثقافي المتنوع ووعيها الجماعي المفعم بالشعور والحس الوطني..

أما الأغنية التي سيطرت على الإذاعات في ذلك اليوم هي أغنية " أنا أم البطل " للمطربة شريفة فاضل التي غنتها في أول احتفال بنصر أكتوبر في بورسعيد عام ١٩٧٤ م، وأطلق المعتصمون بالونا صغير به شعلة تدفعه

للارتفاع في سماء الميدان فاتجهت إليه أنظار وعدسات الجميع وكان مكتوبا عليه أسماء بعض الشهداء تحية لمجدهم.

وفي الحادية عشر صباحا أقيم القداس المسيحي وحضر الصلاة مجموعة من القساوسة ورجال الكنيسة لتأدية القداس مع الجماهير المحتشدة في الميدان، وصعدوا جميعهم منصة الإذاعة الرئيسية وبدأوا في إنشاد التراتيل المسيحية، وطلب أحد القساوسة من جميع الحضور أن يرفعوا أيديهم معه بالدعاء قائلا: " الإخوة المسلمين.. ادعوا معنا، فلن أقول شيئا يخالف دينكم " فرفع الجميع أيديهم بالدعاء.. وبعد صلاة القداس تحدث محام قبطي عن الوحدة الوطنية في مصر وتاريخها وكيف حافظ الشعب المصري على وحدته على مدار العصور، وأنه ليس شعبا طائفيا لأن مصر بلد الأنبياء ومهد السلام، وذكر أنه نزل من بيته في الواحدة ليلا من جمعة الغضب عقب الانفلات الأمني الذي انتشر في البلاد، وحاول تفقد الكنيسة فوجد مجموعة من الشباب المسلمين واقفين في حراستها، وأنها لم تقذف بحجرٍ واحد رغم أن ٩٩ من أقسام ومراكز الشرطة تم حرقها وهدم بعضها..فصفق له جميع الحاضرين تحية له.وبعد ذلك أدى المعتصمون صلاة الظهر وتبعتها صلاة الغائب مرة ثانية على أرواح الشهداء وختمت بالدعاء لهم ولمصر بالنصر والسلام.

وفي الثانية ظهرا، قدمت مسيرة أساتذة الجامعات المصرية التي تحركت من أمام جامعة القاهرة حتى وصلت ميدان التحرير من مدخل قصر النيل، واستقبلتها الجماهير بالهتافات " الشعب يريد إسقاط النظام".. ومن جهة قصر العيني وصلت مسيرة أخرى حاشدة من طلاب كليات المجمع الطبي، تحركت من أمام مستشفى قصر العيني حتى وصلت الميدان بهتافات " الشعب يريد تغيير النظام"، وكانوا جميعا يرتدون الذي الرسمي لهم، وكان حضورهم لافتا بدرجة واضحة حينما هتف المعتصمون استقبالا لمسيرتهم الحاشدة.. والكثير منهم تحدثوا في الإذاعة عما كان يحدث في المستشفى والمشرحة خلال الأيام الماضية والتجاوزات والمآسي التي وقعت في حق الجرحى ومصابي الثورة من قبل إدارة المستشفى، وضباط الأمن.وكذا تحدثوا عن صولاتهم وجولاتهم مع الشهداء والمصابين بطلقات نارية، في محاولاتهم المستميتة لإسعافهم وإنقاذ حياتهم. وكذا، توالت أسر الشهداء والمصابين على المنصة الإذاعية وتحدثوا وعبّروا عن آلامهم وسط الجماهير التي تعاطفت معهم، وكانت وراء كل شهيد حكاية ورحلة مع الموت يحكيها ذويه للجماهير..

أحيانا كنت أظن أنني أبالغ في كتاباتي في وصف المشهد وتوثيق الحدث بحس وطني ، وأحيانا ينفلت قلمي بلمسة فنية أشعر أنها محض فيضٍ من الشعور الثوري، ولا تصلح أن تكون مادة علمية لتوثيق تاريخ هذه الثورة.. وكنت على يقين بأن هذا الحس الثوري لا يشعر به إلا الشباب، ففوجئت بالأستاذ روبرت فسك، هذا الفتى العجوز يغرد وسط الشباب وينحت بقلمه المسنون لوحة فنية دراماتيكية لميدان التحرير، دعنا

نقرأ بعض ما كتبه هذا المشاكس السبعيني أثناء تجواله بين الجماهير في الميدان: ريبورتاج: روبرت فيسك يكتب من ميدان التحرير عن ثورة "الفل"

(مشاهد من ميدان التحرير.. جماهير تتزاحم.. تعرق.. تصيح.. تبكي ، وتفرح)

"... يتغير لون الدم إلى البني بمضي العمر، أما الثورات فلا يتغير لونها.. الأسمال البالية المعلقة الآن في ركن بالميدان هي آخر ملابس كان يرتديها شهداء التحرير؛ بينهم طبيب، ومحام، وفتاة.. تتناثر صورهم فوق رؤوس الجماهير .. أقمشة هذه ال "تي شرتات" والبنطلونات ملطخة بلون الطين.. وبالأمس كرم عشرات الآلاف موتاهم في أكبر مسيرة احتجاج حدثت ضد الحكم الديكتاتوري للرئيس حسني مبارك؛ جماهير تعرق.. تتدافع.. تتزاحم وتصيح.. تبكي وتفرح.. وقد نفد صبرها.. تخاف أن ينسى العالم شجاعتها وتضحيتها.

استغرق منا الأمر ثلاث ساعات حتى نشق طريقنا إلى داخل الميدان، وساعتين من الغوص في بحر من الأجساد البشرية حتى نخرج.. كان يرفرف فوقنا عاليا في الهواء فوتومونتاج مروع: رأس حسني مبارك مركبة على الصورة البشعة لصدام حسين وحبل المشنقة معقود حول رقبته".



والغريب والعجيب، هو أن المشاهد التي وصفها الأستاذ روبرت فسك في ميدان التحرير، وتحديدا وبكل دقة ((مشهد ملابس الشهداء المخضبة بدائهم وصورهم المعلقة في جنبات الميدان مع مشهد الفوتومنتاج المروع لحبل المشنقة المعقود حول رقبة حسني مبارك)).. هذه المشاهد قد دمرت مبارك نفسيا بدرجة غريبة.

فقد تحدث مبارك فيما بعد في مذكراته عن عدد من الأحلام المفزعة التي راودته في منامه، حيث يذكر منها حلم فاجأه في غفوة في الليل أن الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين جاء إليه في منامه يبتسم ابتسامة صفراء خبيثة برغم أنهما متخاصمان، وكان حبل المشنقة لا يزال مربوطا في رقبته، فاستيقظ مبارك من غفوته فزعا ولم ينم الليلة حتى الصباح ..

وأما المشهد الثاني فقد كشف مبارك عن حلم أكثر فزعا راوده مئات المرات بنفس الطريقة منذ أحداث ثورة يناير ٢٠١١ وفيه يشاهد مبارك وجوها لأشخاص من أعمار مختلفة من الطفل للشيخ يأتون إليه جماعات وملابسهم مضرجة في الدماء ويحاصرون سريره حيث ينام ويتمتمون بكلمات غير مفهومة وعيونهم ثاقبة تتركز عليه حتى أنه استيقظ عشرات المرات وهو يصرخ هلعا من رعب الحلم المتكرر ، وقد طلب المقربون منه أن ينام في الضوء وأن يشغل بجانبه قرآنا بصوت خافت جدا وأن يضع تحت رأسه مصحفا ومع أنه نفذ كل تلك النصائح ، يؤكد مبارك أن أصحاب تلك الوجوه لا يفارقوه في نومه، وأن واعظا دينيا كان يتردد عليه بانتظام قد شرح له على استحياء أنها أرواح الشهداء الذين سقطوا في مصر في ثورة ٢٥ يناير". (روزاليوسف ٣٠ /٣/ ٢٠١٢)

وتأخذك عيناك في قلب ميدان التحرير إلى " ملابس شهداء الثورة" .. مجموعة من الملابس التي تخضبت بالدماء وقد مزقتها طلقات الرصاص..جمعها ذويهم من المشرحة قبل تشييعهم إلى مثواهم الأخير، وعلقها شباب الثورة على شواهد خشبية لإدانة نظام انتهك آدمية شعبه.. وقد وضع الشباب هذا النصب على بعد أمتار قليلة من النصب التذكاري للشهيد عبد المنعم رياض الذي يعد رمزا لشهداء القوات المسلحة المصرية، وهذا ما لم يغب عن ذهن الشباب بما يحمل من دلالة رمزية. وقد تمت إقامة هذا النصب من بواسطة بعض الأعمدة الخشبية والتي علقت عليها ملابس الشهداء، واعتبره الشباب أقل تكريم لهذه الدماء الطاهرة التي غيرت تاريخ مصر..هؤلاء الشهداء ما بين طفل وشاب ورجل وامرأة وعامل وعاطل وطالب وموظف، سقطوا خلال الثورة ، ما يقرب من ١٠٠٠ شهيد ضحوا بأرواحهم من أجل أن يحيا آخرون، فقد غيَروا بدمائهم مستقبل مصر، وقدموا أنفسهم قرابين حتى يعيش شعبهم الحرية التي طالما حلموا بها..

فالحرية هي الحلم الذي سعى إليه " رائد فتحي" في اليوم الذي أعلن فيه «شباب الفيسبوك» الخروج في مظاهرة تنديد ضد النظام، كانت زوجته تشعر بآلام المخاض، وبرغم شغفه برؤية ابنه الأول الذي اشتاق إليه كثيرا، إلا أن شغفه بالحياة الكريمة التي يوفرها لفلذة كبده مستقبلا جعلته يلقي مسئولية رعاية زوجته لوالده الذي يقيم في مسكن قريب منه بمنطقة الزاوية الحمراء، وتوجه عقب صلاة الجمعة إلى ميدان رمسيس؛ ليشارك في مسيرة سلمية إلى ميدان التحرير، وكان متحمسا لإلقاء الشعارات وترديد

الهتافات التي تطالب بالعدالة، إلا أن رصاصة اغتالته بعد وصوله بعشر دقائق فقط، وتم نقل جثته إلى مستشفى منشية البكري قبل أن ير طفله الوليد..

لكن الأقدار قد تتلاقى أحيانا، ففي الوقت الذي صعدت روح رائد الطاهرة إلى بارئها جاء إلى الدنيا طفله الصغير يصرخ بشدة وكأنه يقول: «سأكمل المشوار يا أبي»، وعن تلك اللحظات قال والده: «انتظرت عودة ابني للاطمئنان على زوجته التي وضعت مولودها كما هو متفق عليه بمستشفى الزهراء الجامعي، فلم يعد رائد حتى منتصف الليل، فانزعجت بشدة، خاصة أن تليفونه مغلق حتى فوجئت باتصال هاتفي من المشرحة يطلب حضوري، ووجدته في إحدى الطرقات غارقا في دمائه نتيجة طلق ناري أصيب بعده بنزيف حاد، لأعيش أنا وأمه وزوجته وابنه في نار لا تهدأ بعد فراقه، لكن عزاءنا الوحيد أنه صنع مستقبلا للأجيال القادمة».



ولم يكن رائد هو الوحيد الذي سعى لذات الحلم ولقي نفس المصير، فهناك الشاب أحمد بسيوني (٣١ عاما)، المدرس المساعد بكلية التربية الفنية، الذي ذهب من أجل الحرية والعدالة الاجتماعية. وعن اليوم الذي استشهد فيه أحمد، روت زوجته: استيقظنا يوم الجمعة «جمعة الغضب»، وفوجئت به يرتدي ملابسه للذهاب إلى التظاهرات، وطلبت منه مشاهدتها عبر التلفزيون؛ خاصة وأنه شارك فيها لمدة ٣ أيام قبل جمعة الغضب، لكنه أصر على موقفه، وداعب ابنه الأكبر آدم، وقال له: «أنت المسئول عن والدتك وأختك سلمى، فكن على قدر المسؤولية»، وانصرف بعد ذلك ولم يعد، انصرف ليودع أباه ويقبل يد أمه التي طلبت منه هي الأخرى ترك المظاهرات واستكمال رسالة الدكتوراه التي من المقرر أن يناقشها خلال أيام، لكنه لم يستمع إلا لنداء ميدان التحرير، وبصعوبة شديدة استطاع التقاط العديد من المناظر وسط دخان القنابل المسيلة للدموع، وكأنه يتحدى قمع ضباط الشرطة الذين بدؤوا يطلقون نيرانهم يمينا ويسارا دون اكتراث، حتى زادت المواجهات ساعة الغروب مع قدوم مئات الآلاف من المتظاهرين من جميع أنحاء القاهرة الكبرى. وقبل أن تنسحب الشرطة بدقائق، سقط أحد المتظاهرين بجواره، بعد أن صوب إليه أحد القناصة من فوق المتحف طلقة غادرة، وكان ينبه زملاؤه المتظاهرين حوله بالابتعاد خطوة أو خطوتين من أماكنهم باستمرار كي تخطئ زاوية القناص، فلاحظه أحد الضباط القناصة وهو يجذب زملاءه بعيدا عن زاوية رصده، فركزها على رأسه مباشرة.. سقط على الأرض فدهسته مدرعة للأمن المركزي قبل أن يتمكن أصدقاؤه وتلاميذه من إنقاذه، لكن تبقى الكاميرا التي تحكي كل لحظة مر بها في ميدان العزة والكرامة؛ ليشهد أبناؤه أن والدهم وهب حياته ثمنا لحريتهم.

وبرغم أن التقرير الطبي أشار إلى أن سبب الوفاة هـو "إصابته بالرصاص الحيّ وتهتك في الذراع والصدر والرجل، نتيجة دهسه بمدرعة ، ومع ذلك، أجبر أهله على توقيع تنازل عن جميع حقوقه ومستحقاته، في مقابل استلام جثته. وكانت مهمته منذ بداية الثورة التقاط الصور ومقاطع الفيديو لأحداث الثورة وبثها على مواقع التواصل الاجتماعي ليكشف حقيقة ما يحدث ويجذب الشباب للمشاركة في الثورة والخروج من دائرة التعتيم الإعلامي المفروض على الثورة، وكانت آخر رسائله التي بثها على موقعه في جمعة الغضب تقول" إن كانوا يريدونها حربا فنحن نريدها سلاما "

ومن منطقة الوايلي أحد أحياء محافظة القاهرة خرج رمضان إسماعيل رسلان ذو الخمسة والعشرين ربيعا؛ للمشاركة في ثورة الشباب بعد أن وجهت إليه الدعوة عبر «الفيسبوك»، وكانت المرة الأولى التي يشارك فيها، لكنه كان يشعر أنها ستجلب الحظ وتوفر له فرصة العمل كمدرس بإحدى مدارس التربية والتعليم بدلا من محل الكشري الذي يعمل به منذ عامين، حيث اشترك في مظاهرة يوم٢٥ يناير، وشعر أنه اقترب من تحقيق حلم التغيير والإطاحة بالنظام، وظل على مدى ثلاثة أيام يجهز نفسه للمشاركة في مظاهرات جمعة الغضب، فأعد لافتة كبيرة كتب عليها «مدرس الفيزياء يسلق المكرونة ويقشر البصل يا حكومة»، وكتب على الوجه الآخر «عاوز اشتغل يا أولاد الحلال»، حيث حاول رمضان في البداية الوصول إلى شارع التحرير، إلا أن قوات الأمن منعته من الوصول، فسار في شارع طلعت حرب للانضمام إلى مظاهرات الميدان، وقبل أن يحقق حلمه وتطأ قدماه الميدان، تلقى رصاصة في صدره خرجت من ظهره، وتم نقله إلى مستشفى القصر العيني، ولكن بعد فوات الأوان، لاحظ أصدقاؤه في البداية أنه اختفى من بينهم فظنوا أنه لم يستطع الوصول للميدان وعاد إلى منزله، ولكن بعد رجوعهم اكتشفوا عدم عودته، فشكت والدته في حدوث مكروه له، خاصة وهي ترى جثث الضحايا تملأ الشوارع، فطلبت منهم العودة للبحث عنه، وظلوا على مدى أربعة أيام يبحثون عنه بالمستشفيات ومعسكرات الجيش، حتى جاءهم اتصال هاتفي من المشرحة يطلب من الأم الحضور لاستلام جثمان ابنها.

وبينما كان شباب٢٥ يناير يجهزون أنفسهم ليوم الغضب، لفت انتباه «ياسمين محمود الصباغ» رسائل البريد الالكتروني التي تصلها بغزارة من صديقاتها بضرورة المشاركة في المظاهرة، فظلت على مدى ثلاثة أيام تفكر في الطريقة التي تجعل والدتها توافق على خروجها، فكانت تدير التلفاز على القنوات التي تعرض إنجاز هؤلاء الشباب في الأيام الثلاثة من بداية ثورة الغضب، وتحاول من ناحية أخرى شحن طاقة والدها؛ ليمنحها فرصة عمرها للاشتراك في مظاهرة، فحذرها من خطورة المشاركة، وأكد لها أن السحل والضرب والخطف هو النتيجة المباشرة، إن لم يكن إطلاق الرصاص هو الحل لوأد المظاهرات وإجهاضها. إلا أن ياسمين وضعت قبلة رقيقة على وجهه وحملت حقيبة يدها وأبلغت صديقتها بأنها في انتظارها أمام دار القضاء

العالي، وبالفعل التقتا وانطلقتا إلى الميدان الذي يعج بالمتظاهرين وسط القنابل المسيلة للدموع التي تتساقط عليهم كالمطر، فلم تبالي، وظلت تردد الهتافات بحماس، وفجأة وجدت الفتاة نيرانا مشتعلة في مبانٍ عالية، وفوجئت بأشخاص يرتدون ملابس مدنية يضربون بوحشية ويسحلون صديقتها التي انحسرت ملابسها عن جسدها وبدأت تتكشف، فحاولت سترها، إلا أنها تلقت ضربة بعصا غليظة على رأسها الصغير، لتغمض عينيها وترحل في صمتٍ نتيجة كسر في الجمجمة ونزيف حاد بالمخ[11].

وكثير غيرهم لم تعرف حكاياتهم.. فالمجد للمجهولين.. وعن هؤلاء كتب الأستاذ "السيد خضري" يقول: في الميدان.. محمد ذو العشرين ربيعا من إحدى قرى محافظة الفيوم، لم يعرف نبأ استشهاد أخيه الحسيني قرني (١٦ عاما)، فقد طالت غيبته فهبط للميدان يبحث عنه بين الثوار ليفاجأ بصورته معلقة بين الشهداء سوى في الميدان، لم يستطع العودة لبلدته.. وكم تمنى لو عاد الزمن به قليلا ليودعه أو يحضنه.. هو لا يعرف أين دُفن أخاه.. فقط يقول :" الشعب دفنه " ، ولا يدرى كيف سيخبر والدته بالخبر، ويظل محتفظا بعادته الميدانية كل ليلة" النوم أسفل الصورة وإشعال الشموع".

.. يا الله ..هؤلاء كانت وفاتهم مجرد شجاعة.. ليس الأمر كما نظن؛ فمسار التاريخ لا يتحدد فقط بقرارات كبرى مصيرية تصدرها جهات سيادية، ولا توجهه تداعيات الأحداث العالمية الكبرى وحدها، وإنما قد ترسم ملامحه قرارات عادية، خرجت من صدور أناس عاديين في لحظات مختلسة من عمر الزمان.. هؤلاء الشباب والفتيات غيروا مسار التاريخ بقرارهم المشاركة في المظاهرات، أيام كان الآباء ينظرون إلى المظاهرات باعتبارها عملا تافها ولا يمكن أن يغير وجه الحياة.. نعم.. لقد غير هؤلاء مسار التاريخ، ولم يعد القصر الجمهوري من الآن يكتب التاريخ كالعادة، بل أصبحوا هم صناع التاريخ لأن الاعتصام في الميدان صار أقوى من قرار القصر، وسيفرض الميدان قراره على القصر..

على كل حال، تنتهي الأحداث وتبقى الدروس، ويستمر الأستاذ روبرت فِسك في سردياته عن رحلته للغوص في ميدان التحرير، فيقول: الكثير من المتظاهرين .. أفواج كبيرة جدا تتدفق إلى الميدان، حتى أن ميدان الاعتصام بدأ يفيض بالبشر على كباري نهر النيل والميادين الأخرى لوسط البلد ..كانوا يأتون للمرة الأولى.. وعلى ما يبدو أن عدد المتظاهرين كان يفوق عدد جنود الجيش الثالث المصري بنسبة ٤٠ ألف لكل جندي.. جلسوا في دعة على دباباتهم وناقلات الجنود المدرعة.. يبتسمون في عصبية، بينما العجائز والشباب والفتيات يتجولون حول جنازير دباباتهم، وينامون على الدروع، ورؤوسهم على العجلات الفولاذية الكبيرة..

١١- بعض حكايات الشهداء منقول عن صحيفة البيان - مؤسسة دبي للإعلام

قوة عسكرية حولهتا حشود المعتصمين إلى قوة عاجزة.. كثيرون قالوا أنهم أتوا لأنهم كانوا خائفين؛ لأنهم ظنوا أن العالم بدأ يفقد اهتمامه بكفاحهم.. لأن مبارك لم يغادر قصره بعد.. لأن أعداد الناس تناقصت قبل أيام.. لأن بعض فرق الإعلاميين غادرت من أجل مآسٍ أخرى.. وحكومات ديكتاتورية أخرى .. لأن رائحة الخيانة كانت في الهواء.. إذا انتهت "جمهورية التحرير" ستنتهي اليقظة الوطنية.

ولكن اليوم أثبت أن الثورة لا زالت حية.. خطأها كان أنها استخفت بقدرة النظام أيضا على أن يحيا.. أن ينجو.. أن يدير جلاديه ثانية.. أن يطفئ الكاميرات ويهاجم النافذة الوحيدة لتلك الجماهير – أعني الإعلاميين – وأن يقنع هؤلاء "المعتدلين" القدامى أعداء الثورة، الذين يحبهم الغرب، بأن يحطوا من قدر المطلب الوحيد للثورة.. ويتساءلون؛ ما المشكلة في خمسة أشهر أخرى ورحيل الرجل في سبتمبر؟ .. حتى عمرو موسى، الأكثر احتراما بين الشخصيات المصرية التي تحظى بتأييد الجماهير، تبين أنه يريد الفتى العجوز أن يستمر حتى النهاية..

وما يثير الأسى في الحقيقة هو الفهم السياسي لهذه الجماهير البريئة.. الأنظمة الحاكمة تنمو لها جذور من حديد.. عندما ترك السوريون لبنان عام ٢٠٠٥، اعتقد اللبنانيون أنه كان يكفي قطع الرأس، لإخراج الجنود وضباط المخابرات من بلدهم. ولكني أتذكر الدهشة التي اكتشفنا بها جميعا عمق المخالب السورية. كانت ترقد عميقا في الأرض اللبنانية، حتى صخر الأديم ذاته.. فاستمرت الاغتيالات.. وهكذا الأمر أيضا في مصر.. بلطجية وزارة الداخلية، ورجال أمن الدولة، والديكتاتور الذي يعطيهم الأوامر، لازالوا يعملون بجد.. وإذا كان على أحد الرؤوس أن تتدحرج، ستكون هناك رؤوس أخرى لتلصق على البورتريه المألوف لتعيد إرسال هؤلاء الأشقياء إلى الشوارع مرة أخرى".

هكذا عبر الكاتب البريطاني روبرت فسك عن المشهد الذي رآه في ميدان التحرير. وفي ذلك اليوم، كان منتظرا ما ستفضي إليه مسرحية الحوار الوطني المزعومة والتي حضرها مجموعة من رموز أحزاب المعارضة ومجموعة من الشباب الذين اختارهم النظام عشوائيا دون أن يمثلوا الثورة أو المعتصمين في الميدان، ولم يتم الإعلان مسبقا عن أسمائهم على المنصة، وأخذ الحوار جولته الأولى مع الفريق أحمد شفيق رئيس الحكومة الجديدة وأخذ جولته الثانية مع اللواء عمر سليمان نائب الرئيس، ورغم أن الشباب في الميدان رفضوا جميعا مشروع الحوار وتمسكوا برحيل النظام ومحاكمة الفاسدين من رموزه، إلا أن بعض من ذهبوا لحضور مؤتمر الحوار الوطني وتصدروا الحديث باسم شباب الثورة وبعضهم رفض جميع أطروحات الحكومة وتمسكوا بمطالب الثورة وأولها رحيل النظام والاعتراف بالشرعية الثورية.. وكان عنصر الشباب الممثل في هذا الحوار فقط لإعلان تمسك الثوار بمطالبهم دون تنازلات، أما الأحزاب فقد شاركوا في مشروع الحوار بصورة جدية.

أما الأحزاب السياسية الكلاسيكية، فقد بدأت مشاركتها في الثورة على استحياء، ثم بتطور الأحداث أبدت هذه الأحزاب حماسة كبيرة، ولكنها حماسة مفتعلة مبعثها ليس الرغبة في تغيير الأوضاع، بل التطلع إلى حصد المكاسب السياسية أو على الأقل المشاركة بنصيب فيها، فهذا الصنف يكتفي بركوب الحافلة محطة واحدة وربما اثنتين بالقدر الذي يسمح له بالحصول على "الشرعية الثورية"، وفي حال ذابت تلك "الشرعية" يسرع بالعودة مرة أخرى إلى طاولة الحوار.

وحزب الوفد يقدم نموذجا دقيقا لهذه المعارضة "الراكبة"، فبعد أيام من الانتفاضة الشعبية وبعدما تبين أن الأمر جد لا هزل فيه، انبرى الحزب متزعما ائتلافا ورقيا من عدة أحزاب مماثلة وألقى بيانا أذاعته الفضائيات ذكر فيه مطالب واضحة لا تراجع عنها وقرأها زعيم الحزب بنفسه، وفي مقدمتها: إن مبارك لابد أن يتنحى.لكن ما أن مرت ساعات قليلة على هذا الإعلان حتى تحول الحزب مائة وثمانين درجة ليقبل الحوار مع الحكومة مُخفضا سقف مطالبه، ولم يكد أعضاء الحزب يتجهزون لبدء الحوار حتى فاجأتهم اعتداءات البلطجة ليلة الأربعاء، فشعروا بالحرج ومع ذلك استمر الحوار مع النظام وإن أعلنوا على الفور وقف الحوار وأن أعضاء الهيئة العليا للحزب سوف تعتصم في ميدان التحرير. وفي الصباح قدم رئيس الوزراء اعتذارا عما حدث برغم استمرار الاعتداءات. وعلى الفور قبلت الأحزاب الاعتذار على طريقة "جاء الفرج" وعادت من جديد إلى الحوار، وقال زعيم حزب الوفد لصحيفة الشرق الأوسط "إن مبارك لا يمكن أن يتنحى" لأنه سيحدث فراغ دستوري في البلاد.

وفي هذه الأجواء كان من الصعب جدا الإجابة على سؤال: كيف تدار الثورة؟ لأن شباب الائتلاف أنفسهم لا يملكون الحديث باسم الميدان دون الحصول على موافقة على المنصة، غير أن ما أعاق الأمر أكثر أن جميع المتواجدين في الميدان رفضوا الحوار مبدئيا إلا بعد رحيل النظام، فلم يعد هناك ثقة ولا اعتراف بشرعية الأطراف الأخرى المتحاورة، وفي ذات الوقت كانت هناك غرف ثورية متعددة تساهم جميعها في إدارة المشهد الثوري من خلال عمليات التنسيق بين مجموعات العمل، لكن ذلك لا يعني قدرتها على اتخاذ قرار وإدارة الثورة، هم فقط أطلقوا الدعوة إلى الثورة فخرجت الجماهير إلى الشوارع وأدارت المشهد بشكلٍ جماعي وتوافق لحظي وتلقائي.. وفي هذه الأثناء عقدت صحيفة اليوم السابع ندوة في قلب الميدان ودعت بعض الشباب من الأسماء اللامعة وغيرهم من المغمورين للتعرف على محتويات المشهد الثوري وحركته ووجهته

◄◄ <u>ندوة «اليوم السابع».. جلسة دائرية في قلب ميدان التحرير مع شباب التحرير</u>



شارك في الندوة من «اليوم السابع» محمد الدسوقي رشدي ـ محمد صلاح العزب ـ نورا فخري ـ نرمين عبد الظاهر ـ سيد محفوظ ـ تصوير: أحمد معروف

◄ ◄ في أي ثورة يرحل رأس الحكم ثم يتم تشكيل مجلس انتقالي ليضع دستورا جديدا خلال ٦ أشهر مع إجراء انتخابات جديدة.. وثورة مصر لا تختلف عن أي ثورة

◄ ◄ الأسماء التي سيتم الإعلان عنها في الميدان هي فقط التي تملك حق التفاوض وأي شخص يرى في نفسه الحكمة خلال المنام يتغطى.. ونحن قادرون على أن ننظم استفتاء لاختيار الأسماء التي ستمثلنا

◄ ◄ إحنا في الميدان بناكل فول وطعمية مش بناكل كنتاكى ولم نحصل على أي أجندات للعام الجديد ومش هنمشى إلا لما يمشى

◄ ◄ تزوير الانتخابات ومقتل خالد والتعذيب وتفجير الكنيسة وطوابير العيش والبوتاجاز وحملات الاعتقال والتعذيب الأخيرة أبرز المساهمين في إشعال الثورة

- الدنيا حظوظ.. وحظ ميدان التحرير الآن ضارب في السما كما يقولون، قبل ٢٥ يناير كانت وسائل الإعلام الحكومية تسخر من الميدان وتقول إن مقاسه كبير جدا على عدد ١٠٠ متظاهر أو أكثر، وأحيانا ما يتطوع أحد رؤساء صحف الحكومة ويدعو المتظاهرين لاختيار زقاق أو شقة أوضتين وصالة للتظاهر حتى يصل صوتهم بدلا من أن يضيع في براح الميدان الكبير..

بعد ٢٥ يناير انقلب الوضع و«اتشقلب» كمان، لم يعد ميدان التحرير يتسع للمتظاهرين، ولم يعد رؤساء تحرير صحف الحكومة يمتلكون شجاعة السخرية منهم، بل على العكس تماما تظهر الآن مانشيتات الأهرام والأخبار والجمهورية تداعبهم وتستجدى رضاهم.. بعد ٢٥ يناير تحول ميدان التحرير إلى مركز لقيادة ثورة الشباب، هكذا يراه الشباب مجرد مركز ورمز لانتفاضتهم التي شهدتها محافظات عديدة في مصر مثل الإسكندرية والسويس، بل يصل اعتزاز البعض به إلى الحد الذي يراه قطعة محررة من أرض مصر تضم الأحرار الذين استطاعوا هزيمة الداخلية في أربع ساعات فقط على أرض ذلك الميدان الذي اتخذ بعدا آخر أكثر قدسية ورمزية بسبب دماء الشهداء التي سالت عليه ليلة ٢٥ و٢٨ يناير..

الميدان الذي كان قبل ٢٥ يناير مجرد معبر للسيارات وملتقى للأحبة أصبح الآن محط أنظار العالم، هو بؤرة هوجة القلق وثورة الحرية التي تضرب مصر الآن، هو مصدر الأخبار والشائعات، هو أرض علامات الاستفهام التي يسعى الجميع لحلها الآن، وعلى رأسها السؤال الأكبر: من هؤلاء الذين يملأون أرض ميدان التحرير؟ أو بالبلدي مين دول اللى في ميدان التحرير ويرفضون الرحيل رغم كل التنازلات التي قدمتها الحكومة لهم؟ هل ينتمون إلى تيار معين؟ هل صحيح يحصلون على ١٠٠ دولار مقابل البقاء كما تروج وسائل إعلام الحكومة؟ هل هم مجرد مشاهدين ومتفرجين أعجبهم الوضع فقرروا البقاء للاستمتاع؟ أم أنهم عاطلون وفقراء لا يفرق معهم النوم في الشارع أو على الرصيف؟ وما هي خطوتهم التالية؟ وهل سيستمر تظاهرهم كثيرا؟ وهل تجمعهم قيادة واحدة أم لا؟ وهل يملكون حلا أو سيناريو واضحا لمشهد النهاية في تلك الانتفاضة؟.

وسائل إعلام كثيرة أجنبية ومصرية وعربية حاولت أن تجد إجابات لتلك الأسئلة، بعضها كتب تحليلات لخطاب وتصريحات هؤلاء الشباب، والبعض استضافهم في نقاشات مفتوحة على الهواء مباشرة، وداخل الصحف.. وفى كل مرة تحدث عمليات رفض لتلك الحوارات وعمليات تخوين أساسها أن هؤلاء الذين ظهروا في الصحف والفضائيات لا ينتمون إلى ميدان التحرير وأن الذين يعبرون عن ميدان التحرير محل إقامتهم ميدان التحرير، ولذلك قررنا في «اليوم السابع» أن نتفادى كل هذه الاتهامات ونذهب إلى ميدان التحرير ونفترش أرضه لعقد أول ندوة مفتوحة مع أهل ميدان التحرير بدأت ببعض الشباب الذي يمثل تيارات سياسية مختلفة، وانتهت بتجمع كبير شارك فيه شيوخ وشباب وأطفال تكلموا باسم سكان ميدان التحرير وقدموا ما يثبت هذا الانتماء بتواجدهم داخل الميدان لحظة بدء الندوة..

◄◄ اليوم السابع: انطلقت الدعوة إلى ٢٥ يناير على موقع الفيس بوك لتشعل ثورة غضب في محافظات مصر المختلفة ومع ذلك ظل ميدان التحرير هو الرمز وبؤرة الأحداث.. وأصبح السؤال الأهم للناس في البيوت وفى دول العالم: إذا كانت الدعوة لم تأت من حزب أو جماعة أو تيار، فمن هؤلاء الصامدون في ميدان التحرير؟ هل هم إخوان، أم مأجورون دفعت بهم جماعات أجنبية، أم شباب ٦ أبريل أم شباب كفاية.. مين بالضبط اللى في ميدان التحرير؟!

محمد عواد، المنسق العام لحركة شباب من أجل التغيير: تعالوا نتفق أولا قبل أن نبدأ الإجابة على أن الثورة التي حدثت يوم ٢٥ يناير وتحول ميدان التحرير إلى مركزها وبؤرة أحداثها ٩٠٪ منها ثورة عفوية، بدأتها دعوة لم تكن تتخيل أو تتوقع أن يتبعها استجابة بهذا الشكل، فجأة خرج جميع المواطنين من مختلف فئات الشعب إلى الشارع نتيجة الضغط الذي عانوا منه طوال السنوات الماضية وبسبب الأزمات التي عاشوها من خلال ارتفاع الأسعار، وانتشار البطالة والفساد والظلم وخلافه، هذا بالإضافة إلى ما فعله قانون الطوارئ في الناس لمدة ٣٠ عاما، والإصرار على الاعتماد على حكومة بيزنس لم تستطيع أن تضع خططا بديلة أو حلولا واقعية لمشاكل المواطنين في الشارع المصري. و٩٠٪ من المتواجدين الآن في الميدان هم مواطنون عاديون من أبناء مصر لا انتماء سياسيا لهم، والباقي هم أعضاء وشباب أحزاب وجماعات وتيارات القوى الوطنية التي التزمت بألا ترفع أعلام أو شعارات سوى علم مصر؛ لأن هذه الثورة هي ثورة مصر، وبناء على هذه التركيبة التي تملأ ميدان التحرير تم إجراء استفتاء في ميدان التحرير حول تحدث البعض بلسان الثورة في الإعلام المصري وغيره، وجاءت النتيجة أنه لا أحد يتفاوض أو يتحدث باسم الثورة إلا بعد أن يرحل الرئيس مبارك، ومن الممكن أن يكون الداعي ليوم ٢٥ يناير عددا من التيارات، أو من الأحزاب السياسية، لكن بعد البداية الأولى وانطلاقة ٢٥ يناير لم يعد هناك أي تيار أو قوى سياسية، بل أصبح الجميع متفرجا وسعيدا بهذه الثورة التي كانت سببا في تساوى جميع الطبقات السياسية داخل الميدان، سواء الفلاحون أصحاب الجلابيب أو أصحاب البدل أو الذين لا يفقهون أي شيء في السياسية بالمعنى الأيديولوجي.

الناشطة إسراء عبد الفتاح: ما يردده الإعلام المصري حول وجود طوائف داخل ميدان التحرير إخوانية وإيرانية وإسرائيلية، أمور ليس لها أي مدلول من الصحة، ومن يريد أن يتأكد فلا حل أمامه إلا أن ينزل بنفسه، ويأتي إلى ميدان التحرير، ولن يجد سوى مصريين شيوخ وأطفال وربات منزل، أغلبهم ليس له أي

علاقة بأي من التيارات السياسية، وخلوني أقول: إن كل ما يعرضه الإعلام المصري غير حقيقي وغير موثق وليس له أي علاقة بما يحدث داخل ميدان التحرير.

مشيرة أحمد: الشباب المتواجدون الآن في الميدان هم النواة أو الشرارة التي كانت سببا في خروج الأهالي إلى الشارع من أجل الحصول على حقوقهم، هنا في الميدان ستجد كل الديانات والأطياف السياسية وقد توحدت بهدف الحصول على الحرية.. مصر كلها خرجت وجاءت إلى الميدان ولذلك فلا داعي للسؤال عمن الموجود داخل الميدان.

محمد صلاح، من حركة شباب العدالة والحرية: ميدان التحرير الآن أصبح قطاعا عريضا من المجتمع المصري بكل أشكاله وأطيافه، والشباب التابعون لتيارات سياسية لا تتجاوز نسبتهم داخل الميدان ١٠٪، هم فقط بارزون داخل الثورة لأن وجوههم معروفة لوسائل الإعلام من قبل، ونحن كشباب التيارات السياسية دورنا توقف عند الدعوة إلى الحركة وإشعال الشرارة الأولى في ٢٥ يناير، لا نتواجد في الميدان بصفة قيادية بل بصفة المشاركة فقط. وبعد يوم ٢٥ ظهرت الطبقات الكادحة من العمال والصنايعية للمشاركة في استعادة حريتهم ليصبحوا هم قادة الثورة.

باسم فتحي: رفض أن يعلن عن التيار الذي ينتمي له، مؤكدا أنه منذ يوم ٢٥ يناير وهو يعرف نفسه بأنه «باسم فتحي بتاع ميدان التحرير» وقال: «اللعبة التي يلعبها الإعلام المصري في تشويه الثورة التي أشعلها الشعب الآن لعبة قديمة ومكشوفة وساذجة، لم يعد أحد يستخدمها منذ عصر هتلر» وهذه اللعبة الإعلامية الضعيفة والساذجة تشجعنا على المطالبة أكثر والتمسك أكثر برحيل الرئيس مبارك، ومعه أنس الفقى وزير الإعلام ورئيس جمهورية ماسبيرو الذي تتحدث فضائياته عن الأحداث وعن مجريات الثورة وكأنهم يتحدثون عن شيء آخر يجرى على كوكب آخر غير مصر.

◄◄ اليوم السابع: الأيام الأخيرة شهدت ظهور نغمة إعلامية وظهور بعض الشخصيات من داخل الميدان، تقول بأن أصحاب الثورة الحقيقيين رحلوا عن الميدان بسبب اعتراضهم على الفوضى والتخريب، والباقون في ميدان التحرير الآن تابعون لجهات لها أجندات خارجية ومغرضة؟

محمد عواد: المشاركون في ٢٥ يناير من الشباب بدؤوا في التحضير لها منذ أكثر من شهر، فهم النواة لما يحدث الآن ولولاهم ما بدأت تلك الثورة، وأنا أرفض أي اتهامات غريبة مثل تلك التي تتهم الشباب الوطني والشريف الموجود في الميدان بأنه يحمل أجندة خارجية، أو خاضع لأجندة خارجية، دون أن يدرك، وعموما أنا بوصفي مشاركا وموجودا في ميدان التحرير أقر وأعترف أنني لم أحصل على أجندات ولا نتائج هذا العام، ومنذ ١١ يوما وأنا أنام في الميدان وبأكل فول وطعمية مش كنتاكى، ولابد أن يعرف الجميع أن الشعب المصري أصبح لديه العقلية والذكاء لكي يدرك الواقع، بخلاف ما يعرضه التليفزيون المصري، الناس تعرف الآن أن التليفزيون هو إحدى أذرع النظام التي شاركت في تغييب عقول المصريين منذ ٣٠ عاما.

طلال، مُعد برامج بالتليفزيون المصري ومشارك في الميدان وليس له انتماء سياسي: التليفزيون المصري الآن «عميل» يخدم النظام فقط ولا يهتم بمصلحة مصر وينقل الأخبار والمشاهد حسب رؤيته التي تخدم مصالح النظام القائم حاليا، وعقلية وزير الإعلام أنس الفقى رجل الأعمال كانت سببا في خسارة وصلت إلى ١١ مليار جنيه. فكيف ننتظر من هذا التليفزيون أن يكون مع مطالب الشباب، بل سيظل يتلاعب ويراوغ ويزور الحقائق لخدمة النظام.. وفى حركة سريعة (ألقى بكارنيه التليفزيون على الأرض كنوع من الاعتراض على الأداء الإعلامي لتليفزيون الدولة).

◄◄ اليوم السابع: في ٦ أبريل ٢٠٠٨ خرجت أعداد ليست بالقليلة إلى الشارع، وفى ٢٠٠٥ خرجت مظاهرات كثيرة لكفاية، وفى ٢٠١٠ خرجت مظاهرات فئوية للعمال والموظفين، ما الذي اختلف في ٢٥ يناير لكي تخرج كل هذه الأعداد ويتحول الأمر إلى ثورة تصل إلى هذا المدى؟

أحمد دومة، من حركة شباب العدالة: ما حدث قبل الثورة من مظاهرات كانت مجرد رسائل تعبر عما يعيشه الشعب المصري بمختلف طوائفه من أزمات صنعتها حكومة رجال الأعمال والحزب الوطني، وفشلت في حلها أو حتى التخفيف من آثارها على المواطن البسيط، أما ما حدث يوم ٢٥ يناير فقد كان بداية لانتفاضة حقيقية صنعتها الأحداث المتراكمة التي ارتكبها النظام في حق المواطن المصري وستظل تطورات أحداث ٢٥ يناير متصاعدة ومتطورة حتى رحيل الرئيس مبارك.

أحمد غنيم: كل ما حدث خلال العشر سنوات الماضية من مظاهرات حدث بتنظيم وإعداد التيارات والأحزاب السياسية الموجودة على الساحة، فهي كانت مجرد محاولات تسعى لإيصال الصوت، شارك بها عدد من المواطنين لم يصل في أكثر الحالات تفاؤلا إلى المئات أو الآلاف، ولكن كانت هناك فكرة ناقصة أو حلقة مفقودة وهى مشاركة الشعب، ومع ذلك فلا أحد ينكر أبدا أن ما قامت به الأحزاب والحركات من

مظاهرات وتحركات في السنوات الماضية ساهم بشكل أو بآخر في إشعال تلك الثورة التي اكتملت فيها الفكرة تماما، وشارك الشعب فيها بقوة، بل وكان هو بطل معركة الصمود فيها، ولا يمكن أن ننكر فضل الثورة التونسية على تشجيع المصريين، والدليل على أن هذه الثورة ملك الشعب المصري وليست ملك أي تيار سياسي معين ، لأن أغلب شهداء الثورة ومصابيها ليسوا من الشباب المسيس، بل كانوا من الشباب غير المنتمين إلى أي من القوى أو التيارات السياسية سوى ٣ أو أربعة فقط.

إسراء عبد الفتاح: ثورة ٢٥ يناير جاءت بعد ظروف قاسية وصعبة ؛ فقد كان هناك تزوير الانتخابات والذي حدث بفجاجة وبلطجة أكثر، ثم حدث تفجير الكنيسة في الإسكندرية بشكل غامض ودموي وسريع، ومن قبلها كانت حادثة خالد سعيد والتي أشعلت الدنيا في الإسكندرية وفى مصر كلها، بالإضافة إلى مجموعة من المتراكمات لقصص عن التعذيب والاعتقالات، ولكن أهم سبب لخروج الثورة واشتعالها ومشاركة الناس هو ثورة تونس التي أثارت غيرة المصريين، فنحن شعب غيور بالفطرة وتملكتنا رغبة الحرية وها نحن في سبيلنا للحصول عليها.

محمد عواد : لم تحدث تلك الثورة في ٦ أبريل ٢٠٠٨ نظرا لاختلاف الظروف السياسية والاقتصادية عن الظروف في ٢٥ يناير ٢٠١١، ولكن تبقى انتفاضة ٦ أبريل هي القفزة الأولى والمهمة، وجسر الاستعداد لما حدث في ٢٥ يناير، الثورة في العادة لا موعد لها ولا أحد يضع لها موعدا؛ والمصريون يستحقون التحية لأنهم أول شعب يضع ويحدد موعدا للثورة باليوم والساعة قبلها بأيام، ومع ذلك تنجح ثورتهم، رغم أن الشباب الذين دعوا إليها لم يتوقعوا في لحظة أن يكون هذا هو حجم نجاحها وكل ما تخيلوه أنها ستكون دفعة وخطوة جديدة لما بعد، وأعتقد أن المسرحية الهزلية الأخيرة التي جرت في انتخابات مجلس الشعب كانت هي السبب الرئيسي والحاسم في الانفجار الذي حدث، وأحب أقول إن ٩٥٪ من متظاهري التحرير يرفضون التفاوض قبل رحيل النظام.

◄◄ اليوم السابع: الأيام الأخيرة شهدت كلاما كثيرا عن اختيار ممثلين من شباب الميدان للتفاوض مع الحكومة، وسمعنا عن حدوث اتصالات بين المسئولين وعدد من الشباب، فهل تم توجيه دعوة إليكم من ممثلي النظام، وما هو موقفكم من بعض الأحزاب التي لبت الدعوة وجلست مع نائب الرئيس، وتوافقوا على عدم تنحى الرئيس الآن؟

مشيرة أحمد: الحمد لله، لم توجه إلى أي دعوات من النظام «لأني مكنتش هوافق».. وأحب أن أشير إلى وأوجه عناية الناس الذين يحاولون حصرنا في أننا حركة جديدة اسمها شباب ٢٥ يناير، إن مفيش حاجة اسمها شباب ٢٥ يناير ونحن لا نحاول إنشاء حزب بهذا الاسم، لأننا لن نفعل تلك الخطيئة، ولن نقوم بإنشاء حزب ملوث على الأقل في الفترة الحالية وفى هذا العهد الملوث، أود أن أقول للجميع إن هذه ثورة مصر كلها، وليست ثورة فئة أو تيار معين.

إسراء عبد الفتاح: الحقيقة حدث نوع من أنواع الاتصالات، ولكنه لم يكن بشكل مباشر، وكل ما حدث أن الدكتور على السلمي عضو الهيئة العليا بالوفد، كان في زيارة للفريق أحمد شفيق، واتصل بى وقال إن «شفيق» يرغب في مكالمتي فقبلت، ولكن قلت له أنا بكلمك الآن ليس بصفتك رئيس وزراء، فأنا لا أعتبرك كذلك لأن شرعية الرئيس سقطت منذ ٢٥ يناير، وبناء عليه فكل القرارات التي صدرت أو تصدر عن الرئيس بعد ذلك قرارات غير شرعية، لكنى أحدثك كقائد عسكري، وكنا وقتها يوم الأربعاء وقت الهجوم على الميدان، وقلت له هناك مجزرة برعاية النظام قال: لا مش مبارك، قلت له برشاشات مبارك، فأحد مسئولي الدولة يحتمي به حتى الآن، أنقذ الموقف ولن يكون هناك أي حوار حتى رحيل مبارك وخروج وائل غنيم، فنحن مطالبنا واحدة، لو تحققت سنكون فريقا ونتحدث إليك، قالي خلال ساعتين هيكون الوضع تمام وصدق خلال ساعتين، لكنه اعتقل عددا من النشطاء السياسيين بعد اقتحام المراكز القانونية، ثم عدت لمكالمة الدكتور على السلمي مرة أخرى، وطلبت منه فتح مكبر الصوت، وقلت لشفيق «زمايلي اتقبض عليهم، كيف تفعل ذلك وفى الوقت نفسه تخبرنا بأنك عايزنا نقعد معاك»، فقال «مش مبارك المسئول وكل شيء هيبقى تمام.. بلاش حكاية الرئيس دي، وهنعمل كل اللى انتم عايزينه".

أحمد غنيم: حاولوا منذ يوم الأربعاء تجميع أرقام النشطاء السياسيين من الشباب من المنتديات ومن على الفيس بوك، وأجرى شباب الوطني اتصالات لفض الميدان، ثم هاتفتني سيدة من مكتب السيد عمر سليمان وقالت لي، أنت تبع البرادعي لأنها حصلت على الرقم من موقع الجمعية الوطنية للتغيير بالبحيرة ـ وقالت «عاجبك اللى بيحصل»، قلت لها: «آه عاجبنى ما يحدث» فقالت: «يعنى الضرب عاجبك»، قلت: «اللى مسئول عن التخريب والضرب اللى بيحصل يفضها، إحنا بنتظاهر بشكل سلمى»، فقالت: «وإية رأيك في اللى بيحصل على الحدود»، قلت لها: «مش اللى في التحرير هما اللى هيحلوها، اللى كان عنده الصلاحيات الرئاسية الكثيرة في الدستور ليه محلهاش، فقالت: اصبروا هيحقق اللى نفسكم فيه ويمشى.. فقلت: «يمشى دلوقت مش نستنى لما فلوس البلد كلها تتسرب بره»

أحمد دومة: لم يسلم أي من النشطاء من اتصالات رجال الدولة والوسطاء.. بل وصل الأمر أنهم كانوا يتفاوضون في الخارج، وإحنا مقبوض علينا، وتم اقتيادنا إلى جهات أمنية بمدينة نصر، حيث هناك وجدنا شباب مركز هشام مبارك، وقد ورد إلىّ اتصالين أولهما من رقم خاص، ادعى أنه من مكتب أنس الفقى، وقام بدعوتي إلى حوار مع «عمر سليمان»، و«أحمد شفيق»، لكنى رديت عليهم قائلا: «مبارك أصبح رئيسا مخلوعا وقراراته باطلة، وبالتالي فكل من عينهم لا يمتلكون إلا التليفزيون الرسمي، ولا يعترف بهم أحد من الشارع المصري». أما الاتصال الآخر فكان من صلاح السعدي الذي نقل لي رغبة نبيل لوقا بباوي وفؤاد علام في الحوار معنا، ولا أعرف كيف يريدون الحوار، ومع ذلك يأتون بوجوه قديمة مكشوفة. وغير مقبولة.

◄◄ وهيبة مواطنة في ميدان التحرير تكلمت وسألت: أنا معاكم وبكره النظام، وأخويا اتسحل على يد الشرطة في الشارع، لكن ماذا بعد أن يترك الرئيس السلطة، ما هي الخطوة التالية، أنا عندي شعور أنه لا توجد رؤية إستراتيجية واضحة لما هو قادم؟

ضياء الصاوي: الناس خرجت وسبقت كل القوى السياسية، وقالت «الشعب يريد إسقاط النظام» أي شخص يتفاوض قبلها مرفوض، ولا يمثل الشعب، وأصبح شعارنا «لا تفاوض إلا بعد الرحيل، فالشرعية في التحرير» وهذا ما يتفق عليه الناس كمطلب رئيسي، بعدها يمكن الحديث عن المرحلة التالية، ثورة مصر ليست مختلفة عن أي ثورة أخرى وفى أي ثورة يرحل رأس الحكم ثم يتم تشكيل مجلس حكم انتقالي من القضاة المشهود لهم بالنزاهة، وممثلين عن المؤسسة العسكرية النظامية، وعدد من الشخصيات العامة بالقوى السياسية التي تتفق عليها الجماهير لتضع دستورا جديدا خلال ٦ أشهر مع إجراء انتخابات جديدة رئاسية وبرلمانية، مصر مش مختلفة عن أي ثورة في العالم، فأي ثورة في العالم مشيت على تلك القوانين.

أحمد غنيم: اختفاء البدائل أكذوبة كبيرة، حاول النظام ترويجها على مدار ٣٠ عاما، بهدف استبعاد الشخصيات التي هددت النظام لصالح جمال مبارك، فنحن الآن أمام أزمة النظام، لم يعد له شرعية، والمؤسسة العسكرية مصممة على حماية الدستور.. فماذا سنفعل.. هل سنحتكم إلى الشرعية الدستورية أم الثورية، لو الثورية فلابد أن يكون هناك مجلس قيادة ثورة، أو حكم انتقالي، أما إذا لجأنا للشرعية الدستورية، فلدى أساتذة القوانين والدساتير القدرة على وضع حل ما.

أحمد دومة: من قام بالثورة قادر على تحديد كل ما هو قادم بعد الثورة، سواء مجلسا رئاسيا أو حكما انتقاليا أو غيرهما من الأطروحات. فالإطار العريض يقوم على وجوب أن تكون الشرعية الدستورية هي التي ستحكم خلال الفترة القادمة.

عبد الرحمن عبد الوهاب، شاب ٣٥ سنة: إحنا المفروض نستفيد من أخطاء غيرنا.. لو بيت فيه عمودين ضرب فيهم سوس، المفروض تعالجهم، لكن لو ضرب في البيت لازم نهد البيت، ونعيد بناءه، لذلك فنحن نريد هدم النظام بأكمله ونريد حكومة تبني، فالنظام انهار والفساد تفشى في أرجائه تماما.

◄◄ اليوم السابع»: لا كلام يعلو الآن في وسائل الإعلام على حوارات ومفاوضات لجنة الحكماء وبعض الوسطاء مع الدولة، وتحديدا مع رئيس الوزراء ونائب رئيس الجمهورية، ورغم كل هذه الجلسات، يخرج البعض من الميدان ليؤكد أنه لا أحد يتفاوض باسم الناس اللي في ميدان التحرير، لأن الناس اللى في ميدان التحرير لم تفوض أحدا ما رأيكم؟

مشيرة: الحكومة لا تعرف المعنى الحقيقي لكلمة التغير، والدليل أننا حينما طالبنا بالتغيير، قاموا بتغيير أسماء، نحن نريد تغيير النظام وليس مجرد أسماء من نفس الحزب، ومن نفس المكان.

أحمد دومة: رغم أنه تتملكني مشكلة نفسية تجاه موضوع لجنة الحكماء، وبعض أعضائها الذين نسمع أسماءهم في ميدان التحرير، ولكن دعوني أقول إن من يعلن عنه في التحرير من أسماء، هم فقط من سيتم الاعتراف بهم للتفاوض، لكن أي حد رأى في نفسه الحكمة خلال المنام، فليغطِ نفسه أحسن، فهو يتفاوض على مجموعة من أصحابه فقط وليس الشعب.. أما عندما يعلن عن لجنة تفاوض باسم من متظاهري التحرير، سيتم الإعلان عنها من ميدان التحرير، ولن يتم ذلك إلا بعد رحيل مبارك، ونحن قادرون على أن ننظم استفتاء في ميدان التحرير لاختيار تلك الشخصيات التوافقية والتي قد يكون من بينها أسماء مثل أحمد زويل، أو المستشار محمود الخضيرى، وصدقني حينما نريد تشكيل لجنة، سنجد الكثير من الأسماء، لكن المشكلة في الآليات، ولكن المسألة الأولية رحيل مبارك

مشيرة أحمد: شعب قاوم بقاله ٣٠ سنة، ووقف أمام هذا النظام، ونجح الآن في كسره، من الممكن أن يعانى من بعض الارتباك والارتباك هنا مشكلة صحية وطبيعية نتيجة الظروف السياسية التي مرت مصر بها خلال السنوات الأخيرة، وعموما لابد أن يتفاءل الجميع، ويثق فينا أكثر، لأننا نجحنا في السيطرة على أمن مصر خلال ٦ ساعات.. مش هنقدر نتفاوض ونعمل لجنة ونعرض مطالبنا.

إبراهيم محمد مهندس كهرباء: في الميدان توجد حالة توافق عام على رحيل مبارك، لكني مختلف في مسألة لا تفاوض إلا بعد رحيل مبارك ـ طيب ما هو السيناريو والرؤية للمستقبل، المشكلة الأساسية إن كل واحد عنده رؤية ويتحرك بها، لازم نتوحد ونتوافق على رؤية واحدة، شايف إن هناك مشكلة في غياب الرؤية الموحدة.

◄ ◄ اليوم السابع»: في المنازل المصرية وبعض الأصوات كلام بيقول خلاص كفاية لحد كده، لقد حصلنا على ما نريد من مكاسب، فلنترك ميدان التحرير، ونعود إلى أعمالنا، لأن الحال توقف، والخسائر كثيرة والبلد بتخرب.. رأيكم إيه في الكلام ده؟

ضياء الصاوي: هناك تضليل إعلامي، وهو أمر يتم طوال الوقت بداية من إلهاء الناس في ماتشات الكورة، ثم الإحصائيات الخاطئة والأرقام المضروبة، لكن الناس في لحظة ما تحركت، بدليل يوم ٢٥ يناير الذي شهد خروج الناس من منازلهم، ومع ذلك وسائل الإعلام مستمرة في تضليلها بالحديث عن الخراب والتضييق على أرزاق الناس وغلق المحافظات على بعضها البعض، مع إغلاق البيوت، وخلق حالة عدم الأمان.. مع الوقت الناس هتتغير، لأن التضليل الإعلامي سيستمر لفترة لكن الحق سينتصر ويظهر، ويتوقع أن يشارك عدد كبير من تلك الفئات التي تعترض الآن، خاصة بعدما تأكدوا أننا لا نأكل كنتاكى ولا غيره، وبعد مشاهد الهجانة والجمال وبعد هزيمة الشرطة، هيستطيع الشعب هزيمة التضليل.

◄ ◄ اليوم السابع»: السؤال الأشهر في مصر وفى العالم الآن هو: متى سيرحل الناس من ميدان التحرير؟

ضياء: محاكمة الرئيس مبارك ورحيله، أول خطوة للرحيل من الميدان، في الميدان كانت هناك والدة أحد الشهداء قالت: ابني وأسرتنا عمر ما كان لينا في السياسة، لكننا اقتنعنا بما تطالبون به، وأنا مش زعلانة على فقدان ابني أو موته، لكن سأزعل إذا غادرتم من ميدان التحرير دون تحقيق مطالبكم، لذا لن نرحل قبل أن يرحل، ولجنة الحكماء لا تمثلنا، وأي شخص يطرح التفاوض في ظل وجود مبارك لا يمثل الناس التي تسكن ميدان التحرير، النقطة المركزية التي تدار منها ثورة مصر".

يتضح بجلاء من خلال الحوار المفتوح الذي أجرته "اليوم السابع" مع الشباب في الميدان أنه لا بديل عن الرحيل، وأنهم ربما لو أتيحت لهم فرصة جيدة لتشكيل مجلس رئاسي وحكومة انتقالية لشكلوا فورا وأعلنوا عنهما، لكن على ما يبدو أن هناك عقبة هي تمسك الجيش بالشرعية الدستورية.. ومع ذلك بدأ

ثعلب المخابرات عمر سليمان حواره مع أحزاب المعارضة وشباب الثورة، ولم يكن غريبا في هذا الوقت أن يجلس القط مع الفأر على مائدة واحدة للحوار، فقد اعتادت جماعة الإخوان على مدار عمرها طوال ستين عاما أن يمارسوا نشاطهم في السر، ولم يكن مسموحا لهم الظهور باعتبارهم تيارا سياسيا، بل كان يلاحقهم لقب "الجماعة المحظورة" طول الوقت ولا ينجون من الملاحقات الأمنية، وكانت الأجهزة الأمنية والمخابرات تترصدهم وتتنصت على مكالماتهم واتصالاتهم. وعندما قامت الثورة جاء اليوم الذي يجلسان فيه معا للحوار؛ اللواء عمر سليمان مدير المخابرات العامة مع أعضاء من جماعة الإخوان.. هكذا الثورات تصنع المعجزات.

حضر اللقاء مع عمر سليمان في جولته الأولى عدد من ممثلي القوى السياسية منهم رفعت السعيد رئيس حزب التجمع ومحمود أباظة والسيد البدوي ممثلان عن حزب الوفد، ومحمد مرسي عن جماعة الإخوان وسامح عاشور عن الحزب الناصري، وطلب منهم اللواء عمر سليمان بقاء مبارك في منصبه وضرورة احترام قائد البلاد خاصة أن الفترة المتبقية في ولايته لن تزيد على ستة أشهر. وكانت لدى أغلبهم توجهات مبدئية بالموافقة على الخروج من الأزمة، وليس نزع الاعتراف بالشرعية الثورية، ووافقوا على أطروحات عمر سليمان مع استمرار مبارك في الحكم.

وعقد اللواء عمر سليمان الجولة الثانية للحوار مع شباب الثورة بعد لقاء ممثلي القوى السياسية مباشرة، وكان على رأسهم الدكتور مصطفى النجار والشاعر عبد الرحمن يوسف القرضاوي، وياسر الهواري ومجموعة أخرى من شباب وفتيات الثورة، وقال "مصطفى النجار" التقينا في بداية الأمر اللواء عمر سليمان، ووفدا من مختلف القوى السياسية، وكانت موافقة الشباب مبدئيا على حضور جلسات الحوار المجتمعي من أجل ألا يحتكر الإخوان الحوار ويتحدثوا باسم الثورة، وأن عمر سليمان كان متمسكا بالإصلاحات التي ذكرها مبارك في خطابه الأول، ورفض خلال لقائه بممثلي شباب الثورة مطلبهم باستخدام نص المادة ١٩٣ لنقل الرئيس صلاحياته للنائب، وكانت حجته أن هذا الإجراء سيؤجل التعديلات الدستورية المطلوبة ولن يلبى مطلب السماح بإزالة المعوقات من المادة ٧٦ من الدستور بشأن ضمانات الترشيح للرئاسة، وكذلك يمنع الحديث عن تعديل المادة ٧٧ بشأن مدة الرئاسة، وهو ما أكده دكتور يحيى الجمل أستاذ القانون الدستوري وعضو لجنة الحكماء بالموافقة على رأى نائب الرئيس وأيده في ضرورة وجود الرئيس لسرعة إنجاز واستمرارية هذه التعديلات.

أما جميع الحاضرين من ممثلي القوى السياسية فقد وافقوا على مقترحات سليمان ولم يتحدثوا عن رحيل مبارك، ووقعوا على البيان، الذي كان بمثابة موافقة من الإخوان ورموز المعارضة على بقائه، وأكد مصطفى النجار في اللقاء أن: أن الثورة ليست إخوانية، وجماعة الإخوان المسلمين تمثل ١٥٪ فقط من

المتواجدين في التحرير، فأثنى الدكتور محمد مرسى على كلامه، وهز الدكتور محمد سعد الكتاتني رأسه موافقا».. من هنا نعرف حجم مشاركة جماعة الإخوان في الثورة.

وطلب النائب عمر سليمان الحديث مع مجموعة الشباب بشكل منفرد، وأكد لهم أن الشباب هم أصحاب الثقل في المشهد الراهن وأن باقي القوى السياسية لا وزن لها، وأن مبارك لن يحكم مصر ثانية، وحثهم على السماح له بالإقامة في مدينة شرم الشيخ، خوفا على إهانة المؤسسة العسكرية في شخصه».وأشار مصطفى النجار إلى أن عمر سليمان حذرهم من الإخوان ومحاولاتهم لإقصاء الشباب عن المشهد، إذا تمكنوا من مصر، وبخاصة أن مشروعهم يسعى للتمكين، وسيكون الثوار أول الضحايا، وأكد أيضا أن الثورة ستأكل أبنائها، وأن مؤسسة الرئاسة بصدد عقد اجتماع توافقي مع القيادات ".(بوابة فيتو)

انتهى مشروع الحوار المجتمعي إلى ستة إجراءات وهى، تشكيل لجنة تضم أعضاء من السلطة القضائية، وعددا من الشخصيات السياسية لدراسة واقتراح التعديلات الدستورية وما تتطلبه من تعديلات تشريعية لبعض القوانين المكملة للدستور في موعد ينتهي في الأسبوع الأول من مارس من عام٢٠١١، بجانب إعلان الحكومة عن فتح مكتب لتلقى الشكاوى عن معتقلي الرأي من جميع الانتماءات والإفراج عنهم فورا، مع تعهد الحكومة بعدم ملاحقتهم، أو التضييق عليهم في ممارسة نشاطهم السياسي. وشملت الإجراءات تحرير وسائل الإعلام والاتصالات، وعدم فرض أي قيود على أنشطتها تتجاوز أحكام القانون، مع تكليف الأجهزة الرقابية والقضائية بمواصلة ملاحقة الفاسدين والمسئولين عما شهدته البلاد من انفلات أمني خلال الأحداث الأخيرة ومحاسبتهم.

وانتهى بذلك مشهد الحوار الوطني، لكن لم يكن للشباب المعتصمين في ميدان التحرير قناعة بهذه المهاترات، فاجتمع شباب الائتلاف لتحضير رد الفعل المناسب، وبدأ ائتلاف شباب الثورة، وهو ائتلاف شكلته خمس منظمات شبابية رئيسية من المجموعات المعتصمة في ميدان التحرير ، ويضم الائتلاف حركة ٦ أبريل وحركة كفاية ومجموعة شباب الإخوان المسلمين ومجموعة دعم البرادعي وحركة الحرية والعدالة وشباب حزب الجبهة الديمقراطية. وكانت هذه الحركات عمليا تلتقي وتنسق فيما بينها من قبل ثورة ٢٥ يناير بشهور.وقد اختارت هذه المنظمات عشرة أشخاص من بين أعضائها ليمثلوها، ويشكلوا قيادة تتحدث باسمها وتقود التحركات بالمرحلة المقبلة، على أن يقوم الائتلاف بتنسيق مواقفه مع باقي الأحزاب والحركات والقوى السياسية والمؤيدة لاستمرار الثورة ودعم مطالبها. والشباب العشرة الممثلون للائتلاف هم: أحمد ماهر وعمرو عز (٦ أبريل) زياد العليمي وسالي مور (الحملة الشعبية) إسلام لطفي ومحمد عباس

(شباب الإخوان) شادي الغزالي (حزب الجبهة) خالد سيد وخالد عبد الحميد (شباب من أجل العدالة والحرية) ناصر عبد الحميد (الجمعية الوطنية من أجل التغيير).

وأعلن الائتلاف أنه رفض الحوار أو فض الاعتصام بميدان التحرير إلا بعد رحيل مبارك، وأصدر بيانا قال فيه إلى الشعب "نعاهدكم على ألا نعود إلى بيوتنا إلا بعد أن تتحقق مطالب ثورتكم الباسلة . نحن نريد أن تنتهي هذه الأزمة بأسرع وقت ممكن وأن تعود الحياة الطبيعية لنا ولأهلنا، ولكننا لا نثق في حسني مبارك لقيادة فترة انتقالية، فهو نفس الشخص الذي رفض على مدار ثلاثين عاما أي إصلاح سياسي سلمي واقتصادي حقيقي".

وشرع الائتلاف في إنشاء خيمة كبيرة بميدان التحرير اليوم لتتخذ منه مقرا إداريا ومركزا إعلاميا للثورة. وطرحوا الأمر على الجماهير في الميدان ليتم الاتفاق على عدة نقاط رئيسية ليتم صياغتها ويكون على النظام تنفيذها فورا ، وأصدروا بيانا يوضح طلباتهم بجلاء، وجاء على النحو التالي:

- رحيل مبارك وتنحيه بالكامل عن السلطة تمهيدا لتقديمه لمحاكمة عادلة تحقق فيما ارتكب طوال سنوات حكمه الثلاثين من انتهاكات للقانون والدستور وحقوق الإنسان بوصفه رأس النظام
- حل مجلسي الشعب والشورى المزورين.
- تولي رئيس المحكمة الدستورية العليا رئاسة البلاد لفترة انتقالية والإعلان عن تأسيس جمعية وطنية لوضع دستور جديد للبلاد.
- تشكيل حكومة انتقالية لتسيير الأعمال.
- تولي الجيش حفظ الأمن والحفاظ علي الممتلكات العامة والخاصة.
- تولي الشرطة العسكرية مهام الشرطة المدنية لحفظ النظام في البلاد.
- عزل قيادات الشرطة ومدراء الأمن وقيادة أمن الدولة والأمن المركزي ووضع ضباط وجنود الشرطة تحت تصرف الشرطة العسكرية.
- التحفظ على المسئولين السابقين ومنعهم من السفر تمهيدا لتقديمهم لمحاكمة عادلة.
- تجميد أموال المسئولين السابقين وأسرهم لحين معرفة مصادرها.
- الإعداد لانتخابات رئاسية وتشريعية وفقا للدستور الجديد حال الانتهاء منه

جاء هذا البيان ردا على موضوع الحوار الوطني الذي تولاه عمر سليمان نائب الرئيس،ليعبر عن المسار السياسي الذي يجب على الكبار اتباعه في إدارة شؤون البلاد للخروج من هذه الأزمة، وجاء صادما لجبهة

الحوار مع عمر سليمان وفاجعا للجنة الحكماء التي شكلت نفسها بمعرفة النظام وتحت بصره للتفاوض معه ! ، كان بيان الثورة الذي أصدره الشباب جريئا وشاملا وصادما للجميع، حين بدأ بنوده بعبارة " رحيل مبارك وتنحيه بالكامل عن السلطة تمهيدا لتقديمه لمحاكمة عادلة تحقق فيما ارتكب طوال سنوات حكمه الثلاثين من انتهاكات للقانون والدستور وحقوق الإنسان بوصفه رأس النظام"، مع أن ذلك ليس كافيا لهدم النظام، لكن هناك تحديات أخرى أمنية وضعها الشباب في الحسبان، في حين تغافل عنها الحكماء الكبار، ووضع الشباب صياغة دستور جديد على رأس الأولويات مع تشكيل حكومة انتقالية وعزل القيادات الأمنية القديمة وتقديمها للمحاكمة وإعادة هيكلة جهاز أمن الدولة، وهو أخطر قلاع الفساد في هذه الدولة البوليسية.

وفي مساء ذات اليوم، وفي الموعد المعتاد، حضر فريق المثقفين الكبار، د/ علاء الأسواني والدكتور محمد سليم العوا والمستشار محمود الخضيري والأستاذ مجدي أحمد حسين وكثير.. وتوالت كلماتهم وندواتهم السياسية لتحليل الساحة السياسية ومتابعة مراحل الثورة، وكان الموضوع المطروح ذو الأهمية في ذلك المساء هو موضوع الحوار مع عمر سليمان وأحمد شفيق الذين حاولا جاهدين إلغاء فكرة الرحيل من رؤوس الشباب ورموز المعارضة الحزبية والمستقلة، وكان واضحا أن معظم من حضروا مؤتمر الحوار هم من أقطاب الحزب الوطني للضغط على المعارضة لقبول الحلول المطروحة في ظل ضغوط التخويف وفزاعة القيادات المتطرفة وحالة الفراغ الدستوري المزعومة.. أما موقف الميدان من مشروع الحوار فكان أنه لا تفاوض ولا حوار إلا بعد رحيل النظام والاعتراف بالشرعية الثورية التي خرجت من أجلها الملايين في كافة محافظات مصر.. وأما موقف الميدان ممن حضروا مؤتمر الحوار حتى وإن رفضوا الأطروحات المزعومة، فقد ألقوا بأنفسهم في بئر الخيانة لأنهم تحدثوا بالنيابة عن الشعب دون تفويض منه.. مع أد الدكتور مصطفى النجار والشاعر عبد الرحمن يوسف الذين حضرا الاجتماع أكدوا لعمر سليمان أنهم لا يمثلون الميدان ومن الصعب السيطرة على الجماهير بهذا الشكل.

وتسترجع الناشطة "هبة غنام" من أهم ما يطرأ على ذاكرتها لأيام الاعتصام الذي حضرته على مدار ١٨ يوما ولكن دون مبيت بالميدان فتقول «أهم ما أتذكره هو رد فعل شباب الإخوان الذين انشقوا عن قيادات الجماعة (اللى رضيوا بالقليل) واكتفوا بتصريحات «مبارك» بعدم ترشحه للرئاسة مرة أخرى، وقتها انضم هؤلاء الشباب إلى الحركات السياسية الأخرى، ووسط كل النقاشات التي كانت تدور في الميدان كانت القرارات لا تؤخذ فردية، فكلما تمت تطورات جديدة يجتمع من كل تيار أو حركة أو حزب عدد منه مع الآخرين في مركز "هشام مبارك للقانون"، كأقرب مكان لعمل الاجتماعات، ومنه كان كل يوم يؤكد الجميع على أن المطلب الأساسي هو الرحيل الذي لا بديل عنه بأي مكاسب سياسية أخرى، حتى عندما ذهب

عدد من الشباب لمقابلة عمر سليمان بعد تعيينه نائبا للرئيس السابق، اجتمعنا معهم في المركز وهناك ندموا على تلك الزيارة بعد تعنيفهم من قبل مندوبي التيارات السياسية».

وفي هذا المساء،كان الشباب قد أنشأوا دائرة تليفزيونية أخرى أمام مقر شركة " مصر للطيران " وبدأت بعرض مقاطع فيديو توثق أحداث الثورة وصور الشهداء في المشرحة وعرضت كذلك حلقات وبرامج إذاعية وحوارات ومداخلات تليفزيونية وتزاحمت أمامها الجماهير رغم أنها لم تكون إذاعة وليس لها منصة، بل كانت أقرب إلى جهاز عرض سينمائي مصغر مكون من شاشة عرض وجهاز لاب توب ومكبرا للصوت.. وكانت الفقرة المسيطرة على هذه الإذاعة هي قصيدة " التأشيرة " للشاعر المصري الشاب هشام الجخ ، وبصوته في برنامج تليفزيوني تم تسجيله في وقت سابق على قناة أبو ظبي ويتم عرضه من خلال جهاز اللاب توب.. وتزاحمت أمامها الجماهير وكلما انتهت القصيدة طالبوا بإعادتها ثانية.. والمشاهدون يتغيرون والقصيدة لا تتغير بل ويزداد الزحام أمامها، لما تميزت به من أسلوب فريد في إلقاء المعاني التي تذكي روح العروبة في قلوب الجميع..

وحقيقة، كنت أعتقد أنه لم يعد هناك من لا زال يؤمن بالعروبة والقومية العربية ووحدة الوطن العربي، خاصة في عصرنا وجيل الشباب الذي تعطلت العروبة في عصره وتفتتت القومية العربية إلى قوميات وأن ظلت عربية.. مصرية وسورية وعراقية.. إلخ. وليس ببعيد حال جامعة الدول العربية التي تقف على بعد خطوات، وقد تعطلت جهودها وأعدمت هيبتها في ظل الديكتاتورين العرب.. لكن الواقع الحقيقي ظهر بلون مختلف تماما.. فعندما أطلق بوعزيزي صرخة الغضب.. وجدت صرخته صدى في نفوس الشعوب العربية من أقصاها إلى أدناها واشتعل الربيع العربي.. وربما عبرت عن ذلك الحشود الهائلة من الجماهير التي تزاحمت على قصيدة التأشيرة وتجاوبت معها وجدانيا، وصارت ترددها بصوت جماعي على أوتار العود العربي.

****



(٢٢)

مسرح الثورة

الاثنين ٧ فبراير

في الحديقة الخضراء وسط ميدان التحرير.. نثرت الشمس ظلالها حول الأرصفة والأشجار الندية في أشروقة يوم جديد.. نشرت الدفء ولملمت برودة الليل وأمطاره الخفيفة التي طلت علينا قبيل الفجر.. ولم تكن تزعجنا ذبذبات المترو أثناء عبور قطاراته تحت الميدان في الصباح.. وما أيقظنا مبكرا سوى ضجيج المروحية العسكرية التي تجوب سماء الميدان في مسارها الدائري المعتاد.. وكان نائما إلى جواري شاب معاق واضعا عكازيه تحت رأسه طوال الليل.. لم نكن نحن من أصحاب الخيام، كنا نفترش الأرض في حدائق الميدان بين الخيام ونستريح جزءا من الليل.. وحينما دققت نظري في وجهه تذكرت أنه الشاب الذي أعطاني عكازيه يوم الأربعاء الدامي لحظة دخول هجوم والخيول والبغال وقال لي: " إجري.. اضرب.. " فنظرت إليه مليا وتأملته بعد النصر المجيد، كيف يكون العجز والإعاقة سببا في القوة لحظة الخطر المحدق!.. إذا كان هذا الشاب معاقا وعاجزا عن الحركة فقد صارت يداه من حديد.. يا لله..

وطالعتنا الأخبار في صباح ذلك اليوم في "معرض صحافة الثورة"، كانت تدور حول تداعيات الحوار الوطني بين أقطاب المعارضة ورئيس الحكومة أحمد شفيق ونائب الرئيس عمر سليمان وقد اعتاد شباب الثورة كل صباح أن ينشروا صفحات الجرائد للقراءة الحرة والاطلاع للجميع على واجهات المحال التجارية والحواجز المعدنية وعلى أرصفة الميدان..



كانت الصحف جريئة كل الجرأة.. تحمل من الأخبار ما لا يمكن أن تحمله إلا مرة في العمر..والعجيب أننا نحن من يقدم للصحف عناوين الأحداث الكبيرة.. شعور جميل أن ترى الدب الأكبر يركع أمامك ويستجدي رضاك بعد أن كنت تفزع منه وجهه في منامك..

- فتحي سرور يعلن تعليق عمل مجلس الشعب لأجل غير مسمى
- ائتلاف شباب ثورة الغضب : نرغب في إنهاء الأزمة بأسرع وقت ممكن، ولا نثق في النتائج مع بقاء مبارك على رأس السلطة خلال الفترة الانتقالية
- الحكومة تطلب أحكام بطلان انتخابات البرلمان من مجلس الدولة لتنفيذها
- «القضاء الإداري» أبطل 94 دائرة انتخابية بواقع 188 نائبًا يمثلون % 37 من أعضاء مجلس الشعب
- محكمة النقض تدرس الأحكام للاعتداد بها في تقاريرها النهائية بشأن الطعون على 486 نائبًا
- وقف الصحفية التي ادعت تلقيها تدريبًا في أمريكا لإسقاط النظام
- «:أسر شهداء الإسكندرية في جمعة الرحيل » أبناؤنا هزوا عرش مصر
- بلاغات للنائب العام ضد نواب وقيادات بالحزب الوطني للتحقيق في وقائع قتل الشهداء خلال مظاهرات الثورة
- التحقيق مع الوزراء المعزولين

- ائتلاف شباب ثورة الغضب يعلن تشكيل جبهة إنقاذ وطني
- الدولار يرتفع عشرة قروش فقط .. والمركزي ينفى التدخل
- توافق سليمان وقوى سياسية بينها « الإخوان » على 3 محاور تتضمن 7 بنود و 6 إجراءات : تحقيق انتقال سلمى للسلطة ..وتعديل ما يلزم من مواد الدستور .. وتنفيذ طعون النقض على انتخابات وملاحقة الفاسدين والمتسببين في الانفلات الأمني ..واستعادة أمن واستقرار الوطن... تشكيل لجنة من قضاة وسياسيين لدراسة التعديلات الدستورية والتشريعية ..والإفراج عن معتقلي الرأي وتحرير وسائل الإعلام ..وإنهاء الطوارئ طبقا للظروف الأمنية ومتابعة التنفيذ الدقيق لكل ما تم التوافق عليه من خلال لجنة وطنية للمتابعة
- إعلان الجائزة الكبرى لثورة 25 يناير خلال أسابيع
- «خلاف حول حل التشفي » أو تركه للحزب الوطني
- النظام الحاكم قدم أقصى ما يمكنه من تنازلات الآن
- البنوك تستأنف عملها بشكل تدريجي، والجيش يحاول فتح طريق للسيارات بميدان التحرير دون جدوى
- ميدان التحرير يشهد حدث نادر بإقامة صلاة الغائب وقداس على أرواح شهداء الانتفاضة الشعبية الذين قتلوا في اشتباكات منذ ٢٥ يناير
- مستشفى هايدلبرغ بألمانيا يعلن استعداده لاستقبال مبارك لتلقي العلاج..كمخرج لأزمة التنحي
- معتصمو التحرير يمنعون الجيش من مغادرة الميدان بافتراش الأرض أمام الدبابات
- الجارديان :مبارك يضع الغرب في حيرة بين الديمقراطية والمصالح السياسية
- الشباب يصدرون بيانا يتضمن المطالب الرئيسية للثورة.
- عالم النفس شوقي العقباوي:
- النظام خاطب « الحس الأبوي» لدى الشعب لشق الصفوف
- لا تنتظروا تعاطف الفقراء إلا بعد نجاح الثورة لأنهم يتحركون وفقا للحاجات الأساسية
- الشباب كسروا قيود النظام " افتراضيا" ثم نزلوا ميدان التحرير بدعم من المجتمع

كانت معدات الجيش ودباباته حول المتحف المصري قد أدارت محركاتها صباح اليوم استعدادا للتقدم خطوة أو خطوتين في وسط الميدان، وطلب ضباط الجيش ذلك، لكن الجماهير رفضت طلبهم وأصرت على أن تبقى معدات الجيش في أماكنها، وتأكيدا لهذا الرفض المستميت تجمع الناس حول المدرعات وتكدسوا بين عجلاتها وتحت مدافعها وفي مرمى نيرانها، وكلما أدارت الدبابات مدافعها في اتجاه آخر، تحولت الجماهير معها متزاحمة أمام ماسورة المدفع مستعدة للموت بنيرانها فداءا للميدان، حتى قبعت الدبابات في أماكنها وخضعت لإرادة الجماهير، ومنذ ذلك الوقت ولازالت الجماهير مزدحمة حولها أمام المتحف وقرب ميدان عبد المنعم رياض حتى منتصف الليل، حتى انتشرت عادة النوم على عجلات الدبابات المعدنية الكبيرة وبين جنازيرها، في إشارة واضحة للجيش والنظام معا.



كانت فكرة تضييق الخناق على ميدان التحرير قد بدأ التلويح بها عبر إعلام النظام، وبدت هناك إشارات تأتي من رموزه بأنه من الممكن أن يتم التعايش مع اعتصام التحرير، حتى وإن استمر الأمر إلى نهاية دورة الرئيس، التي وعد أنه سيغادر الحكم عند إتمام مدته ولن يترشح مرة أخري، كان يتم التمهيد لاعتزال ميدان التحرير تدريجيا وتحويله إلى ساحة معارضة ولو دائمة على غرار "الهايد بارك " في انجلترا ، وبدأت بالفعل محاولات لفتح الطريق للمرور وفتح مجمع التحرير وإعادة تدوير عجلة الحياة اليومية ،لكن الشباب المعتصمين ردوا على ذلك بالدعوة إلى عصيان مدني عام وتمديد الاعتصام إلى مقرات الحكومة البرلمان

وماسبيرو وغيره، كانوا يناضلون في حشد أكبر عدد ممكن من الجماهير لتوقيف الحياة كلية حتى يرحل، ومع ذلك استمر النظام في صراعه من أجل البقاء، وربما بدأ الجيش بالاستجابة لأوامر رئيس الجمهورية وشرع في تحريك معداته ولو عشرة أمتار إلى داخل الميدان، لكن الشباب رفضوا وتمترست الجماهير أمامها، وبعدما فاض الميدان بالجماهير إلى الكباري والشوارع المحيطة، من هنا بدأت فكرة التمدد بالاعتصام إلى مقر البرلمان ومجلس الوزراء وماسبيرو والانتقال إلى القصر الجمهوري ومحاصرة المؤسسات السيادية والقصور الرئاسية حتى يسقط النظام ويعجز عن الحركة تماما بتضييق الخناق عليه.

على كل حال، الثورة في تمدد وهو في انكماش.. وكلما حل فجر غرد عصفور جديد..لنواصل مسيرتنا في الاعتصام..بعد مطالعة الأخبار نتحرك خطوات في جولتنا المعتادة كل صباح، يظهر على الواجهة الزجاجية لمطعم كنتاكي علقت لافتة تقول: رابطة فناني الثورة لجمع وتوثيق أحداث الثورة من صور ومقاطع فيديو تم التقاطها لأحداث الثورة منذ اندلاعها.. وكذا حكايات أبطالها وشهادات من شاهدوها عن قرب أو شاركوا فيها.. وجلس مجموعة من الشباب تحت اللافتة مستعينين ببعض أجهزة اللابتوب لتوثيق أحداث الثورة، وإلى جوارهم يجلس شاب إلى طاولة صغيرة وقد تخصص في إرسال نغمته المفضلة " الشعب يريد إسقاط النظام " إلى الهواتف المحمولة عبر تقنية البلوتوث، وخلال ساعات قلائل انتشرت هذه النغمة بسرعة البرق على هواتف المعتصمين في الميدان والمترددين عليه حتى صارت نغمة الرنين المفضلة لدى الجميع.





ورصدت صحيفة "المصري اليوم" من فعاليات الثورة <u>دار توثيق الثورة.. كاميرات وأفلام تسجيلية</u>

ورأت أن الثورة مختلفة بكل المقاييس، من ناحية استخدام الوسائط الحديثة وأدوات هذا العصر في تأكيد دعوتها ومعرفة مطالبها وفتح سبل النقاش حولها، وتخطى هذا الجيل الذي صنع ثورته رغبته في أن

يوثق الإعلام الحكومي أو الخاص ثورته كيفما يراها، فالأول يتهمهم بالعمالة والثاني يضخم الأمور أحيانا، فاعتمد على نفسه وعلى تقنياته الحديثة في توثيق ثورته، يوما بيوم وساعة بساعة، حتى يستطيع أن يؤكد عظمة الحركة التي قامت في ذلك اليوم، ونبل الأهداف التي قصدتها الثورة، التي استخدم خلالها الشباب كاميراتهم وبعض المخرجين المستقلين أدواتهم في توثيق تلك الأيام التي يقضونها في ميدان التحرير وسط تجاوب من المتظاهرين الذين يريدون توصيل صوتهم إلى الجميع.

"تامر عشري" مخرج أفلام وثائقية، أحد الموثقين لثورة التحرير، يحمل الكاميرا في الميدان ويستوقف بعض المتظاهرين ويحصل على آرائهم المختلفة فيما فعلوه وما حققوه ومحاولة الدولة لفرض الحوار على المتظاهرين.. يقول عشري: «حملت الكاميرا وصورت لأن هذا الحدث تاريخي، ولن يكون من السهل أن يتكرر مرة أخرى لذلك لابد من توثيقه حتى تراه الأجيال القادمة، لأننا لن نجد من يقوم بهذا التوثيق بدلا منا، فالتليفزيون المصري على سبيل المثال لا ينزل إلى الانتخابات، بالإضافة لانحيازه للنظام الحاكم، ففى جمعة الغضب كان الشارع يشهد اشتعال الثورة، والتلفزيون يبث برامج عن الطهي.

ويضيف عشري موضحا أهمية التوثيق: «أعتقد أن التوثيق والتصوير هما الشيء الوحيد الذي يحمى الثورة من تصويرها كانتفاضة حرامية مثلما أراد النظام أن يفعل، فالجمهور البسيط استطاع التفريق بين المتظاهر والمخربين»...وقد بدأ تامر عشري التوثيق بعد مظاهرات ٢٥ يناير، حيث شارك فيها كمواطن وتظاهر وجاءته الفكرة بعدما رأى التعامل العنيف الذي قامت به وزارة الداخلية مع المتظاهرين، يعلق عشري على مساحة الحرية التي تجعله يصور المتظاهرين بسهولة دون أن يسأله أحد أفراد الشرطة عن تصاريح خاصة بعد هروبهم، قائلا: «أول ما بدخل التحرير بحس إنه المكان الوحيد في مصر اللى فيه حرية، حالة مختلفة من تجمع الناس بمختلف الثقافات والتيارات والتحضر اللى نفسنا مصر كلها تبقى عليه».

وجاءت الفكرة لأحمد كمال مع اليوم الأول للثورة لإنشاء موقع إلكتروني hashtagjan25.com يوثق لأيام ثورة ٢٥ يناير منذ بدايتها بالصور والوثائق والمقالات والتدوينات والذي يقوم على تنفيذه أربعة من مصممي الجرافيك..يقول كمال «شاركت في مظاهرات ٢٥ يناير في شبرا ولم أشارك بعد ذلك بصورة كبيرة لاهتمامي بتأمين المنطقة بسبب حالة الانفلات الأمني وقيام اللجان الشعبية، وأردت أن أوثق ما حدث وأكشف الفساد، لكن بعد بقاء النظام سأهتم بالتوثيق فقط، لأن كشف الفساد سيعرض الموقع لمضايقات أمنية والكترونية، لذلك أتوقع أن يقوم عدد من الهاكرز بمحاولة اختراقه، بالإضافة إلى طلبي أمنيا، لذلك سأهتم بأن يكون الموقع بعيدا عن التجريح الشخصي حتى أضمن أمانه وأماني الشخصي».

واجه كمال مشكلات كبيرة بسبب انقطاع خدمة الإنترنت لمدة أسبوع، يعلق: «كان صعبا أن أشترى موقعا والإنترنت لا يعمل، لذلك عملت أوف لاين لفترة حتى عاد الإنترنت، وأتوقع أن ينطلق الموقع حاملا المقالات والصور والفيديوهات خلال أسبوع من الآن»، وتقول ريم عطية إحدى المتطوعات في العمل في الموقع «الفكرة أننا أردنا أن تكون الثورة موثقة يوما بيوم، وهو أمر صعب جدا، خاصة مع وجود أحداث كثيرة ومتعددة خلال اليوم الواحد، وصعوبة جمع المواد المصورة والفيلمية وتوثيقها وأرشفتها طبقا لليوم الذي حدثت فيه، وأصعب ما في الأمر هو تجميع مواد أرشيفية كبيرة حتى يمكن أن يكون الموقع وثيقة تاريخية».

أما أحمد عودة (٢٢عاما) فيقوم بجمع مقاطع الفيديو المختلفة على جهاز تليفونه المحمول الشخصي بواسطة البلوتوث من المتظاهرين، يجمع عددا كبيرا من فيديوهات قتل المتظاهرين بواسطة رصاص الأمن، أو دهسهم بواسطة سيارات الأمن المركزي أو سيارة الهيئة الدبلوماسية في شارع قصر العيني.. وأحمد عودة يعمل محاميا ويجمع الفيديوهات بشكل شخصي حتى يستطيع إدانة النظام من خلال قضايا داخل مصر وخارجها..يقول عودة «النظام قام بعمل العديد من الجرائم خلال تلك الثورة التي يجب توثيقها وكشفها ومحاسبة مرتكبيها داخليا وخارجيا، لذلك اهتممت منذ اليوم الأول بجمع كل مقاطع الفيديو التي توثق الشهداء والمصابين والجرائم والرصاص المطاطي»..ويمر بجوار عودة رجلان يتحدثان عن فيديو الهروب من سجن أبو زعبل، يستوقفهما عودة، يعرفهما بنفسه ويطلب منهما أن يحصل على نسخة من الفيديو، يقومان بنقل الفيديو، يقول الرجل الأول واسمه عادل شريف (٣٤ عاما): «حصلت على هذا الفيديو من صديق لي، وطالبته بنقله لي. التليفون المحمول سهّل مهمة كبيرة جدا في تسجيل الأحداث مما يصعب على المسئولين تزييفها، يعنى زمان كنا سنصدق المسئولين عندما يقولون إن الأهالي اقتحموا السجون ودمروها وأحرقوها، وأن هذه الثورة يقوم بها مجموعة من اللصوص والمخربين.. أما الآن فأصبحت الحقيقة في يد الجميع وليست في يد الدولة فقط».. ويرد عليه الرجل الثاني محمود صلاح «طبعا، إحنا أول ما طلعوا إشاعة الكنتاكى والخمسين دولار قررنا نصوّر بموبايلاتنا الناس هنا بتاكل إيه، بتاكل سميط وحتة عجوة أو جبنة، واللى ربنا بيكرمه أوى بياكلساندوتشات جبنة رومي أو لانشون جايبه معاه وهو جاي من البيت، لأن صعب إن النظام يفضل يشوه صورة الناس دي كلها في كل أنحاء مصر، والناس اللى في القاهرة بس هم اللى عندهم الحقيقة، عشان كده أي فيديو بنصوره بنرفعه على الإنترنت على طول»، يضيف عودة «سأقوم بعد عملية التجميع التي أقوم بها من الأفراد بعمل مسح كبير للإنترنت لتجميع الفيديوهات وتوثيقها لعمل ملف شامل للفساد والفاسدين في مصر».

كريم الشناوي مخرج أفلام تسجيلية يقوم بعمل مشروع مشترك مع مجموعة من المخرجين لتوثيق قصص شهداء الثورة، بالإضافة لقيامه بعمل مواد تسجيلية أخرى في ميدان التحرير، الشناوي يصف ميدان التحرير بأنه يراه كما لم يره من قبل، يقول الشناوي: «أنا نزلت ومعي كاميرا حتى أقوم بعمل تسجيلي عن الثورة، لم أهتم بتجميع مواد أرشيفية للأحداث، لأنها ستكون متوافرة بكثرة بين الفضائيات وجميع من قام بالتصوير، لكنني كنت حريصا على توثيق البشر لأنهم الأساس ولأن ذلك يحمل رؤية حقيقية للثورة وليس نقلا خبريا فقط»، الشناوي نزل إلى الشارع بداية من جمعة الغضب ليقوم بالتصوير، يكمل «قمت بتصوير المسيرات الحاشدة، لكنني اهتممت مثلا بأهالي النوبة عندما نزلوا المظاهرات، اهتممت بشيوخ الأزهر، أو العاملين بالسينما أو شباب من الجامعة الأمريكية لأعكس أن الصورة ليست لها علاقة بالإخوان، صورت ٥ أيام وسأكمل اليوم وغدا».

وبرغم عدم وجود مضايقات أمنية بسبب حالة الفوضى الأمنية العارمة يشعر الشناوي بالقلق الشديد مما سيأتي، يرى أن دوره لا يقل عن دور المتظاهرين، يضيف: «لو الثورة لم تنجح سيتحول كل المتظاهرين والشهداء لمجموعة من الشباب الخونة والعملاء، وستعتبرهم كتب التاريخ مجرد شباب طائش قام بأعمال تخريبية في مصر، خاصة أنهم حين خرجوا للثورة لم يفكروا في أنهم سيخرجون ليكونوا أبطال أفلام سينمائية».(المصري اليوم)



ومن الجهة المقابلة، حول الدائرة الخضراء في قلب الميدان، افتتح الشباب معرض الثورة للفنون التشكيلية، كان عبارة عن مجموعة قوائم من الخشب مشدود عليها شريحة عريضة من البلاستيك يصل طولها لأكثر من عشرين مترا بارتفاع ثلاثة أمتار من الأرض، وقد ضم هذا المعرض الفني أكثر من ألف لوحة فنية تشكيلية وكاريكاتورية بخامات متنوعة من الورق المقوى والقماش والجلد وبمساحات مختلفة تم تثبيتها على شريحة البلاستيك بلواصق شفافة، وتناولت الأعمال الفنية موضوعات مختلفة من زوايا متعددة تعبر جميعها الحس الثوري، وتتناول أحداث الثورة وتطورها السريع ومطالبها وأهدافها ومحاولات النظام الفاشل لإخمادها والالتفاف عليها بدءا بالعصي الغليظة ومحاولة تطويع الجيش لإخماد الثورة ثم حرب الشائعات الكاذبة ومخطط الفوضى والانفلات الأمني، يليها حرب الغجر والبلطجية ثم الحرب النفسية بالضرب على نغمة الوطنية والمصلحة العليا للوطن وانتهاء بمسرحية الحوار الوطني بزعامة اللواء عمر سليمان نائب الرئيس..

ورغم بساطة هذه الأعمال الفنية إلا أنها تميزت بالعفوية والتلقائية، وتناولت النكتة السياسية بمذاقها ونكهتها المصرية الخالصة، وعبرت عن الحس الفني والعمق الثقافي لدى الشعب المصري ومدى قدرته على التصوير الإبداعي لثورته السلمية.. فكل مصري بداخله فنان يعبر عن ثورته في لوحة ليضمها إلى معرض فنون الثورة.. ففي كل ثانية.. هناك لوحة فنية يفرزها إبداع شعبٍ ثائر ومسرحية درامية أبطالها من مواليد الثورة.. وكذا ضم المعرض الكثير من اللافتات التي تحمل عبارات شعرية ساخرة ذات نغمة موسيقية شعبية ممزوجة بالنكتة السياسية الساخرة والفكاهة الضاحكة، فالشعب المصري يجمع بين الحزم والإصرار والصمود والفكاهة وخفة الدم والنكتة الساخرة في جعبة واحدة، ويشهد بذلك التاريخ المصري الذي ارتسمت ملامحه في الشخصية المصرية في أوقات السلم والأزمات..

فقد كشفت لنا حرب أكتوبر المجيدة عن كثير من ملامح الشخصية المصرية على خطوط النيران وخلف قضبان سجون الأسرى المصريين في إسرائيل، حيث كان هناك مجموعات من الجنود المصريين في الأسر لدى العدو الصهيوني عقب الحرب المجيدة، وكتبوا الكثير من المسرحيات التي تمجد بطولاتهم في الحرب، وفي ظل الأسر وضيق المكان وقلة الإمكانيات، فلم يتوانوا في تسجيلها على ورق الأسمنت ومواد البناء القديمة داخل أسوار السجون وقاموا بإخراجها فنيا وعرضها أمام جمهور السجن داخل الزنازين.. استخدموا بويات طلاء الحوائط في الماكياج والألوان اللازمة لإخراج مسرحياتهم داخل السجون.. كانت هذه الأعمال الفنية من صنع فطرتهم الجماعية وحسهم الفني وإبداعهم الفكاهي وبإمكانات بسيطة من محتويات المكان مهما ضاق بهم.. ما أذهل السجانين اليهود من إبداعهم..هكذا تشكل المزاج النفسي العام لشخصية

المصري في سلمه وحربه وثوراته.. شعب اعتاد أن يخلق من التراجيديا كوميديا تسخر من واقعه .. ففي أحلك الظروف تكون النكتة..

وبجوار رابطة فناني الثورة، قام مركز تجميع جرائم النظام بالوثائق والصور والفيديو التي تجمع رؤوس الفساد في مصر والدول العربية التي تشابهت وتقاربت فيها ينابيع الفساد والاستبداد، وقد تشابهت أفكارهم وطبائعهم في مص دماء شعوبهم وقمع حرياتهم وسلب أموالهم وحقوقهم ومخططاتهم لتوريث الحكم من بعدهم..بينما استعان بعض المتظاهرين بالحس الفكاهي فصاغوا نكاتهم على لافتاتهم وطافوا بها في الميدان قبل أن يودعوها معرض فنون الثورة آخر اليوم، نقرأ من بينها:

- رابطة نجارى مصر يسألون الأسطى مبارك ما نوع الغراء الذي تستخدمه؟
- واقف في عز البرد من ١٣ يوم عشان الوجبة بتاعة كنتاكى.. وانتم رايحين توزعوه عند مصطفى محمود؟
- "ارحل .. الولية عاوزة تولد والولد مش عايز يشوفك".
- مبارك بعد ما مات قابل السادات وعبد الناصر، سألوه: هاااا؟ سم ولا منصة؟ رد عليهم بحرقة وقال: فيسبوك!
- رسالة من تلميذ مصري : إلى أعزائي المتظاهرين في ميدان التحرير .. بخصوص الثورة اللي شغالة عندكم متنسوش أنها هتدخل في مادة التاريخ واحنا اللي بنحفظ !! فاختصروا من فضلكم..
- بن على يدعو مبارك إلى عدم تضييع الوقت واللحاق به في عمرة المولد النبوي
- عاجل جدا : الجراح العالمي د. مجدي يعقوب يصل القاهرة غدا لعمل جراحة فصل التوأمين (مبارك والكرسي)
- في إطار محاكمه أحمد عز سألوه: من أين لك هذا؟ قال هذا من فضل ربي، رد عليه ذكريا عزمي وقاله آه يا واطي يا ناكر الجميل..
- عاجل: عقد الريس جلسة مع وزير الداخلية السابق، حبيب العدلي؛ قال له: منعت الحشيش يا فالح أهو الشعب فاق.
- الرئيس التونسي السابق يتصل بقناة روتانا و يهدى أغنية "بستناك " لحسنى مبارك ، وفي مداخلة عاجلة للرئيس المصري لنفس القناة ، صرح بأننا لسنا مثل تونس وأهدى الشعب المصري أغنية "أخاصمك آه أسيبك لا"
- عاجل|| قوات من الفضاء من اليوفو جراندايزر نزلت التحرير ومعاها شحنة أجندات أجنبية لكي ينافسوا أجندات الشمرلي المصرية الوطنية، ناس تانية في التحرير مكتوب على هدومهم "إسرائيل يا عمري يا حتة من قلبي" مع أخبار عن مسك العديد من جوازات سفر لناس من كوكب زحل وعطارد كانوا بيصوروا اللي بيحصل في السويس واسكندرية..!!

- عاجل|| أصحاب المؤامرة الإيرانية الأمريكية الحماسية الإسرائيلية القطرية الإخوانية لتدمير مصر يدفعون مئات الدولارات للمتظاهرين في التحرير، ويبعثون لهم رسائل مشفرة بالأطباق الطائرة، ويتواصلون معهم بالتخاطر الذهني وتحضير الأرواح، وكل متظاهر يأخذ وجبة «هابي ميل» باللعبة، وشقة في مدينتي. لا تنخدع وتأخذ الوجبة بلا لعبة!
- إياك والانضمام إلى القلة المندسة!
- مصر هتقابل تونس في نهائي كاس الأمم
- الفوضى يا حسني مطبوخة وقراراتك تخاريف شيخوخة
- مبارك ٨٥ سنة سليمان ٧٥ سنة والزهايمر ٧٠ سنة
- عمر سليمان: الأجندات خلصت جبت لك كشكول بسلك
- مبارك والشعب علاقة حب من طرف تالت !
- واحد ماشي ف الشارع وقت حظر التجول قابله ظابط قاله انت أية اللي ممشيك هنا انت متعرفش إن فيه حظر تجول! قاله معلش يا باشا أصل أنا عندي تجول لا إرادي
- سألوا القذافي عن الثورة ، فرجع برأسه إلى الوراء مفكرا بعمق ، ثم قال ببطء مممممم : الثورة.. الثورة هي .. أنثى الثور
- بعد انضمام مبارك والزين إلى خط الدفاع في نادي جدة السعودي .. منتظرين ضم لاعبين جدد
- واحد قدم سلحفاء لمبارك في عيد ميلاده.. فقاله مبارك إيه القرف اللى انت جايبه ده.. قاله دي بتعيش ٣٠٠ سنه.. مبارك قاله خلاص أدينا قاعدين خلينا نشوف
- يعني إيه كوك زيرو : يعني إحنا نعمل ثورة ، والمساجين هما اللي يتحرروا ..؟يعني إيه كوك زيرو ؟ يعني نخلص امتحانات ، والشرطة هي اللي تاخد أجازة نص السنة..؟
- لافتة طفلة: " أونكل حسني عاوزة أغير قناة الجزيرة و أجيب قناة كارتون .. ما تمشي بأة "
- في تونس ثورة ياسمين.. ومصر ثورة لوتس، شكل الرئيس الجاي "جنياني".
- تصريحات رموز نظام مبارك تعليقا على حرق المواطنين لأنفسهم:
- أحمد عز: حل مشكلة حرق الناس لأنفسهم زيادة أسعار البنزين
- بطرس غالى: فرض ضرائب جديدة على أسرة كل شخص يحرق نفسه بالبنزين
- وزير البيئة: حرق المواطنين لأنفسهم هو سبب السحابة السوداء
- وزيرة العمل: حرق المواطنين لأنفسهم يوفر فرصة عمل جديدة للشباب ليعملوا كرجال إطفاء
- رشيد محمد رشيد: استيراد المزيد من البنزين بعد ارتفاع استهلاكه في حرق المواطنين لأنفسهم

- صفوت الشريف: مصر أكبر من كل عمليات الابتزاز السياسي.. ومشعلو النيران عديمو المسئولية
- حبيب العادلى: لا يجوز لأكثر من ثلاثة مواطنين حرق أنفسهم في الأماكن العامة
- فتحي سرور: الموافق على قانون تجريم حرق المواطنين لأنفسهم بالبنزين يتفضل برفع يده .. موافقة
- أحمد أبو الغيط: إحراق المواطنين لأنفسهم شأن داخلي وكل مواطن مصري حر في إشعال النيران بنفسه
- أحمد نظيف: الشعب لا يعرف مصلحته والدليل سوء استخدامه للبنزين والفيسبوك.

ومن بين الفقرات الأخرى التي أرهفت حس الجماهير فتفاعلت معها، كانت النكتة السياسية الساخرة التي عرضها مجموعة من طلاب الأزهر وعبَرت عن هموم الشعب المصري ومحنته بطريقة فكاهية ساخرة.. كما اعتاد الشعب المصري بأن شر البلية ما يُضحك، وتقول النكتة الساخرة : بنا وزير الإسكان مجمع سكني للشباب في الإسكندرية، فذهب إليه الأخ جمال، وطلب منه شقة، فذهب الوزير إلى الرئيس وقال له: يا ريس جمال عاوز شقة من بتوع الفقرا.. فقال الرئيس: وماله.. ما هو شاب زي الشباب.. وقفت عليه يعني ؟ فأعطاه الوزير شقة في مجمع الإسكندرية ثم ذهب الوزير لإنشاء مجمع سكني آخر في أسوان، فذهب إليه جمال يطلب شقة، فقال الوزير للرئيس: يا ريس جمال عاوز شقة تاني من بتوع الفقرا في الصعيد، فقال الرئيس: وماله مش هو شاب زي الشباب؟فقال الوزير : المشكلة يا ريس مش كده.. المشكلة إنه عاوز يفتحهم على بعض..

وأما الحكاية الثانية فتقول : إن الريس مبارك كان في مؤتمر في أسوان.. وراح في جولة سياحية في سيوه، وطلب أن يستحم في عيون المياه الكبريتية، فقال له الحارس: تدفع تذكرة خمسين جنيه.. وبعدما عاد مبارك إلى منزله قالت له سوزان : نضفت النهارده يعني ؟ فقال لها مبارك : استحميت بخمسين جنيه في مياه كبريتية في سيوه، فقالت لجمال: روح سيوه واستحم زي أبوك في مياه كبريتية وادفع خمسين جنيه بس.. فذهب جمال لحارس المياه في سيوه وأعطاه خمسين جنيه، فقال الحارس أنت تدفع مائة جنيه، فقال له جمال: بابا دفع خمسين فقط، قال الحارس : أنت دفع مائة لأنك أوسخ من أبوك.

ربما كانت هذه الكلمات التلقائية والضحكات الساخرة ليست لها قيمة في حياتنا اليومية المعتادة، لكنها في ظرف معين قد تصنع أو تكون عنصرا أساسيا في صناعة حدث سياسي يغير مجرى التاريخ ويبدل حياة الشعوب من حال إلى حال في لحظة تتحول فيها النكتة الساخرة إلى واقع حقيقي، وتتحول الضحكات الصاخبة إلى لحظات من التأمل والفكر في منعطف تاريخي يشاهده العالم أجمع، عندما تعبر هذه النكات الضاحكة عن رمزية أثقل من كلماتها البسيطة..

وربما كان الظرف الوطني والجو النفسي العام باعثا على حالة التداعي الحر للذاكرة الشعبية، ما جعلها تنتفض بآلامها وآهاتها التي اختزنتها عبر حوادث التاريخ الأليمة مرورا بنكسة ٦٧ وانتهاءً بحادث احتراق قطار الصعيد بركّابه وغرق العبارة السلام في مياه البحر الأحمر..وعدم تحرك الحكومة المصرية لإنقاذ العبّارة برغم وفرة الوقت وجاهزية البحرية المصرية، مع تسرب بعض الأخبار المؤسفة عن أن ذكريا عزمي – رئيس ديوان رئيس الجمهورية – لم يشأ أن يبلغ رئيس الجمهورية بأمر العبارة التي تستغيث من الغرق، لأنه كان نائما فلم يرد إزعاجه وتركه ينام بحرية حتى الصباح، وقد غرقت العبّارة بالكامل قبل أن تتخذ الحكومة المصرية قرارا بشأن التدخل السريع لإنقاذها. هذه المحطات الأليمة في تاريخ الشعب المصري جعلت الذاكرة الجماعية تنتفض وتطفح بآهاتها وآلامها، وأكثر ما يجسد هذه الآهات في حياة الشعب المصري هو الشعر الزجلي بلغته البسيطة ولهجته العامية الدارجة التي تهجر الأوزان والقوافي وضوابط الشعر العربي وتتركز في الكلمة والمعنى وما يحمله من فيض شعوري ملهب تنسجم له قلوب وأسماع البسطاء في الأمسيات الليلية وحلقات السمر الساهرة.

تحول ميدان التحرير خلال أيام الاعتصام إلى ما يشبه سوق عكاظ الذي كان يلقي فيه العرب أروع قصائدهم، فسال الشعر على لسان الشباب وتدفق إبداعهم شعرا ونثرا وزجلا ورسما. خصوصا بالفكاهة والسخرية من الرموز السياسيين غير المرغوب فيهم، لأن الشعب المصري لم يكن يشترك في معارضة سياسية أو لم يكن مسموحا له على مدار عقود طويلة، فبادر المتفكهون بإطلاق النكتة السياسية كي يعبروا عن رأيهم وهم مختبئون خلفها. وكثيرا ما كانت تأتي نكات المصريين ساخرة ولاذعة، حتى أنهم كانوا يسخرون من أنفسهم أيام كانوا فراعنة وتخلوا عن فرعنتهم وخضعوا للهكسوس،فقام الفنانون الفراعنة برسم مشهد خضوع المصريين للهكسوس على جدران المعابد على هيئة قطط تخضع للفئران.. كرمز على صيرورة المصري خاضع للمحتل. أما الجبرتي في تاريخه يحكي عن مؤامرات نابليون لإيقاف " الأضاحيك " (النكت) لأنها تهدد سلطانه.. ويحكي عن استخدامه الفتاوى الدينية المتشددة لتحريمها.

ولذلك كان الرؤساء السابقين عبد الناصر والسادات يعملون لها ألف حساب، وكانوا يكلفون مساعديهم من المخابرات وأجهزة الأمن بتقديم تقارير دورية عن أحوال وظروف النكتة السياسية، لدرجة أن جمال عبد الناصر كان يقدم له تقرير أسبوعي من وزارة الإرشاد، وكذا المخابرات عن النكت.. و كان اسمه الحركي في النكت "عبد الجبار".. و قد أزعجته نكتة الطبيب الذي نصحه برياضة "المشي".. قائلا له: "ما تمشي بقي" ولذلك هتف شباب التحرير لطائرة الجيش " مش هنمشي هو يمشي"

و كذا النكتة التي أثارت أزمة بين عبد الناصر وأنيس منصور.. والتي تقول :" واحد متعود كل يوم يقرأ الجرنال.. و بعدين يرميه في الأرض و يدوس عليه.. فسأله صاحبه عن سبب ذلك.. فرد عليه: أنا باقرأ الوفيات.. فسأله: بس أنت قرأت الصفحة الأولى ولم تقرأ صفحة الوفيات.. فرد عليه: ما اللي أنا مستني موته خبره بيطلع في الصفحة الأولى.."

ولذلك كان جمال عبد الناصر في خطبة مشهورة له يناشد الشعب المصري ويطالبه بأن يتقى الله ويرشد في استهلاك النكت حتى لا يؤذي الشعور الوطني، ومن أمثلة النكت التي أرقت هذا الشعور الوطني، نكتة الطبيب الذي حضر ليعالج الرئيس من الصداع.. و كان تشخيصه أنها حالة إسهال في العقل.. فلما سئل الطبيب عن تفسير ذلك.. قال:"أصل أفكاره قذرة..".

أما في عصر السادات فكان الوزير "حسن أبو باشا" يجمع النكت للرئيس السادات، و يعرضها عليه كل صباح.. ويحكى أنه كان يأخذ قرارات على أساس تقديره لخطورة بعض النكات.. و قد أزعجته بعض النكت مثل نكتة:" يا موحد الأديان يا ريس"

أما في عصر مبارك فقد اشتعل الميدان بالنكات وجمعت نكات العصور السابقة كلها مع ما تسيل به قريحة الشباب، حيث أن مبارك لم يكن يهتم بالنكات السياسية وكان يتعامل معها بمنطق " خليهم يتسلوا" حتى زادت حصيلة النكتة السياسية في عصر مبارك خصوصا مع دخول فيسبوك وتويتر، ولم يكن مبارك يقرأ التقارير، و كانت تروى له النكتة التي يظنون أنها تمتعه فقط.. فلما استخدم السخرية منهم تهكما، استخدموها بغزارة وأنتجوا بحرا من النكات، حتى أن عمر سليمان صار يتوسل إلى الشباب يتركوا مبارك ستة شهور ويقول لهم بأن "الرئيس مبارك زي أبونا".. فعلق الشباب في خطابهم الفكاهي قائلين:" على كده إحنا طلعنا ولاد حرام !!

يقول الباحث كامل رحومة" للفكاهة قوة إقناع و تأثير في العقل الجمعي تفوق كل الخطابات الموجهة الأخرى.. وقد ظهر هذا جليا في الخطاب الثوري لميدان التحرير الذي غلبت عليه الرشاقة الذهنية للمصريين، واستحق الشعب المصري عنها درجة شعب عبقري بجدارة واستحقاق". كما يقول الكاتب الساخر "إبراهيم عبده "النكت والسخرية أشد عنفا من طلقات الرصاص".

وأما النكتة الأكثر إثارة في ميدان الثورة، فكانت إعلان الدكتور أحمد والآنسة علا زواجهما في الميدان، وصعد الدكتور صفوت حجازي لتقديم العروسين والدعاء لهما بمباركة الجماهير، وأنهى المأذون مهماته "كتب الكتاب" وبارك لهم الجميع.. كانت خطوبة د.أحمد وعلا منذ فترة، وتحدد موعد زواجهما،

لكن عند قيام الثورة، اضطرا لتأجيل حفل الزواج حتى نجاح الثورة، وقد شاركا الاثنين مع شباب الثورة في المظاهرات منذ بدايتها واستمرا معا في الاعتصام وأصرا على تأجيل الزواج حتى نجاح الثورة، ثم جاء قرار أحمد بأن يبعث رسالة إلى النظام مضمونها أن الحياة لن تتوقف، وأن الاعتصام ليس مانعا من شيء والحياة تسير بشكل طبيعي، فاتفق مع خطيبته علا على إعلان زواجهما في الميدان، كي يبارك لهما الجميع، فأخذ المعتصمون يهنئونه بهتاف "الشعب يريد إسقاط النظام".

ولم يكن غريبا أن يلتف الشباب في ذات الظرف حول الطرب الأصيل من الأغنيات الوطنية الحماسية والثورية من جيل رياض السنباطي وأم كلثوم وبليغ حمدي وعبد الوهاب والفنان الثائر محمد منير، هذا الجيل الذي عزف ألحانه وغنى كلماته على أوتار العود والتشللو والكامان والكنترباس.. جيل غنى لثورة يوليو ونصر أكتوبر المجيد، ومع ذلك جعلنا نشعر بأن أغانيه مكتوبة من القلب إلى القلب وفي قلب ميدان التحرير لثورة يناير وشبابها وليس قبلها بنصف قرنٍ مضى.. الكثير والكثير من الأغنيات.. وقف الخلق ينظرون جميعا كيف أبني قواعد المجد وحدي..، يا بيوت السويس.. مصر اليوم في عيد.. أصله ما عداش على مصر.. حدوتة مصرية.. ما تقولش إيه إديتنا مصر.. وأغنية المطربة الشابة عفاف راضي " مصر هي أمي.. نيلها هو دمي..شمسها في سماري حتى لوني أمحي .. لون نيلك يا مصر.. ".

كان هذا الجو النفسي والحس الوطني العام كفيلا لصد ضربات الحرب النفسية التي شنها النظام لتقويض عزائمنا، حيث انتشر أنصار الحزب الوطني ومؤيدو مبارك وعناصر من الأمن السياسي وأمن الدولة.. تسللوا بأعداد غفيرة من الرجال والسيدات في الميدان بعد مفاوضات عمر سليمان وأحمد شفيق، وحاولوا بأساليب ملتوية إقناع الشباب بقبول الحوار والمفاوضات وفض اعتصامهم.. توسلوا بخطاب ناعم ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، عبروا عن مدى ولائهم لوطنهم وخوفهم على أمن مصر واستقرارها وكرامتها وسيادتها.. وكأن كرامة مصر وسلامة سيادتها في كرامة شخص مبارك وسيادة حزبه.. كانت هذه أهم محطات الصمود والإصرار بل والكفاح، ومكنت الشعب من اجتياز العقبات التي كانت السبب المباشر في فشل ثورة عرابي قبل قرن من الزمان، فقد اندس الخونة في دواليب الثورة وأوقفوا حركتها، بل وتسربت الخيانة إلى بعض من أتباع عرابي ونقلت أخباره وأسراره إلى الخديوي توفيق الذي تحالف مع الإنجليز من أجل استقرار عرشه والحفاظ عليه، ولو كان الثمن هو مصر وسيادتها وكرامة شعبها، بل إننا نتذكر أن مصطلح (ولس – مولس) وهو ما يعني متواطئ أو طابور خامس أو جاسوس أو خائن أو مندس.. هذا المصطلح نشأ أيام ثورة عرابي من كثرة انتشار المولسين والخونة بين مجموعة عرابي ينقلون أخباره للخديوي مرة والإنجليز مرة.. وكنا كذلك في الميدان معرضون لمثل هذه الانتكاسة الأليمة لولا فضل الله وكرمه.. فالبسطاء الذين خرجوا عن صمتهم

كي يصرخوا من الجوع والألم والحرمان والقمع، ضموا صرختهم إلى صرخة الشباب بحثا عن التغيير والحرية والعدالة الاجتماعية.

وكنا جميعا نعرف أن بيننا الكثير من الصحفيين والإعلاميين الأجانب استغلوا الظروف وجاءوا من بلادهم للتجسس تحت غطاء العمل الصحفي، ودأبوا على التحقق من أفكار الشعب المصري وميوله واتجاهاته السياسية والدينية والعروبية، خاصة جيل الشباب الثائر، والبعض الآخر من هؤلاء الأجانب يبحثون عن مدى الميل الديني لدى الشباب واحتمال وصول الإسلاميين للحكم وطبيعة الأفكار التي صنعت الثورة، وبالطبع ستتشكل السياسة العامة لمصر ما بعد الثورة، لأن الجميع يعلم يقينا أن الحكومات القادمة ستتشكل من هذا الجيل.وغيرهم الكثير من أفراد الأمن السياسي الداخلي والمخابرات جاءوا لاستطلاع الأمر على حقيقته وتطور الوضع في الميدان، ومن ثم تدبير الطريقة المناسبة للتعامل معه، وكثيرون منهم مشغولون بالتقاط صور لكل من تواجدوا في الميدان لمتابعتهم أمنيا خاصة الناشطين سياسيا من الشباب بالهتافات واللافتات ورسامي الأعمال الفنية الساخرة والكاريكاتير السياسي وحتى باعة الأعلام والمترددين على المنصات الإذاعية داخل الميدان، وكل من كانت لهم أنشطة تصب في مثار الثورة على نظام الحكم.. وربما كان التوقع في حال تعثر الثورة أن يتم استئصال هؤلاء من الحياة بلا رجعة، أو أن تقدم أعناقهم إلى المقصلة في قلب الميدان فور خلوه من الجماهير، ولهذا كنا حريصين على التزام الميدان وعدم الخروج منه إلا في أضيق الحدود، فهو على أي حال أكثر أمانا من أحضان الأمهات، فلن يستطيع أحد اعتقال شخص في الميدان وسط الملايين، لكن خارجه ولو على بعد خطوات منه فالأمر أسهل من قتل ذبابة..

ومن حين لآخر تسمع أو ترى مندسا اصطحبه شباب الأمن الميداني إلى خلف المنصة الرئيسية وتتبين أنه من أفراد الأمن السياسي أو من أعوان الحزب الوطني جاءوا لأداء مهمات تطوعية في زرع البلبلة والخوف في نفوس الشباب خوفا على مصلحة الوطن وسيادة مصر وأمنها الظاهري.. وكان الرد التلقائي من الميدان عنوانه: قليلون حول الوطن.. كثيرون حول السلطة.. وكثيرا ما ترى هنا أو هناك مجموعة تحلقت حول شخص يزفونه (زفة بلدي) ويهتفون حوله " بره.. بره.. طلعوه بره"، ويخرج هذا المندس منكسرا دون تعليق، وأحيانا ما تحدث اشتباكات بالأيدي لكن سرعان ما تهدأ بصورة تلقائية مع هتاف"سلمية.. سلمية".

كان النظام قد بدأت أوراقه تتساقط في خريف الثورة، وسعى عمدا إلى إخلاء بعض المناصب السياسية من رموز الحزب الوطني وقدم تنازلات، ربما اعتبرها قرابين للثورة كي يرضى شبابها ويعفوا عن الباقين، وقدم بعض رموزه إلى النيابة العامة ليخضعوا لتحقيقات كنا نعرف أنها صورية ومؤقتة من أمثال حبيب العادلي وأحمد عز وزهير جرانة، وكان أمله من وراء هذه التضحية بهذه القرابين أن يكتفي شباب الثورة بما حققوه

وينسحبوا ليتعافى النظام من أزمته، لكن الشباب أصروا على النضال ومواصلة كفاح الثورة حتى تسقط الرأس ، لا أن يميل فقط وينحني مثل جزع شجرة عتيقة ضارية بجذورها في عمق الأرض، وكانت هتافاتهم تتجدد في حيوية ونشاط تلقائي معبرة عما يدور في نفوسهم، فرفضوا وأصروا وهتفوا " لا حوار إلا بعد رحيل النظام "، " مش هانمشي.. هو يمشي" وهتفوا مطالبين بأموالهم المنهوبة " عاوزين فلوسنا .. عاوزين فلوسنا "، وطالبوا بتوزيع الأموال التي نهبها مبارك وأسرته بالمليارات خلال ثلاثين عاما، على أفراد الشعب المصري.. ولم يكن الأمر سوى اقتراح يثير الحماس والشهية الثورية، لأن مجرد الحديث عن الأموال المنهوبة لن يكون واقعا بأي حال إلا بعد رحيل النظام ورموزه..

وقبيل صلاة الظهر تواترت الجماهير زرافاتٍ إلى الميدان، ولم تعد هناك حاجة إلى حصر أعداد المعتصمين، فلم تعد تتناقص عن المليون، بل أن مليونية الشهداء أمس أتت بنتائج باهرة وبعثت برسائل ثورية إلى الجميع مطالبة بدماء الشهداء، فتوالت وفود غفيرة من أهالي الشهداء على الميدان حاملين صورهم وحكاياتهم قبل لحظات من استشهادهم، وربما في هذه اللحظات كان ملف الشهداء كافيا وحده لاستكمال مسيرة الثورة.. فقد كسب مبارك تعاطف الجماهير بخطابه ثم ما لبثت الجماهير أن شعرت بخنجره يمتد في ظهورنا فتركته وتعاطفت معنا..

وكان الصحفيون قد تجمعوا ظهر اليوم في نقابتهم وأشعلوا موجة احتجاجية على أثر وفاة زميلهم الصحفي أحمد محمد وأصدروا بيانا وقع عليهم مجموعة منهم ، وطلبوا في بيانهم عقد جمعية عمومية للنقابة تطالب بإسقاط مجلسها .على خلفية أن "مجلس النقابة ونقيب الصحافيين مكرم محمد أحمد لم يحرك ساكنا للدفاع عن الصحافيين الذين تعرضوا للاعتداء عليهم، إلى جانب الدفاع عمن استشهد منهم وتعمده تعطيل الخدمات الأساسية بالنقابة خلال أيام الثورة. وأكدوا في طلبهم عقد الجمعية العمومية على أن "الصحافيين يفتقدون في الظروف الدقيقة الحالية إلى حماية نقابتهم ويفتقد الوطن كلمة حق تصدر من نقابة رأي بمكانة نقابة الصحافيين."ورأى الصحافيون الموقعون على الطلب أن "قرار المحكمة الدستورية الصادر قبل بضعة أسابيع أقر بطلان القانون ١٠٠ للنقابات المهنية واستنادا على هذا القرار إلى جانب الأحداث التي وقعت، طالبوا بسحب الثقة من النقيب ومحاسبة المجلس على أدائهم في ظروف الثورة والاعتداءات على الصحافيين."

في ذات الوقت، أعد الصحفيون جنازة رمزية لشهيد الصحافة الأستاذ المحترم أحمد محمد محمود، الذي سقط غدرا برصاص الأمن في جمعة الغضب أثناء تصويره الأحداث من شرفة مكتبه، وتوفي بعد عدة أيام قضاها في غرفة العناية المركزة، وتم دفنه مساء الجمعة الماضية، وشكل الصحفيون مسيرة مهيبة

تحركوا بها من أمام نقابة الصحفيين، وحضرتها زوجته السيدة إيناس عبد العليم، ومجموعة من أعلام الصحافة المصرية، وحمل زملاءه نعشا رمزيا مغلفا بعلم مصر ووضعوا عليه لافتة تقول " للحرية باب بكل يدٍ مضرجة يدق"، وتحركت الجنازة الرمزية حتى وصلت إلى مشارف ميدان التحرير، وحمل المشيعون لافتات كتب عليها " الصحفيون المصريون يؤيدون مطالب الشعب ويطالبون برحيل النظام ورموزه"، و"دماء الشهداء لن تجف إلا بمحاكمة القتلة والمجرمين وأنصار النظام"، ويهتفون " بالروح بالدم.. نفديك يا وطن". كما رفعوا صور الشهيد، فاستقبلتها الجماهير بالهتافات والأغنيات الوطنية والتفوا حولها ينشدون " فدائي.. فدائي.. فدائي.. أموت أعيش.. مايهمنيش "



وفي ذات اليوم وجه الدكتور فاروق الباز المستشار بوكالة " ناسا للفضاء" رسالة إلى الشباب المعتصمين في الميدان قال فيها: الآن.. يتابع كل مصري ومصرية في جميع أنحاء العالم التجمعات الدائمة في ميدان التحرير، ويأمل الجميع النصر لهذه الثورة ضد الخمول والتقاعس والمحسوبية، وكذا نسيان متطلبات الجيل الصاعد، وكأنه جيل لا حق له في حياة كريمة تحقق أحلامه وترفع من مكانة مصر بين باقي الأمم، لقد أثبتم للعالم أن شعب مصر وإن استكان إلى حين، لابد أن ينتفض ليحمي هذه الدولة العريقة وكرامة شعبها العظيم.. إنني أفخر بشعب مصر الذي لم يقض عليه خمول أجيال الفشل، الذي كان سببا في الخيبة التي أفسدت حياتنا، فكما قالت لي ابنتي " لقد اختفت الابتسامة من وجوه المصريين " إن جيلي أول من رفع شأن

المؤسسات الواهية التي تفشى فيها الفساد والخمول والجهل، ونتج عن ذلك حرمان الإنسان من التعبير عن الرأي والقدرة على التفوق والحلم بمستقبل زاهر.

إنني أشعر بسعادة غامرة حينما أرى أبناء وشباب مصر يحمون حقوقهم وحقوق وطنهم، وشعرت بالفخر عندما رأيت شباب مصر يحمون الأفراد والمنشآت العامة والخاصة، خاصة المتحف المصري الذي يحتوي على أمثلة من تاريخ أجدادنا العظام . كذلك، أصفق فرحا عندما أرى شخصا يحمل مصابا من غدر المرتزقة، وشباب الأطباء يعالجون جراح كل المصريين، أشعر بالفخر عندما أرى شابا مسيحيا يحمي مسلما يصلي، هذه هي صفات الأصالة المصرية العريقة في جذور التاريخ..

وعليكم الثبات في موقفكم الوطني العادل حتى يتم الإصغاء إلى مطلبكم الأساسي وهو تنحي الرئيس حسني مبارك، وما يجب عليه إلا أن يترك الساحة لغيره باختيار الغالبية العظمى في انتخابات حرة ونزيهة، يعد لها الهيكل الحكومي الحالي تحت أنظار الشعب والقانون، وكفى مصر ثلاث عقود من الخمول وغياب الرؤية والانسياق وتفشي الفساد والمحسوبية وسيطرة القمع.. مصر أم الدنيا وأعرق الحضارات ويجب علينا جميعا الحفاظ عليها.. لا تقبلوا وصاية أي فرد أو جماعة عليكم، ومن يتحدث عنكم لابد أن يسمعكم أولا، وابتعدوا عن الأحزاب والجماعات في هذه الآونة الحرجة؛ لأنها تفرق لتسود، يجب أن يكون ولائكم للوطن أولا وأخيرا ولابد لكم من الشعور بالأمل.

وربما بدأتم من اليوم تحددون رؤيتكم لمصر المستقبل التي تستدعي الرؤية الثاقبة والعمل المضني الدءوب، يبهج النفس مثل هذا العمل ويزيد من احترام الإنسان لنفسه لأن غرضه هو الصالح العام، ويلزم أيضا أن تكون لديكم رؤية لمسار الإصلاح. شاملة إصلاح التعليم والحفاظ على أرض مصر الخصبة ومياه النيل، وكذلك فتح آفاق جديدة للتوسع العمراني والزراعي والصناعي والتجاري والسياحي لكي تجد الأجيال المقبلة الوسائل التي تؤهل دوام الرفعة والازدهار، وأهم من ذلك كله التطلع للمستقبل بأمل..أناشدكم الاستمرار في مجدكم داعيا لكم بدوام النجاح والتوفيق.. وعاشت مصرنا حرة أبية".

هكذا، جاءت كلمة العلامة المصري البارز د. فاروق الباز معبرة بكل صدق وبعمق عما يدور في عقولنا وما تطير به أحلامنا الشابة، وما نطمح أن يكون عليه مستقبلنا ومستقبل بلادنا.. كانت الوحدة والولاء الوطني والإخلاص للهدف هي أولوياتنا ومبادئنا، فلم نشهد أي انقسامات أو خلافات أو تجمعات حزبية أو سياسية أو مذهبية أو طائفية.. الجميع يقف في بوتقة واحدة وتحت راية الوطن، ولم يشهد الميدان علما يرفرف في سمائه سوى علم مصر بألوانه الثلاث والمروحية العسكرية تطوف السماء من فوق الجميع.. ولم

يشهد الميدان أي اتجاهات معادية لأي كيانات محلية أو دولية سوى المطالبة برحيل النظام، ولم يرِ علم تم حرقه في الميدان سواء كان علم العدو الصهيوني أو غيره..

وقرابة عصر اليوم جاء الدكتور أسامة الباز، الذي عمل مستشار سياسيا للرئيس مبارك منذ عام ١٩٧٥م وحتى سنوات قليلة قبل قيام الثورة. حضر اليوم للانضمام إلى شباب الثورة في الميدان، ومعه حفيده الصغير (١٠ سنوات)، لكن الشباب رفضوا وجوده في الميدان وطالبوه بالخروج.. ربما كان د. أسامة الباز محترما على المستوى الشخصي لكنه عمل مستشارا سياسيا ومرشدا حكيما لمبارك لفترة تزيد عن الثلاثين عاما، أي أنه علم مبارك كيف يكون الفساد بحكمة، وإن لم يكن قد علمه فكان هو على علمٍ كامل وعن قرب بمدى الفساد والظلم الحاصل في البلد ولم يستنكر. على كل حال، رغم أن جمال مبارك كان يناديه باسمه مجردا لكننا احترمناه..

وحينما آلت الشمس إلى الغروب كان الميدان قد امتلأ عن آخره بالجماهير كعادته وتحول إلى ما يشبه كرنفالا شعبيا، يضم العديد من المنصات الإذاعية والخطب والندوات الثقافية السياسية والأغنيات الوطنية والثورية، وفقرات لإلقاء الشعر الزجلي الساخر الذي مثل الوسيلة الأنجع لكشف هموم الشخصية المصرية في كافة جوانبها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فقد تلقى الشباب ضربات الغاز والخرطوش والرصاص في وجوههم من يوم الغضب إلى جمعة الغضب حتى شبعوا، وطفح غضبهم سخرية من النظام، فجاء دورهم ليردوا إليه الرصاص برصاصٍ ساخر..

بالإضافة إلى مجموعات وحلقات سمر تتبادل الرأي الحر في أمور الوطن وأولوياته وأحلامهم، فهذا الجمع الغفير من الجماهير يشبه إلى حد كبير مشهد الحجيج فوق عرفة في موسم الحج من كل عام؛ فالأعداد متقاربة والأشكال والألوان متشابهه والأحاديث مسترسلة والآراء متوافقة والراية باسم الحرية والعدالة، والكعبة هي الوطن..

وكثير من الفنانين كانوا يأتون كل يومٍ لدعم الشباب بوقفاتهم، الفنان خالد الصاوي خفيف الظل كان دائما على رأس الفنانين الموجودين في ميدان التحرير طوال أيام الاعتصام، وحينما سُئل عن الأموال والوجبات التي يتم توزيعها على الشباب في الميدان وفق مزاعم البعض قال ساخرًا: "والله يا جماعة أنا جيت ولا لقيت ولا كنتاكي ولا حاجة، وفضلت مستني الأجندات مالقتش حد وزع حاجة .. مش عايزين كلام أهبل مش معقولة تلاتين سنة بنشوف قمع، نهب، واستبداد ويضحك علينا بعد كل ده" .. أما الفنان عمرو واكد فكان من بين الفنانين الذين انضموا إلى الثورة، حيث حضر إلى ميدان التحرير برفقة أخيه، منذ اليوم الأول، للمشاركة في الاعتصام، ولم يكتف بذلك، بل قام بإمداد المعتصمين بالماء، فتم اعتقال شقيقه في محاولة

أمنية للضغط عليه، لكنه لم يتراجع عن موقفه وظل صامدا إلى جانب المتظاهرين. وفي لقاء له مع قناة "فرانس ٢٤" وصف هجوم بعض الفنانين على الثوار بأنه دنيء، وأكد أن الفنان لا بد أن يكون مرآة الشعب، ويستطيع أن يستشف الإرادة الشعبية ويضعها في أعماله وحواراته، لافتا إلى أن الفنان الذي لا يرى شعبه لا يصلح أن يكون فنانا..





وكذلك الفنان خالد النبوي وصف ما قام به ثوار ٢٥ يناير بأنه أعظم من بناء الأهرامات وأعظم من ثورة أحمد عرابي، وكان سعيدا وسط هتافات الآلاف في ميدان التحرير، ودشن مؤخرا هاشتاج"#الحلم_عايش". عبر صفحته على مواقع التواصل الاجتماعي "فيسبوك". أما خالد أبو النجا فكان يهتف مع المتظاهرين " الشعب يريد محاكمة الرئيس"..أما الفنانة بسمة فقد شاركت في أحداث الثورة منذ بدايتها كمواطنة، وتميزت بموقفها الواحد منذ بداية الثورة على عكس كثير من الفنانين الذين تأرجحت آراؤهم ما بين المؤيد والمعارض، ما أعطى لها رصيدا جماهيريا. وكذلك جيهان فاضل التي تتذكر مشاركتها في مظاهرة أمام دار القضاء العالي في ٢٥ يناير وتم حصارها مع بضع مئات أمام دار القضاء، وكان أملهم هو الوصول إلى التحرير، قبل أن ينجحوا في فك الحصار واتجاه بعضهم إلى التحرير، حتى "شيري"كانت سعيدة بوقوفها وسط المتظاهرين في ميدان التحرير، وما زالت تفتخر بهذه اللحظات.

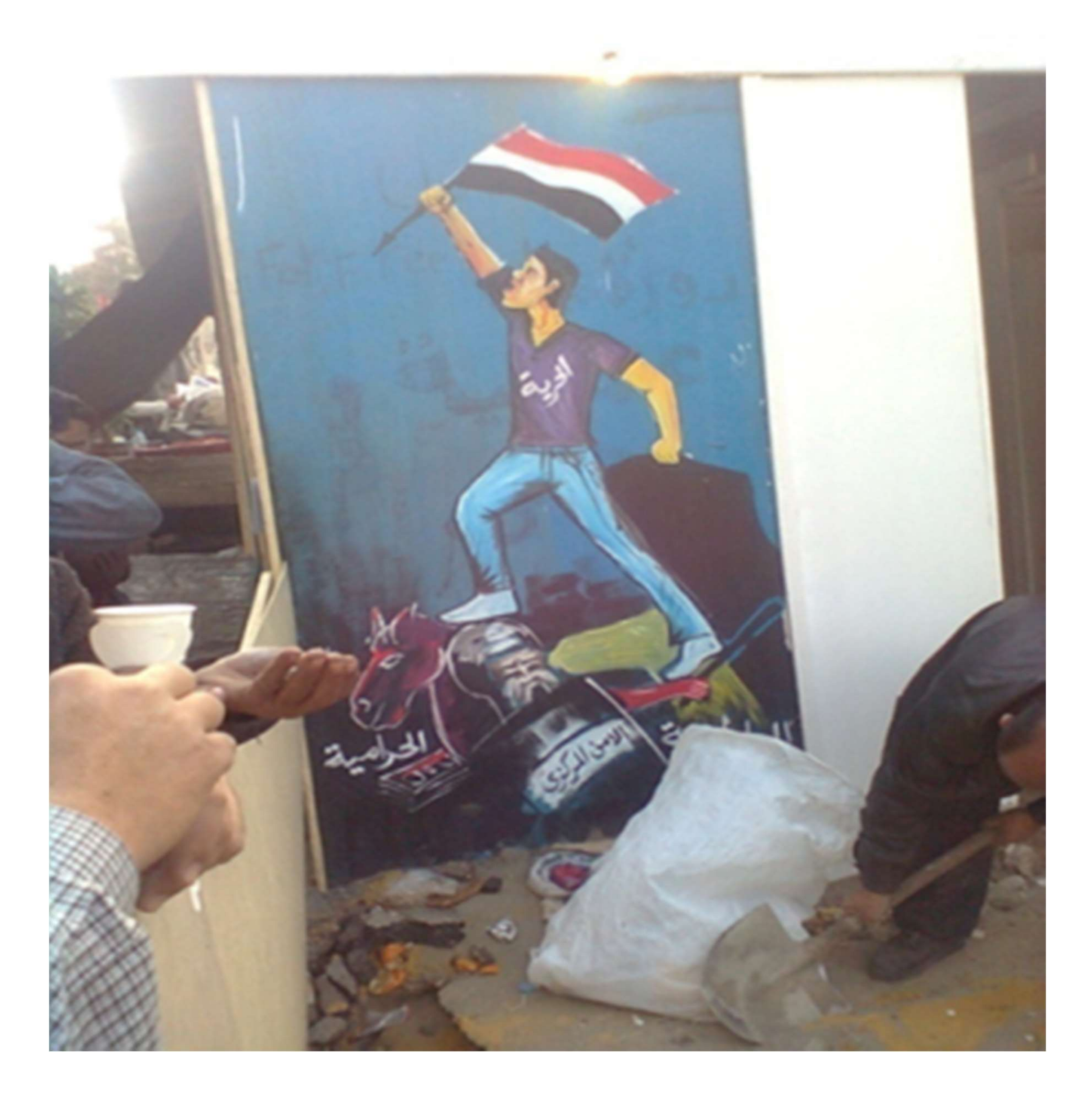
كرنفال الشعب المصري يضم جميع فئاته العمرية وطبقاته الاجتماعية والثقافية وألوان من الفنون والإبداعات التشكيلية واللافتات والصور والهتافات جمعتها غاية واحدة، واللافت للنظر في هذا المشهد الأسطوري هو البعد الأخلاقي النبيل، فالميدان يحفل بالملايين، مسلمين وأقباط، شباب وفتيات وشيوخ وأطفال.. مثقفين وفنانيين وعلماء وعمال وبسطاء وأميين.. إسلاميين وليبراليين وعلمانيين ومعتدلين.. الجميع في وفاق

ووئام.. فلم تحدث أي خلافات أو تجاوزات سلوكية أو خلقية.. وبرغم أن العدد تجاوز الثلاثة ملايين في وقت الغروب إلا أنه لم تحدث واقعة تحرش واحدة على مدار الأيام، ولا مضايقات ولا خلافات.. نبل الأخلاق وسموها فاق كل التوقعات.. وكان سمة وعلامة بارزة على جباه الجميع.. الرقي والتحضر كان سلوكا مميزا للجميع.. التعاون والتكافل والتضامن كان السبيل الوحيد لتعايش الملايين في الميدان.. التسامح والعفو والفضيلة والخجل والحياء أخلاقيات فرضها الميدان على الجميع، هذه القيم الخلقية السامية استعادها الشعب المصري من أصله العريق بعد أن غابت عنه لفترة من الزمن تحت وطأة القمع والظلم والجوع.



وكانت الكثافة البشرية في الميدان في تلك الليلة لها تأثيرات مباشرة خاصة في أسلوب التعايش والحركة والنوم والراحة في ظل برودة الليل وتساقط الأمطار.. ولم تعد المراحيض كافية لاستيعاب هذا العدد الرهيب رغم وجود العديد من المراحيض في الميدان والمناطق المحيطة به.. وكان لابد من البحث عن حلول فورية لهذا الأمر، خصوصا أنه من المتوقع منطقيا أن تكون الأعداد في الصباح أضعاف ما هو موجود الليلة.. ولا أعرف كيف جاءت الفكرة للشباب بإنشاء مرحاض خشبي ليتصل بمرحاض محطة المترو.. فصعد أحدهم منصة الإذاعة ووجه دعوة حضور للسباكين والنجارين والبناءين والعمال.. من المتواجدين في الميدان.. وفي لحظات معدودة اجتمع هؤلاء خلف المنصة وأحضرت الأدوات و ألواح من الخشب وشرائح " الأبلكاج "، وبدأ النجارون عملهم في تصميم المرحاض الجديد فوق مرحاض محطة المترو.. حيث يتم تفصيله بألواح الخشب إلى عشرين دورة مياه.. وتم الحفر وتوصيل أنابيب الصرف إلى مرحاض المترو، وكذلك توصيل

أنابيب المياه وأسلاك الكهرباء من مرحاض المترو إلى المرحاض الخشبي الجديد.. بحيث أصبح الاثنين في شبكة واحدة للمياه والصرف والإنارة.. واستمر العمل طوال الليل حتى أنجز المرحاض الجديد وبدأ البناءون في رصف أرضيته بالأسمنت، وانتهى النجارون من تركيب الأبواب وتغطية السقف..



وقبل أن تنتهي أعمال التشطيب النهائي للمرحاض، كان الفنانون قد أسرعوا برسم اللوحات الفنية على الجدران الخشبية (ألواح الأبلكاج) للمرحاض من الخارج حتى تحول في ساعات قلائل إلى تحفة فنية وتزاحم الكثير حول المرحاض الجديد ليس لقضاء الحاجة، ولكن لالتقاط صور تذكارية للوحات الفنية البارعة المرسومة على جدرانه الخشبية الخارجية.. وكان من أهم وأروع هذه اللوحات لوحة الحرية التي تناولت أحد شباب الميدان على هيئة فارس يمتطي صهوة جواده منطلقا بسرعة فائقة يحمل في يده شعلة الحرية وفي

يده الأخرى علم مصر.. بينما يتساقط جنود الظلم والاستبداد تحت أقدام جواده وتناثرت خوذاتهم المعدنية في كل مكان..

ووضع الشباب لافتة أعلى المرحاض الجديد تحمل اسمه، وأصبح بذلك يحتوي الميدان أكثر من مائة دورة مياه موزعة في أطرافه ما بين المرحاض الجديد الذي ضم ٢٠ دورة مياه صغيرة موزعة على صفين متقابلين.. بالإضافة إلى حمام محطة المترو وبه ١٥ دورة مياه نصفها للنساء ونصفها الآخر للرجال ولكل قسم مدخله الخاص بعيدا عن الآخر.. وكذلك حمام موقع المقاولين العرب الخاص بالعاملين به وتم فتحه للجماهير في الميدان.. وحمام مسجد عمر مكرم الكبير وحمام محطة عبد المنعم رياض وحمام عام آخر في شارع عابدين.. وآخر قريب منه بالإضافة إلى حمامات المطاعم المحيطة بميدان التحرير ومحطات الوقود التي تم فتحها من قبل أصحابها والعاملين عليها تضامنا مع جماهير ميدان التحرير.. ومعظم هذه الحمامات كتب عليها بالخط العريض مقر الحزب الوطني بالإضافة إلى سيارة الأمن المركزي المحترقة في شارع عمر مكرم والتي تحولت إلى " مبولة ارتجالية " ومقلب للقمامة كان مكتوبا عليها أيضا مقر الحزب الوطني.. فيما عدا حمام عابدين الكبير والذي كُتب عليه بالـ " سبراي " متحف حسني مبارك "..

وحينما حلت أستار الظلام وقارب الليل منتصفه، وكعادتي كل مساء، آخذ جولة أخيرة في الميدان، أتطلع إلى أشكال وألوان من حلقات السمر والغناء وأنشطة فنية وسياسية مختلفة.. هذا الموقف دائما ما كان يذكرني بنشاط الخديوي إسماعيل في قصره كل مساء.. ففي حديقة قصر عابدين لدى دخولك من البوابة الخلفية يطالعك إلى اليمين كُشك الموسيقى وهو مخصص لحفلات الغناء الليلية، وإلى جواره كشك الشاي، وهو مخصص لحلقات السمر التي تضم عِلية القوم من الأمراء والوزراء، وإلى اليسار حديقة غناء بالزهور والورود وبها استراحة صغيرة.. هكذا كان الوضع أشبه في ميدان الثورة، ففي ركنٍ تجد حلقة سمر تضم الشباب والكبار والصغار، وفي ركن آخر تجد مجموعة تحتسي القهوة والمشروبات الساخنة، وتجد حلقة ثالثة حول مدفئة صغيرة تشبه استراحة اللجان الشعبية التي نظمتها حملة" احمي بيتك الكبير".. وأمام الخيمة تجد حلقة للذكر وقراءة القرآن، وحلقات أخرى غنائية وموسيقية، وأكثر ما يلفت انتباهك وسط هذا الزخم البشري المتنوع، هو الفنان الشاب " رامي عصام" وقد جلس إلى الرصيف المقابل لمجمع التحرير.. حاملا جيتاره في يده والتف حوله جمهوره يستمع إلى أمسيته الغنائية ويشاركونه بالتصفيق وترديد كلمات أغنيته بصوت جماعي أشبه بالكورال الشعبي..

فإذا كانت لديك الموهبة والقدرة لتأليف أغنية، فما عليك إلا أن تقرأها على رامي ليقوم بتوزيع كلماتها وعزف ألحانها في الحال.. ويساعده في ذلك قدراته الإبداعية في مقطوعات العزف المنفرد. ومن

أجمل الأغنيات التي غناها على جمهوره تلك الليلة تقول كلماتها باللهجة العامية المصرية " لما تكون شغال بذمة وخايف على مصلحة الأمة.. شغلك يطلع من غير لازمة.. علشان مابيعلاش غير واطي.. طاطي.. طاطي.. إنت في وطن ديمقراطي.. ولما حاميها يكون حراميها.. وبلاده ورا ضهره راميها.. طالع نازل واكل فيها.. مسنود بالبدلة الظباطي.. طاطي.. طاطي.. انت في وطن ديمقراطي.. ولما الجهلة يبقوا أمامك.. لما الكلمة تكون بتدينك.. لما تخبي في ألبك دينك.. لما الذل أشوفه في عينك.. هات إحباطك على إحباطي.. طاطي.. طاطي.. انت في وطن ديمقراطي.. "وبجوار تمثال عمر مكرم عكفت مجموعة أخرى من الشباب على تلحين أغنياتها على أوتار العود العربي (صوت الموسيقى الشرقية) وتقول إحدى أغنياتهم في مطلعها : " اصحى يا مصري.. والله عبرنا والعالم احترمنا.. والله ورضينا وكرامتنا رجعت لينا.. اصحى يا مصري.. أوعى تخرّب فيها.. وانت اللى بانيها.. اصحى يا مصري..).وفي منتصف الدائرة الخضراء في قلب الميدان تحلقت مجموعة أخرى وأخذت تغني وتردد أغنيات محلية بماركة " صنع في الميدان" وتقول كلمات هذه الأغنية في مطلعها: "بلدي يا بلدي.. خلي الراية عالية..

هتعيشي حضارة .. وتشوفي منارة..

بلدي يا روحي.. أفديكي بروحي..

حسني خلاص هسيبك.. لشعبك حبيبك..

في التحرير شبابك.. بقو حديث الدنيا..

مانتِ أم الدنيا.. ودي ثورة شبابك..

بلدي يا بلدي.. خلي الراية عالية..

هتعيشي حضارة.. وتشوفي منارة..

****

وصلات خارجية

1. ميدان التحرير ٧ فبراير https://www.youtube.com/watch?v=CsCpfJ9Hd2o
2. حس الفكاهة في الثورة المصرية

BBChttps://www.youtube.com/watch?v=HTSIArwL59s



(٢٣)

مليـونية الـثـلاثاء

الثلاثاء ٨ فبراير

عندما رأي سيدنا إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبح إبنه إسماعيـل، وعـزم أمـره علـى تنفيـذ الرؤيـة طاعة لله، لأنه نبي ويعلم أن رؤيا الأنبياء حق، لكن راوده القلق لكون إسماعيل هو الابن الوحيد لـه بعـد أن تجاوز عمره الثمانين.. فأخذ لنفسه مهلة ثلاثة أيام للتروي.. وبـدأت بالفعـل مهلـة الـتروي يـوم ٨ مـن شـهر ذو الحجة.. أما حسني مبارك برغم كونه تجاوز الثمانين من عمره، ولديـه ولـدان وزوجـة وأحفـاد، إلا أنـه مـا زل يصر على عدم الاعتراف بمهلة التروي وما زال رافضا للرحيل بتعنتٍ شديـد.. فقرر الشعب أن يحدد هـو بنفسـه مهلة التروي وأيام التشريق كلها، على أن تبدأ من يوم ٨ بالفعل.. وانطلقت الدعوة للتحضير لجمعـة "الحسـم والتحدي" وحصار القصور الرئاسية.. أو جمعة الزحف على أن تكون الأضحية يوم الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١.

يوم يعقب يوم لحظة بلحظة.. وكل يـوم يغـرد عصـفورٌ جديـد.. وجمـاهير الشـعب تحتضـن الميـدان بالملايين.. والثورة تحتفل بعيد ميلادها في أسبوعها الثاني.. جهد وعناء بذله الشباب لوضـع الثـورة في مسـارها الصحيح خطوة وراء الأخرى.. أمس الأول كان الميدان يغص بجماهيره احتفاءً واحتفالا بشـهداء الثـورة الـذين أريقت دمائهم علـى أرض الميـدان دفاعـا عـن حقوقنـا وحرياتنـا.. فيمـا كـان شـباب الائـتلاف ينهـي أعمالـه التحضيرية لمليونية نعيش أحداثها اليوم.. وانتشرت الدعوات على المواقع مصحوبة بالصـور ومقـاطع الفيـديو التي توثق الحدث بالصـوت والصـورة يـوم بيـوم ولحظـة بلحظـة.. في محاولـة أمـام الجمهـور لكشـف اللـبس والغموض الذي حاول إعلام النظام أن يلوث به مشاهد الثورة في الميـدان.. واعتـبر مـن قـاموا بهـا ليسـوا إلا قلـة مندسة من الخونة والمأجورين من جهات معاديـة لأمن مصـر واسـتقرارها.. فقـد حـاول النظـام تـدليس المشـهد بغرائب مطعمة من الخارج، كان أولها أن شباب الميدان منفلتين خلقيـا ويجتمعـون شـبابا وفتيـات يتعـاطون المخدرات في خيامهم ويمارسون الرذيلة.. حاول النظام أن يستغل سذاجة شعبنا وحسن ظنونـه فيـه وصـورونا على أننا قطيع من الغجر احتل قلب العاصمة ونصب خيامه ورفع أعلامه استعدادا لقلب النظام والسيطرة على مقاليد البلاد.. وإذا كان أمرنا هكذا.. فهل نكون غير قلة مندسة؟ هذا التساؤل والمبالغة في تسوئ وتشويـه صورة شباب الثورة هو ما دفع جماهير الشعب تتدفق على الميدان زرافاتٍ ليل نهار لكشف الحقيقة المذرية التي صورها لهـم الإعـلام.. وبمجـرد دخـولهم الميـدان يتسـاءلون عـن كنتـاكي والعمـلات الأجنبيـة والأجنـدات والمخدرات.. والغريب أن بعض الجهلاء أتوا فقط لتفقد حالة الانفلات الخلقي وممارسة الرذيلة التي أشاع عنها الإعلام.. لكن لا تمر سوى دقائق.. حتى تنجلي الحقيقة شامخة أمـامهم.. ويتأكـدون أن مـن في الميـدان هـم

خيرة شباب وفتيات مصر.. ومعهم الآلاف من اللافتات والهتافات وصور الشهداء وملايين الأعلام ترفرف في سماء الميدان..

واليوم تزايدت أعداد الوافدين منذ الصباح الباكر.. وعمّ الأمان وسط هدير الجماهير بالهتافات، وأهم ما في الأمر هو " كوفي شوب التحرير " الذي فتح أبوابه للمرة الأولى منذ جمعة الغضب ونشر مقاعده على مدخل الميدان.. وانطلقت منه رائحة الحرية والأمان.. وعبق المكان وأصوليته ... كثير من المحال التجارية والمطاعم فتحت أبوابها في الميدان منذ الصباح وربما ليلة الأمس.. وصار بؤرة الحديث في كل أرجاء الدنيا.. حقائق عن شباب الثورة.. وشائعات عن الانفلات والأجندات والمخططات الخارجية لزعزعة أمن الوطن.. واحتمالات للخطة المحدقة بالميدان من كل جانب.. لقد زالت كل هذه الأوهام ولو بقي بعضها عالقا في أذهان البسطاء.. المقهى الشهير " كوفي شوب التحرير ".. انطلقت منه الأغاني الوطنية تضامنا مع ثوار التحرير في الميدان.. وبدأت البيتزا والشاورما والفطائر والمأكولات.. تشتعل مواقدها في المحال المطلة على الميدان.. إلا مطعم كنتاكي الشهير الذي اكتفى بنشر بيان في الصحف يعلن بأنه لم يفتح أيٍ من فروعه في أنحاء الجمهورية منذ جمعة الغضب.. ربما لم يستطع فتح أبوابه لأن الشباب استغلوا واجهته الزجاجية الفخمة في وضع اللافتات العريضة " رابطة فناني الثورة " و " موقع الثورة الإلكتروني ".. بالإضافة إلى بعض اللوحات الفنية والأعمال الكاريكاتورية التي تعبر عن الثورة وتسخر من النظام الذي فقد شرعيته ولا زال يتشبث بعرشه حماية لمصالحه..

وما لفت نظري في ذاك اليوم أن الواجهات الزجاجية للمحال التجارية والمطاعم المطلة على ميدان التحرير لا تزال سليمة دون أية أضرار تذكر.. ولم ينكسر منها لوحا زجاجيا واحدا رغم كل ما شهده ميدان التحرير خلال الأيام السابقة.. ومعظم المطاعم فتحت دورات مياهها للسيدات والفتيات.. وبعضها داوم على تعبئة زجاجات المياه ووضعها على طاولة أمام المحل للجميع.. كمثال مطعم "هارديز".. أما مقر "مصر للطيران " فقد افتتح منذ أيامٍ كمستشفى ميداني.. جاءت دفعتين متوازيتين للميدان في يومٍ واحد.. الجماهير تزايدت بشكل غير عادي، والمحال التجارية والمطاعم في محيط الميدان استأنفت عملها اليوم، وجميعها حرص على تقديم أي نوع من الخدمات المجانية، حتى وإن كان فقط مياه الشرب أو توفير دورات مياه..

وكنا منذ بداية اعتصامنا في الميدان نتعاون مع بعضنا في شحن بطاريات الهواتف المحمولة وأجهزة اللاب توب.. خصوصا القادمين من مناطق بعيدة كانت معهم أمتعتهم الخفيفة " شواحن.. ومشتركات كهرباء".. حيث تم سحب "كابل كهرباء من محطة المترو إلى السطح في حديقة الميدان ووضعت به عشرات من مقابس الكهرباء وعليها الكثير من شواحن الهواتف فيما يمكن تسميته " المشحنة ".. كل من معه

شاحن أو مشترك يتطوع به لزملائه حيث يجلس مجموعة من الأمناء بالتبادل.. وحينما تفرغ بطارية هاتفك.. ما عليك إلا أنتسلمه للأمين لتأخذه بعد ساعة أو ساعتين، وربما دقائق لكي يسع المكان غيرك من هذه الملايين.. وتترك الأمين لتعود إليه بعد وقت وتعطيه رقم هاتفك فيقوم بالاتصال به.. حيث وضعت أمامه مئات من الهواتف المحمولة ومن الصعب التعرف عليها إلا برقم الهاتف.. ومن أجل ضمان الأمانة حتى لا يأخذ أحد هاتف غيره.. فيكون رقم هاتفك هو كلمة السر أو أول اسم أو أول رقم في الأسماء والأرقام المسجلة عليه.. حسب رغبة الأمين.

ومع زيادة الزحام وضغط الحاجة إلى شواحن الهواتف باستمرار لأن الكثيرون أرادوا الاطمئنان على ذويهم في منازلهم.. فمع زيادة الحاجة.. نشأت " مشحنة " أخرى بجوارها.. لكن القائمين عليها قاموا بإعارة الشواحن لمن يحتاج مقابل ترك بطاقتك الشخصية "أمانة" حتى تعيد الشاحن مرة أخرى.. وهكذا.. ومجموعة أخرى سحبت وصلة كهرباء من عمود الإنارة على الرصيف في منظومة تعاونية وتضامنية بإخلاص شديد.. أما أنا فكنت أتفادى الزحام وأتوجه خلسة إلى مبنى الجامعة العربية، حيث جلس العامل وإلى جواره نثر عدة هواتف تنتظر دورها على الطاولة.. ولك أن تتصور أن "المشحنة" هي عنوان الحياة في ميدان التحرير بكل ما حملت من معانٍ سامية وأخلاقيات راقية قامت على مبادئ فاضلة من التعاون والتضامن والتكافل والاحترام والأمانة والصدق والإخلاص والتضحية من أجل الجميع..

وأذكر أنه منذ الأيام الأولى لاعتصامنا، ظهرت الحاجة إلى مقومات العيش للبقاء والصمود لأيام في الميدان.. وكان الحل سهلا بسيطا جدا.. فقد كانت الكثير من الأكشاك الصغيرة وبعض المحال التجارية فاتحة أبوابها في منطقة وسط البلد وبعض مطاعم الكشري الجاهز في شارع التحرير من جهة قصر عابدين.. بالإضافة إلى الباعة الجائلين الذين انتشروا بيننا منذ الساعات الأولى.. يحملون الأعلام وزجاجات المياه المعدنية والمأكولات والتمور والعجوة والبطاطا والبسكويت والسندوتشات الجاهزة وحتى أكواب الشاي كانت متوفرة.. وبمرور الأيام انضم إليهم بعض من المتظاهرين يبحثون عن في ظل حالة الشلل التام التي تعيشها البلد وتوقف كافة المؤسسات والشركات عن العمل.. وربما كان الكثير من هؤلاء الشباب لم يزاولوا مثل هذه المهنة من قبل.. لكن اضطرتهم ظروف العيش في الميدان إلى كسب الرزق من نفس المكان، فأصبح أكثر الرابحين باعة الأعلام.. هكذا الشعب يبحث عن الحياة أينما وجد.. ولم يكن هناك كنتاكي أو وجبات جاهزة يتم توزيعها ساخنة كما أشاع التلفزيون المصري، هذه الأكذوبة التي ابتكرها الفنان المحترم حسن يوسف وتناولها التليفزيون بالاحتفاء ومنحه جائزة مهرجان كان للدعايا السوداء.. وقد يكون هذا الفنان معذورا لأن أول من أرسل تقريرا رسميا بهذه المهاترات إلى رئاسة الجمهورية كان هو جهاز أمن الدولة الملعون الذي عاش أكثر من نصف القرن على هذه المهنة..

وبمرور الوقت بدأ الباعة المتجولون يتزايدون بكثافة عالية مما شوه المنظر العام للميدان وحوله إلى ما يشبه السوق، فتشكلت لجنة النظام في الميدان إلى جانب لجنة الأمن الميداني على مداخل ومخارج الميدان.. فيما تخصصت لجنة النظام في تنظيم الباعة الجائلين ومراقبة أوضاعهم وتحديد أماكنهم وقائمة الأسعار ونوعية السلع التي يتداولونها وفحص جودتها.. وتم نقل الباعة الجائلين إلى جوار السور الحديد لموقع المقاولين العرب الملاصق للميدان بحيث يكون باعة الأعلام منتشرون ومتجولون بحرية كما شاءوا في الميدان أما باعة الشاي والمأكولات فيتم حصر أماكنهم في شريط ملاصق للسور الحديدي.. كان الباعة الجائلون يخضعون لرقابة تشبه الترخيصات التي تصرح بها لجنة النظام والأمن لتحديد المكان والسعر والجودة.. إذ كان هناك احتمال لتسريب مأكولات فاسدة أو مسممة داخل الميدان.. وجرت محاولات لتسريب مخدرات من قبل الأجهزة الأمنية داخل الميدان وتم إحباطها..

وأذكر هنا، أن أحد باعة أكواب الشاي توسل إلى لجنة النظام لتركه في مكانه وعدم نقله إلى المكان الذي حددته اللجنة.. فقد عثر على مكانه بالكاد، لأن اللجنة منعت دخول المزيد من الباعة.. كان عمره يقارب الأربعين وتبدوا ملامح " الهجرة المحلية والشقاء" واضحة عليه.. وأقام خيمته في رُكن من حديقة الميدان معتمدا على قائم إشارة المرور وخيمته لا تتجاوز مساحتها مترا مربعا وبداخلها زوجته وطفلتيه، فيما جلس هو أمام الخيمة يُعد أكواب الشاي وينتظر الرزق من الله.. وتعاطفت لجنة النظام مع ظروف أسرته، ولم تصر على نقله إلى جانب السور.. خصوصا أن تجارة أكواب الشاي تجد رواجا في هذه الزاوية مما يعينه على نفقات أسرته..

بالإضافة إلى ذلك.. فقد تطوع بعض الشباب من المعتصمين في الميدان للانضمام إلى الباعة الجائلين لكن دون ربح.. فكانوا يشترون السلع خصوصا " كروت شحن الهواتف المحمولة وزجاجات المياه المعدنية "، ويبيعونها في الميدان بنفس سعرها التجاري ودون ربح نهائيا، وذلك من أجل المساعدة وإعانة الناس على العيش في الميدان والصمود لأيام حتى تتحقق أهداف الثورة ومطالبها.. وغيرهم كانوا يشترون هذه الأشياء ويوزعونها مجانا،حتى أنني رأيت سيدة يبدوا عليها الثراء، وشعرها منسدل على ظهرها، وكنت أستعجب من حضورها للميدان، فهذه الطبقة المترفة تأبى الثورات والحركات الاحتجاجية، لكنها وقفت تشاهد الناس تتزاحم على عربة بائع العجوة، ربما تذكرت مشهد الشاب التونسي "محمد بوعزيزي" الذي أشعل الثورة بعربة الخضار التي صادرتها الشرطة منه، فاقتربت من بائع العجوة وسألته عن السعر، ثم أخرجت حزمة فلوس من حقيبتها وأعطتها له وأمرته بأن يقوم بتوزيع العجوة كلها على الناس المعتصمين بالميدان مجانا..هذا بالإضافة إلى الإعانات التي كان يحضرها بعض المتطوعين على نفقاتهم الخاصة، من بطاطين وخيام وشماسي وسندوتشات جبن وخبز، ويقوم الشباب بتوزيعها مجانا، لكن لم تكن للجميع، كانت تأتي بترتيب حسب الأولويات التي

رآها الشباب، فالنساء التي تصطحب أطفالها أولى من غيرها، ثم بعد ذلك النساء والفتيات والبسطاء.. وللحقيقة كانت هذه الأغراض بسيطة جدا، حتى البطاطين كانت من خوارج المصانع التي لا تجد رواجا في الأسواق التجارية، لكنها كانت ضرورية جدا في هذه التوقيت الشتوي.

وفي مثل هذه الأيام.. خاصة المسيرات المليونية.. كلما زاد العدد في الميدان.. ظهرت الحاجة إلى تنظيم جديد يستوعب حجم الزيادة لتوفير ضرورات التعايش وتلافي الخسائر سواء كانت معنوية أو مادية مع ضرورة الحفاظ على المظهر العام.. فبعد ظهر ذات اليوم كان العدد في الميدان يفوق الثلاثة ملايين.. والزحام شديد للغاية.. والهدير يعلو بالهتافات.. الميدان أصبح كرنفالا شعبيا لم نشهد له مثيلا من قبل..

فحينما تأخذ قسطا من الراحة.. وتعيد جولتك ثانية في الميدان.. ستجد كل شيء قد تغير.. فالزحف هنا في الميدان لا يتوقف أبدا ولو للحظة واحدة.. كل شيء حولك يتحرك ويتبدل ويتغير في منظومة تلقائية رائعة.. الوجوه تتغير.. أناس تدخل الميدان وأناس تخرج.. الهتافات واللافتات تتغير وتتنوع كل ثانية.. الباعة الجائلون بالأعلام غيروا أماكنهم.. ولا شيء ثابت على وضعه في الميدان إلا المنصات الإذاعية..وحتى روادها يتغيرون وأغنياتها تتنوع كل دقيقة.. فليس بوسعك أن تتعرف على كل ما يحدث في الميدان طول الوقت حتى ولو كنت مقيما في الميدان بصورة دائمة..

وعندما تقترب من مدخل قصر النيل.. ستجد الخير يطل عليك من كل جانب.. إذا كنت جائعا.. ستجد الهدايا تطل عليك من كل شكل ولون.. فالقادمون إلى الميدان يحملون الهدايا وكأنهم عاهدوا الله والوطن على الوفاء.. ستجد من يحمل إليك زجاجات المياه المعدنية والمياه الغازية والعصائر ورقائق البسكويت والسندوتشات والمستلزمات الطبية والأغطية.. فهنا تتجلى طيبة قلب الشعب المصري ووفاءه ووطنيته..

كان اليوم مشهودا كما وصفه عمرو عز الرجال، عضو اللجنة التنفيذية لائتلاف شباب الثورة، يقول:" لأ، يوم الثلاثاء ده كان الناس جايين عشان يشوفوا كنتاكي ويشوفوا الدولارات.. والإشاعات كانت بتلعب دور كثير أوي.. كانت حرب نفسية علينا والناس صدقوا، فالناس نازلين يعتذر ولنا إنهم صدقوا علينا الكلام ده.. لما تقابل طول النهار في الميدان تقابل ناس يقولولك إحنا آسفين..والنوعية تغيرت جدا.. الطبقة الثرية واللي هي عمرها ما بتمارس سياسة ومترفة نزلت في الميدان.. نزلت تعتذر لنا.. وناس شاربين ورد وكيك.. والناس كانوا جايين أكل بكمية رهيبة في اليوم ده، اليوم ده مكانش في خيمة مفيهاش كمية أكل تكفيها أسبوع مش يوم أو اتنين، كل حد كان نازل وكان عامل حسابه أنه يقعد في الميدان طول النهار هو وعيلته فكانوا عاملين حساب في أكل مثلا ١٠، ١٥ فرد بزيادة عليهم، كان الناس كثير أوي.. وكان كل

واحد عندما يخرج من الميدان لشراء أكل يشتري بزيادة ويوزعه على الناس.. وده كان انتصار إن النوعيات دي من الناس تنزل ومتصدقش الإشاعات إللي بتتقال في التليفزيون، جالهم شك إن الإشاعات دي مش صحيحة، فابتدوا يتحركوا بنفسهم.. وابتدوا ينزلوا على أرض الواقع عشان يشوفوا.. هنا المعادلة تغيرت وبدأ حصار مجلس الشعب والشورى ومجلس الوزراء وبدأت الناس تفكر في آليات أخرى غير ميدان التحرير، والكل كان بيتوقع أن حسني مبارك أخره الليلة.."

وقرابة الحادية عشر من صباح اليوم وصلت مسيرة ثانية لأساتذة الجامعات المصرية.. حيث تحركوا من مقر نادي أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة بالمنيل مرورا بشارع قصر العيني حتى ميدان التحرير.. وكان أساتذة الجامعة يحملون الأمل إلى ثوار ميدان التحرير لهذا هتفوا " الشعب خلاص أسقط النظام"، وكان ضمن مسيرتهم التي ضمت ألوفا منا الأساتذة والعاملين بالتعليم الجامعي، مجموعة من الفنانين والمثقفين انضموا إليهم.. وتقدمهم وزير النقل السابق د.عصام شرف، وطافت المسيرة بمنطقة مجمع الوزارات ومجلسا الشعب والشورى ومجلس الوزراء ووزارة الداخلية. ردد المشاركين في المسيرة هتافات" الشعب يريد إسقاط النظام".وحين مروا أمام مجلس الشعب هتفوا: باطل.. باطل".

بينما وصل إلى الميدان الإعلامي الشهير عمرو أديب من شارع طلعت لكن الشباب منعوه من الدخول بسبب تصريحاته في برنامجه " مباشر مع عمرو أديب " الذي يقدمه في قناة الحياة. حيث قال" أن هؤلاء الشباب يتظاهرون في ميدان التحرير من أجل الحصول على وجبة كنتاكي". فطرده المتظاهرون من الميدان ورفضوا دخوله مثل رفيقه تامر حسني. بينما الفنان الشاب"أحمد السقا "قال أنه سيضرب المتظاهرين المتواجدين في التحرير لأنهم يضرون بمصالح الوطن، ثم بعدما مالت الكفة إلى الميدان جاء إليهم بنفسه فضربوه وطردوه من الميدان، بل للأسف تحرشوا به حتى أنقذه ضباط الجيش من أيديهم.ولم يبق إلا الفنانة سماح أنور التي كانت ترى ضرورة حرق المعتصمين بالميدان.. ورفع أحد المتظاهرين لافتة كتب عليها "لا مكان للمنافقين.. في ميدان التحرير". ومن هنا توقف الفنانين المتحولين عن محاولات دخول الميدان..

وفي ذات الوقت كانت الحشود تتوافد بغزاره على الميدان من كافة محافظات مصر.. خاصة محافظة السويس.. فقد حمل أهالي السويس " نعشا رمزيا " ملفوفا بعلم مصر رمزا للشهداء الذين قضوا في أحداث الثورة وكان مكتوبا عليه بالخط العريض" يا شهيد نام وارتاح واحنا نكمل الكفاح".. وفور دخول وفد أهالي السويس إلى الميدان ارتفع الهتاف والتصفيق الحاد وأعلنت الإذاعة عن أسماء مجموعة كبيرة من الشهداء والمصابين الذين لا زالوا في مستشفى قصر العيني..

وحضر اليوم اللواء حسن الرويني قائد المنطقة المركزية العسكرية ومجموعة من ضباط الجيش تحدث من المنصة، وأكدوا للجميع أنهم إخوة للجيش ولن يتم الاعتداء عليهم وأنهم سيعملون سويا لتأمين الميدان لمنع وقوع أي شغب. وارتفعت الأصوات تحية لهم، فيما وجه الشباب مجموعة من الأسئلة والشكاوى لطرح الوضع العام على قادة الجيش.. وتحدث أحد الشباب قائلا " كيف يمكنني أن أعيش وراتبي لم يتجاوز ٤٠٠ جنيه شهريا وأحصل على ٢٠٠ جنيه من عمل آخر ولا يوجد منزل في مصر يمكنه الحياة بهذا المبلغ ولديه أسرة.. في حين رئيسه المباشر في العمل يحصل على ٩٠ ألف جنيها كراتب شهري ".. وكنا نحن نكن الاحترام لقادة الجيش لكننا في ذات الوقت مازلنا نحمل القلق في قلوبنا تجاه موقفه الذي لم يتحدد بعد على وجه اليقين، فقط لكون الجيش هو القوة الوحيدة التي بإمكانها وأد الثورة.

وعلى ما يبدو من مطالعة الأخبار أن النظام بدأ فعلا يتهاوي وتتهاوى دعائمه، في ذات الوقت خفتت حدة الذعر والانفلات الأمني ، وتقلصت ساعات حظر التجول، وبدأ رموز النظام يتساقطون فأرا تلو الآخر في قبضة العدالة، كل ذلك في محاولة تهدئة الشباب الغاضب، ومازال صوته يعلو.فقد حضر اليوم أيضا العالم المصري الدكتور أحمد زويل الحاصل على جائزة نوبل إلى ميدان التحرير، ليشارك في المليونية، واستقبله المتظاهرون استقبالا حاشدا، رافعين اللافتات ومرددين الهتافات التي تعبر عن فرحتهم بوصول العالم المصري إلى أرض الميدان، والذي ألقى فيه خطبة قصيرة عبر فيها عن سعادته بما وصل إليه الشباب المتظاهرون من رقى ووعى، وقدرة على الصمود والجرأة بالإعلان عن مطالبهم.

وقبيل العصر وصل إلى منصة الميدان الناشط وائل غنيم، وقد أصبح أيقونة الثورة بعد ظهوره في برنامج العاشرة مساءً مع منى الشاذلي الليلة الماضية، وكان قد تم اعتقاله في مساء يوم الخميس ٢٧ يناير من قبل أشخاص يرتدون زيا مدنيا وأخذوه إلى مباحث أمن الدولة. وظلت أسرته تبحث عنه دون أن تدري أين هو. لكن قيل أن مراسلا أجنبيا كان قد التقط مشهد اعتقاله في لحظة خاطفة بكاميرته وقام بنشره على الشبكة مما جعله يضيف شعلة جديدة للثورة. ومع ذلك لم تعترف السلطات بأنها قامت باعتقاله رغم الجهود التي بذلتها أسرته إضافة إلى زملائه بشركة جوجل حيث يعمل هو مديرا إقليميا لمبيعاتها في الشرق الأوسط. ثم بدا أن النظام لم يقو على مقاومة الضغوط الشعبية الشبابية في هذا الشأن فخرج رئيس الوزراء الجديد أحمد شفيق ليعد بسرعة الإفراج عن المعتقلين في جمعة الغضب وما قبلها. وحتى يثبت مصداقية الحكومة في فتح باب الحريات وعدم القبض على من يعبر عن رأيه. وفعلا تم الإفراج عنه بالأمس بعد أن قضى ١٢ يوما في السجن وهو معصوب العينين.ونتيجة الضغط على السلطة تم الإفراج عنه على أمل أن يكتفي الشباب بما حققوه من مطالب ويعودوا إلى منازلهم.. ففوجئوا بالشباب في ميدان التحرير يطالبون به متحدثا باسم شباب الثورة.. كانت ضربة موجعة وجهها النظام لنفسه، فأغلبية الشعب لا يعرف من هو وائل

غنيم، حتى الصفحة التي أسسها " كلنا خالد سعيد" والتي كانت مشعل الثورة، لم يكن أحد يعرف من هو المشرف على هذه الصفحة أصلا، لأنها كان يديرها في الخفاء ودون أن يعلن عن هويته، وبعدما أعلن عن هويته في برنامج العاشرة مساءٍ طالب به الشاب متحدثا باسم الثورة.

وفي المقابل رفض وائل غنيم أن يكون بطلا معترفا بأن الأبطال الحقيقيين هم المتواجدون في ميدان التحرير وكان وائل غنيم وهو مؤسس مجموعة " كلنا خالد سعيد " على موقع التواصل الاجتماعي " فيسبوك " التي دعت إلى وقفة احتجاجية صامتة يوم ٢٥ يناير تزامنا مع احتفال الشرطة بعيدها القومي.. وقال أنها كانت دعوة سلمية لها مجموعة من المطالب المحددة، لكن الناس عندما نزلوا إلى الشارع رفعوا سقف المطالب حتى وصلت إلى المطالبة برحيل النظام ومحاكمة الفاسدين ومن هنا جاءت الثورة.. وكان لقاءه في برنامج " العاشرة مساءا " مع الإعلامية منى الشاذلي التي أدارت الحوار.. وعندما عرض البرنامج مجموعة من صور الشهداء.. صُدم وائل غنيم بأن هناك شهداء قد سقطوا بعد اعتقاله.. وبكى وانسحب من الحلقة قائلاً " لكل أب.. ولكل أم.. فقد ابنه في المظاهرات.. أنا آسف، بس دي مش غلطتنا.. دي غلطة كل واحد ماسك ومتبت في الكرسي.."[١٢]

كان من الواضح أن الرابح الأول في هذه الحلقة من حلقات البرنامج هو الإعلامية منى الشاذلي وحدها، والتي اجتهدت واستوحت فكرة استعطاف الضيف بعرض صور الشهداء متوجين بعبارة " دول هم الورد اللي فتح في جناين مصر" وهي ذات العبارة التي كانت تملأ صور الشهداء في الميدان، لكنها حفزت وائل على مزيد من قطرات الدموع " وائل.. ماتعيطش يا وائل.." وكان واضحا جدا أنها تنتقم من نظام مبارك وجهاز أمن الدولة الذي أجبرها على قراءة تقارير كاذبة ومزورة عن الشباب المعتصمين بميدان التحرير.. حاولت أن تسترد كرامتها حينما منعها شباب الثورة من دخول ميدان التحرير بسبب تقاريرها، ولهذا استضافت وائل غنيم في برنامجها وأعدت الحلقة جيدا وأدراتها ببراعة.. لكن ضربتها للنظام كانت قاضية..قضت على ما تبقى له من أحلام.. وأضافت مشاعل جديدة للثورة بنشرها صور الشهداء على التليفزيون مع عبارة "الورد اللي فتح في جناين مصر"

كان هذا اللقاء هو المقابل الشعبي لخطاب مبارك النظامي، فالثورة كانت تسير بخطوات متبادلة ، كانت تتعثر في البداية، ثم بدأت ترد بضربات متبادلة،لكن في كل مرة كان النظام هو الذي يبدأ الضربة، وبطبيعة الحال يتلقى الشعب الضربة فيصبح هو الرابح لأن الرابح هو من يتحمل الضربات لا من يضربها كما

١٢ـ (شاهد الفيديو – وائل غنيم مع منى الشاذلي : https://youtu.be/ysX8zSEy1kU)

قال الرافعي، ففي البداية تحرت المظاهرات واشتدت ضربة الشرطة بالخطة ١٠٠، فأسقطت شهداء لكن تحمل الشعب وزادت عزيمته وإرادته، ثم بدأ النظام بالضربة الثانية وهي الخطة ١٠١ لنشر الفوضى والبلطجة، فتحمل الشعب الضربة بتشكيل اللجان الشعبية بحملة "احمي بيتك الكبير"، ثم جاءت ضربة الخطاب العاطفي مزدوجة مع ضربة الحمير والبغال، فتلقى الشباب الضربتين معا في ليلة واحدة، انسحبت الجماهير من الميدان وهاجمته الحمير والجمال.. فانتهت ضربات النظام وبدأت ضربات الشعب، كان أولها صمود الشباب في الميدان، وبداية تحول الإعلام وانكشاف عورات النظام ثم بدأ ضربته الأخيرة بالحوار الوطني لتفتيت قوى المعارضة وإجهاض الثورة بقتل الوقت على طاولات الحوار الفارغ، لكن جاءت دمعات وائل غنيم في البرنامج قاتلة للنظام.. حتى أن احد المغردين على موقع تويتر في هذا اليوم عبر عن مشاعره قائلا" ماعتقدش مافيش مصري عنده دم ماعيطش في كل مره عيط فيها وائل غنيم #JAN25 "

وبطبيعة الحال كانت الدموع التي تساقطت من عيني وائل غنيم كفيلة بطمس كل معالم الخاطب العاطفي الذي ألقاه مبارك ليلة الثلاثاء ١ فبراير، لأن دمعات وائل غنيم كانت بريئة وحقيقية من شاب ممتلئ بالرجولة والوطنية، أما دموع النظام فلم تكن كذلك.. وبعد ساعتين من ظهور وائل غنيم على شاشات التلفزيون، كتب موقع مصراوي على شبكة الإنترنت: "دموع غنيم حركت الملايين حتى أنها قلبت موقف البعض السياسي وتحولوا من موقف المؤيد للبقاء (بقاء مبارك) إلى موقف المعارض". وانضم في نفس الليلة إلى صفحته على فيسبوك مئات الآلاف وأعلنوا دعمهم لثورة الشباب المصري، فيما التحق حوالي٢٠٠ألف شخص بصفحة جديدة على الموقع الاجتماعي حملت عنوان "أفوض وائل غنيم للتحدث باسم ثوار مصر"خلال يوم واحد فقط من ظهوره على شاشات التلفاز بعد الإفراج عنه. وقد حضر اليوم وائل غنيم لمشاركة المعتصمين بالميدان نضالهم، واستقبلته الجماهير استقبال حاشد وأصبح رمزا للثورة الشعبية بعد أن تمسك به الشباب متحدثا باسم الثورة، وقال للمتظاهرين الذين صفقوا له بحرارة "لست بطلا، بل أنتم الأبطال، فأنتم الذين بقيتم هنا في الميدان".[١٣]

١٣ـ فيما بعد نجاح الثورة، اختارت مجلة تايم الأمريكية وائل غنيم ليكون الاسم الأول في قائمة الأكثر ١٠٠ شخصية تأثيرا حول العالم. وقد ألقى وائل غنيم كلمة في الحفل الذي أقامته مجلة التايم الأمريكية بدأها بدقيقة حداد على أرواح الشهداء . وقد حظي الناشط وائل غنيم بالمرتبة الثانية في قائمة "أقوى ٥٠٠ شخصية عربية" التي نشرتها مجلة «أريبيان بيزنس» لعام ٢٠١١ وهي قائمة تتضمن أقوى ٥٠٠ استطاعوا التأثير بدرجة كبيرة في مجتمعاتهم أو في المجتمعات التي يعيشون فيها.. وتم اختيار وائل غنيم لاستلام جائزة جون كينيدي السنوية في الشجاعة. تسلم وائل غنيم باعتباره أحد رموز ثورة يناير، جائزة جون كيندى للشجاعة التي تمنحها مؤسسة جون كيندي خلال العشاء السنوى الثالث والعشرون للمؤسسة، بولاية بوسطن الأمريكية، بحضور مجموعة من السياسيين والكتاب والمؤرخين وكبار الشخصيات. وحصل على الجائزة مناصفة مع إليزابيث رودنبرج، عضو مجلس مدارس نورث كارولينا، التي كافحت ضد تقسيم الدوائر بسبب مخاوف من العزل العنصرى. فيما سلمت كارولين كينيدي، إحدى بنات الرئيس الأمريكي الراحل، الجائزة لوائل باسم "شعب مصر" لجهوده في تأسيس صفحة



ولاحقا ظهر وائل بصحبة الرئيس الجديد المعين للحزب الوطني د.حسام بدراوي، والذي قرر اصطحاب وائل بسيارته الشخصية إلى منزله، في مشهد تم ترتيبه إعلاميا، وأظهرته الكثير من وسائل الإعلام كدليل على نية النظام على التغيير استجابة لشباب الميدان.. لكن تفاصيل لقاء أهم جرى قبل تنحي مبارك، وحضره وائل

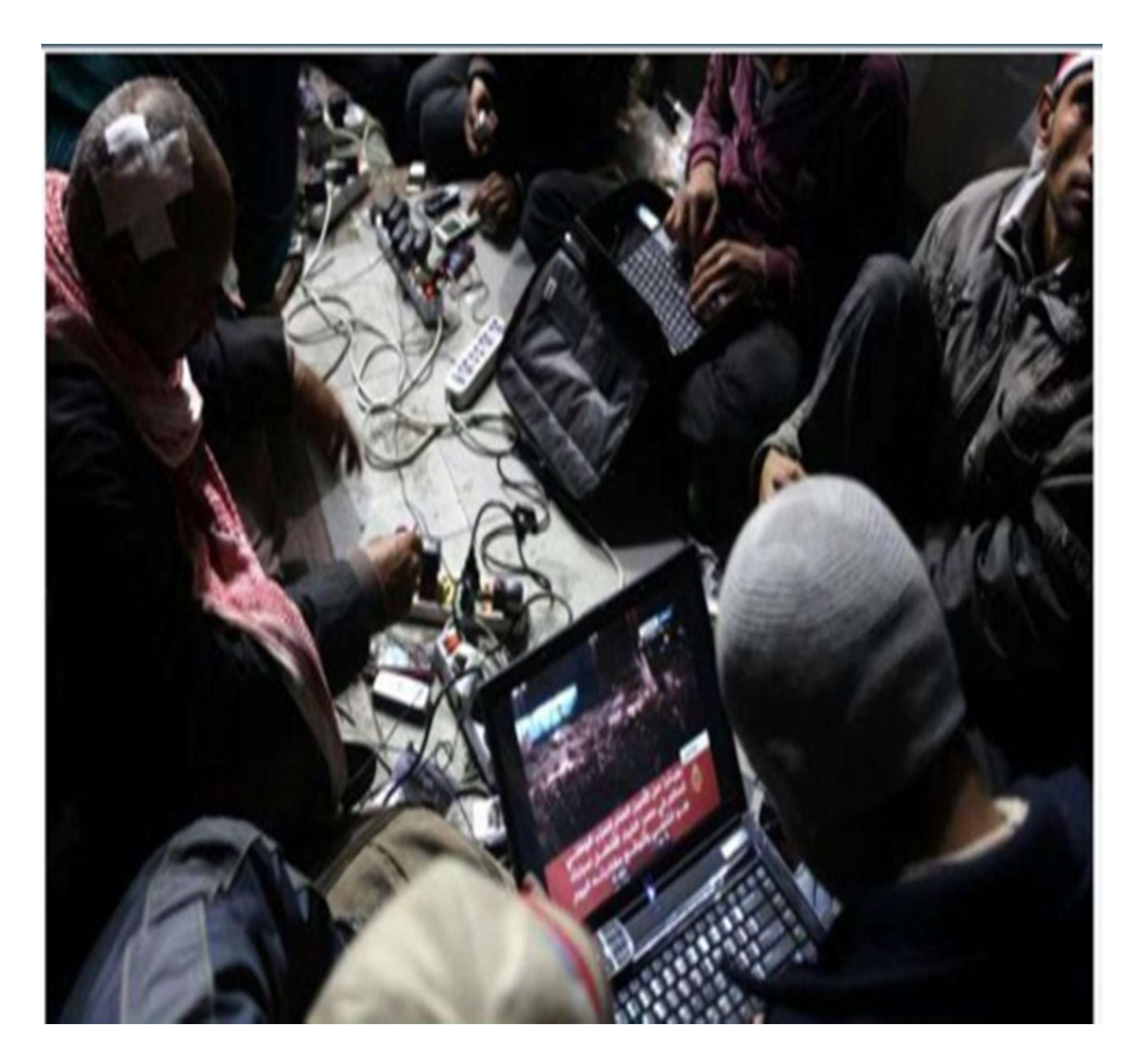
"كلنا خالد سعيد" التي لعبت دورا كبيرا في تنظيم الاحتجاجات التي أطاحت بالرئيس السابق حسني مبارك. وقالت أن غضبه الافتراضي على صفحات الإنترنت هو ما دفع إلى إشعال شرارة الثورة. فقد أعطى الحركة الجديدة في الشارع زخما شديدا، والجائزة هي تكريم وتقدير له والشعب المصري لدورهم في تشجيع جيل جديد من النشطاء الباحثين عن الحرية والديمقراطية. وجائزة كينيدي هي جائزة سنوية تقدمها عائلة الرئيس الراحل جون كينيدي ومن بين الحاصلين على الجائزة الرئيس الأمريكي السابق جيرالد فورد والأمين العام للأمم المتحدة السابق كوفي عنان. وأعلنت سفارة السويد بالقاهرة حصول الناشط المصري وائل غنيم على "الجائزة السنوية لحرية الصحافة" لهذا العام، والمقدمة من القسم السويدي في منظمة "مراسلون بلاد حدود". وقد حظي الناشط وائل غنيم بالمرتبة الثانية في قائمة "أقوى ٥٠٠ شخصية عربية" التي نشرتها مجلة «أريبيان بيزنس» لعام ٢٠١١ وهي قائمة تتضمن أقوى ٥٠٠ استطاعوا التأثير بدرجة كبيرة في مجتمعاتهم أو في المجتمعات التي يعيشون فيها.

غنيم وآخرون، بينهم أحمد ماهر مؤسس حركة شباب ٦ أبريل، في مكتب رئيس الوزراء وقتها أحمد شفيق، ربما فيها الكثير من الملامح عما كان يتم التحضير له مكتب شفيق في مصر الجديدة.. كان شفيق يتعامل مع الشباب باعتبار أن الأمر استقر له، وكان متعاليا متباهيا كعادته، ووزع عليهم "بونبوني" متوج بشعار شركة "مصر للطيران" التي كانت تخضع لإدارته سابقا كوزير للطيران المدني.. فكان الجميع يتساءل حول سر هذا "البونبوني" ولم يكن أحد يعرف أنه من شركة مصر للطيران.. فكان الفريق شفيق عند تعيينه رئيسا للحكومة سألته المذيعة أن يوجه كلمة للشباب المعتصمين بالميدان فقال: خليهم يتسلوا.. خليهم قاعدين وهبعت لهم شاي وبونبوني.. ودارت الأيام وصار الفريق شفيق يتوسل إليهم الحضور إلى مكتبه للحوار معهم وتلبية طلباتهم لكنهم حضروا اللقاء وشربوا الشاي وأخذوا البونبوني وهربوا إلى الميدان..

جلسوا في منتصف الميدان حيث تشكلت رابطة الإعلاميين تحت مسمى" الكلمة الحرة" جلسوا تحت الخيمة ووضعوا حواسبهم على أقدامهم واستغرقوا في التصفح والتنقل بين القنوات والمواقع الإعلامية، وهم يتبادلون الحديث والأطعمة وأكواب الشاي الساخن.. واستمروا في حصر الشخصيات العامة والمثقفين والإعلاميين المساندين للثورة وتوثيق مواقفهم وكلماتهم التي ألقوها في الميدان.. بالإضافة إلى حصر مواقف البعض العدائية للثورة فيما عرف بالقائمة السوداء.. إضافة إلى الإشادة بمواقف الآخرين الذين حرصوا على النزول لميدان التحرير والجلوس مع الشباب في اعتصامهم مثل الأستاذ سعد عبود والدكتور علاء الأسواني ومحمد البلتاجي ود. أسامة ياسين، وأبو العز الحرير ود.محمد سليم العوا والدكتور عبد الحليم قنديل ود. عمار على حسن والدكتور محمد البرادعي والسيدة إكرام يوسف وعمرو موسى ونادر السيد وعمرو واكد وخالد النبوي وأبو النجا وجميلة إسماعيل والفنان عمّار الشريعي ، والعالم الدكتور أحمد زويل ومنير فخري عبد النور عضو حزب الوفد ود.عصام شرف وزير النقل الأسبق وغيرهم الكثير من رجالات الثورة الشرفاء.. كانت هذه الرابطة هي سُرة الجهاز الإعلامي للثورة، ضمت الكثير من النشطاء والمدونين على مواقع التواصل، واستمرت في حصر مشاهد الثورة وترويجها على القنوات الإعلامية بالإضافة إلى تزويد هذه القنوات بالمادة الإعلامية الخاصة بالثورة ومتابعتها.

وبوجه عام، لعب نشطاء الانترنت دورا رئيسيا في إضاءة مشاعل الثورة،وقد نقل بعضهم نشاطه إلى ميدان التحرير.. فيما ظل التغريد على المواقع والمدونات مستمر من كل بقاع العالم ، وكثير من الشباب فضل التغريد من داخل الميدان إذ تمكن من ذلك، وهذا ما فتح المجال لظهور شخصيات جديدة من المدونين الشباب لم تكن معروفة من قبل للرأي العام لأن المجال كان مغلقا. وبمجرد أن فتحت الثورة مجال الحريات للتعبير

أمامهم انطلقت تغريداتهم تدوي في كل الدنيا، وتكونت منهم مجموعات وشبكات اتصال افتراضية وواقعية أخرى، ورصدت وكالة الـ" بي بي سي" من هؤلاء المدونين؛



عمرو غربية؛ يقول عمرو" جاءت الثورة ثمرة لقيام شخص بإرسال دعوة على فيسبوك لأشخاص عديدين وكنت من الذين تلقوا هذه الدعوة. وأنا في الميدان منذ يوم ٢٥ يناير عندما أجبرتنا شرطة مكافحة الشغب على الخروج منه، ولكن في جمعة الغضب ٢٨ يناير عدنا بعد العنف، وقد أصبح من المعتاد أن أنام هنا.. وقد تأسست شبكتنا الاجتماعية عام ٢٠٠٥ حيث التقى العديد من الأشخاص من خلفيات مختلفة عبر التدوين، ونأمل في استخدام التكنولوجيا من أجل التغيير الاجتماعي، حيث لدينا جميعا اتصالات جيدة وخبرة وشبكات قوية.. وأريد أن أذكر أن الشبكة الاجتماعية هم الناس أنفسهم أما الفيسبوك وتويتر والرسائل

القصيرة " SMS" والهواتف فهي مجرد أدوات ووسائل اجتماعية، ومجرد افتقاد هذه الأدوات لا يعني تلاشي الشبكة نهائيا، بل بإمكانها البحث عن أدوات أخرى بديلة؛ لأن الشبكة هي الأفراد والناس وما تربطهم من علاقات.. فعندما أغلقوا الفيسبوك والتكنولوجيا ظلت شبكتنا فعالة لأنها في الأساس من الناس، فنشطاء الإنترنت بشر وقد تطورت العلاقات بينهم خارج الشبكة العنكبوتية.

كان الكثيرون يحلمون بذلك، ولكنهم لم يتوقعوا حدوثه في الواقع، وما حدث مؤخرا أثبت أن الجهود التي بذلناها خلال السنوات الأخيرة لم تذهب سدى.. لقد تكللت تلك الجهود بالجماهير الغفيرة التي ترونها في الميدان. وحاليا لا أدخل إلى الإنترنت كثيرا فأنا لا أحاول استهلاك بطارية هاتفي الذي نستخدمه في نشر لقطات الفيديو التي تصل إلينا. وآمل أن يستمر الإنترنت في لعب دور تكميلي حيث أننا متواجدون حاليا بالفعل في ميدان التحرير، وآمل أن نفوز بحق تنظيم أنفسنا خارج الإنترنت بعد انتهاء الاعتصام.

نوارة نجم: وهي ابنة الشاعر الأديب" أحمد فؤاد نجم، ووالدتها الكاتبة الصحفية "صافيناز كاظم"، تقول نوارة: " أشارك في هذه الثورة منذ يومها الأول وأنا أقضي ليلي هنا، وكنت نشطة على شبكة الإنترنت طوال الخمس سنوات الماضية من خلال التدوين وتويتر.. ولأننا نعيش في ظل قوانين الطوارئ، فكان الاتصال في الواقع صعب عكس الإنترنت، ولم أكن قد شاركت قط في أي مظاهرة على الأرض..وكنا في البداية نتساءل هل من الممكن أن نثير فعلا "ثورة الفيسبوك"؟ لقد شاركت في ٢٥ يناير لأنني شعرت أنه من واجبي كمواطنة أن أشارك. ولم أستطع أن أصدق كيف تحولت دعوتنا إلى شيء مختلف.. كنت أسير وسط الناس وأبكي..إن التدوين واستخدام تويتر مهم للغاية ونحن نبني عقولنا من خلال التدوين، وهذا النظام يريد منعنا من القيام بذلك. لكنني فخورة جدا، الآن وخاصة عندما أفكر في شهدائنا. لقد عانينا كثيرا في مصر من قبل، وقد آن الأوان كي نعيش مثل بقية البشر.

مالك مصطفى: قال مالك: " أنا لم أعد أكتب على مدونتي، بل استخدم تويتر فقط حيث إنه سهل ومرن من الهاتف المحمول وفي بعض الأحيان أبث عشرين أو ثلاثين رسالة على حسابي في تويتر في اليوم الواحد.. لقد مثل الإنترنت بالنسبة لنا العمود الفقري، ولكن ما حدث لم يكن سببه الإنترنت، وإنما الشرطة التي عاملتنا بوحشية، فلو تركونا نقوم بمسيرتنا في سلام يوم ٢٥ يناير لما حدث ما حدث وازداد الأمر سوءا يوم ٢٨ يناير عندما وقع إطلاق نار وقنابل مسيلة للدموع وقتل ووحشية وعندما قطعوا الانترنت والهواتف المحمولة..

وقد نظمنا حياتنا بشكل جيد في الميدان، حيث لدينا لجنة تنسيق تبلغنا بالمواقع التي تتعرض لهجوم، ولدينا مجموعات نظافة ولدينا أناس يغنون ويصلون ولدينا مسيحيون ومسلمون وملحدون ويساريون ويمينيون ونحن جميعا سويا ونحن نحاول أن نضرب المثل في كيفية حياتنا سويا لأن الميدان بمثابة دولة نريدها أن تكون نموذجا للدولة.

نازلي حسين: قالت" إن الثورة نشرت على الإنترنت وكانت شرارتها في الفيسبوك ولم يعتقد الناس أن ثورة تندلع بعد نشر موعدها، وأنا الآن أنظر حولي وفخور بما أنجزه شعب مصر وأنا على ثقة أن من اختار الموعد لم يعتقد أن الأمور ستصل إلى هذه المرحلة.ففي ٢٥ يناير كانت الغالبية شباب صغير من مختلف الطبقات تستخدم الإنترنت حيث توجد مقاهي الإنترنت حتى في المناطق الفقيرة، فحتى الأقل تعليما يصلون إلى الإنترنت وخاصة الفيسبوك. كما أن الاتصالات الشخصية حققت الكثير، فالمرء يخبر أصدقاءه وهؤلاء يخبرون أصدقاءهم وجيرانهم. وبعد الإقبال الكثيف يوم الثلاثاء تواصلت المظاهرات ليومين ونشرنا أننا نعتزم التظاهر يوم الجمعة، وفي ذلك اليوم قطعوا الاتصالات واستولوا على كاميراتنا، لذلك لم تكن المعلومات متوفرة لنا، وكان العنف لا يصدق. وقد مات الكثيرون..والآن ينضم إلينا أناس أكبر سنا عندما نجمع القمامة أو نقوم بأي عمل في الميدان ويقولون لنا " إننا فخورين بكم، لقد فعلتم ما عجزنا عن فعله لستين عاما."

ووصف الناس هذه الثورة بأنها "ثورة الفيسبوك" لأنها منحتنا شكلا من حرية التعبير.. لقد أطلقنا صفحات على الفيسبوك لأناس قتلوا وهم يعذبون، ووجدنا ذلك وسيلة للحديث دون أن يتعقبنا أحد. وأنا أعيش في الميدان منذ ٢٩ يناير الماضي مع عشرات الآلاف من الأشخاص، وتحدثت مع العديد من الأشخاص من خلفيات ومن مناطق مختلفة في مصر.[١٤]

" فقد أفرزت الثورة الشعبية المصرية، وجوها لمعت في ميدان السياسة، وناشطين برزوا بعدما استساغ المصريون حديثهم، وباتوا أكثر مصداقية من أحزاب المعارضة التي اتهمها المصريون بأنها أصبحت جزءا من النظام، خصوصا أن هؤلاء الناشطين مثلوا الصوت الإعلامي لثورة الشباب. فقد أظهرت الثورة الناشطة السياسية، والمدونة نوارة أحمد فؤاد نجم، والناشط زياد العليمي، والمدون وائل غنيم، وكريم ضياء، وغيرهم

١٤ـ للاطلاع على المصدر على الرابط التالي:

http://www.bbc.com/arabic/middleeast/2011/02/110208_egypt_bloggers

من ممثلي الحركات الشبابية.بات ميدان التحرير مثل خلية نحل طوال اليوم ، فطوال النهار وحتى منتصف الليل يعج المكان بالجماهير والهتافات مطالبة بتنحي الرئيس وإسقاط النظام، ولم تقف المطالبات عند الشباب الذين أطلقوا شرارة الثورة، بل أيضا حضرت النخب الثقافية والفنية بقوة داخل الميدان، فترى الفنان خالد الصاوي وعمرو واكد وعمار الشريعي وعبد العزيز مخيون وخالد أبو النجا، وآسر ياسين، والمخرج خالد يوسف الذي يقود بنفسه بعض المسيرات، فيما يستمع الشباب إلى كلمات من الداعية عمرو خالد، أو المحلل السياسي الدكتور عمرو حمزاوي، أو يتناقش مع المفكر محمد سليم العوا، أو الكاتب علاء الأسواني، أو يحتسي الشاي مع الكاتب الصحافي محمد عبد القدوس، أو يستمع لشعر عبد الرحمن يوسف"..(الإمارات اليوم)

وعندما اقتربت الشمس من الغروب وهدأت حرارة الجو وانتعش هواءه.. توافدت مجموعات من العلماء والمثقفين وتناوبوا كلماتهم على منصة الإذاعة الميدانية.. وكانت كلماتهم في معظمها تعبر عن الأمل الكبير في نجاح الثورة وسقوط النظام وشجعت الشباب على الإصرار والصمود في الميدان حتى يرحل مبارك ويسقط نظامه.. وكانت المرة الأولى التي ظهرت فيها الداعية الإسلامية ملكة زرار على منصة الإذاعة وخاطبت جماهير الشباب قائلة " على كل الشباب الذين أطلقوا ثورة ٢٥ يناير العظيمة أن يعلموا أننا أمام نظام عنيد ولئيم ومكار يحاول إجهاض الثورة العظيمة التي قام بها شباب مصر لكي يعود ليفترس لحومنا من جديد فلابد أن نصمد ونصبر حتى ننتصر "..أما كلمة الدكتور محمد البلتاجي، أمين عام الكتلة البرلمانية لجماعة الإخوان المسلمين في مجلس الشعب السابق فقال فيها " إن الثورة العظيمة التي قام بها شباب مصر لم تحقق أهدافها حتى الآن.. وعلينا أن نستكمل المشوار حتى يرحل الرئيس مبارك " وأن كل المفاوضات التي أجريت مع اللواء عمر سليمان نائب رئيس الجمهورية لم تؤت ثمارها حتى هذه اللحظة، لكن كل التغييرات التي قام بها الرئيس مبارك مضطرا جاءت بفضل الله وجهود شباب الثورة المتواجدين في ميدان التحرير" وكان من بين الوافدين في ذلك اليوم المحامي عصام سلطان عضو الجمعية الوطنية للتغيير، وأكد على الشباب في ميدان التحرير ضرورة الثبات على موقفهم وعدم مغادرة الميدان إلى أن يرحل مبارك عن الحكم ويسقط نظامه، وحذر الشباب من الانجراف لنغمة العودة إلى منازلهم حرصا على مصلحة مصر والمخاطر التي تهددها نتيجة استمرار المظاهرات..

وفي ذلك التوقيت لم يعد يهمنا حصر أعداد المتواجدين في الميدان بصفة دائمة لأنه قد زاد بالطبع عما كنا نتصور خصوصا مع قدوم الجماهير من محافظات مصر المختلفة.. وأما ما يهمنا اليوم هو استقطاب الكثير من الشخصيات العامة والعلماء والمثقفين إلى الميدان لأن وجود هؤلاء يعتبر داعما قويا لمطالبات

الجماهير، حيث أن معظم هذه الشخصيات ذات ثقل عالمي من الناحية السياسية والعلمية والإعلامية، وهو ما يقود الثورة إلى مسارها الصحيح ويجبر العالم على الاعتراف بحكومة الثورة المقترحة ومجلسها الانتقالي.. وأيضا ستتوقف العديد من دول العالم عن دعم نظام مبارك ماديا ومعنويا حينما تجد قوة موازية وصاعدة في الميدان، بل وستنقلب عليه تضامنا مع ثوار التحرير لكسب رضا الشريحة العظمى وبالتالي ضمان استمرار مصالحها في مصر..

وقرب غروب الشمس بقليل في ذاك اليوم أمطرت السماء مطرا خفيفا فصاحت أصوات الجماهير بالدعاء من أجل النصر ورحيل الطاغية وصعد أحد المشايخ المنصة وأخذ في الدعاء فيما تردد خلفه الملايين.. و وبينما الجماهير منهمكة في الدعاء، وصلت سيارة للقوات المسلحة تحمل كميات من الأدوية والمستلزمات الطبية.. كان أنصار الحزب الوطني المنتشرين في الشوارع وعلى كوبري الجلاء قد احتجزوا هذه المستلزمات في طريقها إلى ميدان التحرير.. وهنا، وربما للمرة الثانية تنجلي نية القوات المسلحة بوضوح في حماية الثورة والتضامن مع مطالبها.. إذ كانت المرة الأولى بعد يوم الأربعاء الدامي.. قام الجيش بنشر الجنود والأسلاك الشائكة على مداخل ومخارج الميدان لمنع الاشتباكات ما بين ثوار التحرير وأنصار الحزب الوطني، وأمر ضباطه بوضع معداتهم العسكرية على مداخل المدين وترك ممرات لتفتيش القادمين فقط وإبراز هوياتهم..

وتوالى عرض الأخبار على الشاشة العملاقة أمام الجمهور في ذاك الوقت.. خبرا جاء من أقصى حدود مصر.. حيث اشتعلت المظاهرات والاحتجاجات في الوادي الجديد وشهدت المدينة سقوط أول شهيدين واحتراق أول سيارة أمن مركزي في تاريخ المدينة على أيدي متظاهرين.. وإن كان شعب الوادي الجديد قد تأخر في ثورته على نظام الحكم إلا أنه قرر اللحاق بقطار الثورة في ميدان التحرير.. وفي الجهة الأخرى في محافظة مطروح، شهدت الشوارع مسيرات احتجاجية ضمت مئات الآلاف من الشباب تضامنا مع ثوار التحرير وقطعوا الطريق الدولي المؤدي إلى السلوم تعبيرا عن احتجاجهم على أنظمة الفساد والحكم الطاغي في مصر وتضامنا مع ثائر الشعب المصري في ثورته.

وأما الخبر الثاني: فقد كان إصدار الرئيس مبارك قرارا بتشكيل لجنة لتعديل الدستور وإضافة المادة " ٨٨ " إلى المواد التي سيجري تعديلها وفي مقدمتها المادتين " ٧٦، ٧٧ " من الدستور. بالإضافة إلى قرار تشكيل لجنة تقصي حقائق حول أحداث الأربعاء الدامي.. لكن مثل هذه القرارات قد تأخرت كثيرا عن موعدها.

وما زال الغضب مشتعلا بالمحافظات.. في الإسكندرية، يواصل المحتجون اعتصامهم في ميدان سيدي جابر، تضامنا مع زملائهم في ميدان التحرير. وقد جابت المظاهرات أمس شوارع المدينة ومرت بالأحياء الشعبية، ونصب المتظاهرون الخيام للبقاء هناك. وفي المنصورة، خرج نحو ربع مليون متظاهر للمطالبة بسقوط

النظام. كما شهدت المدينة اشتباكات بين مجموعة من البلطجية والمتظاهرين استخدمت فيها قنابل المولوتوف والأسلحة البيضاء، مما أدى لإصابة نحو ثلاثين شخصا بجروح قطعية، بينما وقف الجيش على الحياد.. وما كان ملفتا أن مظاهرات المنصورة امتدت على مسافة كيلومترين، ومرت على مراكز الأمن وشاهدها ضباط الأمن بدهشة، إلى أن استقر بهم الأمر في ميدان وسط المدينة حيث صلوا صلاة الغائب على أرواح ضحايا المظاهرات بعد صلاة الظهر.. وفي مدينة السويس خرجت مظاهرة حاشدة جابت شوارع المدينة وشارك فيها الآلاف إضافة إلى القوى الوطنية والمعارضة، مرددين هتافات مطالبة برحيل مبارك ونظامه، مؤكدين أن المظاهرات ستستمر بالتزامن مع ما يحدث في ميدان التحرير. وأعلن متظاهرون بالسويس عزمهم التوجه إلى ميدان التحرير لدعم المعتصمين هناك. كما شهدت مدن المحلة الكبرى والزقازيق وطنطا وبني سويف وأسيوط ودمنهور والعريش مظاهرات حاشدة تطالب برحيل مبارك، رغم محاولات منع وتخويف من قبل مجموعات مرتبطة بالحزب الوطني الحاكم.

وكانت الدعوة للعصيان المدني قد انتشرت كما النار في الهشيم، بمجرد أن أعلن شباب الميدان عن نيتهم حصار البرلمان والضغط على مؤسسات الدولة، بادر العمال باستغلال الفرصة، وهم الفئة المطحونة التي تتجرع الظلم كل يوم ولا تجرؤ على الحديث، فنشرت وكالة "رويترز" مع بداية الأسبوع الثالث لاحتجاجات الغضب " أسبوع الصمود والتحدي" اشتعلت الإضرابات الفئوية في أنحاء الجمهورية وفي كافة قطاعات الدولة ومؤسساتها، بدأت نحو ١٥٠٠ من العاملين في الشركة المصرية للاتصالات احتشدوا في فنائها وفي شارع رمسيس الذي تطل عليه في وسط القاهرة مطالبين بإعادة النظر في أجورهم لتتساوى مع أجور العاملين في شركات الاتصالات الخاصة. ونددوا بانعدام عدالة في توزيع المكافآت والبدلات على العاملين.

و نحو ١٥٠ من العاملين في شركة عمر أفندي تظاهروا أمام مبنى دار القضاء العالي مطالبين النائب العام بالتحقيق مع المسئولين الذين تسببوا في بيع الشركة لمستثمر عربي بثمن بخس، واشتكوا من تأخر أجورهم منذ ثلاثة أشهر وطالبوا بإلغاء عقد بيع الشركة وإعادتها للقطاع العام. وشكا عمال كثيرون في مصر من أن بيع شركات للقطاع الخاص تسبب ف فقدانهم وظائفهم قائلين إن المشترين يريدون بيع الأرض المقامة عليها الشركات لكونها أغلى مما دفعوه ثمنا. وفي بهو مؤسسة الأهرام الصحفية التي تملكها الدولة تجمع نحو مئة من العاملين المؤقتين مطالبين بتعيينهم، وليس للعاملين المؤقتين حقوق تأمينية، وليس لهم حقوق كاملة في الحوافز السنوية، كما يمكن الاستغناء عنهم دون حصولهم على تعويض. وفي محافظة السويس تظاهر بضع ألوف من الشباب مطالبين بفرص عمل. واستمر اعتصام ألوف العاملين للمطالبة بزيادة الأجور.

وفي محافظة البحيرة بدأ نحو سبعة آلاف عامل في شركة مصر للغزل والنسيج في مدينة كفر الدوار إضرابا عن العمل مطالبين بزيادة الأجور. وطلبوا "محاسبة المتسببين في تدهور الشركة" التي لا تزال مملوكة للقطاع العام. وفي مدينة دمنهور عاصمة المحافظة أضرب نحو ألفين من العاملين في قطاع إنتاج الكهرباء مطالبين بزيادة أجورهم. وأضرب عن العمل مئات آخرون من الموظفين الحكوميين. برغم أن مصر حققت في السنوات الماضية معدلات تنمية اقتصادية عالية لكن محللين قالوا إن عائدها كان لمصلحة الأثرياء.

أما الأخبار التي كانت أكثر إثارة في هذا الاستطلاع فهي تصريحات الورقة المحروقة "عمر سليمان" نائب رئيس الجمهورية الذي قال أن النظام في مصر "لم ولن ينهار".. وأن مطلب رحيل مبارك "ضد أخلاق الشعب المصري" وأن المصريين يحترمون كبيرهم ورئيسهم،وأن كلمة الرحيل ليست مهينة فقط للرئيس، وإنما للشعب المصري أيضا، كما أن الرئيس مبارك أحد أبطال حرب أكتوبر والمؤسسة العسكرية حريصة على هؤلاء الأبطال ولا يصح أن ننفي تاريخها، مؤكدا أن الرئيس مبارك " لن يترك البلد وسيبقى لإدارة خارطة الطريق والإصلاحات المقبلة ، وأن الرئيس مبارك ليست لديه مشكلة في تنفيذ مطالب الشعب، لكن إدخال جميع التعديلات الدستورية والتشريعية المطلوبة مرة واحدة ليس ممكنا بسبب ضيق الوقت وأشار إلى أن الرئيس المقبل لابد أن يحلف اليمين يوم ١٤ أكتوبر المقبل، وكذا نفى عمر سليمان عقد صفقة مع جماعة الإخوان المسلمين معتبرا أن مشاركتهم في الحوار بين النظام والمعارضة مكسب كبير لهم لأنهم " يبحثون عن الشرعية منذ ثمانين عاما " وأهدافهم لم تتفق مع أي نظام ولهم أجندة خاصة جدا.. ونوه عمر سليمان على أهمية مشاركة الإخوان في حل الأزمة.

والغريب فيما قاله عمر سليمان : أن الدولة توقعت ثورة شباب الفيسبوك منذ عام وقدرت عدد المشاركين فيها بـ ١٠٠ ألف متظاهر.. أي أن شباب يناير لم يأتوا بجديد ،وأكد على أن الدولة لن تستطيع تحمل استمرار حالة " الشلل " ولابد من إنهاء الأزمة سريعا..والأغرب من الخيال أيضا : أن عمر سليمان تعهد بوقف عمليات التمويل من الخارج "للعناصر المندسة" وأكد أن الدولة لن تسمح بالتدخل في شئونها الداخلية وأكد للمرة الثانية أن النظام "لم ولن ينهار"..

وأما من الناحية الخارجية فقد جاءت الأخبار في هذه المرة تؤكد ولو بشكلٍ غير مباشر دعمها للمتظاهرين في ميدان التحرير وهو ما مثل دفعة معنوية للثوار وطعنة قاسية في قلب النظام الذي لم يكن يتصور أن تتخلى عنه أمريكا التي طالما تحالفت معه وأيدته في قمع الشعب المصري وسلب حقوقه.. حيث

جاءت تصريحات المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل بأن ألمانيا مستعدة لاستضافة الرئيس مبارك لتلقي العلاج في حال طلبه ذلك..

وأما عن الجانب الأمريكي.. فقد صرح المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية فليب كروالي بأن " قرار الرئيس مبارك بالرحيل أو الاستقالة من منصبه يرجع له وللشعب المصري ولا تدخل للإدارة الأمريكية في ذلك.. وأن تحديد ما إذا كانت الالتزامات التي تعهدت بها الحكومة المصرية مؤخرا ستتم ترجمتها إلى أفعال حقيقية وما إذا كانت تلك العملية ذات مصداقية أو لا. هو أمر متروك للشعب المصري والمتظاهرين في ميدان التحرير..

"هكذا الخطاب الخارجي جاء متوافقا مع خطاب الثورة المصرية، بينما الخطاب الداخلي الذي يتبناه النظام يذهب في اتجاه بعيد جدا. وجاء دور نواب الكونجرس الأمريكي في نداء الديمقراطية بشأن الأزمة مطالبين باتخاذ قرار طارئ للتعبير عن دعم الشعب المصري وكفاحه من أجل الديمقراطية في أقرب وقتٍ ممكن، وطالبوا ببعث رسالة قوية تدعوا الحكومة المصرية إلى وقف العنف ضد المتظاهرين في ميدان التحرير من قِبل "البلطجية المأجورين" مؤكدين ضرورة تشجيع الجيش على التدخل لحماية الضعفاء والمواطنين العُزل والمتظاهرين السلميين.. وأكدوا أن النظام المصري الحالي فقد مصداقيته وتسبب في ضرر لا يمكن إصلاحه في علاقته بالشعب المصري، وأن الوقت قد حان للاستجابة لمطالب الشارع المصري الملحة والمشروعة ".

وأما عن الجانب العربي فقد بدا واضحا تخوف السعودية وقلقها الشديد من تأثير الأحداث في مصر على الوضع الإقليمي في حال إذا فقدت أهم حلفائها في مواجهة إيران.. وهي ذاتها المخاوف التي عبر عنها بنيامين نتنياهو من عملية التحول الديمقراطي في مصر، وحذر من أن تجر احتجاجات ٢٥ يناير مصر نحو السير على الطريق الذي تسير عليه إيران في حال وصول الإخوان أو الجماعات الإسلامية في مصر إلى الحكم..

وعلى الصعيد العالمي فقد احتشدت الآلاف من الجاليات المصرية أمام سفارات بلادهم.. في لندن ولبنان وكذا شهدت السفارة المصرية في العاصمة الكورية "سيول" احتشاد الآلاف من المصريين أمام السفارة تضامنا مع الشعب المصري ودعما لحقوقه في المطالبة بالعدالة والديمقراطية.. ولم تكن الجاليات المصرية فقط هي التي تتظاهر أمام سفارتها تضامنا مع ثوار التحرير بل انضم إليهم الكثير من الأمريكان في نيويورك وظهر شعار" شيكاغو تحب مصر" والكثير من اللبنانيون في بيروت وحتى الأرجنتين.. وأما في لندن فقد شهدت الجامعات وقفات احتجاجية من الشعب الإنجليزي تضامنا مع الشعب المصري.. بل أن المدارس الثانوية في لندن شهدت كذلك وقفات احتجاجية لمساندة الشعب المصري في ميدان التحرير..

وكان واضحا في ذاك اليوم أنها المرة الأولى بالنسبة لمجتمعات الغرب التي تلوح فيها بورقة واضحة تجاه العالم العربي وفي وجهها الأول تلوح بالرحيل للأنظمة الاستبدادية. خصوصا نظام مبارك، أما الوجه الثاني فكان يشير بالديمقراطية كحق لشعوب الوطن العربي.. هذه المجتمعات الغربية التي طالما كانت تصريحاتها مساندة للأنظمة الاستبدادية في العالم العربي، وطالما شجعت على قمع شعوبه التي تقطن جنوب المتوسط.. وطالما وصفوا شعوب الوطن العربي بأنها أقل من أن تتمتع بالديمقراطية.. وأن الديمقراطية بالنسبة لهم تعني الفوضى والإرهاب، ولهذا شجعوا استمرار الاستبداد والقمع في الوطن العربي لضمان مصالحهم واستقرار بلادهم في مواجهة الفوضى والإرهاب والتخلف القادم من دول الشرق العربي.. فقد جاء اليوم لكي تعترف دول الغرب بحق الديمقراطية لشعوب الشرق العربي.. ولم يكن ذلك اجتهادا وتفضلا منهم علينا بالاعتراف لنا بحق الديمقراطية لكن جاء ذلك بجهد وإصرار الشباب المصري ورفضه للاستبداد وقمع الحريات..



06 Feb 2011, London, England, UK --- UK - Egypt - Egyptian protesters march through central London --- Image by ? Mike Kemp/In Pictures/Corbis --- with **Rami Raafat** and **Nadia Ahmed**.



06 Feb 2011, London, England, UK — UK - Egypt - Egyptian protesters march through central London — Image by ? Mike Kemp/In Pictures/Corbis — with **Rami Raafat** and **Nadia Ahmed**.



05 Feb 2011, Berlin, Berlin, Germany — Solidarity march for Egypt — Image by ? Schuh, Florian/dpa/ Corbis



05 Feb 2011, WASHINGTON, DC, USA --- USA - Protests - Egypt — Image by ? Ken Cedeno/ Digital/Corbis



مظاهرة مناهضة لمبارك أمام البيت الأبيض

وتنتهي مليونية اليوم بحصار مجلس الشعب والتخطيط لمليونية الحسم ، حيث بدأ اليوم الاعتصام أمام مجلس الشعب، وعمر سليمان يُصرح بأن الشعب المصري غير جاهز للديمقراطية.في الوقت نفسه بدأت جلسات الحوار تتحدث عن تشكيل لجنة دستورية لتعديل الدستور، وعمّت الإضرابات العمالية أنحاء الجمهورية، ودعا الشباب إلى "جمعة الحسم" في نهاية الأسبوع، عازمين على التوجه إلى القصر الجمهوري".

ونسترجع معا تغريدات هذا اليوم على هاشتاج الثورة "Jan25#Egypt" ،

- " وأحتلينا المجلس بعد التحرير .. فاضلك قصر الرئاسة يا مبارك وحناخده يوم الجمعة: "
- RT: protesters building tents to sit in outside Parliament building
- المتظاهرون يقيمون الخيام أمام البرلمان الآن#Jan25#Mubarak"
- " ناس كتير بينقلوا خيامهم من التحرير وحينصبوها قصاد مجلس الشعب #Tahrir#Egypt#Jan25
- " صديق لي" يعمل فران" يفكر في كيفية عمل فرن في ميدان التحرير،ليأكل الشباب عيش طازج ،متحمس جدا ويقول ، الشباب دي تستحق ،دول بيحررونا "
- " الواحد لما كان يشوف طابور في مصر كان يجيلو إحباط،اليوم طابور دخول التحرير كان بادئ من قبل شيبرد بشارعين وناس ملتزمة و مبسوطة"
- " اليوم كان العدد بميدان التحرير لا يقدر حيث لم أكن استطيع التحرك وسط الناس نهائيا وكأننا في الحج "
- " البي بي سي: الناشط المعارض وائل غنيم يخاطب الحشود في ميدان التحرير قائلا: "لست بطلا وإنما الأبطال هم الذين استشهدوا "
- "اللي يقلل من فهم الشعب المصري للديمقراطية حنط في كرشه #jan25#tahrir"
- " أفندم؟ عمر سليمان عاوز "جدول زمني" و"خارطة طريق" للحل . ينحل وسطك يا بعيد.انت فاكرنا قضية فلسطين هاتلتوا وتعجنوا فيها . قل له يمشي ."
- " رويترز: البيت الأبيض يصف تصريح عمر سليمان بأن مصر ليست جاهزة للديمقراطية بأنه "ليست مفيدا"
- " عمال أبو السباع يقطعون الطريق وعمال سيجما يضربون عن العمل
- " Strikes in#jan25#egyworkershttp://www.ctuws.com/default.aspx?item=715 ...
- ونحاول معا مطالعة حصيلة أخبار اليوم؛

- المليونية الرابعة تحوّل مصر إلى "ميدان تحرير"
- الملايين ينضمون للمطالبين برحيل مبارك.
- شارع مجلس الشعب في قبضة المعتصمين،
- وائل غنيم للرئيس كفاية عليك كده
- هيكل يدعو إلى حكومة انتقالية تحت إشراف الجيش
- واشنطن تنتقد سليمان ..وتطالبه بإلغاء الطوارئ فورا »
- علماء الاجتماع: ٢٥يناير أشعلت ثورة في الشخصية المصرية
- مثول جرانة أمام النيابة بتهمة إهدار 10 مليارات جنيه
- الإخوان : لم نتوافق على بيان سليمان ولم نوقع عليه
- الثلاثاء الثالث للثورة في ميدان التحرير: المعتصمون في الميدان يرفضون إهدار دماء الشهداء ويصرون على البقاء
- الإعلاميون والموظفون يتظاهرون في ماسبيرو والأهرام و روز اليوسف
- « «إسرائيل تلح على أمريكا بنقل السلطة داخل النظام» تفاديا لظهور أردوغان مصري»
- الغضب يصل إلى العمال
- عمال « نظافة الجيزة » في ركب الثورة
- «..في المليونية الرابعة » الجميع إلى الميدان
- أمريكا تتراجع :التغيير في مصر سيستغرق بعض الوقت
- أوباما يريد التغيير..لكن يخشى اختطافه
- لوس أنجلوس تايمز: أمريكا تريد إصلاحا تدريجيا
- أعلنت منظمة هيومن رايتس ووتش أن أعداد الشهداء حسب الإحصاءات التي قامت بها يقدر بنحو ٣٠٠ شخص، بخلاف أكثر من ٥٠٠٠ جريح
- المتظاهرون يحاصرون مقار مجلس الوزراء ومجلسي البرلمان، ووزارة الداخلية في تظاهرات هي الأضخم منذ بدء الثورة
- إحراق مبنى محافظة بورسعيد، وبعض أقسام الشرطة في الإسكندرية، ومدينة الخارجة بمحافظة الوادي الجديد تشهد انفلاتا أمنيا غير مسبوق بعد انسحاب معظم القيادات الأمنية

- الاعتصامات الفئوية تتفجر في كل قطاعات الدولة، والشلل يسيطر على كل أوجه الحياة

****

وصلات خارجية

ميدان التحرير ٨ فبراير. الشعب يريد إسقاط النظام

https://www.youtube.com/watch?v=Afh_vLGStQc

ميدان التحرير ٨ فبراير. الشعب يريد إسقاط النظام

https://www.youtube.com/watch?v=nz90gWLgjqM

مبارك ظاظا ..هتافات المتظاهرين في التحرير

https://www.youtube.com/watch?v=nXWN3Ez-Iug





عمر سليمان: مصر تغيَّرت .. والجيش ضامن لكل تعهدات النظام

لا يوجد معتقل واحد من الشباب .. والشرطة لن تعتقل أحدًا وستكون فى خدمة الشعب 03



«المليونية الرابعة» تحوِّل مصر إلى «ميدان تحرير»

الملايين ينضمون للمطالبين برحيل مبارك.. شارع مجلس الشعب فى قبضة المعتصمين.. ووائل غنيم للرئيس: «كفاية عليك كده»





هيكل يدعو إلى حكومة انتقالية تحت إشراف الجيش



شهادة الأبنودى عن الطريق إلى الميدان



الأحلام التى اغتالتها رصاصات قناصة الداخلية

التقارير الطبية: الشرطة تعمدت قتل المتظاهرين بالرصاص الحى 09



واشنطن تنتقد سليمان.. وتطالبه بإلغاء الطوارئ «فورًا»

(٢٤)

دعوة العصيان المدني

الأربعاء ٩ فبراير

جغرافيا الميدان لم تتغير بعد.. حواجز التفتيش العسكرية ولجان الأمن الميدانية لا زالت تحفظ أماكنها وتؤدي مهامها في انسجام ووئام.. ومواقع القناصة لا زالت تلسع ذاكرتي.. فوق مجمع التحرير.. هذه الكتلة المعمارية التي تعد سُرة البلد.. فالمبنى يحتوى أكثر من ١٣٠٠ غرفة ومكتب حكومي.. وإلى جواره مقر الجامعة الأمريكية التي لا زالت أسطحها تحفظ بصمات الجناة وبقايا طلقات الرصاص والذخيرة التي أمطرها القناصة على الشباب العُزل من فوق أسطح أعرق الصروح العلمية في مصر.. فهذا البناء الذي كان مقرا للجامعة الأهلية في بداية القرن العشرين.. ثم تحول إلى مقرٍ للجامعة الأمريكية حيث استأجرته الإدارة الأمريكية من الحكومة المصرية بعد أن انتقلت جامعة القاهرة إلى مقرها الحالي.. وفي الواجهة يقف مقر جامعة الدول العربية، الذي نشأ بقرار الملك فاروق على نفقة الحكومة المصرية بعد تأسيس مشروع الجامعة العربية لتضم كل العرب في منظمة إقليمية وطنية فريدة من نوعها.. لتربط نسيج الوطن العربي ذات الأصالة والقومية واللغة والعقيدة الواحدة..

وتقف ذاكرتي.. حيث يقف تمثال عمر مكرم.. وإلى جواره مسجده الذي شهد أحداثا تاريخية كبرى في مصر.. حيث تخرج منه جنازات المشاهير.. فمنه خرجت جنازة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. وتبعتها الملايين من جموع الشعب.. وكذا خرجت جنازة السيدة أم كلثوم.. كوكب الشرق التي اختلف العرب في كل شيء وتوحدوا على صوتها.. ومنه أيضا خرجت جنازة البطل الشهيد عبد المنعم رياض.. ومن أهم المعالم التاريخية في هذا المكان هو المتحف المصري الذي يقف في شموخ موليا وجهه شطر ميدان التحرير، ويحوي بداخله ملايين من القطع الأثرية وشواهد التاريخ على الحضارة المصرية القديمة.. حيث تم افتتاحه عام ١٩٠١ م بجوار الثكنات العسكرية الإنجليزية ليكون الأمير أحمد كمال هو أول مدير له برغم معارضة المندوب السامي البريطاني لأن يكون مدير المتحف مصريا..

جغرافيا الميدان لم تتغير.. لكن الأحداث تتغير بسرعة رهيبة، ففي البداية كان النظام ينكر الاعتراف بنا ويحاربنا بالرصاص والاعتقالات والشائعات، ثم ما لبث أن ألقى خطابه العاطفي الذي أسال مشاعر الشعب وأرسل قبضته الغجرية في اليوم التالي مصرا على إعدامنا.. ثم يعترف بنا ويدعونا للحوار معه.. ثم يستعطف ويتوسل في الحوار كي نتركه فقط يعيش، فنرفض الاعتراف به.. ثم نأمره بالرحيل..

فاليوم امتلأ الميدان بالجماهير منذ الصباح الباكر.. والإذاعات تتخطفها الأغنيات الوطنية التي تجسد الأجواء الثورية.. خاصة عندما يطربنا الشيخ إمام بألحانه وكلماته الرائعة.. ومجموعات من المراسلين والصحفيين الأجانب يديرون لقاءات وحوارات صحفية مع الشباب والمثقفين.. يستطلعون رأي الشباب وتطلعاتهم وتصوراتهم لما سيكون عليه سيناريو ما بعد الثورة.. البعض يتحدث لغات أجنبية.. والبعض يتحدث اللهجة المصرية والعربية الفصحى.. أي أنك إذا سألت عن أي شيء بأي لغة من لغات العالم ستجد من شباب مصر في الميدان من يجيبك بطلاقة بارعة..

وإذا كان الميدان قد عاد بذاكرتي إلى تاريخه العظيم ومنشآته العريقة وماضيه العميق.. فإن حاضره اليوم يكشف لي عن جغرافيا مصر كلها وقد تجمعت وتشكلت في حدود وإطار الميدان الذي يشهد جموعا من كافة سكان مصر وائتلافا من طبقات الشعب المصري ومجتمعاته القروية منها والمدنية.. الذين حضروا اليوم من أقاصي البلاد وأقاموا مخيماتهم ورفعوا لافتاتهم التي تكشف عن هويتهم المحلية داخل مصر وتعبر عن وحدتهم الوطنية.. وإن كان الجميع هنا مصريون.. فإن هذه اللافتات لا تشير إلى تمييز مجتمع عن آخر.. فالقاهري مثل السكندري والصعيدي والفلاح والمسلم والمسيحي.. اللافتات فقط لتثبت أنهم موجودون في الميدان وأنهم جزء من نسيج المجتمع المصري ولا ينفصلون عنه..

وعن هذا المشهد كتبت " المصري اليوم": <u>«فيلا الثورة» و«بنسيون الحرية»: خيام من البلاستيك للنوم في «حضن الميدان»</u>

" في حضن الميدان يسكن آلاف المتظاهرين، هجروا منازلهم بكل ما فيها من سبل الراحة ليحتموا بتراب المكان، تنفسوا فيه الحرية، فصارت منازلهم خيما بلاستيكية تقيهم من الأمطار، وأخرى من الأقمشة تبث فيهم الدفء وقت شعورهم بالبرد.. اختلفت أذواقها وأشكالها على اختلاف طوائفهم، منهم من وجد في أرصفة الميدان أسرة يلجأون إليها عند شعورهم بالتعب، وآخر صنع من جدران المباني الحكومية الملاصقة للميدان مأوى يسكن إليه هو وأفراد أسرته طيلة فترة تظاهره.. اللافتات التي تعلو كل خيمة في المكان تدلك على طبيعة الأفراد الموجودين بداخلها، فصار بعضها أشبه بعنوان جديد لمن يريد التعرف على من فيها، بعضهم اعتبر خيمته بمثابة فيلا فكللها بعبارة «فيلا التحرير»، ومنهم من وجدها مأوى الحرية فدون عليها «بنسيون الحرية»، لتصبح في النهاية بيوت المتظاهرين في ميدان التحرير.

مظلة بلاستيكية طويلة تمتد بامتداد الرصيف الملاصق لمبنى مجمع التحرير، لافتة كبرى تحمل عبارة «فيلا الثورة.. غض البصر»، يسكن بداخلها عشرات من الشباب الذين قدموا من محافظة الدقهلية، أغلبهم من مدينة المنصورة جاءوا بعد أحداث الأربعاء الدامي، يهتفون ضد الفساد وضد النظام الأمني، على حد

تعبيرهم، يقول ماهر محمد السيد أحد المعتصمين: «عمري ٣٦ عاما مشفتش غير عهد مبارك.. الواحد زهق ومحتاج التغيير»، بيتهم الذي صنعوه من خيمة بلاستيكية يجدون فيها «العزة والكرامة» فعلى حد وصفهم: «حاسين بفخر إننا هنا في ميدان التحرير.. ومش هنمشى إلا لو اتغير النظام كله»، لافتات كثيرة يضعونها أعلى الخيمة الكثير منها يسجل مواقفهم تجاه ما يحدث فدون عليها عبارة «اعتصام اعتصام.. حتى يرحل النظام»، وأخرى تقر باعتزازهم بمصريتهم «قبل ٢٥ يناير كنت مستعد أتنازل عن الجنسية المصرية.. أما الآن أتشرف إني مصري».

بناء الخيام في الميدان صار أمرا طبيعيا ومألوفا، وباتت كل لحظة تمر بداخله تسجل ميلاد خيمة جديدة لتضم بها مجموعة جديدة قررت البقاء في الميدان وسط آلاف المعتصمين، يقف محمود طاهر ممسكا بسيخ حديدي في يده أحضره من مكان قريب إلى الميدان، وبدأ في صناعة خيمة من «مشمع بلاستيك»، اشتراه ببضعة جنيهات، ووجد أن ما يفعله يجسد حقيقة واحدة وهى على حد قوله: «الحاجة أم الاختراع»، قال إن بقاءه لأكثر من أسبوع في الميدان، وقدومه من قريته بمحافظة الفيوم لمشاركة الشباب في تظاهرهم ما هو إلا واجب وطني لا يمكن أن يتنازل عنه فيقول: «إحنا هنا من يوم جمعة الرحيل.. عايزين نغير الظلم والفساد اللى في كل مكان، عايزين حياة كريمة وعادلة».

فيما علت لافتة إحدى الخيام الكبرى في المكان لتعلن عن تواجد شباب مركز ومدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ، يقول السعيد عبد الغنى، طالب بالثانوية العامة، أصر على التواجد وسط المتظاهرين والبقاء معهم لحين تنفيذ مطالب الثورة الشبابية، التي انطلقت يوم ٢٥ يناير الماضي، فهي وعلى حد تعبيره: «دي اللى رجعت لنا الروح المسلوبة مننا ومش ممكن نضحي بدم الشهداء والناس اللى إتقتلت علشان إحنا نعيش حياة كريمة».

مساكن المتظاهرين تنوعت بين خيم جاهزة الصنع وأخرى بدائية الصنع لكن أحد الشباب آثر أن يقيم خيمته من البطاطين التي وجدت بكثرة داخل الميدان فعبد الله محمد، أحد الذين حضروا من محافظة بورسعيد، مصطحبا زوجته وطفلته للتظاهر، يقول: «أنا جبت أسرتي وجيت لأن لازم نغير بلدنا بإيدينا.. كانوا بيخوفونا من التفرقة، دلوقتي، وفى ميدان التحرير المسلم جنب المسيحي إيد واحدة، وكلهم جنب بعض، كانوا فاكرين إننا هنخاف وهنجري منهم إنما إحنا قاعدين لحد ما همه يمشوا»، عبدالله قرر بناء خيمته بالبطاطين حتى ينقذ طفلته من برودة الجو ليلا، يقول: «قعدتنا شكلها هتطول بس لو طال الانتظار إحنا قاعدين لحد ما يتغير النظام».. شاب آخر آثر أن يدون على خيمته الصغيرة كلمات يعبر بها عن شعوره بالحرية فكتب يقول: «بنسيون الحرية» ليؤكد فيها أن ما يشعره ويعيشه الآن هو الحرية بعد

الثورة..المكان لا يخلو من لافتات تعلن عن اعتصام العديد من المواطنين الذين قدموا من محافظات مصر المختلفة، فمحافظة الشرقية تحظى بخيمة كبيرة تضم بداخلها عشرات المعتصمين الذين أقروا بأن وحدتهم وطريقهم للحرية لن يأتيا إلا بالبقاء داخل ميدان التحرير"[١٥].

بينما تقف لافتة عريضة على مخيم كبير مكتوب عليها " أهالي قرية كمشيش يؤيدون ثورة الشعب المصري ".. هذه القرية ذات الخصوصية السياسية، وهي إحدى قرى محافظة المنوفية ، وكان لها صولات وجولات مع رجالات ثورة يوليو ١٩٥٢ م وما قبلها والإقطاعيين وسياسة عبد الناصر والسادات والشيوعية والاشتراكية والرأسمالية.. فأهالي هذه القرية ليسوا ككل فلاحي مصر.. فهم مشاكسون للسلطة دائما ومثقفون بدرجة عالية وثوريون ووطنيون بالدرجة الأولى رغم بساطة ملابسهم التي لا تبارح الجلباب المصري الأصيل وغطاء الرأس العتيق ".. وتعود ذاكرتي قليلا لتنثر بعضا من أمجاد هذه القرية المشاكسة التي هاجم أهلها الاستبداد الإقطاعي قبل مجيء عبد الناصر وصحبه إلى سدة الحكم بحركة يونيو ١٩٥٢ م.. وكانت هذه القرية هي محور قلق عبد الناصر في محافظة المنوفية بسبب ميولها السياسي ونزعتها التحررية الجامحة ولسانها الفصيح اللبق.. وأذكر أن عبد الناصر قد خص هذه القرية بمؤتمر شعبي في بداية عهده في سعيه لتصالح السلطة الجديدة مع أهالي القرية التي وقف السادات لها مثل حجر عثرة ما بين القرية وعبد الناصر ومشروعاته القومية.. وخلال هذا المؤتمر تم تصفية بعض الناشطين سياسيا تصفية جسدية من خلال إطلاق نار عشوائي من خلف الشادر في عملٍ مخابراتي رديء.. وأذكر أيضا أنه منذ عدة سنوات قليلة خصصت إحدى القنوات فيلما وثائقيا عن هذه القرية وتاريخها وأمجادها وعلاقتها بالسلطة.. مع أن هذه القرية ليست جمهورية زفتى الثانية (محافظة الغربية أيضا) والتي سعى أهلها إلى الاستقلال كجمهورية مستقلة عن الاحتلال الإنجليزي في مصر..

وأما المخيم المقابل فكان مكتوبا على لافتته " أهالي محافظة المنوفية.. أبناء بلدك أكثر من ذاقوا عذابك "، " المنوفية تعتذر للشعب المصري" وبهذه اللافتة تفادوا نظرات الازدراء من باقي الشعب المصري حيث أن محافظة المنوفية هي مسقط رأس حسني مبارك المرفوض شعبيا..وأمر إلى اليمين في حركة دائرية حول حديقة الميدان.. فأجد مخيم أبناء شبرا الخيمة.. ومخيم أبناء الإسكندرية.. والقناطر الخيرية.. وأبناء بورسعيد.. والشرقية وأبناء المنيا وسوهاج وأسوان وبني سويف.. ومخيم أهالي قرية الزرقاء (دمياط).. وأما أهالي

١٥ـ من مقال بعنوان: هنا ميدان التحرير منشور بتاريخ ٢٠١١/٢/١٠ فريق من الصحفيين المصري اليوم
https://www.almasryalyoum.com/news/details/113184

شمال وجنوب سيناء فقد تجاوروا في عدة مخيمات صغيرة شملت أبناء العريش.. وأبناء الطور.. أما المخيم الأكبر لهم فكتبوا عليه لافتته " أهالي سيناء.. أبناء أرض الفيروز " وبجوارها صورة للشهيد بلال سالم من أبناء رفح الحدودية.. " أول وأصغر طفل شهيد في الثورة ".. وإلى جوارهم مخيم بدو الصحراء الغربية وقد كتبوا عليه لافتته " أولاد علي في الصحراء الغربية ومطروح والسلوم يؤيدون ثورة الشعب المصري ".. أما مخيم أبناء الصعيد فقد أحضروا بلاليص كتبوا عليها مطالبهم بوضوح..



وكلما تجولت في الميدان أشاهد أناسا من كافة محافظات مصر وقراها ومدنها.. من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب.. حتى أن أولاد علي حضروا ليثبتوا وجودهم في الميدان رغم ما يقال عن انتماء أصولهم إلى ليبيا.. وما أثار استغراب الكثيرين هو أن البدو باعتبارهم سكان الصحراء فهم بعيدون عن السلطة وربما لا يصلهم تأثير السياسة في مصر سواء فساد مالي وسياسي وانهيار اقتصادي أو حتى رخاء وازدهار، وكثيرون يشعرون بأن البدو مجتمع مستقل ومنعزل تماما في جوانب حياته عن السلطة والدولة والمدنية والحضارة، حتى لو كانوا مقيمين على أرضها وفي إطارها الإقليمي وسيادتها ونفوذها السياسي.. وتنبهر أكثر إذا سألتهم في ذلك .. قال أحدهم : نحن هنا مصريون وقاهريون وساحليون وبدو واسكندرانية.. فما يصيب أهالي القاهرة من رخاء وازدهار، يسير علينا في التو والحال.. رخائهم رخاء لنا وحضارتهم خير لنا وحريتهم من

كرامتنا.. وإن كان ميدان التحرير في حدوده وموقعه الجغرافي الصغير إلا أن أحداثه تؤثر على ظروف العمل والأمن عندنا في مطروح والسلوم.. ونحن نتأثر بكافة الظروف وكأننا نعيش هنا في قلب القاهرة..

وعندما نقف في منتصف الميدان تطالعك من قريب لافتة تقول " ارحل بقى ده خيمتنا دابت ".. وربما انخرط أصحاب هذا المخيم بين شرائح الشعب المصري، فلم تهمهم هويتهم المحلية لمن أرادوا التعبير عن ثورتهم بروح من الفكاهة الساخرة.. فهذا المخيم تبدوا أنسجته وأغطيته قديمة ومهترئة لكن روح الشعب الفكاهية حولت النظرة بازدراء إلى أقمشة المخيم البالية إلى تعليق فكاهي يجذب المشاهد أولا للضحك.

وجدير أن تتوقع خلال جولتك هذه في الميدان أن نجد اختلافات واضحة في لهجة التحدث ما بين مجتمعات الشعب المصري نتيجة اختلافها وتعددها ما بين قروية ومدنية وبدوية أو ساحلية.. فلهجة أهالي صعيد مصر تختلف كثيرا من لهجة أهالي الإسكندرية وشمال سيناء.. لكن الجميع أكدوا أن لهجة القاهرة المحلية هي لهجة مصرية وسطية.. ومن هنا يكون التحدث والتواصل في سهولة ويسر رغم اختلاف اللهجات المحلية.. فجميع الشعب المصري يجيد التحدث بلهجة القاهرة الوسطية والتي مثلت طاولة الحوار المركزية فيما بين كافة مجتمعات الشعب المصري في ميدان التحرير..

وأكثر ما يجذب انتباهك أن ترى مجموعة من الشباب يقيمون كورالا غنائيا بين فريقين الأول من أهالي القاهرة ويغنون باللهجة السكندرية " أيوه أيوه.. كل الشعب بيكرهوه "، أما فريق الإسكندرية فيغني " أحلى سلام للمرسى أبو العباس.. المصراوية أجدع ناس " والفريق الثالث من أهالي مطروح يغنون " سو يا سو حبيبي حبسوه ".. وفي إشارة واضحة على لسان الفريق السكندري تأتي كلمة " المصراوية " التي تشير إلى أهالي القاهرة.. فجميع أهالي محافظات مصر يطلقون على القاهرة " مصر " وأهالي القاهرة " مصراوية " كما هو الحال في سوريا حيث سكان المحافظات المختلفة مثل درعا وحلب وإدلب وغيرها يسمون العاصمة دمشق " الشام "..

نسيج مترابط ومتشابك من كافة الأشكال والألوان.. لكن الخيط السائد في الديباجة هو المصري أيا كانت لهجته المحلية ومنطقته أو مدينته وقريته ونشأته.. كانت الساعة قد اقتربت من العاشرة صباحا.. وبدأت حملة الشهداء الثانية في ذكرى الأربعاء الدامي.. ووضع الشباب مجموعة من صور الشهداء في مربع من السجاد الأحمر والورود وتوافدت عليه الجماهير لالتقاط الصور التذكارية ووضع الورود.. كان الأمر يشبه نصبا تذكاريا حيا بصور الشهداء في إطاراتها الذهبية اللامعة.. وفي جانبٍ آخر في الميدان وضعوا شجرة بلاستيكية سُميت شجرة الشهداء وعلقوا عليها عشرات من صور الشهداء وأوراق الزينة والبالونات الهوائية.. ومن جديد بدأ عرض مقاطع الفيديو التي التقطها الشباب للشهداء أثناء المظاهرات وأحداث الثورة.. بالإضافة

إلى مقاطع فيديو كان الأطباء في مستشفى قصر العيني قد صوروها للشهداء في لحظات أنفاسهم الأخيرة.. وكانت غالبا ما توضح كم المعاناة والإصابات والجروح وثقوب الرصاص والطلقات.. وكذا تعرض محاولاتهم الأخيرة لإنعاش المصابين قبل مفارقتهم الحياة في غرف العناية..



وفي ذات الوقت توافدت أسر الشهداء الشهداء إلى الميدان مع الأغنيات الوطنية في الإذاعة الميدانية خاصة أغنية المطربة شريفة فاضل " أنا أم البطل " التي غنتها في أول احتفال شعبي بنصر أكتوبر في بورسعيد.. كان الميدان يستقبل أهالي الشهداء بهذه الأغنية كي تهدأ نيران صدورهم شيئا ما..وتنوعت الهتافات ، وإن تميزت بنبرة مواساة تتلاقى مع المشاعر السائدة، فكانت الهتافات من نوعية ؛ في كل شارع في بلادي .. صوت الحرية بينادي.." ، " صرخة أم شهيد بتنادي أمن الدولة قتل ولادي"- " صرخة أم شهيد بتنادي حسني مبارك قتل ولادي"- " يا شهيد نام وارتاح .. واحنا نكمل الكفاح " – " ياللا ياللا يا شباب الحرية ع الأبواب " – "افرح افرح يا شهيد.. النهاردة يوم العيد" – " مش هنسيبك مش هنسيبك.. ولا هنسيب العادلى حبيبك "- " ياجمال قول لبابا يلا نخلع م العصابة ".



وقرب الحادية عشر من صباح ذاك اليوم بدأت وفود منظمة تأتي إلى الميدان.. كان أولها مسيرة المحامين وبأعداد كبيرة وقد تحركوا في مسيرتهم من أمام دار القضاء العالي متجهين إلى ميدان التحرير عبر شارع الجلاء (وسط البلد).. وكانوا يهتفون بهتافات مختلفة منها " حرية.. تغيير.. عدالة اجتماعية " ورفعوا لافتات تطالب باستقلال القضاء استقلالا تاما.. لكن اللافتة الأوضح كانت تقول " محامو مصر يؤيدون ثورة الشباب ".. وأهم ما ميزهم هو حضورهم بالذي الرسمي لهم في المحاكم والهيئات القضائية (الروب الأسود)..

وكذلك من شارع القصر العيني دخلت مسيرة الأطباء والتي تجمعت أمام دار الحكمة (نقابة الأطباء) وتحركت في اتجاه ميدان التحرير وكانوا أيضا بزيهم الرسمي (البالطو الأبيض)..

ومن شارع طلعت حرب وفدت مسيرة عمال بترول مصر كذلك بالذي الرسمي لمواقع عملهم (اليونيفورم الأزرق) ورفعوا لافتات تقول " عمال بترول مصر يؤيدون الثورة الشعبية في مصر "..

وتبعهم مسيرة القضاة بالزي الرسمي انطلاقا من أمام دار القضاء العالي بهتافات مؤيدة للثورة ومطالبها حتى وصلت ميدان التحرير فالتحمت في الجماهير. وكذا الصيادلة ومسيرة معلمو مصر ومسيرة أساتذة الجامعات المصرية التي تحركت من أمام جامعة القاهرة للمرة الثالثة على التوالي..

وعلى ما يبدو أن المسيرة الأكبر في هذا اليوم كانت مسيرة اتحاد الكتاب والصحفيين والفنانين والتي ضمت العديد من رموز الكتابة الصحفية في مصر ورموز السينما والتليفزيون وبعض المفكرين والشخصيات العامة التي تشكل الملامح العريضة للرأي العام في مصر..

وما كان ملفتا للنظر في هذا اليوم هو مسيرة حاشدة تحركت من شبرا الخيمة واخترقت شوارع القاهرة حتى وصلت ميدان التحرير بـ " الطبل البلدي والمزمار الصعيدي ".. وكان رائعا جدا للجميع فيما تزاحم الكثيرون حولها للتصوير والتسجيل، بينما الشباب حولهم يهتفون " يا جمال قول لأبوك .. الفراعنة خلعوك.."- " هيلا وهيلا وهيلا وهيلا ..حسنى مبارك آخره الليلة " - "استقيل استقيل ..واحنا نحرس ارض النيل"



ونتيجة للزحام الشديد وزيادة أعداد الوافدين إلى الميدان والمقيمين فيه، كانت الحاجة ماسة إلى دوريات نظافة بعدما تكدست أكياس القمامة داخل سيارات الأمن المركزي المحترقة والمتناثرة في أطراف الميدان.. ولم تكن هناك وسيلة لإخراج هذه القمامة خارج الميدان فكنا نكتفي بتجميعها في أكياس سوداء كبيرة ووضعها في أماكنها المحددة داخل وحول مصفحات الأمن المركزي.. ومنذ يومين كان الجيش قد أرسل عدة سيارات نقل عسكرية لحمل القمامة من داخل الميدان ومعها مجموعة من المجندين، إلا أن شباب الميدان رفضوا أن تمتد يد المجندين على أكياس القمامة وقاموا بجمعها ووضعها في السيارات وقدموا الشكر لضباط الجيش الذي أحضروا هذه السيارات.. لكن اليوم بدأت منذ الصباح جمعية (روح الشباب لتنمية البيئة) وهي جمعية أهلية، قامت بنشر أعداد من صناديق القمامة البلاستيكية والأكياس

البلاستيكية الكبيرة والمكانس اليدوية التي سهلت على الشباب عملية تنظيف الميدان وجمع البقايا والمخلفات الورقية والبلاستيكية بصفة دورية ومنتظمة..

وكان ضمن جدول الزيارات في ذلك اليوم احتفاءً بالشهداء.. زيارة أسرة الشهيد خالد سعيد والذي أعتبر أول شهداء الثورة مع أنه قتل قبل عام إلا أنه كان بمثابة عود الثقاب الذي أشعل فتيل الثورة بمقتله على يد رجال الداخلية بسبب نشره مقطع فيديو يفضح عملية تدوير المخدرات داخل أقسام الشرطة فاضطهدوه ضباط الشرطة وقاموا بقتله على مرأى ومسمع من الجميع في وسط الشارع وأمام منزله.. وهو ما أهاج مشاعر الشباب ليطلقوا صفحة " كلنا خالد سعيد " على الفيس بوك ونظموا ثلاث مظاهرات حاشدة تحركت من أمام منزله وحتى مسجد القائد إبراهيم احتجاجا على قتله أمام أعين الجميع.. وجاءت أسرة الشهيد خالد سعيد إلى الميدان قبل عصر اليوم، وتحدثت والدته على منصة الإذاعة وقالت للشباب" أشعر أنكم جميعا أولادي.. وأنكم خالد سعيد الذي لم يضع دمه هدرا.. وللمرة الأولى أشعر فيها بأن ابني لم يمت ولا زال حيًا بوجودكم في هذا الميدان.. وأشعر أنني أصبحت أما لشباب مصر جميعا وليس خالد وحده".. وقوبلت كلمات أم الشهيد بعاصفة من الهتاف..

وفي ذات اليوم كان شباب ائتلاف الثورة قد وضعوا ضمن مخططهم الثوري في " أسبوع الصمود" "دعوى العصيان المدني".. وقاموا بنشرها في كافة وسائل الإعلام المتاحة وعلى رأسها مواقع التواصل الاجتماعي " فيس بوك وتويتر " ومنها انتقلت الدعوى إلى الصحافة الحرة وبعض الفضائيات..فقد توقفت خدمة الانترنت على مواقع التواصل الاجتماعي لخمسة أيام ثم عادت مع بداية أحداث الأربعاء الدامي..كنا خلال هذه الأيام نناضل ليل نهار فقط كي يصل صوتنا للعالم، بينما اليوم العالم هو من يتهافت إلينا كي ندلي له بالأخبار.. فقط انطلقت تغريدة عبر تويتر بالدعوة إلى عصيان مدني، فتلقفتها وكالات الأنباء وغزت العالم في ثوانٍ معدودة.. والغريب أنه لم يكن أحد يتصور أن دعوى العصيان المدني قد تتخطى الخطوة الإعلامية فقط.. لكنها كانت بمثابة الجرار الذي قطر الثورة إلى محطة النهاية.. فمنذ الصباح انتشرت الاحتجاجات العمالية في كافة مدن ومحافظات الجمهورية خاصة محافظة القاهرة التي شهدت أكثر من خمسين وقفة احتجاجية متفرقة في مواقع عملها ومراكزها الوظيفية وإن كانت هذه الوقفات الاحتجاجية جاءت في مجملها احتجاجات من أجل مطالب فئوية لكنها كانت بمثابة عامل دفع قوي لصدى الثورة، وخاصة أن مطالبها الفئوية هذه هي أجزاء مفتتة من مطالب الثورة، مثل رفع الأجور وتحسين أوضاع العاملين وغير ذلك.. وربما كانت هي ذاتها الدعوى "العصيان المدني" التي دفعت هذه المسيرات الحاشدة إلى ميدان التحرير منذ الصباح ومعظمها في زيها الرسمي..

والعصيان المدني هو أحد الطرق التي ثار بها الناس على القوانين غير العادلة، والحكام الظالمين، وقد استخدم في حركات مقاومة سلمية عديدة موثقة؛ في الهند (مثل حملات غاندي من أجل العدالة الاجتماعية وحملاته من أجل استقلال الهند). وبالرغم من اشتراك العصيان المدني مع الإضراب (وخصوصا الإضراب العام) في كونهما وسيلتان تستخدمهما الجماهير للمطالبة برفع ظلم أصابها، وهو يختلف عن الإضراب في أن الإضراب متعلق بحقوق العمال في مواجهة صاحب العمل (والذي يمكن أن يكون هو الحكومة).وتمثلت إحدى أكبر تطبيقات العصيان المدني وأوسعها نطاقا في لجوء المصريين إليه ضد الاحتلال البريطاني في ثورة ١٩١٩ السلمية.

فالعصيان المدني هو توقف الشعب عن الحركة، عن العمل، عن الإنتاج حتى يرحل الظلم لتعود الحياة ، وتعود الحرية والكرامة .. لكنه ليس وسيلة ناجعة في الثورات التي تسعي لتغيير النظم الحاكمة إلا إذا شمل توقف كافة قطاعات الدولة عن العمل ، فيضطر النظام الحاكم إلى الرحيل طالما لم يجد من يحكمه ويطع أوامره، لكن ينبغي ألا ننس الفارق الشاسع بين العصيان كآلية لرفع الظلم والاحتجاج عليه وبين الثورات الشعبية التي ينتفض أهلها لهدم أنظمة فاسدة وبناء أنظمة جديدة تحقق تطلعات وآمال الشعوب، فهدم الظلم والتمرد عليه هو نصف ثورة ينقصها الإرادة لبناء نظم جديدة حية، لا الوقوف لانتظار المجهول، فذلك يعود إلى ثقافة الشعوب نفسها، الثقافة المتغلغلة داخل النسيج الاجتماعي والتي تحدد مدى رغبته وإرادته الحقيقة في بناء حياةٍ جديدة.

وكانت الخطوة القادمة في المخطط الثوري تهدف إلى الزحف على قصور الرئاسة والهيئات السيادية مثل وزارة الداخلية ومجلسي الشعب والشورى ومبنى الإذاعة والتليفزيون لمحاصرتها والاعتصام حولها حتى تتمكن الثورة من تقيد يد الحكومة خلف ظهرها ووضعها في الأمر الواقع ومن ثم الامتثال لمطالب الشعب بالرحيل عن الحكم..وبوصول الثورة في الميدان إلى هذه المرحلة من التطور أصبح الميدان هو صاحب السلطة والسيادة في الدولة وصاحب الرأي والقرار النهائي.. وأصبحنا من يُملي شروطه على طاولة الحوار وهذا يعني في الوقت ذاته أن محاولات مبارك وحاشيته لاستدراك الموقف وإخماد الثورة أصبحت مشروعا فاشلاً..

وبذلك أصبح يقينا لدى الجميع أن الثورة نجحت ولا يمكن أن يعود التاريخ بنا إلى الوراء إلا في حال أن وقف أصحاب الثورة على إخمادها، وهو ما لن يحدث إلا على أشلاء جثثنا ودمائنا.. وقد دفع ذلك بالكثير من الشخصيات العامة من المثقفين والإعلاميين والفنانين الموالين للنظام على حساب الشعب، دفعهم ذلك إلى استدراك أنفسهم واللحاق بركب الثورة قبل أن يفوتهم القطار ويتركهم في القوائم السوداء.. فتوافدوا جماعات تلو بعضها لإثبات وجودهم في الميدان بالتقاط صورٍ مع شبابه.. لكنهم كانوا معروفين بالاسم في

رابطة " الهاربين من العار".. والتي كان على رأسها الدكتور مصطفى الفقي أول القافزين من المركب الغارق.. وكنا نسمح لهم بدخول الميدان إلا من كانت له مواقف محددة وواضحة ضد الثورة يهاجم فيها شباب الميدان.. أما من كانت مواقفهم الموالية للنظام صامتة، فكان مسموحا لهم بالدخول طالما لم يصرح بذلك علانية.. لأن معظمهم لم يكن ذا رأي واضح ومحدد مع أو ضد الثورة فاكتفى بالصمت حتى تتضح الأمور وتميل كفة الميزان فيميل معها.. ونحن لم نكن نستثنى أحدا من المشاركة حتى في لحظة نجاحها طالما لم يشارك في محاولات إخمادها..

وإلى جانب دعوة " العصيان المدني ".. كانت الدعوة إلى " محاصرة قصور الرئاسة ".. قد انتشرت منذ الصباح ووجدت لها صدى في آذان الشباب وحازت إعجابهم وحماسهم كخطوة قادمة لإنجاح الثورة وتقييد يد الحكومة فمنذ الأمس كان بعض الشباب قد امتد اعتصامهم من ميدان التحرير إلى قرب وزارة الداخلية ومجلسي الشعب والشورى في تحدٍ واضح للحكومة، وكان مخططا لعقد اجتماع طارئ لمجلس الوزراء في ذلك اليوم بمبنى مجلس الوزراء قرب مجلس الشعب، لكن الشباب المعتصمين هناك منعوا دخول الوزراء وحضور الاجتماع برئاسة الفريق أحمد شفيق مما اضطرهم إلى عقد اجتماعهم في وزارة الطيران المدني (معقل أحمد شفيق وزير الطيران السابق).. وانتشر خبر تعثر عقد الاجتماع في مقره الرئيسي بمجلس الوزراء ونقله إلى مقر وزارة الطيران المدني بسبب اعتصام الشباب.. وكان هذا الخبر بمثابة الماء الرطب على قلوب الشباب المحترقة بنار الثورة.. فاشتعلت الحفلات في الميدان فرحا بما حققه الشباب.. فقد أجبروا الحكومة على أمرٍ أرادوه.. وكان ذلك أيضا بمثابة انتكاسة كبيرة للحكومة التي لم تستطع تحدي إرادة الشباب واستسلمت لها.. بدأت سلطة الميدان تتمدد في كل اتجاه، بينما سلطة القصر تلملم أطرافها من كل اتجاه وتنكمش..

فخلف أسوار القصر كانت تدور حوارات ساخنة بين رموز النظام.. فقد كشف مبارك في مذكراته أنه عندما قابل الدكتور حسام بدراوي(الرئيس الجديد للحزب الوطني) في قصر الرئاسة يوم ٩ فبراير كان يشعر وكأنه وجد طوق نجاة، كان مبارك يبحث عن مخرج آمن ولكن لم يستطع عمر سليمان توفير هذا المخرج، وأراد مبارك أن يتنحى لكن من حوله عقدوا له الأمور.. لكن بدراوي طلب من مبارك أن يتنحى بشرف، وهوا ما اعتبره مبارك طوق النجاة، فحاول مبارك أن يفهم بدراوي أن ينقل للثوار عنه يحترمهم وأنه موافق على طلباتهم ويخاف عليهم، لكنه طلب دقائق يختلي فيها بنفسه، بينما اقترح عليه بدراوي أن يشرع في كتابة خطاب التنحي له فورا. (روز اليوسف ٣٠ /٣/ ٢٠١٢)أي أنه عندما عرض بدراوي على مبارك اتخاذ قرار التنحي بشرف يوم ٩ فبراير وافق مبارك ولكنه طلب مهلة دقائق يختلي بنفسه.. والمقصود من هذه المهلة

بالطبع هو استطلاع رأي الأسرة؛ جمال وسوزان وذكريا عزمي رئيس الديوان.. لكن في الوقت ذاته كان هؤلاء يفكرون في حيلة لطرد بدراوي..

ويؤكد مبارك أنه عقب دخوله مكتبه فوجئ بجمال ابنه وزوجته سوزان يحذرانه من أن بدراوي يحاول لعب دور تاريخي على حساب النظام كله وأن جمال طلب بعدها من زكريا عزمي التصرف مع بدراوي، لكن عزمي كان قد علم هو الآخر بما يجرى وأدرك أن النظام يسقط على أيد بدراوي ، فلم يشأ مواجهة بدراوي فأوعز لأحد موظفي القصر أن يخرجه من القصر. ثار مبارك بشدة عندما خرج ليملى على بدراوي كلمات من عنده كي يضيفها لخطاب التنحي لكنه لم يجد بدراوي فقد غادر القصر ، لوم يكن مبارك يعلم بما حدث مع بدراوي آخر طوق نجاة له كما أطلق عليه صراحة إلا بعدها بساعة من نائبه اللواء عمر سليمان الذي حكا له ما جرى مع بدراوي من وراء ظهره، وكان بدراوي قد ترك رسالة ورقية لسليمان حكا فيها بجمل قليلة وحادة ما جرى معه واصفا الموضوع بأنهم طردوه من القصر دون علم الرئيس. (روز اليوسف ٣٠ /٣/ ٢٠١٢)

وبطبيعة الحال، برغم أنهم طردوه دون علم مبارك لكنه كان يمكنه استدعاءه مرة أخرى بعد هذه الساعة، لكن في الواقع أن مبارك لم يستطع إقناع الأطراف (جمال وسوزان وذكريا عزمي) بقرار التنحي، بل فوجئ بهم يحذرونه من حسام بدراوي لأنهم شكوا في احتمالية نجاحه في إقناع مبارك بقرار التنحي..وأكد مبارك أنه طلب من «أحمد أبوالغيط» وزير الخارجية السابق في أول أيام الثورة أن يحاول اكتساب أطول وقت ممكن للمناورة الدولية كي تهدأ الأحداث لكن الأمور ساءت وخرجت عن السيطرة في الداخل والخارج وأن أبو الغيط أخبره بأن العالم كله تخلى عنه ويطالبه بالتنحي فورا ثم اختفى أبو الغيط عن مبارك كما اختفى طوق نجاته الأخير حسام بدراوي..

****

وصلات خارجية

وثائقي: ثورة ٢٥ يناير الاثنين و الثلاثاء والأربعاء ٧و٨و٩ فبراير

https://www.youtube.com/watch?v=v3Ylrw6bnSo

نسترجع معا تغريدات هذا اليوم على هاشتاج الثورة #Jan25

https://almanassa.net/ar/story/1079

- " نص استقالة وزير الثقافة المصري جابر عصفور فيه عدة أسباب.. قيل إنها صحية، ربما هناك المزيد. وقد أرسلها من منزله"
- " بعد خطاب مبارك يوم ٢٨، جابر عصفور قال في راديو مصر: المتظاهرون وراءهم جهات أجنبية (حتى لا يخدع احد باستقالته ألان كوزير ثقافة "
- " تصريحات سليمان عن عدم قدرة المصريين على قبول الديمقراطية يدل على جهله بما يحدث في التحرير.. ما رأيته هناك هو قمة الديمقراطية #Jan25#Tahrir"
- " أبو الغيط جماعة الإخوان المسلمين المحظورة نالت اعترافا ضمنيا "
- " الداخلية ترسل رسائل للناس إنها لن تعمل إلا في خدمة الشعب.. يبدو إن الرسالة ما وصلتش الخارجة اللى الشرطة قتلت فيها ٥ مواطنين أمس واليوم #jan25 "
- " الأهرام: تامر حسني طرده المتظاهرون حين حاول توجيه كلمة لهم يطلب فيها منهم التهدئة والعودة إلى منازلهم
- " إعلانات في الصحف المصرية لعدة شركات تؤكد على عدم ارتباطها بعائلة مبارك.. يا فرحتك يا سوزي #jan25
- قصيدة هشام الجخ مشهد رأسي من ميدان التحرير

http://www.youtube.com/watch?v=Jcu0-MMpSI8

- " RT "ده مش وقت التفاوض .. التفاوض كان يحصل يوم ٢٥بالليل .. ده وقت الاستجابة لمطالب الشباب: تنحي الرئيس وتصفية الحزب الوطني"
- " أجبرت تظاهرات مجلسي الشعب والشورى وبعض الجهات الأخرى الحكومة إلى عقد جلساتها في أماكن أخرى. آه يا حكومة طريدة .. ما أحقرك "
- "زار في ميدان التحرير لرحيل مبارك

via @youtube#egypt#tahrir#jan25#25janhttp://www.youtube.com/watch?v=vmui6OFgZh8 ...

- " الأمن يأكل كنتاكي (أجندة مين دي ؟

http://twitpic.com/3y29fo #JAN25#Egypt"

- " :@Sankalony "التلفزيون المصري: أغلب المتظاهرين في التحرير يحملون جهاز أمريكي أسود بدون أزرار مرسوم خلفه تفاحة مقطومة"

- "اللـي عـارف أسمـاء معـتقلين أو مفقـودين يبعتلـي الأسـامي الثلاثيـة النهـاردة للأهميـة علـى الإيميـل " amrmasalama@hotmail.com #jan25#tahrir
- RT: جبهـة الـدفاع عـن متظـاهري مصـر ـ قـوائم المعـتقلين والمخـتفين والمصـابين والشـهداء http://bit.ly/fxHhDx
- "من الناس إلي فتشوني وأنا داخل التحرير صديق دراسة قديم صديق طفولة صديق من أيام الجامعة وجار ليا .. وده عبقرية ميدان التجرير "
- " عاجل إلي كل الأحرار المرهقين من تتابع الأحداث..أستحلفكم بالله تنزلوا بكره الخميس بالملايين حتى لا ينجح المخطط الخبيث لإخلاء الميدان "
- " مجلس رئاسي انتقالي من عسكري و٢ قضاة ـ وثيقة دستورية مؤقتة ـ حكومة تكنوقراط انتقالية ـ جمعية تأسيسية منتخبة لوضع دستور جديد #jan25 "



(٢٥)

جداريات الثورة على أرض الميدان

الخميس ١٠ فبراير

رصد" صوت الوطن" في زيارته لميدان التحرير:

حدود الميدان تبدأ من كورنيش قصر النيل وحتى حدود مجلس الشعب إلى مدخل شارع طلعت حرب وعبد المجيد الرمالي وحتى آخر المتحف المصري تحيط حدود الميدان دبابات الجيش التي افترش المتظاهرون أسفلها خيامهم وأمتعتهم خوفا من انسحاب الجيش الذين يعتبرونه صمام أمان يحميهم من بطش السلطة ومن البلطجية الذين قتلوا وأصابوا منهم المئات يوم الأربعاء ٢فبراير مرددين هتافات "الجيش والشعب إيد واحدة" خاصة بعد أن خرج عليهم قائد الجيش الميداني لميدان التحرير ليخبرهم أن الجيش موجود هنا لحمايتهم وتأمينهم وأنه لن يدخل جهنم ليطلق رصاصة واحدة على أحد منهم"

عند كل مدخل للميدان (أربعة مداخل) تصطف طوابير من الرجال والنساء في زحام شديد لدخول الميدان، فالبعض يبيت في الميدان وآخرون يتناوبون جيئة وذهابا كل يوم وينصرفون قبيل العشاء يقوم الرجال بتفتيش الرجال والنساء بتفتيش النساء على ٣ مراحل: أن يظهر من يريدون الدخول بطاقاتهم الشخصية – يتم تفتيش الحقائب والأطعمة – يتم تفتيشهم ذاتيا، ويصطف أمام هؤلاء صفوف من الشباب في مداخل الميدان للترحيب بالمنضمين الجدد رافعين شعارات بالأغاني والطبول مرددين " ياللا اهتف يا مصري بأعلى الصوت.. اللى هيهتف مش هيموت""مرحب مرحب بيكم.. يا أهالينا انضموا لينا".. محمد رجل في أواخر الثلاثينات أحد الذين اصطفوا للترحيب بالقادمين يقول:"أنا هنا من ١٠ أيام أحيانا بروح وأجي لكن احنا لسه على أول الطريق ومش هانمشي إلا لما يمشي ..كرامة فرد مش أغلى من كرامة شعب "والإعلام الرسمي بتاعنا مضلل وكذاب" ويضحك قائلا: " ماتنسيش تاخدي كنتاكي مجانا"

ويحيط بالميدان من كل جانب صور الشهداء الذين سقطوا في التظاهرات في التحرير أو في المحافظات الأخرى ،وفي منتصف الميدان يوجد نصب تذكاري لهؤلاء الشهداء يضم صورهم وبعض المعلومات عنهم تحت لافتة كبيرة تسمى"الورد اللي فتح في جناين مصر " ويسير في طرقات الميدان شباب وفتيات مكتوب على أذرعهم لافتات"أمن الميدان".. وفي إحدى الإذاعات أعلن المعتصمون تغيير اسم شارع مجلس الشعب إلى شارع الشعب وكتبوا على مجلس الشعب مغلق لحين انتهاء الثورة.ثم وقفوا يغنون أغنية صورة صورة".. وفي أوقات مختلفة صباحا.. مساءا يتبادل الجنود الحديث والأطعمة وأكواب الشاي الساخن في طقس بارد مع

المتظاهرين ، "محمد" أحد جنود الجيش يقول: أنه سعيد لوجوده في الميدان وللحفاوة التي قابلهم بها المتظاهرون "دول أهلنا".. أما عم عبد الفتاح، أحد الذين افترشوا أمام دبابات الجيش فيقول :جيت من يوم ٢٩ يناير لما شفت الشباب الصغير بيموت ،احنا رايحيين لكن هما لازم يعيشوا وكفايانا ظلم والجيش مابيقتلش الشعب الجيش نظيف والشرطة ايديها مليانة دم ومابتراعيش ربنا"

والميدان يكتظ بالخيام وأركان أخرى مختلفة للمستشفي الميداني والعيادة الميداني وركن لفناني الثورة وأركان أخرى لبعض النقابات نقابة العلاج الطبيعي ونقابة الصيادلة ونقابة الضرائب العقارية وأركان أخرى للمحافظات ركن أهالي البحيرة ...أهالي المنوفية ،أهالي أسيوط والعياط.. إلخ.. وعلى مختلف الجوانب يكتظ الميدان بالخيام بعضها خيام تم شراؤاها والخيام الأخرى من أكياس البلاستيك أو البطاطين،عائلات بأكملها أطفال ورجال ونساء محجبات وغير محجبات ومنتقبات تتفاوت الأعمار فالخيام تضم الشاب والشيخ والعجوز والطفل والفتيات، فليس كل من في الميدان هم شباب هم طوائف مختلفة الجامعي والفني والأمي وابن الذوات زي ما بيقولوا في مصر والغلبان واللي مش لاقي ياكل وسواق التوكتوك والنقاش والسمكري وبياع الفول ، كل هؤلاء موجودون معتصمون في الميدان.. تلاحم عجيب رصدناه بين الجيش والشعب وبين المسلم والمسيحي أيضا، فالمسلمون يؤدون الصلوات في أوقاتها والمسيحيون يقيمون القداس يومي الأحد والجمعة،واللافت للنظر أيضا أن النساء يؤدين الصلاة في الميدان خلف صفوف الرجال مثلما كان يحدث أيام الرسول صلى الله عليه وسلم.

وحينما نسير تتعثر أقدامنا في عيادات ومستشفيات الميدان كل واحدة برقم معين "وتقول د.فاطمة عبد الفتاح أحد الطبيبات الشابات :"جئنا لإسعاف المصابين ولتقديم الخدمات الصحية لمن يبيتون في الميدان وتوزيع النشرات الصحية عليهم".. وفي الطريق قابلنا عم علي الذي ضايفانا وقدم لنا "شاي التنحي "– على حد تعبيره وقال:"مش همشي هو يمشي ورزقي على قدي وبالعافية بقضي يومي وبردوه مش همشي وهيتنحى، احنا الناس الشقايانة إحنا البلد دي مش حد تاني".. وفي الطريق يقابلنا إسلام طفل لم يتجاوز الثالثة عشر من العمر يجلس في الشارع يبيع زجاجات المياه يقول:أنا جيت هنا لما عرفت إن كل الناس الغلابة هنا وإن خلاص ماحدش هيضربنا أصل أنا كنت باشتغل أمسح العربيات واللي يديني حسنة بيديني وأخر الليل عساكر في الشرطة كانوا بيضربوني وبياخدوا اللي معايا ويسبولي ٥ جنيه أو ١٠ أحيانا أروح بيهم لخواتي"

وعلى الجانب الآخر تجلس ياسمين فتاة منتقبة تبلغ من العمر ٢٢عام- ورفضت أن نقوم بتصويرها على الرغم من أنها منقبة تقول: على فكرة أنا مش منقبة بس مكسوفة أحسن حد يعرفني ويشوفني وأنا ببيع

المياه وتقول ظروفي صعبة ومتجوزة من شهرين أنا خريجة آداب وجوزي سياحة وفنادق ومش لاقية شغل وجيت المظاهرة من تاني يوم وعرفت من الفيس بوك، أصل دايما كنت أدخل النت نص ساعة بجنيه أدور على شغل وأقدم فيه ساعات بشتغل واضطر اسيبه لظروف كتيييير"..

ولاحظنا شيخ كبير جدا في السن يقف في منتصف الميدان يحمل لافتات ويدعى الحاج محمد فسألناه لماذا أنت هنا ؟ قال علشان تعبان من المعيشة والغلا قلنا طيب وهتستريح يعني لما الريس يمشي قال هما كلهم زي بعض بس الواحد بيحاول يمكن ظروفنا تبقى أحسن".. أما الست عزيزة ست عجوز فتقول أنا أم مصرية وأمية لابعرف اقرا ولا اكتب ..أنا هنا علشان ولادي وأحفادي وبقول متخافوش خليكو صامدين... وأحد الرجال المسنين يدعى حمزة يقول احنا هنا مش علشانا احنا هنا علشان دول ويشير إلى حفيدته التي يحملها على ذراعيه"[١٦]

أما المصري اليوم، فقد رصدت المشهد من زاوية أخرى في تقرير لها:

" يقول محمد: «البعض اتهم الإخوان بأنهم المسئولون عن إثارة البلبلة وتضخيم المسائل، ولكنني جئت هنا بعد أن وجدت الشباب يوم جمعة الغضب ينادون في الشوارع: «يا أهالينا ضموا علينا»، لم أكن أفكر في الذهاب إلى التحرير أو الانضمام إلى الاعتصامات، ولكنني شعرت بأن هذا واجب على كل فرد فينا.. ويرد سامح خليل، أحد الشباب المعتصمين في التحرير، قائلا: " أنا لست من شباب الفيس بوك ولا انتمى إلى أي أحزاب سياسية ولكني مصري الجنسية»، «لم أقتنع يوما بأي حزب سياسي لأنتمي إليه، كما أنني لست من محبي الفيس بوك، ولكني تحمست كثيرا لمبادرة شباب ٢٥ يناير، وقررت الانضمام إليهم لأن مطالبنا واحدة، والظروف الصعبة التي نعيشها أيضا واحدة، وعندما هجم علينا البلطجية يوم الأربعاء الماضي وأصبت في رأسي هرول مجموعة من الشباب نحوى وحملوني وقاموا بتضميد جرحى، ووالله اهتمامهم بى كان أشبه باهتمام أمي بى، برغم أنهم لا يعرفونني وتلك هي المرة الأولى التي أشارك في اعتصامات

أما " نرمين" فهي فتاة تؤمن بالاشتراكية إيمانا عميقا، جاءت إلى ميدان التحرير مع مجموعة من أصدقائها، تقول: في البداية كانت كل مجموعة تحدد لنفسها مكانا بعينه، فكنا نعلم أين يجلس الوفديون، وأماكن تمركز شباب الإخوان، وأيضا أين يلتقي معظم شباب الفيس بوك، ولكن الأمر لم يتعد

١٦ـ المصدر والمزيد على دنيا الوطن
https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2011/02/11/168573.html#ixzz5OU5LFcvP
Follow us:@alwatanvoice on Twitter | alwatanvoice on Facebook

يوما واحدا – هكذا تقول نرمين، وتصف الحال بعدها قائلة «اليوم من المستحيل على أحد أن يحدد تمركز مجموعة بعينها، فكلنا الآن نجلس في مكان واحد، لا يمكن التمييز بيننا، نساعد بعضنا البعض في تنظيف المكان وتنظيمه، ولا نكترث أبدا لأي اختلافات فكرية.«

وكذلك "نادية أحمد"، من أشد المؤمنين بالليبرالية، تجلس مع مجموعة من الشباب والفتيات في حلقة نقاشية، «الحديث هنا لا يتطرق إلى انتماءات حزبية أو إلى اختلافات فكرية، فإذا تحدث أحدنا استمع إليه الجميع، وهذا الأمر أحد مكاسب الثورة، فقد سئمنا من الاختلافات التي كنا نقرأ عنها في الجرائد أو نشاهدها في التليفزيون، ولم تفدنا في أي شيء"..لم تكن نقاشاتنا تحت الخيام تدور حول الماضي.. لم تتطرق إلى القمع أو التعذيب أو الفساد، أو الفروقات بين القوى السياسية، ولكن فقط دارت مع أحلامنا في الدولة المدنية، وكان شيئا رائعا وهو ما ظهر في سلوك المعتصمين هو الحلم الحضاري لا الشكوى والتظلم من الماضي الكريه.."



ونطوف حول الميدان.. مروحية الجيش مازالت تحلق في سماءه.. لنأخذ مسقطا رأسيا قبل على أرض الميدان.. فمن أعلى يطالعني الأفق بمشهد أسطوري.. على أسطح المباني والعمائر المحيطة بالميدان.. لا زالت تبرق في عيني الأشعة الصفراء المنعكسة على فوارغ الأعيرة النارية التي احترفها القناصة في اصطياد الشباب مثل العصافير في قلب الميدان في بداية أحداث الثورة.. ومن أسفلها تنعكس الأشعة البيضاء على الواجهات

الزجاجية للمحال التجارية والمطاعم الفاخرة.. وتتصاعد رائحة الشواء والطهي وأبخرة الخبز والفطائر.. فقد هبط الأمن والأمان من السماء على أرض الميدان وعادت الحياة إلى طبيعتها في حماية الشباب.. وأتخيل لو أنني استقل طائرة الجيش التي تحلق في سماء الميدان منذ اليوم الأول.. أجد عدساتها تتجه إلى لوحة جدارية مرسومة بيد شابٍ فنلنٍ بارع على أرض الميدان.. فقد وقف الشباب في ترتيب ودقيق كما كُنَّا نراه في طوابير المدرسة رافعين أعلامهم في تشكيل عبارة " الشعب خلاص أسقط النظام ".. وهذه هي مركز وقلب الجدارية الفنية على أرض الميدان التي تراقبها مروحية الجيش كلما عبرت في جولة من جولاتها المستمرة..

وبجوارها لوحات أخرى.. فالشباب قد جمعوا بقايا ومخلفات حرب الغجر يوم الأربعاء الدامي.. من الحجارة وكِسَر البلاط والرخام.. وتخلصوا منها لكن ليس في أكوام القمامة والمهملات.. بل استغلوها في تشكيل جداريتهم الفنية.. فكتبوا بها كلمات " ارحـــــــــــــل" بالحجم الكبير كي تلتقطها عدسات الطائرة.. وكتبوا " لا لإخماد الثورة ".. و" لن نضيع دم الشهداء ".. و" ٢٥ يناير ثورة الشباب.. يوم لن تنساه مصر ".. و" نطالب بالمحاكمة للعصابة الحاكمة ".. ورسموا " من هنا الطريق إلى تل أبيب ".. و" Go Out Mubarak ".. و"تغيير.. حرية.. عدالة.. اجتماعية".. وعبارة " ليست ثورة جياع.. لكنها ثورة شباب من أجل الحرية والكرامة ".. و رسموا صورة حسني مبارك بأكياس القمامة السوداء.. ووضعوا له شاربا قصيرا مثل هتلر صبغوا أنيابه بلون الدماء.. هكذا عبَروا عن ثورتهم.. أما أحمد ومعز ومحمد ومجموعة شباب فقد رسموا لوحة على الإسفلت عبارة عن تمثال نهضة مصر وكتبوا عليها إهداء إلى شهداء الثورة. أما محمود فيرقد على الرصيف يرسم لوحات تعبر عن رفضه للديكتاتورية ولقمع المتظاهرين ولتصدير الغاز لإسرائيل.

وعندما نفذت بقايا حرب الغجر ومخلفات القمامة في الميدان.. استخدام الشباب أدواتهم الفنية.. الأقلام والألوان والفرش.. ورسموا لوحات الحرية تضيئها أشعة شمس الضحى.. رسموا أشجارا مزهرة تعبر عن ربيع الثورة.. وعبروا عمَا يدور في قلوبهم عن كل ما حملته الثورة من معانٍ سامية وآمال عريضة.. وطموحات وآمال خضراء..

وهناك الأماكن الفارغة تغطيها الخيام لتقي الجميع برودة الليل وتصون العرض والشرف.. وفي الأطراف تتوزع منصات إذاعية وإلى جوارها على أعمدة الإنارة تقف مكبرات الصوت السوداء العملاقة.. وما بين هذا وذاك.. كتل من البشر يتحوَل بينها باعة الأعلام.. ومن حينٍ لآخر تدور مجموعات من الجماهير في جنبات الميدان تهتف بما في قلوبها الثائرة..

هكذا بدا لي المشهد من مسقطه العلوي.. مشحون بالملايين من الجماهير الثائرة في الميدان.. في جدارية فنية رائعة، رسمتها أنامل الشباب على أرض الميدان.. ليصير بإمكانك أن ترى الثورة في جدارية فنية رائعة.. أو أن تسمع بياناتها وأغنياتها وقصائدها في إذاعات الميدان.. أو أن تقرأ رحلتها وأهدافها ومطالبها على اللافتات التي ملأت سماء الميدان وسط الأعلام.. أو في الهتافات التي تصدح بها حناجر الشباب.. فيصير لديك اليقين بأن الثورة تحولت من حلم في صباح ٢٥ يناير إلى حقيقة واقعة في ميدان التحرير..

نتحرك خطوات في عمق الميدان يستوقفنا الشباب وقد أحاطوا دائرة مفرغة على الأرض، كتبوا عليها كلمة " الحرية" بالحجم الكبير، مستخدمين كسر البلاط والرخام وقطع الحجارة، أراد الشباب أن يتخلصوا من نفايات ومخلفات حرب الغجر.. فصنعوا بها جدارية فنية على أرض الميدان.. وعلى بعد خطوات منها ارتسمت جدارية أخرى بعبارة (Welcome Freedom) في القلب.



أهلا بك في الحرية.. لوحة رسمها أحد المتظاهرين بالأحجار والرمال في ميدان التحرير أمس «الأوروبية»

وإذا وقفت لحظات.. سترى المروحية العسكرية تحلق ببطء فوق رأسك والشباب حولك يشيرون إليها ويهتفون " مش عاوزينه.. مش عاوزينه.. قولولوا يرحل.. فاضله زقة"، وهنا تتأكد أن الشباب إنما رسموا هذه الجدارية الفنية ببقايا ونفايات حرب الغجر كي تكون رسالة من شعب مصر إلى حاكمه.. تنقلها عدسات الطائرة ليرها بوضوح، عله يفهم ما تريده مصر أن يفعله من أجلها وشعبها..

هنا يظهر الترفيه الذي تجلى بشتى الطرق، مندمجا من روح النضال السياسي، فالمعتصمون قرروا أن يستمتعوا بأوقاتهم بأن يجسدوا أفكارهم كي تصل من لا يقرأ الأفكار.. إذ قام مجموعة من فناني "

البانتومايم" بتمثيل الحركات التي تجسد معاناة الشعب وتعبر عن مطالب الجماهير، فيما قام آخر بتأليف مقاطع تمثيلية ساخرة، فيما يشبه مسرح الشارع لتوصيل رسالة الثوار بطريقة خفيفة الظل.. مجموعة من الشباب أقاموا عرضا مسرحيا صامتا ويلتف حوله الجماهير للمشاهدة والمشاركة.. نجوم عرض البانتومايم خمسة من الشباب.. ولكلٍ دوره الصامت بتلقائية بارعة في الأداء المسرحي..



الأول : جلس واضعا عصابة على عينه مادا يده للتسول وملابسه ممزقة ومهلهلة، بينما يمد يده لعابري السبيل كي يتصدقوا عليه وبيده قطعة خبز.

والثاني : وضع سيجارة مطعمة بالمخدرات في فمه.. ويبدو في حالة هستيرية أو كأنه مخمورا..

أما الثالث : فقد جلس في وضعية الشخص الكسول الذي يبحث عن عمل دون جدوى.. وإلى جواره كرة قدم..

والرابع : استلقى على الأرض وغطى جسده كاملا بكفنٍ أبيض وكتب عليه " صريع البطالة "..

والخامس : وضع أمامه لوحة كبيرة تحمل الكثير من المعاني في عمل فني كاريكاتوري بارع عنوانه " حال الشباب في عهد مبارك "، ويحوي الكثير من الإشارات والرموز الفنية التي تصوّر كرة القدم كمخدر لعقول الشباب.. والمخدرات والعقاقير لعلاج للبطالة ووقت الفراغ.. والسينما الهابطة كغذاء فكري.. وإلى جانب اللوحة صورة لضابط أمن بيده " ريموت كنترول "..

هذا هو مضمون العرض المسرحي الصامت.. ومع أنه صامت إلا أنه بنطق بصدق وعمقٍ معبّرا عن حقيقة كانت نهايتها الثورة.. نعم.. فالصمت لغة العظماء.. وربما كان الصمت هنا أبلغ من الكلام في إيصال المعنى الذي أرادة الشباب من وراء العرض المسرحي أن يصل إلى المشاهد النبيه..

وإلى جوار هذا العرض المسرحي، وقف شاب وأمامه طاولة صغيرة وضع عليها سجلات ورقية ورفع لافتة تقول " حملة لجمع مليون إهداء وتوقيع لشهداء الثورة ".. وكثيرين أعجبوا بالفكرة وتزاحموا وتناولوا الأقلام لوضع دعواتهم وأمنياتهم مزيلة بتوقيعاتهم.. فتحركت أناملي لتكتب: على عهدٍ بمستقبلٍ زاهر في دولة مدنية ديمقراطية متحضرة".. ثورة شعبية بحق، شاركت فيها كل شرائح الشعب، حتى الأطفال قادوا مظاهرات إلى ميدان التحرير، واعتصموا به مطالبين بإسقاط النظام لبناء دولة مدنية تليق بهم، وابتكروا وسائل ذكية للتعبير عن ثورتهم البريئة، وحتى شاركوا في توثيق تاريخها أيضا .

أما الطفلة سهيلة الزعفراني، فهي طالبة بالصف الأول الإعدادي، شخصية فريدة من نوعها تعبر عن ذكاء وابتكار ثوري طفولي، تقول: " في البداية كنت خائفة، ولكن بعد أن نزلت للميدان أطمأننت وشعرت أن الناس كلها بتحميني، ودوري تمثل في الدفتر، وهو ما أطلقه عليَ الناس في ميدان التحرير كلما رأوني قالوا "البنت بتاعت الدفتر جت"، فلا أحد يعلم إسمي ولا سني، هدفي أن يتعدى كُتاب الدفتر الألف شخص، وهو ما قد كان بالفعل."

وتشرح لنا فكرة الدفتر فتقول: "أردت أن أقوم بعملية توثيق لما يحدث في الميدان حتى لا ينساه الناس بمرور الزمن، ولمواجهة الإشاعات التي يروج لها الحزب الوطني، ففكرت في عمل دفتر أقوم بتمريره على أكبر

عددٍ ممكن من الثوار في ميدان التحرير ويقومون هم بكتابة مشاعرهم ومطالبهم في هذا الدفتر، وبالفعل بدأت ووصل عدد الأشخاص الذين كتبوا في الدفتر في أول يوم إلى ٢٥٠ شخصًا، وكان أول من كتب في الدفتر هو د. سليم العوا، ليتعدى عدد الكاتبين فيه بعد ذلك الألف، وأتمنى أن يُدرّس هذا الدفتر في مادة التاريخ. وأما أكثر المواقف التي أثرت فيها، فتقول سهيلة: عندما كان المسلمين يصلون رأيت رجلا مسيحيًا عند الدعاء يصلي بصلاته، ويؤمن على ما يدعو به الإمام في الصلاة.

وتقترح أن تكون هناك مادة دراسية تدرس فيها الشئون السياسية بالمدارس، وأن يتعهد النظام بمؤسساته الأطفال بالتوعية السياسية حتى يخرج منهم بعد ذلك متحدثون سياسيون على وعي بما يحدث في البلاد وفي العالم، وأن يكون للأطفال من سن ١١ سنة صوت انتخابي في كل الانتخابات، وأن يكون هناك نائب للأطفال في مجلس الشعب عن كل محافظة ويقوم أطفال المحافظة بانتخابه عن طريق صناديق الاقتراع.

أما الطفل يوسف نادي إسماعيل، (٩ أعوام)، فقد عرفه ميدان التحرير قائدًا لمظاهرات كبيرة يهتف خلفه المعتصمون المعجبون بفصاحته وذكائه، وعن هدفه من النزول إلى التحرير يقول: "أن أحرر أرضي وأجعل بلدي أحسن البلاد، ولكي أحارب الفساد والرشاوى وتعذيب المسجونين.".. وعن أطرف المواقف التي حدثت معه في التحرير يقول أنه قام هو وأصدقاؤه بتأليف أغنية، وقام الناس بترديدها خلفهم مطلعها "جدوا مبارك رايح فين.. هيرحل كمان يومين." (تقرير)



وتحت زخات المطر التي توالت من السماء وقت الظهيرة، وقف الجميع في تحدٍ للظروف ولم يبارح أحد مكانه رغم هطول الأمطار بغزارة، وارتفعت الأيدي للدعاء بالنصر والفرج، وعندما أفرغت السماء ما في بطنها من رعد وبرق ارتفع النداء "الله أكبر.. الله أكبر" وكأنها إشارة النصر.. فقد نزلت عدالة السماء على الميدان.. وصار الجميع في فرح عارم بسقوط الأمطار والرعد والبرق يتبادلون أحاديث النصر بعدما ألقت السماء بخيراتها إلى الأرض..

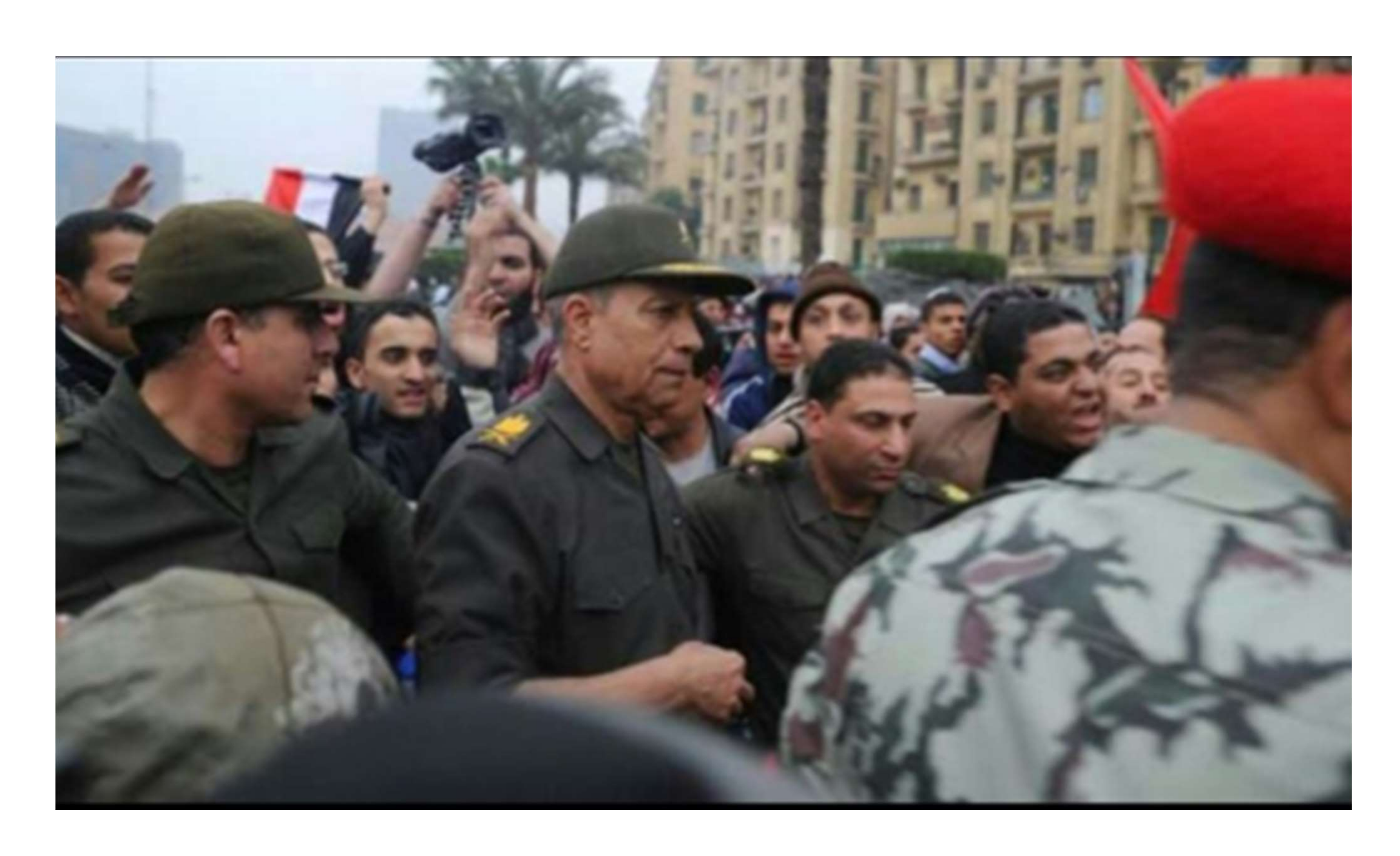
فوجدت مراسل الـ "بي بي سي" عربي يُجري حوارا تليفزيونا رغم سقوط الأمطار على كاميراته وضيوفه.. فوضعت جريدتي على الكاميرا لتقيها من مياه الأمطار.. أما باقي المصورين والمراسلين فتسارعوا وتقافزوا لالتقاط لحظات تاريخية هنا وهناك.. لحظة سقوط المطر والحركة التلقائية للبشر في الميدان.. تجد من وقف يتحدى المطر رغم غزارته.. ومن وضع جريدته على رأسه.. وأخر يضع لافتة أو علما يقيه المطر..وبعد لحظات من توقف المطر انتشر الشباب المتطوعين لانتشال المياه التي تراكمت في مناطق مختلفة في الميدان.. (شاهد الفيديو https://youtu.be/Poy0NGzJHsk) والأجمل من ذلك أن تجد شاعرا زجليا اسمه "أيمن فتحي" يجلس على كرسي الإعاقة ليساعد الشباب في انتشال المياه.. هذا الشاعر الذي ألقى

الكثير من قصائده الغنائية على الشباب ولا يتوانى اليوم عن أي شيء حتى انتشال المياه رغم إعاقته..كانت الأمطار تهطل قليلا وتتوقف قليلا، وفى تلك الأحيان يرفع الجميع أياديهم إلى السماء، مرددين في صوت واحد «يا رب.. يا رب»، وتعزف بعض الفرق الموسيقية الشبابية أغاني حماسية فيصفق الشباب، يأتي أحد الشيوخ ليعلن عن وقت أذان العصر، فيصمت الجميع ويعودوا إلى حديثهم بعد الصلاة.. كانت الأمطار تغسل طرقات الميدان وتأخذ معها كل ما رسمناه من لوحات وعبارات تحتوي مطالب الثورة ومبادئها.. قبل المطر كانت أرض الميدان عبارة عن لوحة جدارية ضخمة مليئة بالزهور والفنون والألوان.. مسحتها الأمطار وابتدى الشباب من جديد يضعون لمساتهم الفنية قبل أن تأتي المروحية العسكرية فتظن أن مطالبهم ومبادئهم ذهبت مع المطر..

وكانت الأمور تشير إلى خطوة جديدة على الطريق الصحيح للثورة والجميع تفاءل خيرا.. وتوافدت جماهير حاشدة من كافة محافظات مصر إلى ميدان التحرير لمشاركة الشعب المصري ثورته.. وبالتزامن تم الإعلان عن تشكيل جبهة دعم الثورة، وهي لجنة تشكلت من كبار الشخصيات الوطنية والسياسية في مصر للعبور بالوطن من هذه الأزمة..اليوم لا يبدو فقط أنه نهاية الأسبوع.. بل هو تكليل لرحلة أسطورية بدأت منذ ٢٥ يناير وأوشكت على نهايتها، فقد تسربت اليوم أخبارا عن أن مبارك قد يتنحى عن الحكم استجابة لمطالب الشعب.. وأعلن عن خطاب له سيلقيه نهاية اليوم.. والجميع توقع منطقيا أنه خطاب التنحي.. وكان مبارك داخل أسوار القصر يسمع نداء الجماهير بوضوح.. لكنه غير قادر على اتخاذ القرار.. وحكا مبارك ـفي مذكراتهـ عن هذه الأوقات أن سوزان زوجته أصيبت بأزمة نفسية خطيرة في الأيام الأخيرة وأن طبيبا نفسيا شهيرا قد تم استدعاؤه للقصر لعلاجها من نوبات تشنج وبكاء هستيرى انتابتها بداية من يوم ٨ فبراير ٢٠١١ وأنها كانت ترفض الطعام خوفا من أن يكونوا يخططون لدس السم لها فيه وكانت تطلب من مبارك وأفراد الأسرة عدم تناول الطعام من القصر، وكانت تجعل طاقم القصر يأكل قبلها و، كانت طيلة الوقت تتمتم بجمل غير مفهومة. وقال مبارك إنها كانت مذعورة مما تشاهده في الشوارع..كانت منهارة وأنه كان يحاول أن يجعلها تشعر أن الأمور تحت سيطرته حتى فاجأته يوم ١٠ فبراير ٢٠١١ صباحا بقولها: «لا تكذب عليَ فكل شيء انتهى وما أطلبه منك أن تؤمن خروجنا من مصر فورا». ويحكى مبارك أن كلمات سوزان زوجته وقعت عليه مثل الجبل، وأنه بدأ يبحث من عصر يوم ١٠ فبراير تأمين خروج عائلته أولا لكنهم رفضوا أن يتركوه وحيدا. وعن أفراد طاقم حراسته يسجل مبارك أنهم كانوا مذعورين وكانوا يسألونه ماذا يمكن أن يحدث لهم لو دخل الشعب إلى القصر وأنه طلب منهم أن يتركوه لمصيره لو حدث ذلك.. (روزاليوسف ٣٠ /٣/ ٢٠١٢)

وقبيل العصر بدقائق، وصل عدد من القادة العسكريين إلى ميدان التحرير بصحبة اللواء حسن الرويني قائد المنطقة المركزية العسكرية ، وتدافعت نحوهم الجماهير والإعلاميون بكاميراتهم.. وأراد بعض

الشباب حملهم على الأعناق إلى منطقة الإذاعة لكنهم رفضوا.. طبقا للتقاليد العسكرية.. وبصعوبة وسط الزحام تمكنوا من الوصول إلى المنصة وأعلنوا أنه ستتم الاستجابة لمطالب الشعب كاملة.. وهاج الميدان بالهتاف والتصفيق الحاد.ز واستقرت أفئدة الناس على أن خطاب اليوم هو خطاب التنحي، حتى وإن تأخر للغد فهو خطاب التنحي في كل الأحوال؛ لأن العسكريين عادة ما يكونون متحفظين جدا في تصريحاتهم الإعلامية..وخاطب اللواء الرويني الجماهير من على منصة في الميدان مطالبا بإنشاد السلام الوطني والحفاظ على أمن مصر.وفور سماع كلماته ردد الشباب" الشعب ..خلاص.. أسقط النظام".



وفي ذات الوقت.. توقفت المروحية العسكرية لحظات في سماء الميدان في سابقة غير معهودة لها منذ بداية أحداث الثورة.. وتطلعت إليها أعين الجميع في انتظار ما سيأتي.. وكانت المفاجأة حينما ألقت الطائرة العسكرية بالآلاف من الأوراق الملونة بعلم مصر.. تناثرت وانتشرت في سماء الميدان يلوحها الهواء يمينا ويسارا.. وكأن السماء تلونت بعلم مصر.. انتشرت الأعلام في كل مكان وقبل وصولها إلى رؤوس البشر بدأ كل واحد منا يلتقط علمه ملوحين به للطائرة قبل أن تغير مكانها في السماء..وفي هذه اللحظة فقط ولأول مرة منذ بدأت الثورة تيقن الجميع من موقف الجيش وتضامنه مع الشعب المصري ومطالبه المشروعة، وقد جاء ذلك واضحا حينما أعلن عن انعقاد الاجتماع الأول للمجلس الأعلى للقوات المسلحة بدون رئيسه الأعلى "مبارك".. وكان ذلك إذانا بتضامن الجيش مع الثورة والشعب..

فمنذ بداية اعتصامنا في ميدان التحرير وكانت تساورنا الشكوك في موقف الجيش، وهل انتشرت معداته لحماية النظام من الشباب أم حماية المنشآت والنظام أم حماية المنشآت والشعب من النظام، ربما حاولنا بإلحاحٍ أن نستقي أية معلوماتٍ من أفراد الجيش عن حقيقة موقفه، لكنهم كانوا حريصين جدا في الإدلاء بأية معلومات، وربما أخبرنا أحد الضباط على سبيل الفكاهة أنهم كانوا قد عزموا حسني مبارك العام الماضي في حفلٍ أقاموه بدار القوات الجوية، وفوجئوا بحضور الأسرة بكاملها؛ سوزان وعلاء وجمال ومبارك مع باقي الضيوف، فأرادوا توصيل رسالة خفيفة من خلال الأغنيات التي تذيعها قاعة الضيوف أثناء الغداء مع الموسيقى الهادئة، فكانت أغنية " صوت الجماهير " كإشارة للتلميح برفض مشروع الوريث الذي تحاول سيدة القصر الإعداد له وتهيئة الجو، لكن هذه الحكاية تؤكد رفض الجيش فقط لمشروع التوريث وليس تأييد الثورة على نظام مبارك بأكمله.

ومنذ اندلاع المظاهرات في الشوارع والميادين كان سلاح الشباب هو الهتاف والتصدي لقوات الأمن، وتنوعت الهتافات ما بين عيش .. حرية..عدالة اجتماعية، والشعب يريد إسقاط النظام. لكن عندما بدأت مرحلة الاعتصام في ميدان التحرير أخذت الثورة مسارا مختلفا عن المرحلة السابقة، فظهرت الأغنيات الشعبية الوطنية والهتافات ذات النغمة الغنائية على غرار " في كل شارع في بلادي.. صوت الحرية بينادي" بينما كانت الهتافات ذات الطابع الاقتصادي تظهر بعض أحيان، ورغم أنني كنت مستاءً منها جدا برغم كونها قليلة، إلا أنني أكرهت قلمي على توثيقها؛ لأن الحقائق هي تاريخ شعب، وليست وجهات نظر، ولأن الحال الاقتصادية للبلاد هي محض أثرٍ للنظام السياسي السائد، غير أن الشعب لا شك شريك في حالة الانهيار الاقتصادي التي يعيشها، فليس مطلوبا من أي حكومة في العالم أن تطعم مواطنيها كأس الحليب كل صباح، فقط مطلوب منها تحقيق العدالة في توزيع الثروة وموارد الدولة، وهذا في حقيقته موضوع سياسي .

ومن بين ما ظهر من هتافات ذات طابع اقتصادي " عيش .. حرية .. عدالة اجتماعية "، هذا الهتاف ظهر يوم جمعة الغضب بعدما تزاحمت علينا الجماهير من البسطاء في الشوارع، بينما كان الهتاف الرئيس الذي أشعل الثورة قبل قيامها بسنوات هو " تغيير .. حرية .. عدالة اجتماعية " ، وهو بطبيعته نابع من عقلية الشباب التي تريد تغيير المنظومة السياسية، لا مجرد رغيف العيش، فالهتاف برغيف العيش هو مذلة لصاحبه، ومن يطلب رغيف العيش ليس من شأنه أن يقوم بثورة مطالبا بالحرية، بل فقط نوبة غضب نهايتها حصوله على هذا الرغيف، إنما الشباب لم يهتفوا أبدا برغيف العيش، هم فقط هتفوا بالتغيير الذي نادت به الجمعية الوطنية للتغير منذ عام ٢٠٠٨م وهي من أولى التيارات السياسية المشاركة في الثورة المصرية، وبطبيعة الحال فأعضاء هذه التيارات يفهمون الفرق بدقة بين ما هو سياسي وعنصر أصلي فاعل، وبين ما هو اقتصادي وأثر أو نتيجة مترتبة على العنصر الأصلي وهو تغيير النظام السياسي، لكن بمجرد أن انضمت الجماهير من البسطاء هتفوا "

عيش ..حرية .. عدالة اجتماعية، أما مسيرة طلاب وأساتذة الأزهر التي حضرت إلى الميدان حملت لافتة تقول : خبز.. حرية .. عدالة اجتماعية" وربما تبعهم غيرهم هتفوا بذات الشعار الذي حملوه طوال مسيرتهم.. وفي حقيقة الأمر، فهناك فارق شاسع بين من يهتف " عيش حرية عدالة اجتماعية " وبين من ينادي بالتغيير السياسي؛ فالأول لا يفعل شيء سوى التوسل بطلب العدالة وحق الحرية وإن لم يحصل عليها غضب بشدة، بينما المطالب بالتغيير يسعى إلى توجيه دفة القيادة السياسية والتأثير عليها بطلبه تغيير النظام الحاكم لبناء دولة مدنية، وهذا المعنى هو ما نادت به كافة التيارات السياسية التي اشتركت عناصرها في تشكيل شباب ائتلاف الثورة.

بينما البسطاء الذين خرجوا في الشوارع بعد انسحاب الشرطة أخذوا يهتفون " يا سوزان قولي للبيه: كيلو العدس بعشرة جنيه" – " لا يا مبارك يا مفلسنا.. انت بتعمل إيه بفلوسنا." آاه يا حكومة هز الوسط.. أكلتونا العيش بالقسط " – " كيلو الاوطه ب١٠ جنيه ومتر مدينتي بنص جنيه" – " ياكلوا لحمة وياكلوا فراخ ..واحنا الفول دوخنا وداخ " – " هما بيكلوا فراخ وكباب..واحنا عيشتنا هباب في هباب " – "يا جمال قول الحق بابا حرامي ولا لأ "

لكن الغالبية العظمى من الهتافات كانت ذات طابع سياسي، ولذلك نجد أحد الشباب الذي وعى قدر خطورة الموقف فرفع ذراعيه بلافتة تقول: لسنا جياع وإنما خرجنا لاسترداد حرية مسلوبة ". – "ملعونة لقمة العيش؛ عجنها الذل وخبزها الهوان "

وكان واضحا طوال أيام الثورة أن اللافتات جميعها ذات طابع سياسي، أما الخطاب الصوتي المتمثل في الهتاف فهو الذي حمل بعض الهتافات ذات الطابع الاقتصادي الذي عبر عنه البسطاء، ولذلك لا نجد تقريبا أي لافتات من هذا النمط الرديء التي تعبر عن وضع اقتصادي متردي، فمن أشعل الثورة هم الشباب ، وهذه الفئة تعاني من القمع الأمني والفساد والظلم كنظرية سياسية، وليست مستهلكة في توفير لقمة العيش.ثم تزايد الحس الأدبي في التعبير عن الرفض الشعبي متمثلا في اللافتات التي رفعها الثوار في ميدان التحرير وكانت تتغير وتتطور حسب المرحلة للتعبير عن مجريات الأحداث، فبدأت اللافتات بالتعبير عن تلك المرحلة مع بداية الاعتصام في عبارات مثل:

- حطمت قيودي
- ذبحنا الخوف في التحرير
- كش ملك لأنها جمهورية
- هذا الجيل يسألك الرحيل

- نسألك الرحيلا
- الجيش والشعب إيد واحدة.. يد تبني ويد تحمي الوطن
- شكر الله سعيكم والعزاء في تل أبيب
- كانت أزمة برباط واتحلت
- مبارك ضار جدا بالصحة
- لن أقول يسقط.. هو سقط بالفعل
- ارحل اليوم.. غدا فجر جديد
- قرار سحب الأجهزة الأمنية يساوي قرار برايمر بحل الجيش العراقي من أجل الفوضى
- أريد الرحيل لكنني أخشى الفوضى
- "لو مش عاجبك جدة يا مان، ممكن ترحل ع السودان.. لو مش عاجبك الرياض، مافيش قدامك غير بغداد".
- لن ينسي لك التاريخ قتل أبناء شعبك ولن يستطيع أعوانك تزويره لأنه محفور بدمائنا
- صباح الخير على الورد اللي فتح في جناين مصر
- لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا
- الكذب حصري ع التليفزيون المصري
- عفوا؛ الإعلام المصري خارج نطاق الخدمة
- اللي فوق ماسبيرو ده مش إرسال ده قرن خروف
- الإعلام المصري = سحرة فرعون
- الإعلام المصري لا يرى لا يسمع لكنه يتكلم
- سوزان؛ القراءة للجميع والظلم للجميع
- علي الجيش أن يختار بين مصر ومبارك
- ارحل بقي عنا وغور خلي بلدنا تشوف النور
- مصر عادت شمسك الذهبي
- هكنس كل كلاب الحزب
- "سامحني يا رب أنا كنت خايف وساكت"
- نداء لشعب مصر احترسوا من الثعبان عمر سليمان..
- هيجيب لكم شاي وبونبوني" شفيق يا رااجل "
- لا للخراب نعم للحرية

- شهادة وفاة؛ تبين بالكشف الشعبي علي مبارك وفاته بالسكتة الشعبية والعزاء في السعودية
- شهادة وفاة؛ تبين بالكشف الشعبي علي مبارك وفاته بالسكتة الشعبية ولا عزاء للظالمين
- السادة الأعضاء المحترمين.. المجلس سيد قراره
- الموافق على إعدام رموز الفساد يتفضل برفع يده : موافقة
- رحت فين يا زين .. حسني بيدور عليك
- آخر طلعة جوية.. للدولة الصهيونية
- ما خطرش على بالك يوم ترحل يا مجوعني؟
- ٣٠ سنة فساد سرقة تعذيب قتل استبداد استغلال تجهيل تجويع إفقار استخفاف
- أحدث اكتشافات الأطباء: مخلوق يعيش أكثر من ٣٠ سنة بدون قطرة دم، لأنه يعيش علي مص دماء الشعب
- نعم لمبارك بس في السعودية ويا ريت ياخد معاه الحرامية
- سمعنا كلامك ٣٠ سنة اسمع كلامنا مرة
- جمال من لندن؛ أيوة يا بابا أنت جاي امتى
- يا مبارك صحي النوم النهارده آخر يوم
- يا حزن مبارك .. لم يتم عرس جمال
- مطلوب التبرع بالدم لمبارك
- من كان آخر كلامه في الحكم " أنا فهمتكم" دخل جدة
- حملة تنظيف مصر من الفاسدين
- لسنا جياع وإنما خرجنا لاسترداد حرية مسلوبة
- وراء ثورة مصر فكرة الحرية والأفكار بطبيعتها مضادة للرصاص والبلطجة
- اخلع مبارك وأغسل عارك
- زهور الحرية فتحت في ميدان التحرير ٢٥يناير
- الشرطة في سرقة الشعب
- هتلر انتحر You can do it
- لن أعيش في جلباب أبي
- الرجال الذين لديهم كرامة وعزة نفس عندما يشعرون أنهم غير مرغوب فيهم يرحلون في صمت..
- لن تخدعنا مرة أخرى يا مبارك

- أي حد هيمشي م الميدان من غير مبارك يبقي خان الأمانة

ثم تطورت اللافتات بعد الدعوة إلى مسيرة مليونية في ميدان التحرير فبدأت بعبارات مثل:

- جئت لأكمل المليون
- جئت من فينا لدعم شباب الثورة
- اللهم اجعل هذا البلد آمنا
- أطفالنا يحمون بيوتنا ونحن نحرر مصرنا
- بطولة كأس الأمم الأفريقية ٢٠٠٦ .. بطولة رأس مبارك ٢٠١١
- شعب يصنع نصف ثورة يحفر قبره بيده
- حسني يتحدى الملل
- مطلوب طبيب نساء وتوليد لإجهاض حسني لأنه غير شرعي
- مطلوب التبرع بالدم لمبارك
- لست من الإخوان ولكن أصبح مبارك هو المحظور
- كفني ثمن الحرية من أجلك يا مصر
- فليسقط أبرها .. فليسقط هبل
- وظائف خالية مطلوب فورا أخصائي تخاطب عشان يفهم الحمار
- حاكم ٣٠ سنة بقانون الطوارئ يعني حاكم فاشل .. لا لقانون الطوارئ
- محصلة عهد مبارك: فساد ، جهل ، بطالة، مرض، محسوبية استبداد ، فقر ، وفي النهاية رحيل
- شهادة تخرج: الاسم/ حسني، التقدير/ صفر ، الحالة/ راسب وليس للمذكور إعادة ، كتبها/ شعب مصر، راجعها/ شعب مصر بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١١
- إنما النصر صبر ساعة
- أين منتخب الساجدين من ثورة الشعب؟؟
- كنتاكي مغلق يا مغفل
- تبرعوا لتذكرة الرئيس
- أضحك الثورة تطلع حلوة
- عنادك قوتنا وصمودنا
- الولادة متعسرة جدا لأن المولود حرية

- صمودنا ضمانا على أنه لن يتم خيانتنا
- إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب البقر " مع الاعتذار لأبي القاسم "
- مبارك يريد تغيير الشعب
- لا لقانون الـــEMERGENCY
- just leave،Mubarak you are down
- let's live،Leave
- get out،Game over
- Welcome freedom
- Shift+delet mubark

ثم بعد تطور الأحداث يوم الأربعاء الدامي تطورت اللافتات

- عفوا..مبارك لقد نفذ رصيدكم
- كثيرون حول السلطة قليلون حول الوطن " غاندي"
- في البداية سيتجاهلونك ثم يحاربونك ثم يحاولون قتلك ثم يفاوضونك ثم يتراجعون ثم تنتصر "غاندي"
- مبارك بن شداد يغزو ميدان التحرير بالخيول والحمير
- لو كان هو دكتوراه في العند.. احنا معانا نوبل في الصبر
- تمام يافندم .. كله تمام .. مافيش حد في الميدان..
- لكل داء دواء يستطاب به إلا الحماقة أعيت من يداويها
- إن ينصركم الله فلا غالب لكم
- أنصاف الثورات أكفان للشعوب
- تاريخ انتهاء صلاحية النظام٢٥ يناير ٢٠١١
- هتلر قتل اليهود من أجل شعبه .. نيرون قتل شعبه.. مبارك قتل شعبه من أجل اليهود
- المجزرة.. مبارك يقيل الضباط الشرفاء من الجيش
- شعار مبارك السجن للشرفاء
- فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ..
- الثورة أولها إصرار ومنتصفها استمرار وآخرها انتصار

- فاستخف قومه فأطاعوه
- مسلسل نحن لا نصنع الملوتوف (من مسلسل نحن لا نزرع الشوك)
- "حكم ٣٠ سنة في هذا العصر هو إهانة لشعب مصر"
- ارحل بالهيروغليفى يمكن تفهم يا فرعون
- إن نقطة دم مصرية أثمن عندي من كل عروش الدنيا وسأرحل فورا (الملك فاروق ١٩٥٢)
- ارحل: سر خلطة لزئتك إيه يا ريس
- عايزنها دولة مدنية لا طائفية ولا حرامية
- باي مبارك .. موبايلات بقى
- هم يقولون بأن الشعب المصري غير مؤهل للديمقراطية والشعب يسأل هل هم مؤهلون لحكم مصر؟
- قاطعوا المنتجات الصهيونية؛ حسني ، سوزان ، جمال ، علاء مبارك وحبيب العادلي
- من أين أتيت بالسبعين مليار وأنت حاكم أفقر شعب في العالم ؟
- إذا نقص عدد المتظاهرين ليلا من الممكن أن تتكرر مذبحة الأربعاء الدامي
- من مصر إلى مبارك؛ أريد خلعا
- أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا
- سيناوي .. على رحيلك ناوي
- مبارك : طير انت
- عنواني الجديد : ٢٥ يناير ـ ميدان التحرير – جمهورية التحرير
- إيدي بإيدك نتغير ونغير
- سدد ديون مصر مما نهبت
- " اللهم ارفع عنا الغلاء والوباء وأبو علاء "
- الشعب: مع السلامة يا حسني .. حسني؛ ليه أنتو رايحين فين؟
- قارئة الفنجان تقول لحسني: لا تحزن فالرحيل مكتوب عليك مكتوب مكتووووب..
- البقاء للأنظف

وحين اتهم البعض الشباب المعتصمين بالعمالة وبأن لهم أجندات سياسية لا تصب في مصلحة مصر، لم يكن أمامهم سوى أن يحاربوا هذه الأفواه بشعارات قائلين «لا معارضة ولا أحزاب هي ثورة الشباب»، «ثورتنا ثورة شبابية ثورتنا من أجل الحرية» و «لا برادعي ولا أحزاب ثورتنا ثورة شباب».

" حتى أن "وليد عبدالله" أحد الشاب،ترك عروسه وهو مازال في شهر العسل، ليشارك في ثورة مصر، رغم أنه لا ينتمي إلى أي من الأحزاب السياسية المصرية، لكنه يحسب نفسه على التيار الليبرالي، فمطالبه تتلخص في إنهاء حالة الطوارئ التي تعيشها مصر، وبناء نظام جديد للحكم يكفل تداول السلطة وتدعيم الديمقراطية الحقيقية، وكبح الحزب الواحد، وتخلي رئيس الجمهورية عن رئاسته. يعتصم وليد في ميدان التحرير منذ ٢٥ من يناير الماضي ويستمر مصرا على ألا يغادر إلا بعد رحيل الرئيس مبارك، وكتب على لوحة يحملها «ارحل بقى.. مراتي وحشتني» فهو يشتاق إلى زوجته التي تركها لأداء واجبه الوطني".

بينما رفع (عم أحمد ـ ٥٩ عاما) لافتة وسط المتظاهرين كتب عليها " أشعر بأني مواطن من الدرجة الثانية، ولذلك جئت إلى ميدان التحرير، ولن أتركه إلا بعد أن يتحقق هذا المبدأ المهم، فنحن لا نريد رفاهية اقتصادية بقدر ما نبحث عن دولة تحترم رغبتنا في العيش الكريم، وأن نكون كلنا سواء أمام القانون.. جئت إلى هنا من أجل التغيير، نحن نحتاج إلى أن يأتي حاكم يفكر فينا مثلما يفكر في رجال الأعمال"..
وحين تعهد الرئيس مبارك في خطابه بتعديل المادتين ٧٦ و٧٧ من الدستور، وبأنه لن يترشح لفترة رئاسية جديدة، وقام بتعيين نائب له، وقف الشباب يهتفون «مابيفهمش عربي، كلموه بالعبري» و«ارحل يعنى إمشي» في إشارة إلى تمسكهم برحيل الرئيس.

بينما كان جهاز أمن الدولة في هذا التوقيت يعمل بكامل طاقته؛ فلم يسقط الجهاز بسقوط وزارة الداخلية، ولم تكن هي آخر قلاع النظام التي يتحصن بها، فقد أرسل الجهاز في هذا اليوم تقريرا خاصا لرئيس الجمهورية بشأن الأوضاع في البلاد وموقفه من الثورة، التقرير حمل عبارة "سرى للغاية" بتاريخ ١٠ فبراير ٢٠١١ ، مذكرة "للعرض على السيد اللواء الدكتور/ مساعد أول وزير الداخلية ورئيس الجهاز بشأن الرؤية التحليلية لحالة الفوضى العارمة التي شهدتها البلاد خلال الفترة الأخيرة". ويقول التقرير "إن أسباب مظاهرات ٢٥ يناير ترجع إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية اضطلعت بالاشتراك مع دول الاتحاد الأوربي بمشاركة النظام الصهيوني في وضع مخطط يستهدف اختراق المنطقة العربية والإسلامية وذلك لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي على نحو يتناسب مع توجهات الكيان الصهيوني وذلك لإفقاد العالم العربي هويته القومية والإسلامية وإجبار شعوبه على التطبيع مع إسرائيل"

وبرر التقرير أن مجموعة دول الـ٨ الصناعية الكبرى وإسرائيل اعتمدت خطة لاختراق المجتمعات العربية والإسلامية بهدف خلخلة الأنظمة العربية واعتمدت في ذلك على انتشار الفساد وارتفاع معدلات البطالة وانعدام العدالة في توزيع الثروة وارتفاع الأمية. وأن دولة إيران وحزب الله باستغلال روابطهم بعناصر جماعة الإخوان المسلمين بالداخل والعناصر البدوية المرتبطة بهم لمهاجمة المقرات الأمنية وعلى رأسها السجون لتحرير العناصر المعتقلة من المرتبطين بهم وسرقة الأرشيف ودفاتر التليفونات التي تحتوى على الهيكلة الكاملة لضباط الجهاز وأرقام هواتفهم المنزلية.

ويقفز التقرير إلى ما قال إنه اعترافات وائل غنيم القائم على إنشاء وإدارة صفحة "كلنا خالد سعيد" حيث يقول التقرير إنه اعترف باطلاع أحد قيادات شركة جوجل الأمريكي من أصل يهودي ويدعى جيرارد كوهين بأمر إنشائه للصفحة المشار إليها منذ قرابة ٦ أشهر ، وأن الأمريكي المذكور تردد على البلاد والتقى بغنيم يوم ٢٧ يناير ليلة مظاهرة جمعة الغضب، الأمر الذي يرجح معه أن تكون تلك الشركة غطاء لأعمال استخباراتية خاصة عقب توسطها لدى وزارة الخارجية الأمريكية لإخلاء سبيل المذكور-أي غنيم- على الرغم من كونه لا يحمل الجنسية الأمريكية"[١٧].

وفي هذا التقرير المزيف نجد جهاز أمن الدولة بكل صفاقة وسفه، يحاول تفسير الثورة بفلسفة المؤامرة، ويلقي بالاتهام على الدول الثمانية الصناعية ويلقي على وائل غنيم تهمة إنشاء الصفحة لإشعال ثورة في البلاد، بمعاونة شخص يهودي موظف في شركة جوجل، ثم يقول التقرير أن وائل غنيم تقابل مع الشخص الأمريكي اليهودي جيرارد كوهين ليلة جمعة الغضب (مساء ٢٧ يناير، بينما الجهاز نفسه كان قد اعتقل وائل عصر هذا اليوم، أي أن التوقيت المحدد لمقابلة وائل بالشخص اليهودي، كان وائل في مقر الجهاز يخضع لتحقيقات وهو معصوب العينين)، وبرغم أن وائل غنيم تم اعتقاله يوم ٢٧ يناير، إلا أن الثورة استمرت، ولم تكن الجماهير تعلم من هو وائل غنيم أصلا وسقط مئات الشهداء وآلاف الجرحى.. وهذه الجماهير لم تر وائل غنيم في الواقع ولم تعرف عنه شيئا سوى بعد الإفراج عنه يوم ٧ فبراير ظهوره في برنامج منى الشاذلي وحضوره في اليوم التالي إلى ميدان التحرير. غير أن شركة جوجل لم تتدخل في أمر اعتقاله، وإنما أخطرت وزارة الخارجية باختفائه باعتباره المدير الإقليمي لتسويق منتجاتها من البرمجيات في الشرق الأوسط، وقد أبلغ زملاءه المبرمجين الموظفين بذات الشركة عن احتفائه قصرا. لكن أمن الدولة دائما ما يحاول نسب الأمور إلى نظرية المؤامرة وحسب. برغم أنه في كافة تقاريره الصادرة بداية اندلاع الثورة أكد أن المتظاهرين من كافة جموع الشعب وفي كل المحافظات وعدد فئاتهم وذكر منها (يساريون ومستقلون وليبراليون وأحزاب

١٧- http://saotaliassar.org/Frei%20Kitabat/FreiKitabat/EgyptGeheimnis.htm

وعمال وإخوان) وذكر مواقع الوقفات المبكرة يوم ٢٥ يناير وحدد الواقفين بالأسماء وأماكنهم ولافتاتهم وهتافاتهم وشعاراتهم وانتماءاتهم السياسية وخلفياتهم بدقة، حتى أن الجهاز نفسه رصد مواطن عادي صاحب ورشة يتجول بميدان التحرير رافعا لافتة يقول فيها: يا حكومة عاوز أكون مناضل مش إرهابي" وكان ذلك صباح يوم ٢٥ يناير، وكان ذلك قبل تحرك المظاهرات التي قادها نشطاء الحركات السياسية والتي تحركت في الثانية ظهرا..!



(٢٦)

جبهة دعم الثورة

الخميس ١٠ فبراير ٢٠١١

كان الكثير من القائمين على المراكز الحقوقية وسط القاهرة وتحديدا في منطقة وسط البلد القريبة من ميدان التحرير، هؤلاء جميعا فتحوا مكاتبهم لخدمة الشباب المعتصمين بالميدان وسخروا إمكاناتهم المادية من أجهزة كمبيوتر وطابعات وقدموا ما استطاعوا من الدعم من جهودهم الشخصية. وكثيرا ما كان الشباب والمثقفين يجتمعون في هذه المراكز وتدور بينهم حلقات الحوار والتنسيق فيما يخص فعاليات الثورة .

وبوجهٍ عام، لم تكن هذه المقرات الحقوقية مراكز لقيادة الثورة أو اجتماع شخصياتها العامة بصفة دائمة، ولكن غالبا ما كانت تتم هذه الاجتماعات في الميدان، وغالبا بصورة ارتجالية حسب الموقف والضرورة. وكان الأهم هو محاولات التنسيق بين الائتلافات المتعددة بعد تجمع مئات الألوف للاعتصام في ميدان التحرير، كانت المحاولات في هذا الوقت هي محاولات للتوجيه والنصح بالبقاء في الميدان لأن السيطرة على الجماهير بهذا الشكل مستحيلة، فقط توفير بعض الخدمات والدعم المعنوي هو الممكن، ولكن لأن الهدف كان واحدا فسهل ذلك كل شيء. وقد تمت إدارة الميدان (محاولات التنسيق والتنظيم) من خلال غرفة العمليات، وتكونت هذه الغرفة من شباب ائتلاف الثورة، من الجمعية الوطنية للتغيير وحملة البرادعي وبعض الشباب المستقلين وشباب من الإخوان المسلمين وبعض الرموز الوطنية من اليسار على وجه التحديد. وقد تمت أيضا إدارة موقعة الجمل من خلال هذه الغرفة، كما قامت هذه الغرفة في تنظيم التصريحات الإعلامية التي كانت تتم خلال هذه الفترة وتأمين مداخل ومخارج الميدان. والجدير بالذكر أن غرفة العمليات هذه قامت بدور كبير في حماية بث قناة الجزيرة كنافذة إعلامية للثورة..

كما كانت هناك غرفة أخرى تم تشكيلها بمعرفة المهندس ممدوح حمزة، وكان فيها شباب ائتلاف الثورة وممثلي الحركات السياسية. وكان للنخبة والرموز السياسية أماكن أخرى يلتقون فيها مثل عيادة الدكتور عبد الجليل مصطفي في باب اللوق (المجاور لميدان التحرير) وكانت عبارة عن غرفة عمليات أخرى لكل من (د. عبد الجليل ويحيى عبد الهادي ود. محمد البلتاجي وأحمد دراج ود. عصام العريان والمستشار الخضيري ود. محمد أبو الغار والدكتور علاء الأسواني وكمال خليل، وآخرون من الرموز الوطنية، وكانت تتم من خلال هذه الغرفة الإدارة التنظيمية للثورة خاصة مسألة الإعاشة. وعلى الرغم من المحاولات التنظيمية المختلفة، فأحيانا ما كان يقع خلاف بين ائتلافات الشباب والحركات خاصة عند التفاوض مع

النظام (الإدارة السياسية للثورة)، ومن ثم كان الخلاف سياسيا وليس تنظيميا ، وكانت القيادات الوطنية تتدخل لحسمه بتقريب وتوليف وجهات النظر المختلفة. ومن حيث التنظيم وتنسيق الخدمات والمستلزمات داخل الميدان، فلم يكن هناك تقسيم نوعي، بأن يكون فصيل بعينه هو الذي يشرف على عملية تأمين الميدان وتشكيل لجان الأمن أو تحمل مسؤوليته أو توريد مواد الإعاشة وتوفير مستلزمات الاعتصام من بطاطين وخيم وغيرها إلى جانب مواد الغذاء، والمستلزمات الطبية أو توريد اللافتات واللوحات المطبوعة والبانرات وأجهزة الإذاعة أو غير ذلك خلال فترة الاعتصام. ولم يكن هناك تقسيم نوعي للإذاعات أيضا سواء من حيث إدارة الإذاعة وترتيب فقراتها وأغنياتها وخطبها أو البيانات التي تذيعها، كان ذلك يتم من الجميع بالتنسيق بين الجميع ، وكان ائتلاف شباب الثورة الرئيس في ميدان التحرير –الذي تأسس قبل قيام مظاهرات ٢٥ يناير بأسبوعين- قد ساهم بشكل قوي في تنظيم العلاقة بين تجمعات الشباب الأخرى والحركات بل وترتيب كافة الفعاليات، فكان الجميع يعمل ويسعى للتنسيق مع الأطراف الأخرى، وفي الواقع لم يكن هناك وقت للخلاف أو الإصرار على رأي، كانت السمة الغالبة هي التسامح والتساهل والتعاون من أجل عبور الأزمة.

وساهم ائتلاف شباب الثورة في تشكيل جبهة دعم الثورة، وكان اقتراحا من الائتلاف بتأسيس هذه الجبهة على أن تضم حوالي ٤٠ شخصية عامة ورمز منهم ١٣ من الشباب. وتم الإعلان عنها في مؤتمر صحفي عقد بنقابة الصحفيين لتقديم الدعم الكامل لشباب الثورة وتأييد المطالب الشعبية . وضمت الجبهة عدد من الشخصيات العامة من بينهم الدكتور محمد البرادعي والدكتور أيمن نور وحمدين صباحي والمهندس ممدوح حمزة والدكتور عبد الجليل مصطفى والدكتور أسامة الغزالي حرب والمستشار محمود الخضيري.

ووجهت الجبهة ثلاث رسائل في بيانها التأسيسي الذي ألقاه الدكتور عبد الجليل مصطفى منسق الجمعية الوطنية للتغيير؛

الرسالة الأولى للجيش، وطالبته بالاستجابة لإرادة الشعب وحمايته موضحين أن الثوار لم يقدموا أرواحهم إلا فداءً للوطن وأنهم يحترمون الدولة ومؤسساتها وعدم تفكيكها أو إضعافها، إنما يسعون لتخليصها من نظام فقد شرعيته .

الرسالة الثانية؛فكانت موجهة للشعب المصري بالتوحد والوقوف معهم لتحقيق مطالب الثورة: قائلين أننا لسنا خونة ولسنا عملاء فوضويين نسعى لوقف حال البلد ، بل نحن من حاولوا إفساد عقولهم وأرواحهم فانهالوا علينا بعصيهم وقنابلهم المسيلة للدموع ورصاصهم المطاطي وهددوا استقرارنا ثم يفاوضوننا .. وتذكروا إنما النصر صبر ساعة .. قفوا معنا واحموا ظهورنا لأنها معركتنا ومعرككتكم معا من أجل الحرية والكرامة

والرسالة الثالثة الموجهة للنظام الفاقد الشرعية؛ أن هناك محاولة للالتفاف على مطالب الثورة، وإشارات تعكس الغياب الكامل للإرادة الحقيقية لتلبية مطالب الشعب، وأنه لا يؤتمن على إدارة مرحلة انتقالية لعملية التحول الديمقراطي، وهو ما يزيدنا إصرارا للمطالبة بإسقاطه ، إن رهانات النظام لخلخلة صف الثوار رهان خاسر أمام الإصرار على تحقيق المطالب كاملة .. وتلا المحامي زياد العليمي ممثلا عن شباب الثورة بيانا قال فيه : إن ائتلاف الشباب قرر الانضمام إلى جبهة تضم كافة تيارات السياسية للتعبير الجاد عن المعتصمين".

ونظرا لأن ثورتنا جاءت عفوية ومفاجئة أي لم يسبقها إعداد لسنوات أو شهور مثلا ولم تختمر أفكارها في عقول القائمين عليها خلال مدد زمنية كافية لرسم ملامحها والسيناريو الذي يجب أن تتبعه أو توقع المنحنيات والمنعطفات التي قد تعترض طريقها،.. فلم تفرز قائدها حتى الآن ولا زال المتحدث باسم الشعب هو الميدان نفسه متمثلا في كتلة من شباب الائتلاف، .. ولا زالت مطالب الثورة تتضح وتتبلور يوما بعد يوم، وإن كانت النخبة المثقفة الوطنية في مصر قد وضحتها وأعلنتها في الميدان منذ وقت، إلا أنه لم يصدر بيان رسمي يتضمن مطالب وأهداف الثورة سوى البيان الذي أصدره شباب الائتلاف منذ عدة أيام بمناسبة بيان مجموعة الحوار الوطني ولجنة الحكماء.. وكما سبق وأوضحنا أنه لم تكن هناك قيادة موحدة للثورة، وإنما ائتلاف مع عدة غرفة أخرى اتخذت مقرات مختلفة لاجتماعاتها، وكان يتم التنسيق فيما بينها، ومنذ عدة أيام أصدر ائتلاف شباب الثورة بيانهم، وكانت مجموعة المهندس ممدوح حمزة قد سارت هي الأخرى في إصدار عدة بيانات متلاحقة خلال الأيام القليلة الماضية، لكن هذه البيانات لم يتم التنسيق فيما بينها جيدا فجاءت مختلفة، ونذكر ما ورد في البيان الأخير لمجموعة المهندس ممدوح حمزة والدكتور عبد الجليل مصطفى وآخرين؛ بعد حواراته مع الشباب في الميدان واستطلاع أفكارهم كما قال..

وجاء البيان باسم الله.. وباسم الشعب مصدر الشرعية، ثورة شبابية .. ثورة شعبية .. ثورة مجتمعية

الإجراءات الفورية

لإثبات حسن النية من القائمين على النظام الحالي؛ لقد قمت بتجميع بعض الآراء في الميدان وخارجه لما هو مطلوب عمله الآن وفورا ، ووجدت شبه اتفاق عام على الآتي :

- إلغاء حالة الطوارئ بأثر رجعي منذ ٢٥ يناير ٢٠١١ ، مع ما يترتب عليه من آثار ، والإفراج عن سجناء الرأي والسياسة.

- الإسراع بتوجيه الاتهام والمحاكمة العادلة للمسئولين عما حدث من انهيار للشرطة والأمن ، وتعديه على الشعب واغتيال أكثر من ٣٠٠ مصري واتهام ومحاكمة أعضاء الحزب الوطني المسئولين عن إرسال البلطجية للتعدي على واغتيال الثوار يومي الأربعاء ٢ فبراير والخميس ٣ فبراير .

- إقالة وزير الإعلام وتكليف مهامه ومهام المجلس الأعلى للصحافة إلى مجلس أمناء يوافق عليه شباب الثورة ، مع عزل كل من ضلل الشعب صوت وصورة وكلمة .

- أن يتم إيقاف تحويل الأموال إلى خارج مصر وبالذات من المصرف العربي تحت قيادة عاطف عبيد ، وإصدار بيان من البنك المركزي بأسماء المسئولين وأعضاء الحزب الوطني ورجال مافيا المال الذين قاموا بتحويل أموالهم إلى الخارج وبيان بقيمتها منذ بداية الثورة إلى الآن ، ومنعهم من السفر إلى الخارج .

- أن يصدر النائب العام ضمان سلامة للشباب وغيرهم من المشاركين في ثورة ٢٥ يناير لأرواحهم ولأجسادهم ، وفي حالة وقوع أي تهديد لهم أو لعائلاتهم يكون المسئول عن ذلك رئيس الجمهورية – نائب رئيس الجمهورية – رئيس الوزراء – وزير الخارجية .. وهذا لابد من إجراءه فورا (أي اليوم)

برنامج الأربعة شهور الأولى

للوصول إلى دستور جديد ومؤسسات دولة عصرية بداية من اليوم

هذا هو ملخص ما تفهمته من العديد من المناقشات في الميدان وخارجه على مدار أسبوعين ، وبعد أخذ الرأي القانوني للسيد الدكتور ، إبراهيم درويش الفقيه الدستوري بجامعة القاهرة .

أولا : تنحي رئيس الجمهورية فورا .

ثانيا : تشكيل حكومة مؤقتة من المستقلين وكافة القوى السياسية – دون الحزب الوطني ـ ويقوم بإعداد هذا التشكيل لجنة من القضاة وشباب الثورة المصرية ، على أن يتم ذلك فيما لا يزيد عن أسبوعين .

ثالثا : تشكيل جمعية تأسيسية بالانتخاب الحر المباشر لا تزيد عن ٤٠ عضوا من المفكرين والشخصيات العامة وممثلي شباب الثورة ، على أن يكون من بينهم ٣ من رجال القانون الدستوري لوضع دستور جديد يقوم على أساس دولة مدنية ونظام سياسي جمهوري برلماني، ويتم الاستفتاء عليه من الشعب تحت إشراف قضائي ويكون ذلك خلال شهرين من تاريخ تشكيل الجمعية .

رابعا : إجراء انتخابات محلية وتشريعية ورئاسية ، وتشكيل الحكومة الجديدة ، ويتم كل ذلك طبقا للدستور الجديد ، ونبدأ عصر جديد بإنسان مصري أصيل .. ويلاحظ أن الجميع يتفق على أن تعديل الدستور لن يفي بالتغيير المطلوب

مبادئ وأهداف الثورة

- هذه المبادئ والأهداف تم جمعها – بالاشتراك مع الأستاذ / محمد عبد الحكيم دياب – من أقوال ومناقشات مع الثوار المصريين في الداخل والخارج على مدار أسبوعين ، ومجهودنا ينحصر في الصياغة :

- تغيير نظام الحكم وتقديم أركانه لمحاكمة عادلة ومحاسبة العملاء والمأجورين والاحتكاريين وسارقي قوت الشعب وثروته ، والاستقواء بالشعب دون سواه وتفجير طاقاته الخلاقة على التغيير .

- العمل على بناء نظام سياسي أساسه دستور جديد ، جمهوري برلماني ، وصياغة نظام حكم ديمقراطي وعادل يساوي المواطنين جميعا أمام القانون، ويقوم على النزاهة وكفالة مساءلة ومحاسبة رئيس الدولة والوزراء والمسئولين .

- العمل على استرداد ما ضاع ونهب وسرق واغتصب من أراضي وممتلكات الدولة والجماعات والأفراد ، وإعادتها إلى أصحابها الأصليين.

- تأكيد الوحدة الوطنية والعمل على استرداد الاستقلال السياسي والاقتصادي والثقافي .

- العمل على تطهير أجهزة الدولة من المنحرفين ، وإعادة تأهيل الشرطة لتكون بالفعل في خدمة الشعب وتأكيد ولائها له وتعويض المتضررين وأسرهم ومن وقعوا تحت طائلة التعذيب والاغتيال والملاحقة وإلغاء الأمن المركزي والاكتفاء بقوات مكافحة الشغب وفقا للقواعد المتعارف عليها في الدول الديمقراطية، وإلغاء دور الأمن السياسي في الحياة المدنية والاقتصادية .

- العمل على توفير الخدمات التعليمية والصحية بالمجان لكافة المواطنين وضمان الحياة الآدمية الكريمة للفقراء ومحدودي الدخل ، وتوفير السكن المناسب لهم ، والعمل على تطوير العشوائيات المحيطة بالعواصم والمدن ، والتكفل بمن لا عمل لهم حتى توفر فرص عمل .

- العمل على استعادة الدور المصري عربيا وإفريقيا وإقليميا ودوليا وتقوية العلاقة مع دول الجوار العربي والإفريقي ، وتأكيد العلاقة الأخوية مع السودان ، والاهتمام بعلاقة التعاون والعمل المشترك مع دول حوض النيل، وترسيخ المصالح المشتركة وتأمين المياه وسلامتها دون تدخل خارجي .

- العمل على تحرير الإرادة الوطنية وتأكيد مبادئ السلام القائم على العدل .

- الاهتمام بسيناء ، هذا الجزء العزيز من أرض الوطن ، وتطويره وتنميته وتقويته.

- العمل على تقوية ودعم القوات المسلحة ضمانا للأمن القومي والوطني .

مجلس الإدارة القانونية للثورة

- يتم الآن تشكيل مجلس الإدارة القانونية للثورة ويضم السفير / إبراهيم يسري صاحب القضية المشهورة التي أدانت بيع الغاز لإسرائيل ، والأستاذ الدكتور /صلاح صادق ، والأستاذ /حمدي الفخراني صاحب قضية مدينتي وينضم إليهم آخرون لمن يرغب في التطوع من أصحاب التاريخ الوطني .

- وهدف هذا المجلس هو إعداد وتقديم الدعاوى والإجراءات القانونية لاسترداد ثروة مصر التي نهبها أفراد السلطة وأفراد الحزب الوطني وبعض رجال الأعمال المنتفعين من النظام ، ويتم الملاحقة القانونية لاسترداد حق مصر لكل مما يلي :

- الأموال في البنوك المحلية والعالمية والسندات والمجوهرات والمقتنيات الثمينة .

- الأراضي مثل المزارع الخاصة والمنتجعات والقرى السياحية .

- شركات القطاع العام وقطاع الأعمال التي تم تخصيصها أو بيعها دون قيمتها والتي تم غلقها ضررا بالاقتصاد القومي .

التراخيص والتخصيصات .

الشركات .

- فارق مرتبات موظفي الدولة والحكومة ومؤسساتها وشركاتها الذين تقاضوا مرتبات أكثر من ٢٥٠٠٠ جنيه (خمسة وعشرون ألف جنيها) في الشهر .

- استعادة الآثار وعوائد الآثار من سارقيها .

- هذا ويقوم المجلس أيضا بأي إجراءات قانونية أو دراسات يتطلبها العمل الثوري . وقد شرع المجلس مباشرة أعماله يوم ٨ فبراير ٢٠١١ بتقديم بلاغ إلى النائب العام للتحقق والتحقيق فيما نشرته الصحافة الأجنبية الرصينة والتي لها مصداقية عالمية عن ثورة عائلة مبارك

بنك الشعب

العمل على إنشاء بنك باسم بنك الشعب ليكون البنك الذي تجمع فيه الأموال التي نهبها المسئولون من السلطة والحزب الوطني ومافيا المال والأراضي ، الذين مكنهم النظام من السطو على أموال الشعب ، وكذا سارقي الآثار ، ومن تقاضوا رشاوى نظير تسهيل الالتحاق بكليات ومعاهد الشرطة ، وتسهيل الحصول على وظائف بعينها في قطاعات الدولة .

هذا ومن المتوقع استرداد حوالي ١٥٠ مليار جنيه مصري ، وسوف يتم توجيه هذه الأموال لعمل طفرة في التعليم وصحة الشعب المصري ليكون شبابنا مؤهلا لتنمية اقتصادنا ليصبح أقوى اقتصاد في أفريقيا والشرق الأوسط ، بل من أقوى اقتصاديات العالم. ويلاحظ أن تركيا سابع أقوى اقتصاد في أوروبا والاقتصاد رقم ١٦ على مستوى العالم .

وتمتلك هذا البنك الحكومة المصرية بنسبة ٤٠٪ وأفراد الشعب ٦٠ ٪ بالاكتتاب العام ، ويتم تعيين مجلس الإدارة بواسطة الجمعية العمومية ذات الأغلبية الشعبية ، أي أن الشعب سيختار أفضل الكفاءات لإدارة أمواله .

الشركات الأهلية للتنمية

نقترح تكوين الشركة الأهلية للتنمية شركة قابضة مصرية تمتلكها الدولة لتدير كل ما يسترد من شركات وأراضي وممتلكات الدولة التي تم نهبها بواسطة النظام وتحالفه مع مافيا المال . وتوجه أرباح هذه الشركة لبناء وحدات إنتاجية ومصانع لتشغيل أمناء الشعب وإلى بناء مساكن منخفضة التكاليف كون المسكن أهم أداة من أدوات الإنتاج ، وتعطى أولوية للفتيات المقبلات على الزواج من سن ٢٥ سنة فأعلى لتكوين أسر المستقبل.

الشعب ليس في حاجة إلى وصاية أجنبية

الشعب المصري قادر على إمساك مقدرات أموره بنفسه وأخذ قراراته بما فيه مصلحة بلده ، ويستنكر وبشدة التدخلات الأجنبية لتوجيه الثورة أو إجهاضها ، والتأثير على ما يحدث فيها ، وبالذات تدخلات أمريكا من الدعوة إلى استمرار نظام مبارك ، والشعب المصري بأكمله يعلم أن هذا لمصلحة أمريكا بناء على طلبات من إسرائيل وليس لمصلحة مصر .

أمريكا .. ارفعي يدك عن مصر

إسرائيل .. لا ترتجفي فنحن لدينا الآن ما هو أهم منك وهو تنمية مصر.. وإن لم تكف أمريكا يدها عن مصر فسيقوم الشعب المصري بالمشاركة مع الشعوب العربية وباقي الشعوب الحرة في العالم بمقاطعة أمريكا ثقافيا وسياسيا واقتصاديا . وسيكون زلزالا لم تره أمريكا من قبل، لذا نرجو من بقايا النظام أن يعلموا أن لا أمريكا ولا إسرائيل تستطيع حمايتهم، كل ما جاء بعاليه هو نبض الشارع المصري وليس من تأليف أحد.

قواعد يتفق عليها الجميع

- أن ما يقوم به بقايا النظام الآن من تشكيل لجان وحوار وإيهام الشعب أن شيء ما يتم لصالح الثورة ، ما هو إلا عملية احتيال على الثورة وإهدارا لتضحيات شهدائها .
- الحوار مع السيد / عمر سليمان في وجود مبارك لن يثمر نتائج للثورة ، ولكن الحوار مع القوات المسلحة المصرية بعد تنحية مبارك قد تؤدي إلى تحقيق جزئي لبعض أهداف الثورة في الفترة الأولى من التغيير .
- أن هناك إيمانا راسخا بأنه لن يتم محاكمة عادلة لأي من رؤوس النظام الفاسد في وجود مبارك .
- المطلب هو دستور جديد وليس تعديل (ترقيع الدستور الحالي المهلهل) والذي يعتبر معطلا قانونيا منذ أكتوبر ١٩٨١ نظرا لاستمرار حالة الطوارئ ومن المؤكد أن الوقت اللازم لإصدار دستور جديد أقل كثيرا من الوقت اللازم لتعديل الدستور الحالي نظرا للإجراءات .
- لن يتحقق التغيير الذي تتطلبه الثورة في ظل وزارة بها وزيرا واحدا من النظام السابق أو حزبه ، ويجب أيضا استبعاد الحزب الوطني من العمل العام لمدة ثلاثة سنوات .
- كل ما يقوم به النظام مما يسمى بتنازلات أو محاولات للإصلاح، ما هي إلا التفاف حول الثورة ومضيعة للوقت لغرض استمرار النظام في السلطة تنفيذا لرغبات أمريكا .

- لقد فهم الشعب تماما كيف أن بقايا النظام تلعب على سيكولوجية المجتمع الدولي تارة وسيكولوجية المصريين تارة أخرى مثل التخويف بورقة الإخوان وترهيب الشعب إما حوارا أو انقلابا ونغمة تأثر الاقتصاد القومي وحجة أن تعديل الدستور يحتاج وقت ويحتاج مجلس شعب ويحتاج وجود رئيس، في حين دولة كبيرة مثل إنجلترا ليس بها دستور من الأساس .. كل هذه حجج واهية للتعطيل والاستمرار في السلطة وتضليل الثورة .

- أن شباب مصر الذي يشكل ٦٠ ٪ من تعداد مصر هو وجه مصر الجديد لتحقيق عصر جديد .

- تم الاتفاق على أن النظام ملزم بتقديم الاتهام فورا والبدء بمحاكمة عادلة لمن قتل أكثر من ٣٠٠ شاب مصري من شباب الأمة .

التصعيد

بعد أن قرر عمر سليمان أن " النظام قائم سيستمر .. وأن حسني مبارك لن يرحل قريبا .. أن الوضع في ميدان التحرير لن يستمر.. أن الشعب المصري ليس مؤهلا للديمقراطية .. " فإن رد الشعب المصري على هذا سيكون بالتصعيد كما حدث يوم الثلاثاء ٢٠١١/٠٢/٠٨ ، ولكن هذا التصعيد سيتطور ليشمل اعتصام العاملين في وحدات اقتصادية وإنتاجية . ولم يكن للشباب رغبة في هذا التصعيد ، ولكن الشعب المصري له مطالب أساسية وهي تنحية حسني مبارك وإنهاء هذا النظام الذي ترغب أمريكا في استمراره ، والشعب سيستخدم كل الطرق السلمية المتاحة له والمستخدمة في جميع البلاد الديمقراطية لتحقيق هذا الهدف .

ولن يخف الشعب من هذه الإشارات والتهديدات الخالية بأن ذلك سيؤثر على الاقتصاد المصري حيث أن الاقتصاد المصري تم تحويل عوائده كاملة لجيوب الفاسدين منذ عشرات السنين، وسوف نبدأ في بناء اقتصاد جديد يعتمد على القدرة الذاتية المصرية .. من أموالنا وبأيدي أبنائنا وفكر خبرائنا ، ونشجع الاستثمار الأجنبي لإنشاء المصانع للتصدير ونقل التكنولوجيا إلى مصر .

لجان التغيير

- في كل مصنع .. في كل شركة .. في كل وحدة إنتاجية .. في كل وحدة اقتصادية .. في كل مؤسسة إعلامية (صحافة – إذاعة – تليفزيون) .. في كل وزارة وديوان الحكومة ، تشكل لجان تغيير لعمل الآتي :

- تحديد المخالفات والفساد والفاسدين والظالمين لاستبعادهم من مراكز القيادة .

- إعداد قائمة بالمرتبات الشاذة الأعلى والأدنى .
- المطالبة بالحقوق العادلة .
- ولكن إياكم من الانتقام الشخصي ولا تنزلقوا إلى الانتقام الشعبي . ويجب أن تشكل هذه اللجان من الجماهير ويا حبذا لو تمت انتخابات سريعة لتحديد لجنة التغيير في كل جهة .
- هل يؤدي قيام سارقي ومضللي الشعب بالاعتذار والتوبة وإرجاع الحقوق الآن وطواعية إلى عفو وسماح من الشعب

هذا هو النموذج الذي اتبعه نيلسون مانديلا بعد خروجه بعد ٢٧ عاما من السجن، فمثلا لو جاءت عائلة مبارك وقالت " سأحتفظ بما يكفيني لحياة كريمة وأعيد باقي ثروتي إلى الشعب " . أو لو جاء شفيق جبر وقال " أنا أخذت مليار جنيه من صفقة سيدي عبد الرحمن من شركة إعمار ، سأحتفظ لنفسي بقيمة بسيطة جدا نظير مجهوداتي وأعيد الباقي إلى الشعب " . ولو جاء مجدي راسخ – والد زوجة علاء مبارك – وقال " لقد حصلت على أموال وأراضي نظرا لصلة النسب التي تربطني بالرئيس ، هذه ثروتي قبل النسب وبالباقي سأعيده إلى الشعب . ولو قال منير ثابت – شقيق سوزان مبارك – هذه ثروتي قبل تولي مبارك وقد تضخمت استنادا على كوني شقيق سيدة مصر الأولى، سأحتفظ لنفسي بجزء بسيط منها يمكنني من الحياة الكريمة وسأعيد كل ما حصلت عليه بسبب هذا النسب إلى الشعب. أو لو قال محمود الجمال " أنا غني منذ البداية – ونحن مقتنعون بذلك – ولكن كل ما حصلت عليه من أراضي بعد نسبي لجمال مبارك سأرده إلى الشعب . ولو جاء حسن راتب وقال لقد أعطتني الحكومة أراضي كثيرة بسعر رمزي وتسهيلات بنكية وأنشأت مصنع في سيناء وقمت ببيعه للفرنسيين – مخالفا بذلك قانون عدم تملك الأجانب في سيناء – سأحتفظ بجزء بسيط يمكنني من الحياة الكريمة وأعيد الباقي إلى الشعب . ولو جاء أبو العينين وقال " أنا حصلت على أراضي بجميع أنحاء الجمهورية وخاصة بالبحر الأحمر ، وأيضا تسهيلات بنكية ، بسبب علاقتي بالرئاسة والنظام ، سأحتفظ بالمصانع التي تشغل الأيدي العاملة وأعيد الباقي إلى الشعب .

وأن يأتي أسامة سرايا ، ومحمد على إبراهيم ، والقط ، ومحمد سعيد عبد المنعم ، وأنس الفقي ، والمنياوي ، وباقي أبواق السلطة التي ضللت الشعب ويقولون لقد تقاضينا مرتبات باهظة قد تزيد عن مليون جنيه في الشهر نظير تضليل الشعب، سنرد للشعب المصري طواعية فرق هذه المرتبات ونعتذر عن تضليل الشعب ونرجو أن نقبل مواطنون نمارس مهنتنا مرة أخرى ولكن ليس في أماكن قيادية . ولو حدث ذلك فهل يعودون إلى صفوف الشعب المصري الكريم ؟؟ سؤال يحتاج إلى إجابة .

قد يجوز نعم للسماح بعد الاعتذار والتوبة واسترداد الثورة ولكن لا للنسيان.

****

هكذا جاء البيان الذي أصدره المهندس ممدوح حمزة، وقد تناول البيان مقترح مشروع التغيير من وحي آراء ومناقشات في الميدان وخارجه، كما قال.. والمطلع بدقة على هذا البيان سيكتشف بوضوح أن أكبر القامات السياسية التي أثرت فعليا في مثار الثورة خاصة بعدما انضم إلها المثقفون، سيكتشف أن الثورة لم تفرز قائدا بعد، ولم يتشكل لها هيكل سياسي يتولى إدارة الأمور، لأن الشباب كانت أفكارهم أسبق من أن يقودها الكهول، وذلك يتضح جليا عند المقارنة بين الخطوات التي اتخذها الشباب بداية في مرحلة الإعداد للثورة وحتى ليلة ٢٤ يناير ٢٠١١، والبيان الذي أصدره شباب الائتلاف خلال مرحلة الحوار التي أدراها عمر سليمان وما بين البيان العاجز الذي أصدرته مجموعة المهندس ممدوح حمزة. برغم أنه أصدر أكثر من بيان قبل ذلك تضمن مطالب أكثر ثورية من هذا.

ففي البداية شكل الشباب ائتلاف شباب الثورة من سبعة عشر عضوا من مستقلين وحزبيين دون تمييز ودون أن يكون لهذا الائتلاف رئيس، فيكون أشبه بمجلس رئاسي ائتلافي يتخذ قراراته بأصوات الأغلبية، وعلى هذا الأساس تطورت الوقفة الاحتجاجية إلى انتفاضة شعبية ثم تكللت بالثورة وطالبت بتغيير المنظومة بأكملها، وفي الثاني طالب الشباب بتنحي مبارك ومنع سفر رموز نظامه والتحفظ على ممتلكاتهم لحين التحقيق وإقالة قيادات وزارة الداخلية وإعادة هيكلة جهاز أمن الدولة ووضع دستور جديد وتشكيل حكومة ائتلافية ومجلس رئاسي يتولى إدارة المرحلة الانتقالية. بينما نجد في نموذج الكبار (ممدوح حمزة ورفاقه) حركة غير منسقة وغير مرتبة، إذ ركز البيان وقف قانون الطوارئ وتأمين شباب الثورة من الملاحقات الأمنية ، وركز على الجوانب الاقتصادية واسترداد الأموال والملاحقات القانونية ومحاكمة الفاسدين، أكثر من التفكير في عملية الانتقال السياسي للدولة، ولم ينتبه لضرورة تشكيل الهيكل السياسي الذي عليه أن يتولى إدارة المرحلة الانتقالية.

بل إن الغريب أن يصرح البيان بذلك في البند الثاني: ثانيا : تشكيل حكومة مؤقتة من المستقلين وكافة القوى السياسية – دون الحزب الوطني- ويقوم بإعداد هذا التشكيل لجنة من القضاة وشباب الثورة المصرية ، على أن يتم ذلك فيما لا يزيد عن أسبوعين" . فلماذا لم يطرح البيان الهيكل السياسي المرتقب لإدارة المرحلة وطرح رموزه للنقاش في الميدان؟وهذا يؤكد أن هذا البيان كان خطوة أولى من خطوات التراجع للخلف، لأن الثورة في الواقع قد اجتازت هذه المرحلة وكان ينبغي على الثوار تشكيل الهيكل السياسي الذي يتولى إدارة المرحلة فوريا، لكننا للأسف نجد البيان يعود بنا للخلف ويحذر من استمرار الحوار مع عمر

سليمان ويحله إلى الحوار مع القوات المسلحة بعد أن تقوم هي بخلع مبارك والحلول محله على طاولة المفاوضات!، حيث ينص البيان: الحوار مع السيد / عمر سليمان في وجود مبارك لن يُثمر نتائج للثورة ، ولكن الحوار مع القوات المسلحة المصرية بعد تنحية مبارك قد تؤدي إلى تحقيق جزئي لبعض أهداف الثورة في الفترة الأولى من التغيير .

هذا هو الفارق بين العقلية الشبابية التي تحدت كل الظروف، واستمرت وخاضت المخاطر بصدور عارية وجمعت الملايين من الشعب للاعتصام في ميدان التحرير من خلال خطوات تنظيمية استباقية ومرتبة، فكان الشباب قدوة في التضحية وقدوة في الصدق، قدموا أنفسهم في البطولات، وعرضوا صور تضحياتهم في ميدان التحرير لتجذب الملايين حولها، كانت خطوات الشباب جميعها مفعمة بروح التحدي، وتحدو خطاب النظام الإعلامي المفعم بالدعاية السوداء، وبادر الشباب بمد الاعتصام حول المنشآت السيادية لتقييد حركة النظام في الدولة. بينما حكماء الثورة والمثقفين بعد أن انضموا إليها، برغم أنهم كانوا كنزا عظيما لها، لكن عقليتهم في إدارة المرحلة ما زالت قاصرة، فكان يكفي الإعلان عن قدوم مسيرة من أساتذة الجامعات إلى ميدان التحرير لتأييد ثورة الشباب، إنما أن يتولى هؤلاء إدارة المرحلة فهي ليست مرحلتهم وليست لديهم القدرة على التحدي كما يتضح من بيان ممدوح حمزة الذي ما زال يصر على الالتماس ومطالبة المجلس العسكري بخلع مبارك ووزير الإعلام ومحاكمة الرموز واشتراط تأمين سلامة شباب الثورة من الملاحقات!! ثم يتحدث كثيرا وبتفصيل رديء عن كيفية التصفية الاقتصادية لرموز النظام، ثم يعود ليرجئ تشكيل الهيكل السياسي (مجلس رئاسي وحكومة ائتلافية تكنوقراط) إلى بعد أسبوعين والجلوس مع المجلس العسكري على طاولة مفاوضات..!!هذا الخطاب الخضوعي يؤكد أن من أصدروا هذا البيان لم يكونوا على وعي كافٍ بمفهوم الثورة ومدى النجاح الذي حققته.

إلا أننا نكتشف في رؤى غيره من كبار المثقفين الذين دعموا الثورة ذات الخطاب، فقد أعلنت جماعة الإخوان أن ائتلافا من جماعات المعارضة أبلغ الحكومة المصرية أنه سيبدأ محادثات بشأن التحول إلى الديمقراطية بمجرد تنحي الرئيس حسني مبارك. ! وأكد ذلك الدكتور محمد البلتاجي البرلماني السابق وعضو جماعة الإخوان أن الطلب الأول هو رحيل مبارك وبعد ذلك فقط يمكن بدء الحوار مع الجيش بشأن تفاصيل انتقال سلمي للسلطة. وجاء رأي د. محمد البرادعي ، رئيس الجمعية الوطنية للتغيير، في ذات الاتجاه، فقال إن الرئيس مبارك عليه الرحيل حتى يبدأ الحوار بين المعارضة والحكومة. وليس ذلك فقط، بل إن السياسي البارز أبو العز الحريري كان يري نقل سلطة مبارك كاملة إلى نائبه عمر سليمان كي تبدأ

المفاوضة بين الحكومة والمعارضة ! .. في الحقيقة لم تكن الرؤية الثورية واضحة في أذهان الكبار، وكان عليهم الإسراع بتشكيل مجلس رئاسي.

حتى أن الكاتب البريطاني الكبير " روبرت فسك" كان اليوم في ميدان التحرير وكتب يقول:

هناك البعض في مصر – قابلت أحدهم ليلة أمس، وهو صديق لي – أثرياء ويساندون حركة الديمقراطية بصدق، يريدون أن يرحل مبارك، ولكنهم يخشون أنه إذا تنحى الآن في قصره، سيكون الجيش قادرا على أن يفرض أحكامه العرفية قبل أن يتم مناقشة إصلاح واحد. قال صديقي: "أريد إجراء الإصلاحات قبل أن يرحل الرجل". "إذا رحل الآن، لن يكون الرئيس الجديد لديه أي قدرة على تنفيذ المطالب. ينبغي أن يتم الموافقة عليها الآن وتنفيذها سريعا – ما يهم هي التعديلات التشريعية والقضائية والدستورية، والشروط الرئاسية. بمجرد أن يرحل مبارك، سيقول الرجال الذين يحملون النجوم على أكتافهم: 'انتهي الأمر – عودوا لبيوتكم!' وعندها سيكون لدينا مجلس عسكري مدته خمس سنوات. لهذا، اتركوا الرجل العجوز يبقى حتى سبتمبر."

ثم يكمل روبرت" إذا كان من السهل اتهام مئات الآلاف من متظاهري الديمقراطية بالسذاجة، والغفلة، والإفراط في الاعتماد على الإنترنت وموقع فيسبوك.. في الحقيقة، هناك دليل متزايد أن "الواقع الافتراضي" أصبح واقعا لشباب مصر، لقد حدث أنهم كانوا يؤمنون بالشاشة وليس الشارع – وعندما بدؤوا ينزلون إلى الشوارع، صدمهم بشدة عنف الدولة وبطش ووحشية النظام المستمرة. ولكن أن تتذوق الناس هذه الحرية الجديدة لهو أمر مربك.. كيف يمكن لشعب عاش تحت الحكم الديكتاتوري كل هذه الفترة الطويلة أن يخطط لثورته؟ نحن، في الغرب، نسينا هذا.. هذه الأمور عندنا جزء من أنظمتنا الاجتماعية لدرجة أن كل شيء في مستقبلنا مُعد في برنامج. مصر عاصفة رعدية ليس لها اتجاه، فيض من التعبير الشعبي لا يتوافق بدقة مع ما قرأناه في كتب تاريخنا الثوري أو علم أرصادنا الجيوسياسية".

إن ما يتحدث عنه الأستاذ روبرت فِسك هو ما وجدناه بالفعل ، فأغلبية الشعب المصري ليست مثقفة سياسيا، وليس لديها الجرأة الفكرية لتناول الأمور السياسية، ومن ثم فإن النتيجة أننا سنجد من يشعر بالارتباك الشديد بمجرد أن يشعر بالمسؤولية والسلطة في يده، ولن يتمكن من إدارة اللحظة وفقا لأسس سليمة ومدروسة. وهذه كانت نقطة الخلاف بين جيل ممدوح حمزة وجيل ائتلاف شباب الثورة، فالشباب كان عليهم تقديم التضحيات وتجاوز التحديات وإبراز مطالبهم ومبادئ ثورتهم، وفي المقابل على الكبار إدارة المرحلة فعليا، لكن هذا لم يحدث. ولا أعلم لماذا تأخر الدكتور محمد سليم العوا في هذا التوقيت الحرج، كان عليه أن يفطن الشباب إلى ضرورة تشكيل حكومة ائتلافية فورية حتى ولو بدون اتفاق جماعي،

المهم أن تكون الحكومة تحت بصر شباب الثورة وتوجيهاتهم ليتم إعلان أسمائهم وتوجيه بيان لسفارات الدولة الخارجية للاعتراف بالحكومة الانتقالية ، لكن هذا لم يحدث حتى الآن، وما زلنا نصرخ " الشعب يريد إسقاط النظام" برغم أنه سقط فعليا في أول لحظة تم فيها مد الاعتصام إلى المؤسسات الرئاسية والسيادية، وهو ما شكل حصارا جماهيريا للنظام والدولة، فلم تعد هناك حاجة متبقية لاستمرار الصراخ بسقوط النظام، بل كانت الضرورة ماسة لتشكيل هيكل سياسي يتولى إدارة المرحلة.

بينما كانت قيادة الجيش في حالة استنفار وصراع داخلي مع مبارك ونظامه للبحث عن حل للخروج من الأزمة، ففى الساعة الخامسة مساء الأربعاء ٩ فبراير تواجد جميع أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة في مقر الأمانة العامة لوزارة الدفاع، وعقدوا اجتماعا مطولا استغرق عدة ساعات، وكان انصرافهم قرابة الرابعة صباحا فجر اليوم الخميس، لم يكن مقررا أن يعقدوا اجتماعات يوم الخميس ١٠ فبراير، ومع تصاعد مطالب الشارع بشكل لافت للنظر، وبدء الاستعدادات لجمعة "الزحف"، استدعت الأمانة العامة لوزارة الدفاع أعضاء المجلس لاجتماع بدأ في الثالثة عصرا، لم يحض الاجتماع رئيس الجمهورية ونائبه عمر سليمان، برغم كون الرئيس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة، وجرد انعقاد المجلس العسكري بدون مبارك فهذا لا يعني مجرد تحديد موقف من الثورة والشعب فقط، بل خطوة ومرحلة مفصلية تبادر بها قيادة الجيش للفصل بين طرفي الصراع (النظام والشعب) ، واستغرق ساعتين وكان القرار النهائي والحاسم في هذا التوقيت ضرورة رحيل مبارك، وبدأ يتساقط عدد ممن كانوا حول الرئيس، إلا أنه حاول أن يتمسك بالأمل الأخير وفوض صلاحياته لنائبه عمر سليمان، في محاولة منه لتحقيق ما سماه "الاطمئنان على مستقبل البلد".

و أصدر المجلس العسكري في اجتماعه البيان رقم (١)، والذي جاء فيه :

" انطلاقا من مسئولية القوات المسلحة والتزاما بحماية الشعب ورعاية مصالحه وأمنه وحرصا عن سلامة الوطن والمواطنين ومكتسبات شعب مصر العظيم وممتلكاته، وتأكيدا وتأييدا لمطالب الشعب المشروعة، انعقد اليوم الخميس الموافق ١٠ فبراير ٢٠١١ المجلس الأعلى للقوات المسلحة لبحث تطورات الموقف حتى تاريخه، وقرر المجلس الاستمرار في الانعقاد بشكل متواصل لبحث ما يمكن اتخاذه من إجراءات وتدابير للحفاظ على الوطن ومكتسبات وطموحات شعب مصر العظيم ".

وكان واضحا بالنسبة للجميع إلى هذا الحد بأن مبارك قد تنحي فعليا عن الحكم ولو لم يعلن عن خطابه بعد.. فما كان للقوات المسلحة أن تلوح بهذه الورقة أو أن ينعقد مجلسها الأعلى بدون مبارك وتخرج الصور الإعلامية واضحة بالرسالة، إلا في حالة أنه تنحى عن الحكم أو أن الجيش قد اضطره لذلك استجابة لمطالب الشعب.. وكانت هذه هي اللحظة المناسبة لإعلان الميدان هيكله السياسي كاملا، فمجرد الإعلان

عن تشكيل الهيكل السياسي الذي يستعد لتولي إدارة المرحلة الانتقالية، هـو في حـد ذاتـه ورقـة قويـة للضغط على النظام دون أن تكون مخصصة لهذا الدور، بل يأتي دورها عند استلام السلطة قبل رحيلـه، أمـا ما حدث أن القوى الثورية وكبار الشخصيات ارتكنت إلى وصاية المجلس العسكري على مطالب الثورة.

وصلة خارجية: البيان رقم (١) من المجلس الأعلى للقوات المسلحة ١٠-٢-٢٠١١

https://www.youtube.com/watch?v=jluqcBJsKMg



(٢٧)

خطاب التفويض

مساء الخميس ١٠ فبراير ٢٠١١

كان الجو خانقا وقد نفد الصبر لدرجة أشعرتنا بالملل، فلا جديد تحت الشمس، وقاربت جعبة إبداعاتنا على النفاد.. وما زال الانتظار مستمرا.. حتى أن الكاتب البريطاني " روبرت فِسك" كتب في هذا اليوم يقول: الأسبوع الثالث يفتقر لرومانسية ووعد "يوم الغضب" والمعارك العظيمة مع البلطجية المأجورين لوزارة الداخلية المصرية، ولحظة، كانت فقط من أسبوع مضى، رفض فيها الجيش أوامر مبارك بأن يسحق بالمعنى الحرفي الشعب في ميدان التحرير. هل سيكون هناك الأسبوع السادس أو اليوم الاثنين والثلاثاء؟ هل ستكون الكاميرات لازالت هناك؟ وهل ستكون الناس؟ هل سنكون نحن؟ الأمس أثبت أن تنبؤاتنا خاطئة مرة أخرى. ولكن سيكون عليهم أن يتذكروا أن الأظافر الحديدية للنظام قد نمت طويلا في الرمال، لتصير أعمق من الأهرام، وأقوى من الأيديولوجيا. لم نر بعد آخر ما لدى هذا المخلوق العجيب. ولا رأينا آخر انتقامه".

كان الأستاذ روبرت فِسك يخشى على الشعب من هذا المخلوق الاستثنائي ويتعجب من صلابة أظافره الحديدية التي غرسها في أعماق الدولة حتى صارت أعمق من قواعد الهرم.. وبالفعل كان مبارك ونظامه شديد الدهاء في لعبته الدرامية مع الشعب،وربما كان يستعين بمستشارين في كل مجالات الحياة؛ ذلك لأننا جميعا لاحظنا أنه يقلي بياناته جميعها في منتصف الليل، برغم أن هذه الخطابات جميعا تم تسجيلها في وقتٍ مبكر من اليوم، وفقط يتم تأخير إذاعة الخطاب إلى منتصف الليل.. هناك لغز يجب ألا يعبر بصمتٍ على عقولنا، لماذا يتم تسجيل الخطاب في العاشرة صباحا ثم يتم إرجاء بثه إلى منتصف الليل؟ ولماذا يتكرر هذا السيناريو مع كل الخطابات؟ حتى رغم تعرض خطاباته للانتقاد الشديد بسبب تأخيرها؟

هناك نظرية خطيرة يدركها علم النفس السياسي؛

إذ أن الإنسان في النصف الأول من اليوم يكون ماديا وعقلانيا منطقيا وعمليا متزنا في فكره، أما في النصف الثاني من اليوم، فيميل إلى الرومانسية أكثر والعاطفة والاحتفالات وسماع الموسيقى أو ترتيل الآيات والاستمتاع الجمالي بها، ولا يكون على استعداد نفسي للجدل والمناقشة بعقلانية وواقعية أو إعمال ميزان العقل كما في وقت الضحى. وقد لاحظ قساوسة الكنائس هذه الظاهرة بوضوح، لاحظوا أن الإنسان في النصف الأول من اليوم يكون لديه الاستعداد النفسي للجدل والمناقشة بشكل عملي واقعي وعقلاني، وأنه يكون رومانسيا وعاطفيا في النصف الآخر من اليوم والساعات الأولى من الليل، فعمد قساوسة الكنائس إلى

استغلال هذه الظاهرة البشرية في ترويض عقول المصلين في الكنائس واحتوائها شعوريا، كي يتمكنوا من السيطرة الروحانية عليهم وإيصال رسائلهم إلى جمهور المصلين، دون معاناة من المناقشات الجدلية والتدخل بمنطق العقلانية والواقعية من جمهور المصلين؛ لأن الصلاة في الكنائس تكون عادة في النصف الأول من اليوم (ما بين العاشرة صباحا والواحدة ظهرا)، فاتجه الرؤساء الدينيين في الكنائس إلى عملية الإيحاء الوهمي للعقل البشرى بأنه في النصف الأخير من اليوم بالاعتماد على الإيحاء العاطفي كي يسيطر على الإنسان الشعور بدلا عن الفكر المادي العقلاني والمنطقي؛ لذا، تأمر الكنائس بغلق الأبواب والنوافذ وإطفاء الأنوار وإضاءة الشموع فقط للإيحاء بجو الهدوء الرومانسي والصفاء الروحي الليلي؛ كي يشعر المصلين بأنهم في حالة من السكينة والرومانسية التي تحل على الإنسان في المساء والتي تساعد على التلاوة الدينية وسماع الموسيقى الهادئة وعدم التفكير والمعارضة أو المناقشة الجدلية العقلانية، وإطاعة الأوامر بشكل روحاني وعاطفي.

وكذلك لجاء الزعيم النازي " أدولف هتلر" إلى استخدام ذات النظرية واستغلال تلك الظاهرة البشرية في التحايل على جمهوره من المواطنين لإقناعهم بأفكاره وتوجهاته السياسية، دون معارضة أو مناقشة منهم، فكان يحرص في كل مرة ـ لعدم تمرير خطبه السياسية على العقل، ومن ثم قبولها بصيغة رومانسية عاطفية روحية ـ يحرص علي أن تعقد مؤتمراته في النصف الأخير من اليوم أو في ساعات الليل؛ كي يكون العقل البشرى في قمة التسامح والرومانسية، ويتقبل الأمور ببساطة ويكون غير قادر نفسيا على وزن الكلام بميزان عقلاني بارد يدفعه إلى الجدل والمناقشة أو المعارضة، وقد نجح بالفعل هتلر في غرس أفكاره ومبادئه النازية اعتمادا على فكرة التحايل على العقل البشرى، مستغلا بلاغته وخطابه الحماسيَ في السيطرة على مشاعرهم، وإلقاء قنابله الدهنية والعاطفية في وجه الجمهور دون أن يترك لهم فرصة لإعمال عقولهم فيما يسمعونه(١٨). فكان هتلر حريصا على أن يستأجر قاعات مؤتمراته خلال الفترة المسائية فقط، حتى وإن اضطر لتأجيل المؤتمر، ولم يستخدم هتلر هذه السياسة فقط في المؤتمرات الشعبية المفتوحة، بل كذلك في مؤتمراته الحزبية المغلقة التي كان يعقدها أعضاء حزبه السياسي.وبالطبع لم يكن هذا الحدث هو أول توظيفٍ لعلم النفس السياسي في التاريخ، فقد استخدمه وزير الإسكندر الأكبر لتهدئة لوعة الهزيمة التي مُني بها جيشه في شرقي آسيا ، ولا زال السياسيون يسيطرون على عقول الجماهير لاحتوائها بالطرق ذاتها حتى يومنا هذا.

١٨ـ أشار الزعيم النازي " أدولف هتلر" في كتابه " كفاحي" إلى هذه النظرية وكيف استغلها هو في السيطرة على عقول جمهوره من السياسيين، وكيف استطاع خداعهم ببلاغته وخطابه الحماسي في جو رومانسي لا عقلاني.

وما يؤكد ذلك هو الدراسة الحديثة التي أجراها باحثون بجامعة برنستون البريطانية تحت عنوان : مستخدمو "تويتر" عقلانيون في الصباح.. وعاطفيون في المساء ، ونشرت نتائجها مجلة "بلوس وان" العلمية، حيث أظهرت الدراسة بعد تحليل تغريدات مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي "تويتر"، أن أغلب الناس تميل إلى التفكير العقلاني والتحليلي في الصباح، ويصبحون أكثر عاطفية واندفاعا في المساء.حيث قام الباحثون بفحص وتحليل أكثر من ٨ مليارات كلمة بثها أكثر من ٨٠٠ مليون مستخدم على موقع التدوينات الصغيرة "تويتر". قام خبير الذكاء الاصطناعي، نيلو كريستياني، وزملاؤه في الجامعة بتقييم أخبار محللة على "تويتر" من أكثر من ٥٤ مدينة رئيسية في بريطانيا على مدى ٤ سنوات، حيث تم تصنيف التغريدات على أساس ٧٣ مؤشرا ترتبط بأنماط التفكير المختلفة.

توصلت الدراسة إلى أن رسائل "تويتر" في ساعات الصباح تحتوي على أكبر قدر من الكلمات المرتبطة بالتفكير المنطقي والذكاء والتعليم. كما تسجل الكلمات التي تشير إلى المفاضلة والقوة حضورا كبيرا في رسائل هذا التوقيت. بينما يتغير نمط الحديث على "تويتر" في المساء والليل، ليصبح أكثر عاطفية واندفاعا، وغالبا ما يكون أكثر اجتماعية خلال الساعتين ٣ و٤ بعد الظهر، تكون الكلمات المعبرة عن التفكير الوجودي والعواطف الإيجابية الأكثر حضورا. وبشكل عام، فإن الدراسة أظهرت أن استخدام اللغة يتغير بقوة وبصورة يمكن التنبؤ بها وفقا لأوضاع جسم الإنسان على مدار اليوم، ويتوافق مع الاختلافات في الأنشطة العصبية ومستوى الهرمونات في الدم،نظرا إلى إن إيقاع الساعة البيولوجية جزء من أغلب أجهزة الجسم البشري (١٩).

حاول مبارك أن يستفيد من نظرية علم النفس ليتحايل على الشعب ويسترضيه ويستعطفه.كان مبارك يلعب بذكاءٍ شديدٍ للغاية، لكن خانه ذكاءه الشديد؛ لأن النظرية تشير إلى أن قمة الرومانسية والعاطفية التي تسيطر على العقل البشري تكون في المساء، أي ساعة غروب الشمس والساعات الأولى من المساء، لكن مبارك بالغ في محاولة الاستفادة من ذكائه فقام بترحيل خطاباته إلى منتصف الليل حتى تكون عقول الشعب قد غمرتها الرومانسية وأسكرها الحس العاطفي، لكنه لم يدرك أن لهذه الخصيصة النفسية في العقل قمة محددة، حيث يبدأ العقل صعوده الرومانسي بعد صلاة الظهر مباشرة، ويصل قمة الرومانسية مع دخول الليل، ثم يعود إلى مرحلة الهبوط العاطفي مرة أخرى، وتنتهي تلك الحالة المزاجية

١٩ـ خبر عن الدراسة منشور على موقع جريدة الشروق المصرية بتاريخ الأحد ١٥ يوليو ٢٠١٨ على الرابط التالي:

http://www.shorouknews.com/mobile/news/view.aspx?cdate=15072018&id=5818a598-d055-4937-a379-30bf9e888854&utm_source=Speakol_Ads&utm_medium=referral&did=318&lid=0&box_id=12

الرومانسية في تمام الثانية عشر منتصف الليل، فتكون الرومانسية قد نضبت وجفت منابعها في الدماغ ليبدأ يوم جديد يصل قمته العقلانية تبادليا في ساعات الضحى. وهو ما يعني أن مبارك حاول الاستفادة من النظرية بالفعل ولكن بسبب مبالغته في خداع شعبه خدع نفسه وفقد ميزة النظرية، فكان يقوم بتسجيل خطاباته في الصباح بعد تخطيط وتحضير ودراسة جيدة بمعرفة إبنه جمال، ثم يطرح الشريط جانبا طوال النهار، ليقوم جمال بوضعه في ماكانيات البث الإذاعي على الهواء مباشرة منتصف الليل.. (إشارة: لقد تم رصد وتأسيس وتفصيل النظرية بدقة في كتابنا الأول: الفيزياء البشرية.)

ونتيجة الانتقادات الحادة التي وجهت إلى خطاباته بسبب تأخيرها لمنتصف الليل، حاول تقريب المسافة نسبيا قدر المستطاع بحيث لا يفقد الاستفادة من نظرية علم النفس السياسي، و قرابة العاشرة مساءا كان قد طال انتظار خطاب التنحي.. وحينما أعلن التليفزيون المصري عن خطاب الرئيس مبارك سعى الشباب على تجهيز شاشات العرض في الميدان وضبط الترددات وسعي كل واحد للاحتفاظ بمكانه قرب شاشة العرض.. الجميع في سكون تام وتأهب وانتظار لما طال انتظاره.. وجاء خطاب الرئيس على النحو التالي :



الأخوة المواطنون؛ الأبناء شباب مصر وشاباتها ، أتوجه بحديثي اليوم لشباب مصر بميدان التحرير ، وعلى اتساع أرضها، أتوجه إليكم جميعا بحديث من القلب، حديث الأب لأبنائه وبناته، أقول لكم ؛ إنني أعتز

بكم رمزا لجيل مصري جديد يدعو إلى التغيير إلى الأفضل، ويتمسك به، ويحلم بمستقبل أفضل، ويصنعه.. أقول لكم قبل كل شيء، إن دماء شهدائكم وجرحاكم لن تضيع هدرا، وأؤكد أنني لن أتهاون في معاقبة المتسببين عنها، بكل الشدة والحزم. وسأحاسب الذين أجرموا في حق شبابنا، بأقصى ما تقرره أحكام القانون، من عقوباتٍ رادعة، وأقول لعائلات هؤلاء الضحايا الأبرياء؛ إنني تألمت كل الألم مثلكم وأوجع قلبي ما حدث لهم، كما أوجع قلوبكم.. أقول لكم إن استجابتي لصوتكم ورسالتكم ومطالبكم هو التزام لا رجعة فيه. وإنني عازم كل العزم على الوفاء بما تعهدت به بكل الجدية والصدق، وحريص كل الحرص على التنفيذ دون ارتدادٍ أو عودة إلى الوراء.

إن هذا الالتزام ينطلق من اقتناع أكيد، بصدق ونقاء نواياكم وتحرككم، ولأن مطالبكم هي مطالب عادلة ومشروعة. فالأخطاء واردة في أي نظامٍ سياسيٍ، وفي أي دولة، لكن المهم هو الاعتراف بها وتصحيحها في أسرع وقتٍ ومحاسبة المتسببين فيها. وأقول لكم أنني كرئيسٍ للجمهورية، لا أجد حرجا أو غضاضة أبدا في الاستماع لشباب بلادي، والتجاوب معه، لكن الحرج كل الحرج والعيب كل العيب، وما لم ولن أقبله أبدا أن أستمع لإملاءاتٍ أجنبية تأتي من الخارج أيا كان مصدرها وأيا كانت ذرائعها أو مبرراتها.

الأبناء؛ شباب مصر، الأخوة المواطنون؛ لقد أعلنت بعباراتٍ لا تحتمل الجدل أو التأويل عدم ترشحي للانتخابات الرئاسية المقبلة مكتفيا بما قدمته من عطاءٍ للوطن، لأكثر من ستين عاما في سنوات الحرب والسلام. أعلنت تمسكي بذلك وأعلنت تمسكا مماثلا وبذات القدر بالمضي في النهوض بالمسؤولية في حماية الدستور ومصالح الشعب حتى يتم تسليم السلطة والمسؤولية لمن يختاره الناخبون في شهر سبتمبر المقبل في انتخابات حرة ونزيهة توفر لها الضمانات والحرية والنزاهة. ذلك هو القسم الذي أقسمته أمام الله والوطن، وسوف أحافظ عليه حتى نبلغ بمصر وشعبها بر الأمان.

لقد طرحت رؤية محددة للخروج من الأزمة الراهنة، ولتحقيق ما دعا إليه الشباب والمواطنون بما يحترم الشرعية الدستورية ولا يقوضها، وعلى نحوٍ يحقق استقرار مجتمعنا ومطالب أبنائه ويطرح في ذات الوقت إطارا متفقا عليه للانتقال السلمي للسلطة. من خلال حوارٍ مسئول بين كافة قوى المجتمع وبأقصى قدرٍ من الصدق والشفافية. طرحت هذه الرؤية ملتزما بمسؤوليتي في الخروج بالوطن من هذه الظروف العصيبة، وأتابع المضي في تحقيقها أولا بأول بل ساعة بساعة متطلعا لدعم ومساندة كل حريص على مصر وشعبها كي ننجح في تحويلها لواقع ملموس، وفق توافقٍ وطنيٍ عريض ومتسع القاعدة تسهر على ضمان تنفيذه قواتنا المسلحة الباسلة.. لقد بدأنا بالفعل حوارا وطنيا بناءً يضم شباب مصر الذين قادوا الدعوة إلى التغيير، وكافة القوى السياسية، ولقد أسفر هذا الحوار عن توافقٍ مبدئي في الآراء والمواقف يضع أقدامنا على بداية الطريق

للخروج من الأزمة ويتعين مواصلته للانتقال به من الخطوط العريضة لما تم الاتفاق عليه إلى خريطة طريقٍ واضحة وبجدولٍ زمني محدد. تمضي يوما بعد يومٍ على طريق الانتقال السلمي للسلطة من الآن وحتى سبتمبر القبل.

إن هذا الحوار الوطني قد تلاقى حول تشكيل لجنة دستورية تتولى دراسة التعديلات المطلوبة في الدستور وما تقتضيه من تعديلاتٍ تشريعية. كما تلاقى حول تشكيل لجنة للمتابعة تتولى متابعة التنفيذ الأمين لما تعهدت به أمام الشعب، ولقد حرصت على أن يأتي تشكيل كلتا اللجنتين من الشخصيات المصرية المشهود لها بالاستقلال والتجرد، ومن فقهاء القانون الدستوري ورجال القضاء. وفضلا عن ذلك، فإنني إزاء ما فقدناه من أبنائنا من شهداء مصر في أحداث مأساوية حزينة أوجعت قلوبنا وهزت ضمير الوطن، فأصدرت تعليماتي بسرعة الانتهاء من التحقيقات حول أحداث الأسبوع الماضي وإحالة نتائجها على الفور إلى النائب العام ليتخذ بشأنها ما يلزم من إجراءات قانونية رادعة.

ولقد تلقيت بالأمس التقرير الأول في التعديلات الدستورية ذات الأولوية المقترحة من اللجنة التي شكلتها من رجال القضاء وفقهاء القانون لدراسة التعديلات الدستورية والتشريعية المطلوبة. وإنني، تجاوبا مع ما تقرره اللجنة من مقترحات، ومقتضى الصلاحيات المخولة لرئيس الجمهورية وفقا للمادة ١٨٩ من الدستور، فقد تقدمت اليوم بطلب تعديل ست موادٍ دستورية، هي المواد ٧٦ و ٧٧ و ٨٨ و ٩٣ و ١٨٩ فضلا عن إلغاء المادة ١٧٩ من الدستور مع تأكيد الاستعداد للتقدم في وقتٍ لاحق بطلب تعديل المواد التي تنتهي إليها هذه اللجنة الدستورية وفق ما تراه من الدواعي والمبررات. وتستهدف هذه التعديلات وفق الأولوية تيسير شروط الترشح لرئاسة الجمهورية واعتماد عددٍ محدد لمدد الرئاسة تحقيقا لتداول السلطة وتعزيز ضوابط الإشراف على الانتخابات ضمانا لحريتها ونزاهتها، كما تؤكد اختصاص القضاء وحده بالفصل في صحة عضوية أعضاء البرلمان، وتعدل شروط وإجراءات طلب تعديل الدستور. أما الاقتراح بإلغاء المادة ١٧٩ من الدستور فإنه يستهدف تحقيق التوازن المطلوب بين حماية الوطن من مخاطر الإرهاب وضمان احترام الحقوق والحريات المدنية للمواطنين بما يفتح الباب أمام إيقاف العمل بقانون الطوارئ فور استعادة الهدوء والاستقرار وتوافر الظروف المواتية لرفع حالة الطوارئ.

الأخوة المواطنون؛ إن الأولوية الآن هي استعادة الثقة بين المصريين بعضهم البعض والثقة في اقتصادنا وسمعتنا الدولية والثقة في أن التغيير والتحول الذي بدأناه لا ارتداد عنه أو رجعة فيه. إن مصر تجتاز أوقاتا صعبة لا يصح أن نسمح باستمرارها فيزداد ما ألحقته بنا وباقتصادنا من أضرارٍ وخسائر يوما بعد يوم وينتهي بمصر الأمر لأوضاع يصبح معها الشباب الذين دعوا إلى التغيير والإصلاح أول المتضررين منها..إن اللحظة

الراهنة ليست متعلقة بشخصي، ليست متعلقة بحسني مبارك، وإنما بات الأمر متعلقا بمصر في حاضرها ومستقبلها، إن المصريين جميعا في خندقٍ واحد الآن وعلينا أن نواصل الحوار الوطني الذي بدأناه بروح الفريق وليس الفُرقاء ، وبعيدا عن الخلاف والتناحر كي نتجاوز بمصر أزمتها الراهنة، ولنعيد لاقتصادنا الثقة فيه، ولمواطنينا الاطمئنان والأمان، وللشارع المصري حياته اليومية الطبيعية.

لقد كنت شابا مثل شباب مصر الآن عندما تعلمت شرف العسكرية المصرية والولاء للوطن والتضحية من أجله، أفنيت عمرا دفاعا عن أرضه وسيادته، شهدت حروبه بهزائمها وانتصاراتها ، عشت أيام الانكسار والاحتلال، وأيام العبور والنصر والتحرير، أسعد أيام حياتي يوم رفعت علم مصر فوق سيناء، واجهت الموت مراتٍ عديدة طيارا وفي أديس أبابا وغير ذلك كثير ، لم أخضع يوما لضغوطٍ أجنبية أو إملاءات، حافظت على السلام، عملت من أجل أمن مصر واستقرارها، اجتهدت من أجل نهضتها ومن أجل أبنائها ، لم أسع يوما لسلطة أو شعبية زائفة.. أثق أن الأغلبية الكاسحة من أبناء الشعب يعرفون من هو حسني مبارك، ويحز في نفسي ما ألاقيه من بعض بني وطني. وعلى أية حال، فإنني إذ أعي تماما خطورة المفترق الصعب الحالي، واقتناعا من جانبي بأن مصر تجتاز لحظة فارقة في تاريخها تفرض علينا جميعا تغليب المصلحة العليا للوطن، وأن نضع مصر أولا فوق أي اعتبار وكل اعتبارٍ آخر.

فقد رأيت تفويض نائب رئيس الجمهورية في اختصاصات رئيس الجمهورية على النحو الذي يحدده الدستور، إنني أعلم علم اليقين أن مصر سوف تتجاوز أزمتها، ولن تنكسر إرادة شعبها، ستقف على أقدامها من جديد بصدق وإخلاص أبنائها، كل أبنائها وسترد كيد الكائدين وشماتة الشامتين. سنثبت نحن المصريين قدرتنا على تحقيق مطالب الشعب بالحوار المتحضر والواعي، سنثبت أننا لسنا أتباعا لأحد ولا نأخذ تعليماتٍ من أحد، وأن أحدا لا يصنع لنا قراراتنا سوى نبض الشارع ومطالب أبناء الوطن، سنثبت ذلك بروح وعزم المصريين، ووحدة وتماسك هذا الشعب، وبتمسكنا بعزة مصر وكرامتها وهويتها الفريدة والخالدة، فهي أساس وجودنا وجوهره لأكثر من سبعة آلاف عام. ستعيش هذه الروح فينا ما دامت مصر ودام شعبها، ستعيش في كل واحدٍ من فلاحينا وعمالنا ومثقفينا ، ستبقى في قلوب شيوخنا وشبابنا وأطفالنا ، مسلميهم وأقباطهم وفي عقول وضمائر من لم يولد بعد من أبنائنا.

أقول من جديد؛ أنني عشت من أجل هذا الوطن، حافظا لمسؤوليته وأمانته، وستظل مصر هي الباقية فوق الأشخاص وفوق الجميع ، ستبقى حتى أسلم أمانتها ورايتها هي الهدف والغاية، والمسؤولية والواجب، بداية العمر ومشواره ومنتهاه، وأرض المحيا والممات، ستظل بلدا عزيزا لا يفارقني أو أفارقه حتى يواريني ترابه وثراه،

وستظل شعبا كريما يبقى أبد الدهر مرفوع الرأس والراية موفور العزة والكرامة.. حفظ الله مصر بلدا آمنا ورعى شعبه وسدد على الطريق خطاه.."

جاءت المفاجأة للمرة الثالثة على التوالي، أن بدأ خطاب التنحي المنتظر بكلمة " الأخوة المواطنون " كالعادة ثم توجه بخطابه إلى شباب وفتيات مصر ومواطنيها.. وكما هو معهودٍ عن حسني مبارك التزامه الشديد بضوابط الخطاب السياسي وقواعد اللغة العربية.كُنّا نقف في زحامٍ شديد بميدان التحرير، والجميع منصتون إلى شاشة العرض، لم يعد هناك سياسيين مخضرمين ينتظرون تحليل الخطاب.. الناس العاديون الذين لا يملكون خطابا سياسيا رفعوا أحزيتهم في وجه الشاشة بمجرد أن سمعوا عبارة " تفويض" بدلا عن عبارة " تنحي" .. وكما قال زميلنا عمرو عز: " الخميس ده مشهد الجزم، أكثر مشهد معبر في الثورة..المشهد ده أكثر مشهد صامت، هو مش صامت لكنه أبلغ من الكلام معبر بالصمت، معبر بفعل".

وقد تناول خطابه موضوعات من شأنها أن تؤثر على الوتر الحساس في نفوس الكثير من أبناء الشعب المصري خاصة ذوي النفسية المازوخية الذين يهوون الانبطاح ويبالغون في التعاطف حتى مع جلاديهم وناهبي ثرواتهم. وبرغم أنه تكرم في الحديث عن شهداء الثورة، وهو اعتراف بالثورة وتضحياتها ومطالبها المشروعة، لكنه تحدث عن بطولاته أكثر من بطولات الثورة،وجاء بعد فوات المعاد، فلم تعد له قيمة فعلية؛ إذ سبقه الشباب في كسب قلوب الملايين بالصور والحكايات والبطولات التي قدموها للجمهور عن الشهداء في ميدان التحرير. هذا بالنسبة للشق الأول من خطابه.

أما في الشق الثاني فقد تناول تعديلات دستورية لم تكن أصلا على قائمة مطالب الثورة، يبدو أنه ليس لديه ما يقدمه؛ إذ أن انتفاضة الشباب منذ البداية قامت ضد القمع البوليسي والفساد الاقتصادي، وقد تجاهل الخطاب هذه المطالب الملحة، وفي محاولة منه لالتماس العفو والتوسل لبقائه تسعة أشهر في منصبة حتى الانتخابات القادمة؛ طرح رحيلا جزئيا تمثل في تفويض نائبه عمر سليمان في ممارسة صلاحيات رئيس الجمهورية، وهذا مجرد هراء لأن من بيده منح التفويض سيكون بيده سحبه بمجرد رجوع الشباب إلى منازلهم، غير أنه لم يلتفت إلى حقيقة بارزة وهي أن وجه عمر سليمان يبقى" غير مرغوبا فيه" ، وليس بإمكان عمر سليمان أن يسكّن جروح المصريين لأنه ذا تركيبة عقله أمنية وخلفية مخابراتية أي من ذات المؤسسة التي ثار عليها الشعب. هذا بغض النظر عن الموجة الساخرة من التصريحات التي أطلقها عمر سليمان على شعب مصر خلال الأيام الماضية على غرار أن الشعب المصري لا يصلح للممارسة الديمقراطية،

فرد عليه شباب الميدان بسؤال، وهل تصلحون أنتم لحكم مصر؟ لكن عمر سليمان لم يجب حتى يومنا، ومع ذلك استمر غباء مبارك في طرحه كنموذج مفضل وبديل لفكرة الرحيل!

وأما في الفقرة الأخيرة من خطابه فقد حاول دغدغة مشاعر الشعب برحلة حياته وانتصاراته والمخاطر التي تعرض لها، في محاولة لكسب بعض القلوب التي تمكنه من حفظ ماء الوجه بعيدا عن الأمر بالرحيل، في محاولة للاستفادة بالقدر المستطاع من نظرية علم النفس السياسي.. لكن الخطاب في المجمل جاء دون المستوى ومخيبا للآمال لأنه خلا من عبارة "التنحي"، وظهرت فيه بوضوح آثار عمليات المونتاج التي جعلته بعيدا عن الترابط والوضوح، وأدخلت عليه تعديلات عديدة، لدرجة أن كثرة التعديلات التي تم إدخالها عليه أفرغته من مضمونه، وتدخل أكثر من "مقص" قبل عرض الخطاب لحذف بعض العبارات، وبدا واضحا أن هناك تلاعب من جماعات المصالح المتعارضة داخل مؤسسة الرئاسة، وبالتالي لفتت هذه التعديلات انتباه الجمهور أكثر من فحوى الخطاب المكرر نفسه، وهذا ما تسبب في رفضه،. وكان يجب أن تكون هناك استجابة واضحة لمطلب الشعب في هذا الخطاب. (إشارة: ذكر مبارك في مذكراته فيما بعد أنه لم يكن مسئولا عن أي شيء بعد يوم الأربعاء الدامي ٢ فبراير، ولم يعد أية خطابات ولم يصدر أي أوامر أو تعليمات، فقط وقف في هذا اليوم أمام الكاميرا لقراءة الخطاب الذي أعده جمال إبنه وذكريا عزمي رئيس الديون وأنس الفقي وزير الإعلام).

غير أن جميع من في الميدان رفعوا أحذيتهم عالية عندما سمعوا كلمة تفويض في موضع كلمة " أتنحى " المنتظرة.. فكان الخطاب صادما للغاية والكثيرون أصيبوا بالإحباط وخيبة الأمل، لكن الأكثر حظا هو زيادة جرعات من الصمود والإصرار. ففي هذه الليلة لم يغادر أحد الميدان رغم برودة الليل وتساقط الأمطار، الجميع أصر على الصمود مهما كانت الظروف خاصة للمشاركة في مسيرات "جمعة الزحف" المرتقبة غدا، والتي كان من المخطط لها أن تتحرك مسيرات من ميدان التحرير لمحاصرة قصور الرئاسة ومقار الوزارات والهيئات السيادية في مصر لإجبار النظام الحاكم على الرحيل..

سقطت بين الجماهير بعض حالات الإغماء والهبوط نتيجة الصدمة، وتم استدراكها في الحال، لكن كثيرين بدؤوا في إعداد شؤونهم للزحف ومحاصرة القصور الرئاسية..ولم يمر وقت طويل من الصمت حتى عادت الإذاعات إلى وضعها الثوري قبل الخطاب.. وقد خففت كلمات أغنياتها من وطأة الصدمة في الميدان.. وعادت روح الثورية والتفاؤل للجميع وذهب الصمت.. وفي ذلك الوقت كانت مجموعة الدكتور سليم العوا قد اعتلت منصة الإذاعة وكان الدكتور المستشار أحمد مكي قد وصل الميدان لتوه وتحدث إلى الشباب وهنأهم بثورتهم وتبعته كلمة المستشار محمود الخضيري التي تحدث فيها عن عملية المونتاج التي دخلت على خطاب

الرئيس وحولته من خطاب للتنحي إلى التفويض.. كانت معلوماته ساخنة تسربت لتوها من داخل المطبخ السياسي.. وتحدث كذلك عن احتمال وجود انقسام ما بين مجموعتين الأولى ومن بينها قادة الجيش يؤيدون مشروع التنحي رضوخا لطلبات الشعب، أما المجموعة الثانية التي تضم عمر سليمان والفريق أحمد شفيق وجمال مبارك وأنس الفقي وسوزان وذكريا عزمي.. وهذه المجموعة هي التي سعت إلى تغيير الخطاب من التنحي إلى التفويض في اللحظات الأخيرة.. لكن على أي حال فهو بمثابة عملية استكشاف لردود الأفعال الشعبية قبل مسيرة جمعة الزحف المرتقبة غدا..

وجاء دور العلامة الدكتور سليم العوا الذي تحدث في كلمته عن المجلس الرئاسي المرتقب والحكومة الانتقالية أو حكومة الإنقاذ الوطني كما أطلق عليها.. وكانت هذه المرحلة الأخيرة من مراحل الثورة التي تنتهي بتشكيل مجلس رئاسي وحكومة تكنوقراط (تسيير أعمال) أو حكومة انتقالية تتولى إدارة شئون البلاد حتى يتم انتخاب مجلس نواب ورئيس للجمهورية..وكان من بين المخطط هو إجراء استفتاء شعبي عام في ميدان التحرير وكافة ميادين مصر من أجل اختيار أعضاء المجلس الرئاسي والحكومة الانتقالية ومن ثم مطالبة الدول الخارجية بالاعتراف بالحكومة الانتقالية أي سقوط شرعية النظام الحاكم الآن.. وهناك فرق شاسع بين المطالبة برحيل نظام وبين المطالبة بالاعتراف بشرعية نظام جديد.

وكانت الدعوة إلى مسيرة الزحف على قصور الرئاسة باتت الخيار الأوحد للخلاص من النظام وإجباره على الرحيل والاستجابة لمطالب الشعب الثائر.. ونتيجة لذلك وفي ظل الصدمة التي جاء بها الخطاب الأخير وما حمله إلى الشعب من الصلف والغرور والكبرياء، وهو ما دفع الجميع لقضاء ليلهم في حلقات السمر والحديث حول التداعيات الأخيرة وما يمكن أن تؤول إليه مسيرة الزحف إلى مؤسسات الرئاسة والهيئات السيادية.. فيما اجتمع شباب الائتلاف لتنظيم مسيرات الزحف وتأمينها حتى وصولها إلى القصر الجمهوري وقصر العروبة وماسبيرو ومجلسي الشعب والشورى.. وهنا وقع الخطأ الكارثي.

كان نشاط الشباب رغم وعيهم وثقافتهم ينحصر في عنصر المواجهة، أي تنظيم من أجل المواجهة، والمواجهة هنا تشمل مبدئيا قوات الأمن التي حاولت كسر المظاهرات والمسيرات، ثم مواجهة الهجوم الغجري من قبل عناصر الحزب الوطني يوم الأربعاء الدامي، وهو ما تم ببراعة فائقة ونضال وتحدٍ وتضحيات فاقت الخيال حتى دون إعداد أو تنظيم مسبق أو حتى مجرد توقع ما سيحدث وطبيعته، ثم مواجهة تمسك النظام الحاكم بمقاليد السلطة من خلال الأدوات والآليات الثورية التي تمثلت في تنظيم خطاب الثورة وإعداد فقرات الإذاعة الميدانية ودعوات للمثقفين وحشد للجمهور من خلال اللوحات واللافتات والشعارات الوطنية والثورية، وكذا الضغط بورقة الشهداء وتوظيف اللقطات والصور المؤلمة لهم في حشد الجماهير، ثم المواجهة والتحدي في رفض

الخضوع للحوار الوطني مع عمر سليمان وأحزاب المعارضة، ثم المواجهة والتحدي بمنع انعقاد مجلس وزراء أحمد شفيق في مقره الرئيس واضطراره لعقد اجتماعه في دار الدفاع الجوي، ثم التحدي بحصار القصور والمقرات الرئاسية، فقد أظهر تحدي الشباب نجاحا باهرا في كل مراحل الثورة. ولكن لكونها ثورة شعبية مفاجئة ولم يتم التخطيط لها تخطيطا كافيا، بل تطورت المظاهرات مع سخونة الأحداث حتى وصلت إلى مطالب تعد ثورية دون تخطيط للثورة.

وبرغم النجاح الكبير الذي حققه الشباب نعترف بأن الخطأ الأكبر الذي وقع فيه الشباب هو افتقاد التنظيم والتخطيط الثوري الكامل، فنحن نظمنا ورتبنا فقط لتحدي العقبات والوصول إلى الميدان وإعلان مطالبنا، إذ كان ينبغي التفكير جديا منذ اليوم الأول في تشكيل حكومة ائتلافية ومجلس رئاسي يتولى إدارة البلاد، ويتم الإعلان عنهم ومطالبة النظام بالرحيل ومطالبة الدول الخارجية بالاعتراف بشرعية هذا التشكيل الثوري في آنٍ معا، وكانت الفرصة سانحة لاقتناص هذه الشرعية بسهولة بمجرد النجاح في صد حملات الغجر التي شنها أنصار الحزب الوطني، هذه الضربة زلزلت أركان النظام.

بعد هذه الأحداث كان حريا بالشباب أن يعلنوا تشكيل مجلس رئاسي وحكومة ائتلافية من الشخصيات الوطنية التي انضمت إلى الثورة وحركتها؛ إذ أن الشرعية الثورية لم تعد قاصرة على المتواجدين في ميدان التحرير بعد هذه الأحداث، بل باتت تشمل أغلبية الشعب المصري خاصة بعدما تشبعت إرادة الشعب بروح الثورة وصار القبول بها أمرا واقعا حتى من هؤلاء الذين لا يعترفون بالثورات.. فإذا كنا قد اتخذنا مثل هذه الخطوة التي تحدث عنها الدكتور محمد سليم العوا في مطلع الثورة، وكرر حديثه فيها مرارا وتكرارا، لكانت الأمور قد سارت في نصابها الصحيح، ولكان المجلس الرئاسي والحكومة الائتلافية قد باشرا سلطاتهم من ميدان التحرير ودر الأمر من الميدان إلى القصر بالرحيل، واضطرت الحكومات العالمية للاعتراف بها، ويتسلم كل وزير تكنوقراط وزارته بتفويض من ميدان التحرير ويذهب فعليا إلى مبنى وزارته لتسلم مقاليدها، ومن ثم نتحرك للقبض على بقايا وفلول النظام الحاكم وعقد محاكمات فورية لهم..

وربما يعود ذلك لطبيعة الشعب المصري، فنحن نجد وزراء ورؤساء شباب ضمن تشكيلات عديدة لكثير من الحكومات في دول ذات ثِقل عالمي، بل نكاد نلاحظ أن أغلب الحكومات تشكلها فئات عمرية تنحصر بين الثلاثين والستين، بينما في وطننا العربي فالوضع مختلف تماما، فمن المعتاد أن نجد وزراء ورؤساء مراهقين في الدول التي تنتقل فيها السلطة وراثيا في معظم أرجاء الوطن العربي، بينما في الدول التي تتمتع بالنظام الجمهوري نجد السلطة فقط في يد الكهول والعواجيز الذي تقاعدوا بعد الستين، ولذلك ليس من

المقبول للشعب المصري أن يتشكل مجلس رئاسي من الشباب الذين قادوا الملايين في الثورة حتى وإن أثبتوا قدرتهم بالفعل، فلم تخطر على بال الشباب أصلاً أن يعلن ائتلاف شباب الثورة عن نفسه مجلسا رئاسيا ولو مجرد الإعلان، لأن هناك مؤسسة عسكرية بالطبع سترفض، لأنها بالكاد اقتنعت بحتمية الشرعية الثورية فقط عندما حاصرت الجماهير مؤسسات الدولة، وكان الجيش مصرا حتى اللحظات الأخيرة على عدم تخطى الشرعية الدستورية، أي عدم الاعتراف بالثورة.. فالشباب فقط خططوا للثورة ونفذوا خطواتهم على أمل أن يأتي الكبار من الشخصيات الوطنية لتولي مقاليد السلطة في البلاد، لكنهم لم يفعلوا.

فالكارثة أن الكبار لم يكن لديهم فلسفة الثورة حتى وإن شاركوا فيها، ولم يكن لديهم جرأة التحدي لتشكيل مجلس رئاسي وحكومة ائتلافية والإعلان عنهما، هم فقط شاركوا فيها لقناعتهم بصحة ما فعله الشباب، ولذلك اكتفوا بالخطب التي ألقاها الدكتور محمد سليم العوا حول الفقه الثوري والمجالس الرئاسية وحكومة التكنوقراط الانتقالية، والتي ظل يكررها خلال أيام الثورة، لكن لم يسع أحد غيره لتغذية الفكرة ونقلها إلى حيّز التنفيذ العملي، بل ولم يفكر أحد هؤلاء الكهول في غرس بعضهم ضمن تشكيل ائتلاف شباب الثورة، ومن هنا بقيت الشرعية الثورية مجرد كلام نظري ولم تستخدم أي من الصلاحيات والمكتسبات الشعبية التي حصلت عليها، وبقيت مجرد أطروحات نظرية واستمرت الثورة في طريق المواجهة الذي اتبعه الشباب منذ اشتعال الثورة. كان الشباب يفكرون فقط في هدم صنم النظام الفاسد، لكن أحدهم لم يفكر جديا في بناء نظام يتولى إدارة الدولة المدنية التي حلموا بها.وهذا ما جعل وزير الدفاع الأمريكي " بوب جيتس" يعارض إدارة الرئيس أوباما في توجهاته وطلبه من مبارك نقل السلطة، كانت رؤية "بوب جيتس" أن على أمريكا التوقف عن مطلب انتقال السلطة طالما أنه لا يوجد أي رؤية للقوى السياسية القادمة.

على كل حال، كانت الأمور في القصر الجمهوري على الحافة، خصوصا بعدما بدأ زحف الجماهير إلى القصر، وبمجرد الإعلان عن هذا الزحف الجماهيري، انقلب الحال رأسا على عقب، وبدأت استعدادات أخرى غير مسبوقة، فلأول مرة في تاريخ مصر يتحرك شعبها نحو قصر الحاكم مطالبا إياه بترك السلطة، لدرجة أن كثيرا من الإعلاميين والصحفيين لم يكونوا يعرفوا أين يسكن رئيس الجمهورية، أو ما الفرق بين قصر الاتحادية وقصر العروبة وهما مكان عمله ومكان سكنه..ومع ذلك تحركت الجماهير الغاضبة تبحث عنه..

يقول الأستاذ قنديل: أصبح نجاح الثورة بشكل كامل يقينا عندي، ولو لاحظت تطور أعداد المتظاهرين بشكل مطرد وزيادته بالأضعاف ليصل من مائة ألف في بداية الثورة إلي الملايين في يومي

الخميس والجمعة الأخيرة للثورة لأدركت أن هذا الدهس الثوري ما كان له أن يتوقف إلا حين يري ضحية رمزية. وهنا لم يكن مبارك مجرد حاكم ظالم أو فاسد، لكن الأمر كان يبدو لي في التحليل النهائي أنه كان عمل البلد الأسود الذي كان لابد من "فكه"

وبالنظر إلى هذا الوضع، فلا يمكن التعويل على قوات الحرس الجمهوري لأن تقوم بمواجهة هذه الجماهير؛ بل إن قائد الحرس الجمهوري اللواء نجيب عبد السلام وجد نفسه في مأزق لا مفر منه، فليس بإمكانه حماية قوات الحرس الجمهوري من زحف الجماهير.. فالأمر أصعب من أن يحتمله عقل. وفي هذا الظرف بدأ الإعداد لإخلاء القصر الجمهوري نتيجة زحف الجماهير، وتم نقل الأسرة الحاكمة إلى دار الحرس الجمهوري بعيدا عن حصار الجماهير. كان مبارك متشبثا لآخر لحظة، ليس بالسلطة، ولكن بالأمان الشخصي، فوجود عمر سليمان في السلطة مكانه سيحفظ ماء وجهه ويعصمه وأهله من الملاحقات القضائية أو التشهير والتنكيل به، لأن إخلاء منصب رئيس الجمهورية يعني قدوم رئيس جديد من الفصيل الثوري لا من نظام مبارك وأحبائه، ولذلك نقل سلطاته إلى عمر سليمان، لكن الشعب رفع له الأحذية رافضا خطابه بالتفويض. غير أن التفويض كان مرفوضا كليا من جهة القيادة العسكرية أيضا. وكان عمر سليمان قد اعد خطابا يلقيه على الشعب بعد خطاب مبارك بتفويضه، لكن الفريق سامي عنان بعدما شاهد الأحذية مرفوعة في الميدان رفض إذاعة خطاب عمر سليمان، وأدرك أن الأمر محسوم.

وفي هذه الليلة، وبعد خطاب مبارك، اتصل"روبرت جيتس" وزير الدفاع الأمريكي بالمشير طنطاوي ليشرح للجانب الأمريكي حقيقة ما يدور الآن في مصر، وسأله: " الصورة ليست واضحة لنا في واشنطن. هل سلطات الرئيس انتقلت إلى عمر سليمان أم لا؟". وجاء رد طنطاوي: "السلطة انتقلت بالكامل إلى عمر سليمان بصفته نائب رئيس الجمهورية". واستفسر جيتس من المشير أيضا عن مصير مبارك: " هل لازال في القاهرة أم تم نقله خارجها؟". فأكد له وزير الدفاع المصري، أن "مبارك مازال في القاهرة. لكن هناك استعدادات تتم الآن لترحيله عن القصر الرئاسي، ونقله خارج العاصمة. وعلى الأرجح إلى مدينة شرم الشيخ". وأشار جيتس إلى أنه في نهاية المكالمة، أكد له المشير طنطاوي أن الجيش المصري مازال ملتزما بحماية الشعب.

****

وصلات خارجية

خطاب الرئيس مبارك يوم ١٠ فبراير ٢٠١١

https://www.youtube.com/watch?v=ySQp73bZA6o

تغريدات تويتر على هاشتاج الثورة "Jan25#Egypt"

▪" خطاب مبارك: تعديل ٦ مواد دستورية و إلغاء المادة ١٧٩ مؤكدا أن إلغاءها يتيح إلغاء قانون الطوارئ حالما تسمح الأوضاع"

▪"الرد علي هذا الطاغية لازم يكون بكره بالملايين في الشوارع وبالسيطرة تماما على القصر الجمهوري ومبني التليفزيون"

▪" أنباء غن خروج بعض المتظاهرين في الاتجاه إلى قصر العروبة "

▪"مفيش داعي الناس تروح القصر الرئاسي دلوقتي. مش عايزين ذرائع لاستخدام العنف. أنزل بكره واحتل كل الميادين"

▪" حسني مبارك: مصر هي أرض المحيا والممات، إذن ليكن الممات قريبا بإذن الله بعد محاكمتك يا غبي "

▪الجزيرة:المتظاهرون يرفعون الأحذية في ميدان التحرير ردا علي خطاب مبارك "

▪" الخطاب اتسرب لقناة العربية قبل الريس ما يقراه!! بيفكرني بامتحانات الجامعة والمرتشين اللي كانوا بيسربوها "

▪رصد :" الإصابات في ميدان التحرير انتشرت، وهى حالات إغماء وهبوط في الدورة الدموية.."

▪" كله ينزل من البيوت حسنى حيرحل في التابوت.."

▪"الآن، من الشجاعة أن تقف وسط ضجيج الغضب لتدعوا بالتهدئة، و لتقف لتقدر هذا الشعب العظيم الذي فرض رغبته..إنه وقت الاحتفال "

▪" التحرك نحو القصر الجمهوري تحرك سلمي لا عنفي والتعرض له جريمة مسئول عنها من يقرر أن يرتكبها وبالتأكيد ليس مبارك بعد الآن"

▪" آلاف المتظاهرين يتوجهون إلى مبنى التلفزيون المصري، حسب الجزيرة، والمبنى محاط بقوات الحرس الجمهوري"

▪" الآن مجموعة معتصمة لدى البرلمان والجيش يحاول إخلاء المنطقة بينهم وبين التحرير لكن الناس تقف ولا ترد علي العساكر"

▪بينما جاءت صحف الصباح تحمل غضب الجماهير؛

▪مبارك يرفض التنحي ويفوض سلطاته لسليمان و التحرير يرفض

▪غضب عارم من الخطاب والآلاف يحاصرون مبنى التليفزيون

▪انتفاضة مطالب عمالية تجتاح محافظات مصر وفئات مهنية جديدة تنضم للاحتجاجات

▪العادلي أمام النيابة : سحبت قوات الشرطة حتى لا تقع مذبحة دموية

- البلاغات تتوالى ضد كبار المسئولين
- الجنايات تؤيد قرارات التحفظ على أموال أحمد عز والوزراء السابقين
- انسحاب التجمع والناصري من الحوار
- «مرابطو التحرير» يهتفون تحت الأمطار :يسقط مبارك
- وفاة الفريق سعد الدين الشاذلي بعد ساعات من هتافات باسمه في"التحرير"
- المجلس الأعلى للقوات المسلحة في حالة انعقاد دائم
- أمن ماسبيرو يجلى العاملين خوفا من اتجاه المتظاهرين نحو المبنى ومحاصرته
- أوباما : لحظات تاريخية تحدث في مصر
- ألف عامل في 11 شركة ومصلحة حكومية يركبون قطار الاعتصامات
- عاطف عبيد: لدى مستندات تؤكد سلامة موقفي المالي إذا أعلنتها ستمنحني الدولة وساما
- «الموظفون» يرفعون راية العصيان: تثبيت العمالة وتغيير الرؤساء ورفع الأجور والحوافز أهم مطالبهم
- موظفو جامعة القاهرة يطالبون بالتعيين
- احتجاجات « صناعية » ضد «النظام والفقر"
- الكونجرس يتهم أوباما بالتذبذب أمام مبارك
- ماسبيرو الراعي الرسمي لحملة كنتاكى
- المجلس الأعلى للقوات المسلحة ينعقد في غياب مبارك ويعلن بيانه الأول بالانعقاد بشكل دائم لمتابعة الأوضاع في مصر.
- ارتفاع أعداد المتظاهرين المطالبين بتنحي مبارك في ميدان التحرير والساحات والجسور المحيطة به لثلاثة ملايين أو ما يزيد.
- مبارك يؤكد في خطاب (متأخر كالعادة) قبيل منتصف الليل تمسكه بالحكم حتى انتهاء ولايته ويفوض نائبه في اختصاصات رئيس الجمهورية وفقا للدستور
- عمر سليمان يؤكد في كلمة موجزة بعد خطاب مبارك التزامه بتحقيق الانتقال السلمي للسلطة وفقا للدستور ويدعو المتظاهرين للعودة إلى منازلهم.
- المتظاهرون يرفضون خطابي مبارك وسليمان ويؤكدون تمسكهم بإسقاط النظام.
- آلاف المتظاهرين يتوجهون إلى القصر الجمهوري ومبنى التلفزيون بعد خطاب مبارك

▪ المعارض محمد البرادعي يحذر على موقع تويتر من انفجار الوضع داعيا الجيش للتدخل لإنقاذ البلاد كي لا تنجرف مع التيار بعد رفض مبارك التخلي عن السلطة



(٢٨)

جمعة الزحف

الجمعة ١١ فبراير

في التاسعة من صباح يوم الجمعة ١١ فبراير، كان الرئيس مبارك يقف في شرفة قصره وإلى جواره سيدة القصر يتطلعان.. بينما كانت أصوات الجماهير تتهادى إليهم على بعد كيلو مترا واحدا عبر نفق المشير هاتفة " يا مبارك صحي النوم.. النهارده آخر يوم ".. وقفا يتطلعان إلى الدبابات الراسية بمحيط القصر الجمهوري والتي وجهت مدفعيتها إلى خارج القصر.. و ربما اعتقدوا بأن الجيش بالنسبة لهم هو الرصيد الذي لا ينفد، خاصة مع اعتلاء اعتبارات الخلفية العسكرية لحسني مبارك، وربما عقدوا آمالهم على وضعية الدبابات التي صوبت مدفعيتها إلى الخارج.. بينما كانت الحقيقة أن قادة الجيش يشعرون بالحرج الشديد بين قائدهم والشعب.

وكانت حوارات المطبخ السياسي غامضة ولا يعرف أحد تفاصيلها على وجه الدقة، ربما ما توقعناه أن هناك تنازع بين عدة اتجاهات من بينها اتجاه المجلس العسكري والذي أراد فعلا وضع فصل النهاية لحقبة طالت، وأما الاتجاه الثاني فإنه يضم الوريث غير الشرعي للسلطة جمال مبارك وأصدقاءه والأقوياء من رجال السلطة مع سيدة القصر التي حاولت إنقاذ الموقف بأقل قدرٍ من الخسائر حتى وإن ضحت بمشروع التوريث الذي أوشك على الاستواء. وأما الاتجاه الثالث فكان ممن يتحدثون باسم الوطن حتى وإن كانوا يحتفظون بولائهم لعائلة مبارك لكنهم أيقنوا من حتمية رحيله ولم يبق سوى صياغة خطاب التنحي بصيغة تحقق مطالب الشعب وتحفظ ماء الوجه الراحل. وربما حاول البعض تفادي ما قد يحدث من ملاحقات قضائية عقب إعلان الرحيل أو الاستجابة لمطالب الثورة. وقد رُفض بالأمس طرح عمر سليمان ورُفض خطابه من جموع الشعب وقامت الجماهير تهتف منذ الصباح الباكر" ارحل ارحل يا سليمان.. مش عاوزينك إنت كمان.. "..

وفي هذه الأجواء المشحونة كان الجميع يبحث عن حلول، خاصة بعدما قررت الجماهير الزحف على مؤسسات الدولة السيادية، فقد تطور موقفها من الاعتصام والاستغاثة من الظلم والفساد والقهر إلى الاحتشاد والمواجهة وإعلان المطالب في كافة الميادين الرئيسية، وبعدما وقعت أحداث الأربعاء الدامي وانكشف قناع النظام أمام الجميع، تتطور موقف الثورة من الدفاع إلى الهجوم، بينما النظام يقف ساكنا عاجزا عن الحركة. وانتشرت عدوى الإضرابات الفئوية بين العمال والموظفين، هذه الفئة المطحونة التي لا تجرؤ على اقتناص حقوقها، ولكن فقط تستغل الفرصة وتقفز على الجسد المتهالك للدولة مطالبة بحاجاتها الضرورية، هذه

الفئات لا تعي معنى التغيير السياسي ولن تنتظر نتائجه، ولذلك انتشرت الإضرابات الفئوية والعمالية في كثير من المصالح والشركات، وهو ما مثل ضربة أخرى للنظام لن يفيق منها.

وبعدما قررت الثورة تطوير الاعتصام إلى الزحف وبدأت خطة حصار النظام لإجباره على الرحيل، وتزاحمت الجماهير على الميدان قبل صلاة الجمعة استعدادا للزحف.. وما ميّز اليوم هو طابع التطور في اللافتات التي يرفعها الثوار، غير أنها كانت في أغلبها تعبر عن اليقين من نجاح الثورة، فصارت اللافتات تحمل معاني النصر معبرة عن أن الثورات الديمقراطية لا تنتقم بل تتسامح ولا تضيع طاقاتها في الانتقام من الماضي لتصفية حساباته، بل توظف طاقاتها في العمل والبناء والإنتاج لضمانة لعدم العودة إلى الماضي الكريه، مثال " نأسف للإزعاج.. فنحن نبني مصر الآن.. ".

وبينما كانت الجماهير تتوافد بكثافة إلى الميدان من كافة ربوع مصر حاملة لافتات وشعارات وهتافات تعبر عن لسان حالها، وبينما كان الصوت الأعلى في الميدان يهتف " ارحل يعني باارة.. مصر هتفضل حرّة.. " في إشارة لرفض كل محاولات الترضية بالحفاظ على كيان النظام دون هدم كامل، بينما كانت اللافتات في بداية الاعتصام تقف عند حدود السخرية من مماطلة النظام ، مثال: " أريد الرحيل لكنني أخشى الفوضى" و " يسقط يسقط النظام .. يسقط يسقط حسني مبارك" و " الشعب يريد إسقاط النظام"، أصبحت اليوم أكثر جرأة وعلانية في تغير لهجة الجماهير من المطالبة بإسقاط النظام إلى الأمر المباشر بالرحيل" ارحل يعني باارة.. مصر هتفضل حرّة.. ".

بينما كان السلفيون يعقدون مؤتمرا في المنصورة برعاية الشيخ محمد حسان، وبعنوان " مصر دولة إسلامية "، وقد قوبل هذا الخبر بسخرية الجماهير الثائرة في الميادين؛ ذلك لأن السلفيين وتحديدا الشيخ الفاضل محمد حسان هو أول وأكثر من دعا إلى إخماد الثورة بخطابه الديني العاطفي بشعارات وروايات ورثها رجال الدين عن أسلافهم في العصر العباسي والعصر الأموي كمحاولة لشرعنة القمع السياسي للشعوب باسم الدين، حيث كان الشيخ قد حضر إلى ميدان التحرير قبل أحداث الأربعاء الدامي وصعد إحدى دبابات الجيش وخاطب الشباب بخطاب الخنوع السلفي باعتبار الحاكم حاكما بأمر الإله وليس قائما بمصالح الشعب، لكن الشباب واجهوا خطابه بازدراء وأنزلوه عنوة من فوق الدبابة وأمروه بالخروج من الميدان؛ لعلمهم أنه على صلة وثيقة بأمن الدولة، ولا يمكن لأمثاله أن يخون الأوامر. بل إنهم قد أدلوا بدلوهم كاملا ولم يعد فيه شيء يحلل الثورة على الحاكم ولا حتى الاستغاثة من الظلم، هذا بالإضافة إلى الأخبار والصور التي تسربت عن وجوده أمام ماسبيرو وميدان مصطفى محمود لدعم هجمة الجمال والحمير يوم الأربعاء الدامي.ونظرا لأن السلفيين قد شعروا بقوة الجماهير الثائرة وتيقنوا من نجاح الثورة، فاختاروا الوقت المناسب

لركوبها، لكنهم حتى لم يفكروا في الهروب من المركب الغارق أولا ، فلم يفكروا على الوجه الصحيح ولم يتراجعوا أولا عن موقفهم المناهض للثورة في بدايتها ولم ينضموا إلى جماهير الشعب المحتشدة في الميادين، بل اشتغلوا في جانب بعيد عن الثورة، وكأن الثورة ضحت بما يتجاوز الألف شهيد ليس من أجل الوطن ولكن لكي يسلموا الراية لحزبٍ كان جالسا في حجر النظام متنعما بالأمن والأمان راضيا بالقمع وقطع اللسان. فمن يفكر حتى في ركوب الموجة الثورية أو أن يشارك في مكتسباتها لابد أن يلتحم أولا بجماهيرها ثم يطرح عليهم رؤيته.

ومن المزايا الفريدة التي تميزت بها الثورة المصرية أنها لم تكن مُسيَسة بأي حال، ليس لديها قوة سياسية تقودها وليس لديها تقسيمات أو تصنيفات سياسية أو حزبية من أي نوع بل هي ثورة شعبية، فقد اعتمدت قيادة الثورة على اجتهادات من بعض الشخصيات العامة في المجتمع المصري، حتى أن أحدا لم يفكر في كيفية إدارة البلاد بعد خلع نظام مبارك. وبرغم أن الثورة لم ترفع أي شعارات تقصي الدين بعيدا عن الدولة بل قامت على الوحدة الوطنية وحملت الأمل على نصر الله، لكن المتحدثين باسم الدين من الجانبين كانوا أول من أساءوا إلى الدين بخطابهم المتناقض مما جعلهم عُرضه للإقصاء والاستهانة بتوصياتهم.

تولى خطبة الجمعة أحد خطباء هيئة الأوقاف وأصابته حالة إغماء.. يكمل الخطبة من بعده الشيخ مظهر شاهين خطيب مسجد عمر مكرم والذي قضى أسبوعين يصلي ويخطب بالشباب ويتفاعل وينسجم مع أفكارهم.. وبعد الصلاة يقول: يوم الجمعة ٢٨ يناير منعوني من أن ألقى خطبة الجمعة بين الآلاف في المسجد وصلينا خمسة أفراد فقط، فيشاء الله أن أخطب الجمعة اللي بعدها في ٣ مليون شخص".. ثم يؤم المصلين الشيخ جبريل الذي أطال الدعاء ناجيا الله أن ينقذ الوطن من محنته.

وكان خطاب التفويض الذي ألقاه مبارك أمس قد أثار حفيظة الشباب ما جعلهم يصرّون على الزحف ومحاصرة المؤسسات الرئاسية والسيادية في الدولة؛ فعمر سليمان لم يقدم جديدا بتغيير موقعه الوظيفي في الدولة، والفكرة تكمن في تثبيت أركان النظام أيًا كانت مواقعهم، فتبديل المناصب لن يغير في شيء. ولذلك عقب صلاة الجمعة تحركت الجماهير في حشودٍ غفيرة منها ما قصد حصار البرلمان وقصر عابدين والقصر الجمهوري وماسبيرو، وفي الإسكندرية حاصرت الجماهير قصر رأس التين وقصر الرئاسة بالمعمورة، وذلك لإجبار النظام على الهروب من القصر لا طرح الحلول، وفي ذات الوقت كانت الجهات الخارجية قد غيرت لهجتها وتغيرت مواقفها تجاه الثورة بعدما تأكد الجميع من إصرارها على النجاح، ففقد مبارك طوق النجاة لنظامه بعدما فقد الدعم من الجيش وعجزت قوات الداخلية عن حماية نظامه. وتوالى إعلان الاستقالات داخل نظام مبارك هروبا من المركب الغارق ، وبدأ الإعلام في التحوّل كليا قبل حسم الأمر بساعاتٍ قليلة.

في هذا لوقت أصدر المجلس العسكري البيان رقم (٢)وجاء نصه؛

" نظرا للتطورات المتلاحقة للأحداث الجارية والتي يتحدد فيها مصير البلاد وفى إطار المتابعة المستمرة للأحداث الداخلية والخارجية وما تقرر من تفويض للسيد نائب رئيس الجمهورية من اختصاصات، وإيمانا من مسئولياتنا الوطنية بحفظ واستقرار الوطن وسلامته. قرر المجلس الأعلى للقوات المسلحة ضمان تنفيذ الإجراءات الآتية:

أولا: ـ إنهاء حالة الطوارئ فور انتهاء الظروف الحالية.

ـ الفصل في الطعون الانتخابية وما يلي بشأنها من إجراءات.

ـ إجراء التعديلات التشريعية اللازمة وإجراء انتخابات رئاسية حرة ونزيهة في ضوء ما تقرر من تعديلات دستورية.

ثانيا: تلتزم القوات المسلحة برعاية مطالب الشعب المشروعة والسعي لتحقيقها من خلال متابعة تنفيذ هذه الإجراءات في التوقيتات المحددة بكل دقة وحزم حتى يتم الانتقال السلمي للسلطة وصولا للمجتمع الديمقراطي الحر الذي يتطلع إليه أبناء الشعب.

ثالثا: تؤكد القوات المسلحة على عدم الملاحقة الأمنية للشرفاء الذين رفضوا الفساد وطالبوا بالإصلاح وتحذر من المساس بأمن وسلامة الوطن والمواطنين. كما تؤكد على ضرورة انتظام العمل بمرافق الدولة وعودة الحياة الطبيعية حفاظا على مصالح وممتلكات شعبنا العظيم."حمى الله الوطن والمواطنين".

بدأت الجماهير في التحرك من ميدان التحرير وتمديد الاعتصام حول مقر البرلمان المصري، وفي الطريق من ميدان التحرير إلى البرلمان، المسافة لا تتجاوز مائة خطوة، لكنني سأحول إطالتها قدر الإمكان للمرور من شارع الشيخ ريحان، حيث تقف على الرصيف الخلفي لوزارة الداخلية سيارة دبلوماسية بيضاء مصفحة، لم أنس هذه السيارة التي استقلها مجموعة من قيادات الداخلية مساء جمعة الغضب، بعدما تمكنا من دخول ميدان التحرير.

كانت الحملة التي توجهت إلى مجلس الشعب قد زادت الزحام حوله وامتلأت الشوارع عن آخرها بالجماهير، وغير الشباب لافتة باب البرلمان من (مدخل السادة أعضاء المجلس) إلى (مدخل السادة حرامية المجلس) وعلقوا بجوارها لافتة (هنا يرقد سيّد قراره) ، بوابة رقم ٤ دخول السادة الحرامية (الأعضاء سابقا)شارع الشعب (مجلس الشعب سابقا) ، بيت المزورين (مجلس الشعب سابقا) ـمغلق حتى إسقاط النظام ـ لا

يوجد مكان للشرفاء ـ مغلق للنظافة ، وغيرها الكثير من اللافتات التي جسدت وعبرت عن المهازل التي كانت تحدث تحت قبة البرلمان باسم الشعب والوطن.وكل ذلك كان مصحوبا بلوحات ورسوم كاريكاتورية حولت بوابة المجلس إلى معرض فني كبير.



وأما المسيرة التي توجهت لحصار قصر عابدين للاعتصام حوله، فقد تواصل معهم بعض ضباط الجيش بطرق ودية موضحين أن قصر عابدين ليس من المؤسسات السيادية التي قد يخدم حصاره الثورة، ومع ذلك قال الضباط للجماهير " رسالتكم وصلت والقصر الآن في عهدة القوات المسلحة " فاقتصر الاعتصام على ميدان عابدين، وظلوا يهتفون بأعلى صوتهم" الشعب يريد إسقاط النظام"..



وكانت طائرة الجيش الهليكوبتر التي تحوم في سماء الميدان طيلة أربعة عشر يوما متتالية قد توقفت عن الدوران في سماء الميدان، ووردت الأخبار عن هبوطها داخل القصر الجمهوري ..



وبدأت التسريبات تغرق الشوارع بكميات ضخمة من المعلومات المتضاربة حول مكان الرئيس..على غرار أن الرئيس مبارك وأفراد أسرته غادروا البلاد إلى جهة غير معلومة للنقاهة. وأن الطائرة التي استقلها مبارك وأفراد أسرته أقلعت من مطار ألماظة وهو مطار عسكري في شرق القاهرة.. رويترز: تسريبات متعمدة عن سفر الرئيس مبارك إلى شرم الشيخ أو الإمارات.. ثم يؤكد مسئولون أن الرئيس ذهب إلى شرم الشيخ قبل إلقاء خطابه بثلاث ساعات كاملة، وظهرت تسريبات أخرى عن وصول الرئيس مبارك شرم الشيخ صباح اليوم، الجمعة، وأن مطار شرم الشيخ كان يعج برجال الأمن والحراسة الخاصة، وتحرك موكبه بسرعة إلى حيث كان يقيم من قبل، ثم خرج أحد العاملين بالتليفزيون المصري ليسرب معلومات مفادها أن طائرة الرئيس أقلعت من مطار ألماظة بصحبة أسرته متوجها إلى دولة الإمارات.. ووسط هذه التسريبات أصبحت الحقائق غائمة حول مكان تواجد الرئيس، بنفس الضبابية التي تسيطر على المشهد السياسي.

وكانت الجماهير قد زحفت الليلة الماضية وحاصرت القصر الجمهوري، مما وضع المسئولين في حالة ذعر وهلع. وتحركت اليوم أكبر مسيرة خرجت من داخل الميدان بها ما يفوق الخمسة آلاف متجهة إلى قصر العروبة.. ووصلت هذه المظاهرة إلى العروبة وقوامها يزيد عن الـ٣٠ ألف واستمر الاعتصام عند قصر العروبة.



يقول اللواء نجيب عبد السلام، قائد الحرس الجمهوري؛ لقد خططنا للاستعداد لزحف المتظاهرين إلي القصر الجمهوري، وكان هناك هدفان أساسيان بالنسبة لنا: الهدف الأول هو تأمين المتظاهرين الذين بدؤوا في التوجه إلي القصر. الهدف الثاني هو تأمين قوات الحرس الجمهوري. و كنا علي يقين أنه لو حدث صدام مباشر في هذه اللحظات الخطيرة لوصلت الأمور إلي مرحلة خطيرة وبالتأكيد وكنا سنفقد السيطرة بالضبط كما حدث مع رجال وزارة الداخلية أثناء الأحداث التي شهدتها البلاد يوم ٨٢ يناير وما بعدها، وكانت الدماء ستتدفق وتتحول إلي بحور، ولذلك فكرت علي الفور في وضع الأسلاك الشائكة وذلك لمنع الاحتكاك بين الشعب وقوات الحرس الجمهوري، وكان ذلك بعد منتصف ليلة العاشر من فبراير، والحمد لله فإن الله وفقنا عندما سمعنا هتاف المواطنين وهم متجهون إلي القصر الرئاسي وشعرت وقتها بأن القرار قراري، وأنني مسئول عن حماية الشعب من جهة والرئيس وأسرته والحرس الجمهوري من جهة أخري. دعوت الله في هذا اليوم وبكيت أن تمر الأمور بسلام واتخذت القرار بعدم استخدام الذخيرة. لقد أصدرت تعليماتي بوضع الذخيرة في صناديقها بحيث يكون كل قائد برتبة «عميد» معه نسخة من مفاتيح هذه الصناديق والنسخة الأخرى معي أنا شخصيًا، وكانت أوامري أنه لا يتم فتح صناديق الذخيرة إلا بقرار شخصي مني فقط، ونزلت إلي القوات وتأكدت من ذلك بنفسي وقلت للمتظاهرين أنتم أبناؤنا وفي حمايتنا ولن نمسكم أبدًا.

ويكمل؛ " أنا كقائد حرس جمهوري في هذا الوقت، كانت لدي تعليمات صدرت من القائد العام للقوات المسلحة (قائد الجيش) بعدم استخدام الذخيرة الحية ضد المتظاهرين".

وهنا يجب التنويه إلى أن قوات الحرس الجمهوري هي قطاع من القوات المسلحة ولا علاقة له بوزارة الداخلية، والأصل أنه يتلقى أوامره من قائد الجيش، لكن بالنظر إلى المسؤولية المنوطة به وهي تأمين تحركات رئيس الجمهورية وضيوف الرئاسة والمؤسسات السيادية، فهو يتلقى تعليمات من رئيس الجمهورية، وبرغم أن مبارك طلب من قائد الحرس الجمهوري مواجهة المتظاهرين بالقوة إلا أنه رفض ذلك انسجاما مع رؤية القيادة العسكرية والتزاما بأوامرها، ولذلك عاتبه جمال مبارك على موقفه هذا لكنه لم يأبه، وكان يتحاشى مقابلة الرئيس أو التحدث معه رفعًا للحرج.

ووفقا لرواية الدكتور حسام بدراوي رئيس الحزب الوطني في هذا الوقت؛ أنه طرح على اللواء عمر سليمان نائب الرئيس، فكرة خروج مبارك، من خلال خطاب للرئيس يتضمن ثلاث نقاط، الأولى طرح التعديلات الدستورية التي قامت بها لجنة تعديل الدستور خلال ١٥ يومًا، والثانية إعلان الرئيس إجراء انتخابات رئاسية مبكرة بعد الاستفتاء على الدستور، أي خلال ٦٠ يومًا، والأخيرة أن يتضمن الخطاب تأكيدا على تنحيه عن السلطة وخروجه من المشهد السياسي وعائلته، ووافق اللواء عمر سليمان على هذا الطرح والمشير طنطاوي. وأن اللواء عمر سليمان كان يتعامل مع مبارك كرجل عسكري أي لا يمكنه أن يقول للقائد أخرج، كي يقود هو بدلا منه، موضحا أن سليمان قال لحسام بدراوي "أنت الوحيد القادر على أن تقول ذلك للرئيس".

وعرض حسام بدراوي على عمر سليمان، أن يدعو لاجتماع يضم رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الدفاع ونائب رئيس الجمهورية ورئيس الحزب الوطني وطرح الفكرة فيه، ولكن عمر سليمان طرح عليه حلا بديلا هو أن يدخل على مبارك مكتبه ويطرح عليه ذلك بشكل مباشر نظرا لمعرفته بشخصية مبارك، التي تقول إنه سيكون أكثر تركيزًا واستعدادًا لقبول هذا الحل خلال اجتماعه معه منفردا. ويمكن أن نفهم من هذه العبارة أن لكبرياء مبارك وغروره دور كبير في استمرار هذا الوضع، ذلك لأنه وفقا لرؤية عمر سليمان، إذا طرح الأمر على مبارك بشكل منفرد، فمن الممكن أن يقبله، عكس الحال لو تم طرحه في اجتماع، وبالطبع الأمر يختلف لأنه في الأولى قد يقبل مبارك الأمر ويتبنى الفكرة باعتبارها حلا للخروج لكن بمبادرة منه هو شخصيا، وهذا يختلف عما لو طرح الأمر في الاجتماع واضطر مبارك للرضوخ له.

وأكد حسام بدراوي، أن عمر سليمان أبلغ مبارك بالحل وأنه بعد اجتماع لمدة ساعتين اقتنع بهذا الحل، وأن مبارك أكد له استعداده لتسليم السلطة، ولكنه قال له خروجي الآن يعني أن حكم البلاد سيذهب إما

للحاكم العسكري، أو الحاكم الديني، المتمثل في الجماعات المتطرفة وكلا الطرفين لن يتركا الحكم أو تسقط البلاد في بحر من الفوضى.

وكان المشير طنطاوي اتصل بالرئيس مبارك في السادسة صباحا وكان لا زال بالقصر وحذره طنطاوي خلال المكالمة من خطورة الوضع واحتمالية تعرضه للأذى من قبل المتظاهرين الغاضبين. ولذلك وافق مبارك على الانتقال خارج القصر وتحديدا إلى شرم الشيخ بسبب خوفه ورعبه من المتظاهرين الموجودين خارج القصر، بينما أسرته تم نقلها إلى مقر الحرس الجمهوري، وكان معهم أحمد أبو الغيط وزير الخارجية وذكريا عزمي رئيس الديون، وتم إخلاء القصر تحسبا لاقتحامه من قبل الجماهير.

يقول اللواء نجيب عبد السلام؛ لقد وضعت عدة خطط لإخلاء الرئيس وأسرته علي ثلاث مراحل، ثم عندما تطورت الأوضاع في البلاد ووصلت الجماهير إلي القصر الرئاسي كانت هناك مخاطر شديدة جدًا ولذلك طرحت فكرة أن يغادر الرئيس مبارك القصر الجمهوري إلي شرم الشيخ، واتصلت بالرئيس وأخبرته بفكرة المغادرة ففوجئت بالرئيس يرفض فكرة مغادرة القصر الرئاسي وقال لي: «أنا لن أغادر مصر أبدا» وكررها أكثر من مرة، وعندما قلت له أنت لن تغادر مصر أنت فقط ستذهب إلي شرم الشيخ رفض بشدة، وظل علي هذا الموقف حتى تم إقناعه بذلك بعد أن أكدت له أن هذا المطلب ضروري وملح، ثم إنني أجريت في هذا الوقت اتصالا بالمشير حسين طنطاوي طلبت منه مساعدتي في نقل الرئيس إلي شرم الشيخ وفي نفس الوقت طالبت السيد عمر سليمان نائب رئيس الجمهورية بأن يبذل جهوده لإقناع الرئيس مبارك بضرورة مغادرة القصر إلي شرم الشيخ خوفا من تعرضه وأسرته لمخاطر أمنية ونجحنا جميعًا في ذلك، بعد أن اقتنع الرئيس بالمغادرة، تم ذلك عن طريق طائرة هليكوبتر وكان معه في الرحلة إلي شرم الشيخ صهره السيد منير ثابت شقيق قرينة الرئيس وكان قرار المغادرة لا تفاوض فيه مع الأسرة جميعًا وتم تنفيذه بترتيب منظم .

وقيل أنه في مقر وزارة الدفاع عرض اللواء عمر سليمان والفريق أحمد شفيق رئيس الوزراء آنذاك، على المشير مسألة إدارة شئون البلاد في هذا الظرف العصيب؛ لأن عمر سليمان أصبح ورقة محروقة من قبل الشعب ولم تعد الجماهير تقبل به لإدارة البلاد باعتباره من عناصر النظام المطلوب خلعه، ولم تكن هناك رغبة للمشير في هذا الأمر، وطلب منهما أن يعرضا الأمر على المجلس الأعلى للقوات المسلحة. وعاد المشير طنطاوي وطلب من عمر سليمان، التحدث للرئيس مبارك ليبلغه صراحة أن الظروف تقتضي تنحيه عن الحكم؛ وكان حينها مبارك في الطريق إلى شرم الشيخ.

قال الفريق أحمد شفيق:" عندما تم إخلاء قصر الاتحادية، ذهبنا إلى مبنى الحرس الجمهوري، وجلست مع وزيري الداخلية والخارجية وقتها، وأيضا عمر سليمان وذكريا عزمي، وطلبوا التحدث مع المشير حسين

طنطاوي، فذهبت أنا وعمر سليمان إلى المشير، وجلسنا في غرفة مغلقة، وقبل ترك مبنى الحرس الجمهوري، دخل علينا جمال مبارك وسلم سلامًا باهتا جدًا، والوضع كان صعبًا، وسألتهم هتعملوا إيه، فأجابوا: مستنيين الرئيس يتخذ قرار في الموضوع".

أوكلت مأمورية الاتصال بمبارك وإخباره صراحة بضرورة تنحيه إلى اللواء عمر سليمان، الذي أخبره بأن الوضع صعب للغاية، بسبب محاصرة المتظاهرين لقصر الاتحادية، وعندما أخبره عمر سليمان، قال له مبارك "إمنعهم وانت معاك الصلاحيات". لكن سليمان طرح عليه الحل الآخر وهو تنحيه عن الحكم، ونقل السلطة إلى القوات المسلحة، ولم يبد مبارك ممانعة في هذا الوقت، وكان الرجاء الوحيد له أن تتم إذاعة البيان بعد مغادرة أفراد أسرته جميعًا القصر الرئاسي، وطلب أن ترسل إليه الكاميرات ليلقى الخطاب. وسأله عمر سليمان عما إذا كان يريد حصانة قضائية ولكنه رفض قائلا "حصانة قضائية ليه أنا معملتش حاجة"، مضيفا أنه عندما سأله سليمان عن رغبته في السفر إلى أي بلد آخر، رفض أيضا قائلا " أنا عشت في البلد دي وهموت فيها".

كانت صورة الأوضاع في مصر غير واضحة في ذهن مبارك، فقد ضلله المحيطون به والمنتفعون من بقائه والمؤسسون لمشروع التوريث ونقل السلطة من بعده لابنه جمال، إذ أن جمال مبارك اقترح في وقتٍ سابق ١٧ طريقة لتصفية ميدان التحرير، وكانت حاشية مبارك تقنعه طول الوقت بأن المعتصمين بميدان التحرير هم من جماعة الإخوان وأصحاب المصالح الذين يريدون الانقضاض على السلطة، لكن علاء مبارك تدخل في اللحظات الأخيرة وشرح لوالده حقيقة الوضع في البلاد، وكان يتصرف من دافع شعوره بكونه الابن الأكبر الذي يجب أن يتلقى الضربة بنفسه متحملا المسؤولية، حتى أنه وقع اشتباك بالأيدي بين ولدي مبارك جمال وعلاء، واتهم علاء شقيقه جمال بالتسبب فيما آلات إليه ظروف البلاد، وما حدث لوالده في أواخر عهده بسبب التفاف جمال حول المنتفعين من السلطة كي يمكنوه من الحكم..ثم تدريجيا تم نقل أسرة مبارك وأولاده من القصر إلى دار الحرس الجمهوري بعيدا عن القصر الذي حاصرته الجماهير، وفي المرحلة التالية يتحدث عمر سليمان هاتفيا إلى مبارك وهو في الطائرة من مطار ألماظة إلى شرم الشيخ ليحاول إقناعه بنقل" التفويض الذي منحه أمس لعمر سليمان إلى تفويض المجلس العسكري بإدارة البلاد، ثم تتفاقم الأوضاع حول القصر، فيضطرون للاتصال بمبارك مرة أخرى ليطلبوا منه على استحياء إعلان التنحي خوفا على البلد من الجماهير، فطلب منهم مغادرة أسرته للقاهرة أولا..

وتحدث المشير طنطاوي مع اللواء نجيب عبد السلام، قائد الحرس الجمهوري، للاطمئنان على تأمين قصر الرئاسة بشكل جيد، خوفا من اقتحام المتظاهرين له، واجتمع المجلس العسكري بعد ظهر اليوم، وتابعوا

الحشود الجماهيرية وهى تزحف إلى قصر الرئاسة، واتصل المشير طنطاوي بمبارك هاتفيا، حيث كان في الطائرة بمطار ألماظة قبل أن تقلع إلى شرم الشيخ، وبدا مبارك خلال المكالمة وكأنه اقتنع بفكرة الرحيل، حسبما حكا طنطاوي لأعضاء المجلس بعد إنهاء مكالمته.

وخلال المكالمة التليفونية أبلغ مبارك طنطاوي أنه سيسجل خطابا يعلن فيه تنحيه ويرسله عن طريق الحرس الجمهوري لمبنى الإذاعة والتليفزيون لإذاعته، إلا أن المشير طنطاوي أبلغه بأن الوقت قصير للغاية لأن الوضع أصبح فيه خطورة لا يمكن تداركها. وفي هذا التوقيت كان التليفزيون المصري قد أرسل كاميرا من قطاع الأخبار للحاق بمبارك لتسجيل خطاب التنحي من شرم الشيخ، لكن لضيق الوقت عادت الكاميرا مرة أخرى إلى القاهرة، واستجاب مبارك لطلب طنطاوي وأبلغه بأن عمر سليمان سيصل إليه في وزارة الدفاع خلال دقائق للاتفاق على شكل إعلان التنحي.

وفور وصول مبارك إلى شرم الشيخ في الواحدة والنصف ظهر اليوم الجمعة ١١ فبراير اتصل بالمشير طنطاوي وقال له: «حسين أنا قررت أفوض المسؤولية كاملة لك وللجيش.. أنت صاحب السلطة الآن».. أجاب طنطاوي: سيادة الرئيس، سنجد وسيلة أخرى.. لم يكن هذا ما نريده.. فرد مبارك: " لا.. هذا قراري. تحدث مع عمر سليمان ورتبوا كيفية إعلانه.. خلى بالك من نفسك يا حسين".

وتولى أمر البيان اللواء عمر سليمان، وتمت صياغة البيان الذي قرأه على مبارك تليفونيًا قبل إذاعته. ولم يطلب مبارك سوى تعديل كلمة واحدة بدلا من "التنحي" لتصبح "التخلي" عن الحكم. ووفقا لشهادة أحمد شفيق، أنّ مبارك كان واعيًا لما يحدث حوله، بل إنه كان واعيا لاستخدام المصطلحات، حيث أن قرار "التخلي" يتيح له تسليم السلطة للمجلس العسكري، وهو ما تم الاتفاق عليه بين مبارك والمشير طنطاوي، حسب شهادة شفيق. وأضاف أحمد شفيق أنّ طنطاوي رفض إذاعة البيان بنفسه، وقال "سألت مين هيذيع الخطاب، فرد المشير طنطاوي: مش أنا، و عمر سليمان قال: أنا اللي هقراه".

بينما أسرة مبارك؛ زوجته وولديه وزوجاتهم وأبنائهم ما زالوا في القاهرة ولم يغادروا بعد، وحينما طلب منهم مغادرة القصر، كانت سوزان مبارك رافضة فكرة الرحيل عن القصر الرئاسي قائلة "ده بيتي"، برغم أنها لم تكن تعلم حينها باتخاذ مبارك قراره، وبرغم أنها كانت تحمل في يدها حق اللجوء السياسي منذ اليوم الأول من فبراير لعدة دول منها؛ المملكة العربية السعودية والإمارات والبحرين والكويت، غير أن أسرة مبارك قد حصلت كاملة على التأشيرة الأمريكية التي وصلت بأسمائهم جميعا مع مندوب خاص أرسل إلى القاهرة في نفس هذا التاريخ لتسليمهم الضمانات الأمريكية المكتوبة، لكن قلبها كان يشعر بالخطر

على بيتها (قصر العروبة مقر إقامة الرئيس)، ثم عاد علاء مبارك إلى عمر سليمان يسأله عمّا يجب أن يفعله، فأجابه سليمان: " خد والدتك وروح شرم الشيخ " وكانت سوزان لا تزال في القصر.

بينما كان زكريا عزمي رئيس ديون رئيس الجمهورية في الجهة المقابلة أمر بإشعال حرائق كبيرة في ملفات وأوراق في القصر الجمهوري (قصر الاتحادية مقر عمل الرئيس)، ولا يعرف أحد مدى طبيعتها، وما تحتويه من أسرار، وما إذا كانت خاصة بالعائلة أو بأمور سياسية سارت عليها الدولة طوال ثلاثين عاما مضت من عمر مصر، لكنها بكل تأكيد تحمل الكثير من الإدانات لكل أفراد نظام مبارك.

ومع اقتراب الشمس من الغروب بدأت الجماهير تتزاحم في الميدان وامتد الاعتصام إلى الشوارع المؤدية ووسعت لجان التفتيش نطاقاتها لاستيعاب الحشود القادمة من كل اتجاه، وفي الحقيقة لم تكن هذه الحشود ثائرة ولم تأت بغرض دعم الثورة بل بغرض الاحتفال أو المشاركة فيه بعدما تيقن الأمر، وبعد التسريبات التي أغرقت الشوارع منذ ليلة أمس، وكان ذلك واضحا في حركة الجماهير التي اختلفت عن الأيام السابقة، وانضمت إليها شرائح لا علاقة لها بفكرة الثورة، ولا أتحدث هنا عن مستوى الثقافة ولكن عن القناعة (وجودها وعدمها سواء)، برغم أنه لم يكن قد أعلن بعد عن سقوط النظام، كان الجميع في حالة انتظار الخطاب الأخير الذي أعلن عنه بعدما ظهر رد الفعل الشعبي الرافض لخطاب مبارك ليلة الأمس .

وبرغم أنه لم تقم ثورة في التاريخ لتنتظر من الديكتاتور إعلان سقوطه، لكن تحركت الثورة في هذا الاتجاه. وكان ذلك الزحف هو الخطأ الكارثي في مسار الثورة؛ ذلك لأنه كيف تتحرك جماهير لتطالب النظام بالرحيل دون أن يكون لديها البديل؟ ربما كان الجميع يسند الأمر ضمنيا إلى قيادة القوات المسلحة التي نشرت قواتها لتحاصر منشآت ومؤسسات الدولة منذ بداية الثورة، فقد عبّرت بعض اللافتات عن ذلك صراحة، وليس من المتصور أبدا إعلان سقوط الدولة بسقوط إدارتها، وكان لابد من إعلان تشكيل جاهز يتولى إدارة الدولة ويتسلم مقاليد السلطة، لكن هذا لم يحدث. برغم أن القيادات العسكرية كانت في غاية الحرج من مصارحة مبارك بطلب الرحيل، وهذا ما تسبب في مزيد من التأخير وإهدار الوقت، فحتى اللحظات الأخيرة، أسند المشير طنطاوي مهمة إقناع مبارك بمغادرة القصر إلى اللواء عمر سليمان، خوفا على حياة مبارك وأسرته من زحف الجماهير وحصارها للقصر الجمهوري، بينما عمر سليمان يرى صعوبة مفاتحة مبارك في ذلك الأمر ويقول لحسام بدراوي، رئيس الحزب الوطني، أنه الوحيد الذي يملك أن يطلب ذلك من مبارك لأنه ليس رتبة عسكرية مثلهم، فكان عمر سليمان وقادة الجيش يرون أنه لا يجوز لأحدهم أن يطلب من قائده الرحيل ليقود هو،

غير أن عمر سليمان كان يعتبر من بين العقبات أمام اتخاذ قرار الرحيل هي (معارضة أسرة مبارك لهذا الأمر ! ذلك أن عمر سليمان ينظر إلى عوائق القرار الذي يتخذه مبارك بنفسه ، فرأي سليمان أن من حول مبارك من الأسرة هم من يمنعونه من اتخاذ القرار، وهذا ما يعني ويؤكد أن الجيش لم يفرض أي ضغوط على مبارك لاتخاذ قراره.. وحينما تحدث حسام بدراوي في أمر التنحي تم وطرده من القصر الجمهوري على يد رئيس الديوان ذكريا عزمي، ما اضطر عمر سليمان للاختلاء بمبارك ومفاتحته في أمر مغادرته للقصر خوفا على حياته..

بينما المفاجأة أن سوزان كشفت بعد ذلك أن مبارك لم يكن يعتقد أن المسئولين من حوله سيتركونه يرحل دون أن يتم اغتياله، وتوقع أن يتم اغتياله يوم تنحيه لذلك طلب من الحرس الجمهوري ألا يتركوه وحيدا نهائيا، حتى أنه كان يصطحب الحراسة إلي الحمام.. فكان مبارك محصور بين نارين؛ النار الأولى خوفه من الثوار وضباط الجيش، والنار الثانية هي من حوله من أفراد أسرته الذين يمنعونه من اتخاذ قرار التنحي، بعدما كان يرى في حسام بدراوي طوق النجاة الذي سيخلصه من النارين معا؛ لأن د.حسام بدراوي كان يسعى لتخليص مبارك من الورطة بإعلان تنحيه ونقل رسالة إجلال للثوار، وهذا ما كان يرتاح له مبارك، لكن لم يرض جمال وذكريا عزمي بهذا السيناريو وطردوا حسام بدراوي من القصر دون علم مبارك أول أمس ٩ فبراير..

وكان أقصى ما يخشاه النظام هو إعلان زحف الجماهير إلى ماسبيرو لحصاره، فهذا من شأنه فرض مطالب الثورة وإعلان تشكيل حكومة انتقالية.كانت الحماية التي فرضها النظام حول ماسبيرو وتمتد في كل الاتجاهات بأشد أنواع التسليح من أفراد الحرس الجمهوري وقواته الخاصة، وجميعها تتبع في تشكيلها وقيادتها فعليا لمؤسسة الرئاسة، وقد أحاطت نفسها بسورٍ من الأسلاك الشائكة، وفي الإطار الخارجي تراصت معدات الجيش في محيطٍ دائري وحصرت منافذ الدخول والخروج للتفتيش في شارع الكورنيش، والتحمت لافتات الثوار بعشرات اللافتات التي علقها إعلاميون بعد أن قرروا الانضمام للثورة سواء الشرفاء منهم أو الفارين من مركب النظام قبل أن تغرق، واضطر أنس الفقي وزير الإعلام للخروج من الباب الخلفي محاطا بحراسة أمنية، ولو كان يعلم أنه سيأتي يوم ليخرج من الباب الخلفي متخفيا عن أعين الشباب، ما كان قد طل عليهم من شرفة مكتبه باستعلاء واستهزاء في جمعة الغضب ليقول: " العيال دول عاوزين إيه؟ ".. لكن الأيام دول.

وكانت دائرة التأمين التي شكلتها قوات الجيش أوسع نطاقا حول ماسبيرو وسمحت للجماهير بالمرور إلى داخلها بعد إجراء تفتيش روتيني على بطاقات الرقم القومي. وكانت القنوات الإعلامية الرسمية قد توقفت

عن البث عندما توقف ماسبيرو عن العمل وخرج فريق عمل قناة الـ"بي بي سي" على الحافة السفلية لنهر النيل قبالة المستشفى الميداني رقم (٩) ووضعوا أجهزتهم للبث عبر القمر الصناعي مباشرة..

في هذا التوقيت، وصل اللواء إسماعيل عتمان رئيس الشؤون المعنوية بالقوات المسلحة إلى ماسبيرو، وعبر الحواجز العسكرية مخترقا حشود الجماهير المحاصرة لمبنى الإذاعة والتليفزيون،ودخل من باب (٥) المخصص لوزير الإعلام وكبار الزوار، صعد إلى الطابق الخامس وجلس ساعتين بصحبة عبدا للطيف المناوي رئيس قطاع الأخبار في مكتبه.. فتح سترته وأخرج الشريط المسجل عليه البيان الأخير لعصر مبارك..كان منتظرا إشارة البث، وبعد أن صعدت سوزان مبارك الطائرة في طريقها لشرم الشيخ مع باقي أفراد أسرتها، نزلت مسرعة والتفتت لقائد الحرس وقالت له «هل تعتقد أن المتظاهرين سيأتون إلى هنا؟ أرجوك لا تدعهم يأتون، لا تدعهم يدمرون القصر أرجوك، ابقوا هنا واحموا القصر».

وقبل إذاعة البيان كان مبارك قد وصل بالطائرة إلى شرم الشيخ واتصل به عمر سليمان وسأله: هل أنت بحاجة إلى أي ضمانات، قال مبارك: لا.. فعاد سليمان يسأل: سيادتك عاوز تسافر بره.. إلى أي مكان.. رد مبارك: لا.. أنا عاوز أعيش في بلدي وهاعيش فيه لآخر عمري، أنا سبت كل حاجة.. السياسة والسلطة.. كل حاجة.. عاوز بس أعيش هنا، وأضاف: أنا ما عملتش حاجة غلط.."

لم يتذكر حسني مبارك في هذه اللحظات كيف حكم مصر ثلاثين عاما بالحديد والنار، ولم يكن أحد بإمكانه أن يرفع رأسه في حضور الرئيس، ومن يرفع الرأس يتوارى تحت القدم ، فباب الاعتقالات مفتوحا على مصراعيه، وأقرب مثال هو قصة الحاج على مختار القطان، وهو مواطن مصري تقابل صدفة مع الرئيس مبارك في الحرم المكي أثناء أداء مناسك العمرة عام ١٩٩٢م ، لاحظ الرجل كثافة أمنية أثناء الطواف حول الحرم، ودفعه الفضول لاكتشاف الأمر فوجده مبارك، فقال له: اتق الله يا ريس "وعلى أثر هذه الكلمة، انتهى أثره وراء الشمس مدى الحياة، ظل معتقلا ما بقى من عمره، وبرغم حصوله على العديد من الأوامر القضائية بالإفراج عنه إلا أن وزارة الداخلية رفضت بحجة خطورة الرجل على الأمن العام، وأن جهة سيادية تريده أن يظل معتقلا.. حيث تتواجد زنازين الحبس بلا عدد في مقر أمن الدولة بمدينة نصر والذي عرف بين السياسيين ب" جوانتانمو"، وهي عبارة عن غرف إسمنتية مصمتة، شبيهة بالخزائن الحديدية، لا توجد بها أي نوافذ وأبوابها مصفحة، وبكل واحدة قاعدة حمام وصنبور مياه، ومصطبة إسمنتية للنوم عليها، ومطلية باللون الرصاصي ولا تتواجد بها أي إضاءة.. وهذا كله من صلاحياته مبارك وفقا لقانون الطوارئ الذي أصر على العمل به طوال ثلاثين عاما.

كان المناوي رئيس قطاع الأخبار بالتليفزيون ينتظر أوامر لبث الشريط الخاص بنهاية عصر مبارك، ولم يكن أحد يعرف أنهم في انتظار سوزان التي كانت تبكى على عتبة قصرها الخالي. وعندما أدارت الطائرة محركاتها للإقلاع انهارت سوزان على سلم الطائرة وعادت مهرولة إلى القصر، وتأخرت ورفضت مغادرة القصر لثلاث ساعات كاملة ، وعندما عادوا إليها وجدوها منهارة على الأرض تبكي وعاجزة عن السيطرة على نفسها أو الوقوف على قدميها.. وعثر عليها جنود الحرس وهي ممدة على الأرض ومحاطة بكل حليها ومجوهراتها وذكرياتها.. وساندها الحرس وحاولوا تهدئتها لتركب الطائرة مع ولديها جمال وعلاء.. لكنها كانت تحلم بأن تخرج بطن ونصف من الذهب والمجوهرات والآثار كما خرجت قرينتها ليلى الطرابلسي زوجة الرئيس التونسي الهارب زين العابدين بن علي..

لملمت أذيالها حسرات على ما فاتها من الفرص الضائعة؛ لأنها لم تتذكر ليلة أن أرسلت عصابة البلطجية الذين اختطفوا الدكتور عبد الحليم قنديل، الكاتب الصحفي المناضل، وهو في طريقه ليلا إلى منزله، وأخذوه معصوب العينين إلى طريق السويس الصحراوي وجردوه من ملابسه بعدما طحنوا عظامه.. تركوه عاريا في الجبل ودماءه تنزف، وبعدما أفاق زحف عائدا دون أن يدرى ما حدث له، فقابله أحد الجنود في الصحراء وأعطاه ملابس.. كل ذلك فعلته السيدة سوزان لمجرد أن الأستاذ انتقد مشروع التوريث، فقررت الانتقام منه على طريقتها.. أمرت بهذه الجريمة بعلم جمال مبارك وأشرف علي التنفيذ زكريا عزمي وقامت به جماعة أشبه بالحرس الحديدي خاصة بالعائلة.. على كل حال، يكفيه شرفا أنه كان أول من حلم وحقق حلمه، فهو أول من كتب مقالا بعنوان: "سقوط مبارك في ميدان التحرير" عام ٢٠٠٦حينماكان رئيسا لتحرير جريدة" الكرامة" في صفحتها الأولي.. ويكفي أنه كتب عن مبارك" أشعر بالعار لأنك الرئيس" وأطلق علي زوجته سوزان لقب "شجرة الضُر" حتى وإن دفع ضرائب فروسيته راضيا مرضيا، لكنه الآن يشعر بالزهو والفخر لأنه كان في طليعة من قالوا لا بالفم المليان، غير أنه يشعر بفرح أكبر لأن رهانه علي الشعب المصري وغضبه وثورته تحقق كما رآه وكما توقعه بالفعل.

وحوالي السادسة مساءً، أجرى ذكريا عزمي اتصالاته بعدما أقلعت الطائرة بأسرة مبارك، وأشعل هو ما أراد من وثائق في القصر الجمهوري، وبعد انتظار طال ثمانية عشر يوما من بداية اشتعال الغضب، طل عمر سليمان على شاشة التليفزيون ليلقى خطاب النهاية، والذي جاء نصه :

" أيها المواطنون؛ في هذه الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد ؛ قرر الرئيس حسني مبارك تخليه عن منصب رئيس الجمهورية، وكلف المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإدارة شئون البلاد.. "

وقف اللواء عمر سليمان يلقي بيان التنحي أمام الكاميرا بعد أن تأكد من مغادرة الطائرة للقصر، وفي ذات اللحظة أدارت الدبابات الراسية حول القصر مدفعيتها إلى داخله وامتلأت الشوارع بالاحتفالات..وفي ميدان التحرير.. في أعلى شرفة في ميدان التحرير.. وقف بيير في شرفته يتطلع إلى هدير الجماهير ويرفع يده بالدعاء.. تلك الشرفة التي حملت مطالب الثورة وأحلام المصريين على مدار أسبوعين، وخاطرت بحياة صاحبها الذي عاش بأحلام الأطفال، ووافق بصدرٍ جسورٍ على أن تعلن الثورة عن مبادئها من شرفته، واستضاف الكثير من القنوات الإعلامية بشرطه الوحيد، وهو استمرار البث المباشر على مدار ٢٤ ساعة، وهو القرار الذي هدد حياته وأنقذ حياة أطفاله من شباب الثورة ..

" قضى بيير سيوفي حياته منغمسا في الفنون ولم يكن مهتما بالمشهد السياسي المصري وما أصابه من جمود إلى أن بدأ "الأطفال" -وفق تعبيره- بالمخاطرة بحياتهم في الشوارع في ٢٥ يناير٢٠١١. سيطر "أطفال الثورة" على الموقد في منزله؛ حيث كانوا يصنعون قدورا من "الكُشري"، ويحملون الأطباق تسعة طوابق نزولا إلى الجماهير التي تخيِّم بالميدان.. ستمضى الأعوام وتظل اللافتات الورقية شبه الساخرة التي رفعها بيير على أبواب منزله موجودة، إحداها تقول: «هذا مكان عمل، فإذا لم تكن تعمل فاخرج للشوارع وثر".

وقف روبرت وورث، الصحفي الأميركي، يتذكَّر أول مرة التقى فيها مع بيير السيوفي، حين دخل إلى منزله في بداية الثورة يقول: وجدته بالمكتب، قدمت نفسي، لينظر بيير لأعلى ويرفع النظارات البلاستيكية التي كانت دائما ما تنزلق على أنفه، ويقول: "أنا مثلي مثل الآخرين، لا أحد يعرف شيئا "..كان شخصا ضخما ذا جسم كمثري الشكل، له لحية وشعر أبيض يصل لكتفيه ويتطاير في كل اتجاه.. كان يحيط به متظاهرون يملأون المقاعد والمراتب، وحولهم أعمال فنية مبعثرة من حياة بيير؛ لوحات ذات أطر مطليَّة بالذهب، وموسوعات، وطاولات مصنوعة من قطع القرميد تغطيها حواسيب محمولة.. كان بيير يطل على المشهد بأكمله وكأنه الأب الروحي لهؤلاء الأطفال.. وعلى مدار أيام الثورة ، أجريت العديد من المقابلات في منزل بيير، وحين جاءت الأخبار بتنحي حسني مبارك وانطلقت صيحات بحر المتظاهرين في ميدان التحرير مهلِّلة فرَحا، كنت أجلس في شرفة بيير، الذي ظل يقفز لأعلى وأسفل في سعادة الأطفال، وتهتز من تحته ألواح الأرضية. وكتب في صفحته على "فيسبوك"، ليلتها، يقول"مذهل! لقد فعلها الأطفال. ممتاز وشكرا". وقد ظلَّ منزل بيير مفتوحا خلال معظم الأوقات، وكنت أتردد، أنا وغيري كثير من المراسلين، على منزله كلما سنحت الفرصة لسماع آرائه حول تطورات المشهد السياسي".

وعلى الرغم من ثرائه، حيث ورث العمارة بأكملها التي كان يعيش فيها بوسط البلد، يكره بيير الغطرسة التي ترافق الثراء والسلطة، وفضل أن يعيش مثل الطلبة البوهيميين الذين أعجب بثورتهم كثيرا. وفي ذروة شهرته خلال أيام الثورة، كان يتحاشى عن كل من يحاول أن يصنع منه متحدثا رسميا.[٢٠]

وكانت الحاجة ليلى مرزوق، والدة خالد سعيد «شهيد التعذيب» ظلت تهتف حتى ساعات الصباح الأولى من أعماق قلبها في شرفة بيير السيوفي، وتلوح بعلامات النصر، وهى تحتضن صورة فلذة كبدها على وسادة ضمتها إلى قلبها وصدرها وهى تردد "حق ابني رجع"، «مبروك لشباب مصر»، «ما حدش هيخاف من الاعتقالات والتعذيب تاني»، هكذا تحدثت الأم من شرفة بيير التي تطل على الملايين الهادرة في ميدان التحرير، كانت الفرحة تطل من عينيها، وكانت القبلات تنهال فوق رأسها من كل شباب مصر الذين تواجدوا في تلك اللحظة التاريخية، بينما كانت يدها تلوح إلى أبنائها في الميدان، والجميع ينادونها «أمي.. مبروك يا أمي»، أصبحت والدة خالد سعيد «أم الثوار»، و«أم المصريين»، وصار ابنها «أيقونة الحرية».

قالت أم البطل بعد خطابها القصير للجماهير : أنا لما طلعت أتكلم وسط الشباب قالوا لي اتكلمي من ورقة وأنا رفضت، كنت أتكلم من غير ورقة، لإني باتكلم من قلبي، الريس كان بيكلم شعبه من ورقة، مش عارف يتكلم معانا من غير ورقة، وما حدش كان مبسوط..

فسألها محرر " المصري اليوم" : ■أنت هنا في ضيافة أخ قبطي هو بيير السيوفي، فتح بيته لك وللثوار.. كيف ترين وحدة المصريين؟.. فقالت:يا ابني عمري ما حسيت إن فيه فرق، و«بيير» صاحب الشقة دي إنسان جميل وبيحب بلده، وعاملنا أحسن معاملة، صدقني الظلم اللى بيخلي الناس زعلانة، المسيحيين اتظلموا من الحكومة مش من الشعب، زى ما أنا ظلمتنى الحكومة، ودلوقتى كل المصريين هايعيشوا في سعادة بإذن الله..وتتدخل ابنتها زهرة في الحوار، وعم الشهيد الدكتور على قاسم، وتسألها زهرة، تعبتي يا أمي، فترد «لأ يا بنتي.. أنا مبسوطة»، يحكى العم أن لديه الكثير ليقوله لشباب مصر «يا ريتنا قدمنا ١٠٠ خالد سعيد»، وتقول زهرة «لما سمعت خبر التنحي كانت مشاعري مختلطة.. بكيت على أخي ثم زغردت للحرية».

ومن ذات الشرفة بالطابق العاشر على ناصية شارع طلعت حرب، كانت اللوحة العملاقة التي عقلها الشباب من شرفته تحمل مطالب الثورة السبعة، لازالت تتطاير في الهواء.. بينما تقف تحتها دبابة النقيب ماجد بولس تضع جنازيرها على حافة الرصيف منذ اشتعلت الثورة، وانهالت عليه الجماهير وسط هدير الملايين.. أطفال وشباب وفتيات وشيوخ.. سياسيين وثوار ومثقفين.. لأنه " أسد الثورة" الذي رفض الامتثال للأوامر

٢٠ـ نقلا عن " عربي بوست" بتاريخ ٢٠١٨/٤/١٤م ، مع بعض التصرف.

العسكرية بالامتناع عن التعرض للبلطجية، وصاح بأعلى صوته قائلا للظلم ارحل.. إنه أسد الثورة الذي احتفل به شباب الميدان لأنه الوحيد بين ضباط الجيش الذي رفض الأوامر وساعدهم في الدفاع عن الثورة.. وتحول منذ تلك اللحظة إلى أيقونة الثورة.[٢١]



بينما كان وائل غنيم وأصدقائه يحتفلون في مجلس قيادة الثورة عند سماعهم خبر تنحي مبارك الذي ناضلوا من أجل سماعه لأيام طوال، وقليلون سقطوا أرضا في ميدان التحرير من هول الصدمة لدرجة أن أصيب بعضهم بنوبات هبوط حيوي حاد، وأخذ الأطباء ينتشرون ويهرولون في أطراف الميدان.. ولم يكن عدد الأطباء كافيا لاستقبال تداعيات هذه الصدمة والتعامل معها.. وبعد دقائق حضرت سيارات الإسعاف بالعشرات في شارع قصر العيني ووقفت في طابور بجوار سور الجامعة الأمريكية تستقبل الحالات الحرجة.. إذ لم يكن بمقدورها دخول الميدان وسط الزحام الشديد.. وبعد دقائق أخرى جاءت الإمدادات الطبية التي كان الأطباء يعانون من عجزها خصوصا أن هذه المواد الخاصة بحالات الهبوط الحيوي وانخفاض الضغط لم تكن مطلوبة في الميدان من قبل.. فضحايا الثورة هذه المرة من نوع جديد..دمائهم لا تنزف رغم أن أرواحهم على وشك الرحيل..وجميعهم من مؤيدي مبارك الذين صدمهم خطاب الرحيل.. ولا أذكر في ذالك اليوم أنه كان هناك وفيات فأغلب الظن أن جميع الحالات تم استدراكها وإنعاشها..وبالرغم أن قرار السقوط جاء مفعما بالكبرياء والغرور على لسان عمر سليمان مستبدلا عبارة "التنحي" بعبارة "التخلي" عن المنصب في محاولة للتلميح إلى أن القرار جاء برغبته، إلا أن ذلك لم يقلل من فرحة المصريين به، فاشتعلت الميادين بالألعاب النارية والاحتفالات، وخرجت الجماهير في الشوارع تحتفل بنجاح الثورة؛ فلأول مرة في تاريخ هذا الشعب أن يخرج مطالبا حاكمه بترك الحكم لكي يقرر هو مصيره بإرادته الحرة.

بدت سماء مصر تمطر فرحا.. كانت الجماهير تفيض من ميدان التحرير على الكباري والمداخل والساحات المجاورة.. تحولت الشوارع والميادين على كرنفالاتٍ شعبية، وراحت الجماهير تتمايل طربا في ميدان التحرير، وكافة ميادين وشوارع مصر، بينما كان الاعتصام حول مجلس الشعب يستطلع الخبر الذي ألقاه أحد ضباط الجيش المتواجدين لتأمين المجلس، وراحت الجماهير تتمايل وتغني بصوتٍ جماعي "مع السلامة .. مع السلامة.. يا أبوعمة مايلة»، وسط حالة من البهجة الشديدة والسجود شكرا لله والبكاء

٢١ـ شاهد فيديو أسد الثورة https://youtu.be/-roxp7d7IU8).

بدموع الفرحة، وزغاريد النساء والأحضان والألعاب النارية..وبطول شارع مجلس الشعب هتف المتظاهرون " الليلة ليلة عيد.. مكبرين تكبيرة العيد ومرددين " حالو يا حالو.. مبارك شعبه حله".

وأسقط المتظاهرون اللافتات التي كانت قد رفعت منذ يومين على أبواب المجلس، والتي كانت تعلن " مغلق حتى إسقاط النظام" و " مغلق للنظافة" ورفعت على البوابات لافتات جديدة مكتوبا عليها " برلمان الشعب للشعب". وعلى مدخل الشارع بدأ المتظاهرون في إعلان أخبار نجاح الثورة وتجميد أرصدة مبارك في بنوك سويسرا، وتغيير اسم محطة مترو مبارك إلى محطة شهداء التحرير، وأكد بعض المتظاهرين عدم رحيلهم من أمام المجلس إلا بعد محاكمة الرئيس المتنحي حسنى مبارك مرددين: " قولوا للحرس الجمهوري.. يسلم لنا مبارك قبل الرحيل".



وبعد ساعة من إعلان تنحي الرئيس حسني مبارك، أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة بيان الثالث الذي أعلن فيه تحمله مسؤولية إدارة البلاد بعد تنحي مبارك، وأكد فيه أن المجلس ليس بديلا للشرعية التي يرتضيها الشعب. وجاء نص البيان كالتالي: " في هذه اللحظة الفارقة من تاريخ مصر وبعد قرار الرئيس مبارك بالتنحي وتكليف القوات المسلحة بإدارة شئون البلاد ونحن نعلن جميعا مدى جسامة الأمر أمام مطالب شعبنا العظيم لإحداث تغييرات جذرية ، وما يحدث ليس بديلا عن الشرعية التي يرتضيها الشعب ".

وألقى هذا البيان على جموع الشعب اللواء محسن الفنجري، عضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ووجه التحية لشهداء الثورة الأبرار، الذين ضحوا بأرواحهم فداءً لحريتهم وكرامتهم، وتحول اللواء محسن الفنجري إلى قدوة ومثال يحتذى به، بعدما ألقى التحية العسكرية على أرواح شهداء ثورة الخامس والعشرين من يناير في البيان الثالث للجيش عقب سقوط نظام حسني مبارك. وكتب الكثيرون أن التحية العسكرية لأرواح الشهداء أبكتهم فخرا بالشهداء الذين حيتهم المؤسسة العسكرية على الهواء مباشرة وأمام العالم أجمع.وامتلأ موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك بصورة اللواء محسن الفنجري وهو يلقى التحية العسكرية التي أثارت الحماسة في أرواح المصريين، تعزيزا للاحترام الذي قدمه الجيش إلى أرواح شهداء الثورة. واحتلت صورة اللواء محسن الفنجري مكانا مميزا لها في ميدان التحرير وقد أصبحت أيقونة الثورة، وأصبح على أثر هذه الصورة رمزا من رموز الثورة، خصوصا أنها أول مرة يقوم فيها أحد قادة الجيش بتحية شهداء مدنيين.

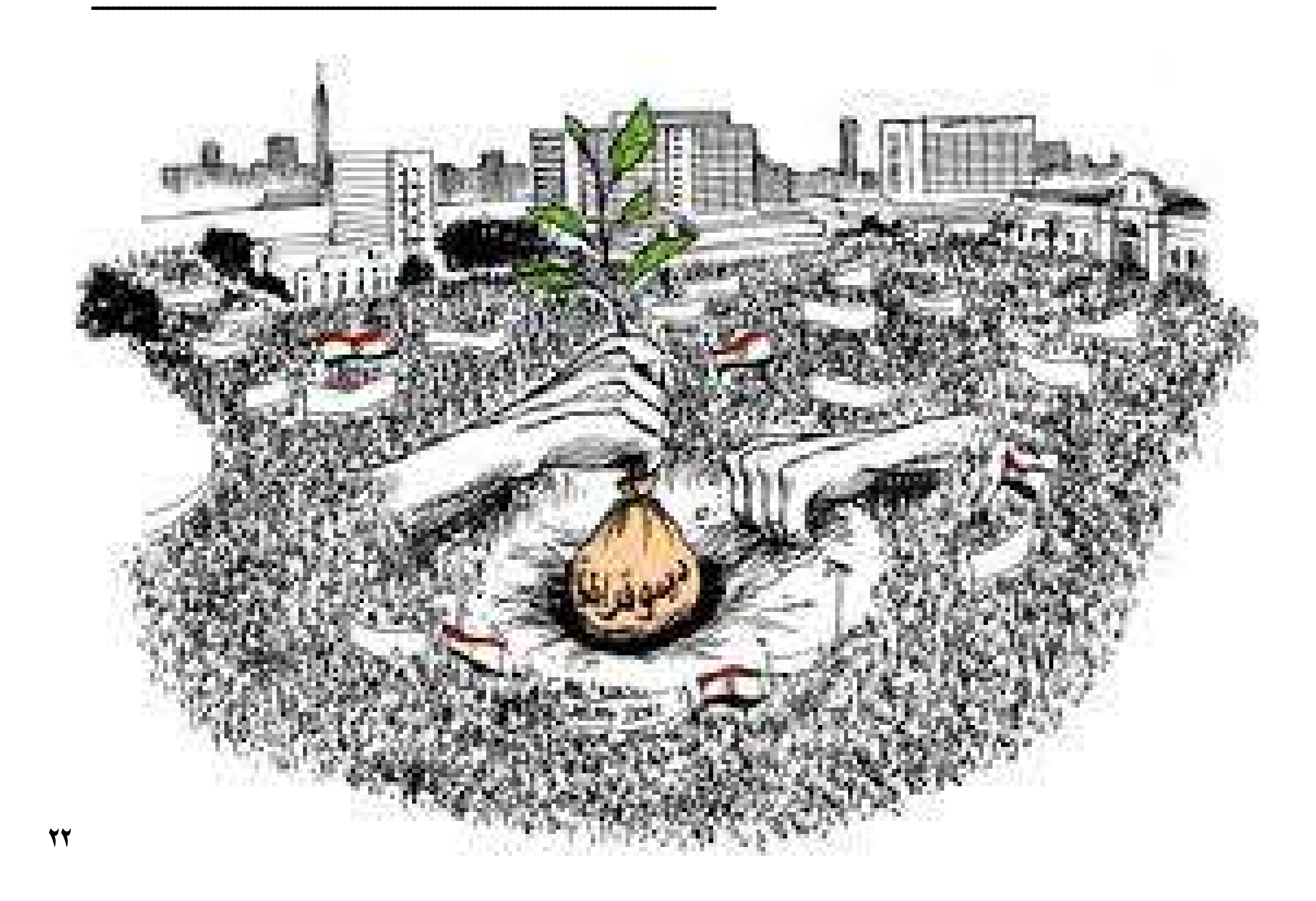


وفي هذه الأجواء الاحتفالية التي عمّت أرجاء البلاد، أعلنت ائتلافات شباب الثورة مجتمعة بيان الثورة الأول باسم الجماهير، وفيما يلي نص البيان الأول من جماهير ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م في مصر، الذي تلاه على قناة الجزيرة مساء الجمعة المستشار محمد فؤاد، نائب رئيس مجلس الدولة:

نحن جماهير شعب مصر، صاحب السيادة على أرضه ومصيره ومقدراته، التي استردها كاملة باندلاع ثورة ٢٥ يناير الشعبية المدنية الديمقراطية وتضحيات شهدائها الأبرار، وبعد نجاح الثورة في إسقاط النظام الفاسد وقياداته، نعلن استمرار هذه الثورة السلمية حتى النصر وتحقيق مطالبها كاملة:

- إلغاء حالة الطوارئ فورا.
- الإفراج الفوري عن كافة المعتقلين السياسيين.
- إلغاء الدستور الحالي وتعديلاته.
- حل مجلسي الشعب والشورى والمجالس المحلية.
- إنشاء مجلس حكم رئاسي انتقالي يضم خمسة أعضاء من بينهم شخصية عسكرية وأربعة رموز مدنية مشهود لها بالوطنية ومتفق عليها، على ألا يحق لأي عضو منهم الترشح لأول انتخابات رئاسية قادمة.
- تشكيل حكومة انتقالية تضم كفاءات وطنية مستقلة، ولا تضم تيارات سياسية أو حزبية تتولى إدارة شؤون البلاد وتهيئ لإجراء انتخابات عامة حرة ونزيهة في نهاية هذه الفترة الانتقالية لمدة لا تزيد عن تسعة أشهر، ولا يجوز لأعضاء هذه الحكومة الانتقالية الترشح لأول انتخابات رئاسية أو برلمانية.
- تشكيل جمعية تأسيسية أصلية لوضع دستور ديمقراطي جديد يتوافق مع أعرق الدساتير الديمقراطية والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان، يستفتى عليه الشعب خلال ثلاثة أشهر من إعلان تشكيل الجمعية.
- إطلاق حرية تكوين الأحزاب على أسس مدنية وديمقراطية وسلمية، دون قيد أو شرط وبمجرد الإخطار.
- إطلاق حرية الإعلام وتداول المعلومات.
- إطلاق حرية التنظيم النقابي وتكوين منظمات المجتمع المدني.
- إلغاء جميع المحاكم العسكرية والاستثنائية وكل الأحكام التي صدرت عنها في حق مدنيين من خلال هذه المحاكم.
- وأخيرا نهيب نحن جماهير شعب مصر بجيش مصر الوطني البار ابن هذا الشعب العظيم الذي صان دماء الشعب وحفظ أمن الوطن في هذه الثورة العظيمة أن يعلن تبنيه الكامل لكل هذه القرارات ومطالب الثورة وانحيازه التام إلى الشعب.

((جماهير ثورة ٢٥ يناير))



٢٢

قضت الجماهير المصرية ليلها في الاحتفالات والأغنيات والدعوات في شوارع مصر وميادينها، ما أصاب مبارك بالذهول وهو يتابع شاشة التليفزيون المصري مع أسرته في شرم الشيخ.. كان مستغربا حجم الفرح الذي عم شوارع مصر كلها.. لم يكن يتوقع أن شعبه سيفرح بخلعه لهذه الدرجة، كان يعتقد أن شعبه هو حاشيته ونظامه، ثم فوجئ بحجم الفساد والظلم والقضايا التي تم نبشها بمجرد إعلان التنحي..أبدى مبارك انزعاجه الشديد من كم الفساد الذي تكشف بين رجاله ، ولم يكن مبارك يتخيل أن الثقة التي وضعها في رجال النظام كان يمكن أن تجعلهم «تشكيلا عصابيا» وقال: «كنت أتفهم أن الفاسد شخص واحد أو على الأكثر شخصان لكن أن تكون ٩٠٪ من الوزارة فاسدة.. كان ذلك أكبر من استيعابي» وقال: «الآن يمر من أمامي الكثير من المواقف التي كان يجب على أن أفهم أن هناك جرائم ترتكب لكنني لم أفهم». «أنا أكثر الرجال في التاريخ الحديث من حيث التعرض للخداع المنظم، وأحاسب نفسي الآن بعد فوات الأوان، ومازلت غير مستوعب كإنسان لكم الفساد الذي يتكشف في الملفات التي تصل أخبارها أولا بأول"

٢٢- by Imma Vitelli

وانتشرت أصداء الاحتفالات لتعم أرجاء الوطن العربي احتفالا بانتصار الشعب المصري.. بدأ عصرٌ جديد هو عصر الحرية والكرامة. ومن صباح اليوم التالي السبت ١٢ فبراير ٢٠١١ استعد الشباب لفتح الميدان لتعود فيه الحياة كما كانت قبل الثورة، فنظموا عدة مجموعات لتنظيف الميدان وتزيينه بالزهور، وزرعوا الكثير من شتلات الورود على أرصفته وفي الدائرة الخضراء منتصف الميدان حتى عاد إليه مظهره الحضاري بعد ثورة استمرت ثمانية عشر يوما على أنغام شادية والشيخ إمام، في بلدٍ قيل أنه يثور بعدما يثور أبو الهول.. لكن الواقع لا يكذب.. في فورة حماس «التحرير» هتف أقباط وعلمانيون وناصريون وليبراليون وجماعات إسلامية وغير منتمين لتيارات سياسية الجميع هتف «الشعب يريد إسقاط النظام»، علت أصواتهم وذابت انتماءاتهم، وتوحدت مطالبهم، انزوت اختلافاتهم وبقيت وحدتهم الوطنية.. وهتفوا جميعا في هذا الميدان حاملين أحلام ٨٠ مليون مصري..انهالت دموع غضب أو فرح، صيحات تأييد وأخرى تنديد، حالة أمل ويأس، فخر وعجز وتحدي وصمود، كلها ذكريات حفرها المصريون بمختلف انتماءاتهم على كل شبر في أرض ميدان التحرير، ليبقى خير شاهد على تاريخهم.. فالأحداث تنتهي.. ولكن تبقى الدروس.



تويتر يوم الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١.. يحتفل بتنحي مبارك واحتفالات في كل شوارع مصر.. نسترجع معا تغريدات هذا اليوم على هاشتاج"Jan25#Egypt" ، احتفالا بنجاح الثورة ..

- " غنا ورقص ف كل شوارع مصر "
- " يوم لن تنساه مصر "

- " جمدني يا معلم:سويسرا تجمد أصول مبارك والدوائر المحيطة بهhttp://goo.gl/fb/L2r9C"
- " المصريين الآن يضعون دي جيه وسماعات أمام قصر العروبة. الله علينا."
- " وقد توجه الرئيس السابق لمصر محمد حسنى مبارك إلى .... الله طعمها حلو قوى الرئيس السابق دي يا جدعان"
- " يعني إيه كوك زيرو؟؟ يعني مبارك يتنحى وعمر سليمان يقول خطاب التنحي"
- " الكلب مبارك ونائبة السفاح ، لم يذكروا ولا مرة في خطاباتهم كلمة ديمقراطية ، دائما الاستقرار ، لكن الشعب قال ديمقراطية ، وحققناها"
- Majediano هههه الآن نشرة أخبار التلفزيون السعودي: حالة من الترقب والانتظار في الشارع المصري بعد تنحي مبارك، يعني ما فيه فرحة ولا ناس تحتفل"
- " أغيثوا مصر: احتفالات في شوارع تونس بعد تنحي مبارك "
- " كل المصريين اللي عايشين برة مصر لازم يرجعوا يساهموا في بناء مصر من أول وجديد .. مصر الحرة المتحضرة " مين كان يصدق إن حرية شعب ومصير أمة وكل ده يبدأ من جهاز كمبيوتر قدامه مصريين بجد "
- وفي أعقاب إذاعة بيان تخلي مبارك عن الحكم، أصدر المجلس الأعلى للقوات المسلحة البيان الثالث له
- " بعد بيان الجيش، بصيت لأختي الصغيرة وقلتلها: ركزي، عشان الكلام ده هتحفظيه"
- " هي الناس اللى كانت حاطة صورة مبارك على الفيس بوك راحت فين، شرم الشيخ برضه"
- المتظاهرون في الإسكندرية يغادرون من أمام قصر رأس التين
- " سو يا سو وحسنى خلعوه"
- " ثورتنا دي مش بترجع حق الشهداء ال٣٠٠ اللي لسة مقتولين. ثورتنا بترجع حق كل شهداء تعذيب الشرطة، وشهداء القطارات، والعبارة، والدويقة"
- " شغلنا في قضايا التعذيب و دم الشهداء مارحشي هدر"
- الإسماعيلية احتفلت بتنحي مبارك على أنغام السمسمية · إصابة متظاهر بطلق ناري في أسوان بعد تنحي مبارك · علم مصر على وجوه أطفال دمياط ابتهاجا بالتنحي ... رباعيات صلاح جاهين بيان عمر سليمان الذي أعلن فيه تنحي مبارك عن الحكم
- أيمن نور: مصر ولدت من جديد بعد تنحي مبارك، والبرادعي يقول هذا أعظم يوم في حياته

- " تونس حرة: اسمحوا لي بان أحضنكم يا مصريين ..اسمحوا لي بأن أقبل جباهكم ...اسمحوا لي بأن أبكي دون خجل بين أيديكم ...شكرا لبسالتكم شكرا لعندكم.. "
- المصري اليوم ... الرصاص بكثافة في الهواء إضافة إلى صوت أبواق السيارات احتفالا بتنحي مبارك ... /com/news.الأفراح-تعم-شوارع-غزة-وحماس-تنحي-مبارك-بداية-انتصار-الثورة-المصرية
- " أنا مبسوط بكل خطوه مشيتها في مظاهره .. مبسوط بكل الغاز اللي حرق صدري .. مبسوط بكل شباب مصر "
- " فخور جدا إني شاركت في أحداث الثورة دي.. فخور جدا إني من الجيل اللي أسقط الطاغية، أنا كده عندي تاريخ وأحداث أقدر أحكيها لولادي"
- " علي اسم مصر التاريخ يقدر يقول ما شاء أنا مصر عندي أحب وأجمل الأشياء بحبها بعنف وبرقة واستحياء"
- " نريد أن يسجل أحد الثوار يوميات الثورة في ميدان التحرير والطائرات النفاثة والمروحيات وموقعة الجمل والمولتوف"
- " و استجاب القدر#Jan25 "





إن مت يا أمي ماتبكيش

أموت علشان بلدى تعيش

المصري اليوم

الشعب أراد وأسقط النظام

البداية

المصري اليوم



..وانتصر الشعب

الثورة تسقط مبارك .. والمجلس الأعلى للقوات المسلحة يتولى الحكم

الشروق الجديد

السبت

www.shorouknews.com

أول هتافات بعد نجاح الثورة: ارفع رأسك أنت مصرى

الشعب يريد بناء نظام جديد

(٢٩)

قالوا عن ثورة ٢٥ يناير

عادة ما تقع الأحداث الجسام حول العالم فتترك أثرا في ثقافة الشعوب، لكن الثورة المصرية البيضاء تفردت بالكثير من الآثار والحكايات.. وتفردت أكثر بطابع السلمية والبطولات الجماعية، والإبداعات الجماعية.. والأخلاق الحضارية.. وعادة ما تشهد بعض الأماكن حدثا جللا فتصبح علامة في بارزة، ونقطة تحول في تاريخ الإنسانية، كما هو حال ميدان التحرير الذي مثل جسرا عبر به المصريون قرونا من التاريخ، تحرروا من الخوف والاستبداد والفساد، تعلموا التمرد على السلطة الأبوية والسياسية والدينية، واستنشقوا نسائم الحرية على أرصفته وبين أشجار حدائقه.. حتى أصبح أكثر شهرة من مصر نفسها، التي طالما اشتهرت بالأهرامات ونهر النيل وأبو الهول، أصبحت اليوم تعرف بميدان التحرير.

وعادة ما تندلع الثورات حول العالم، تشتعل في الشوارع في العواصم، وتتمركز حول المقرات السيادية والنقابات والمؤسسات، أو ما يمثل الدولة في تصورهم،بينما المصريون اختاروا مقرهم قبل أن يتحركوا في ثورتهم ٢٥ يناير، ٢٠١١المصرية التي خلقت حالة فريدة ومميزة.. فخلال أيام الثورة استطاع شباب مصر إقامة دولة مجتمعية صغيرة في ميدان التحرير كانت أقرب الشبه بالمدينة الفاضلة، دولة بلا قائد يحكمها.. دولة يحكمها الجميع.. تخضع لقوانين غاية في الدقة والتنظيم، وتتمتع بكل الحريات في آنٍ معا.. فالجميع له حرية الرأي والكلمة وحرية التعبير، وإلى جانب الاحتجاجات والمطالب.. ولدت حالة فريدة ومميزة من التوافق والتسامح وقبول الآخر بين كل من في الميدان بطبقاتهم الاجتماعية المختلفة وتوجهاتهم وميولهم وخلفياتهم السياسية المتنوعة..

إن المتظاهرين المصريين أذهلوا العالم بإبداعاتهم وتصرفاتهم التلقائية المنظمة والحضارية دون أي جلسات اتفاق مسبق معهم، وأظهروا اللطف والعفة والشهامة في التعامل مع الفتيات والنساء والأطفال المعتصمين داخل الميدان، وأظهروا التسامح والتعاون في توفير ضروريات الحياة والاعتصام في الميدان من مواد الإعاشة؛ طعام ومياه وخيام وبطاطين وأدوية، كلها من الجهود الذاتية للمعتصمين من داخل الميدان وخارجه، وكان العمل الجماعي غاية في التنظيم، فهناك أناس مسئولون عن إعداد ثلاث وجبات بسيطة، وغيرهم مسئولين عن طباعة صور الشهداء ولافتات وشعارات ومطالب الثورة، وغيرهم مسئولين عن لجان التأمين الميداني، وآخرون مسئولون عن العناية بالجرحى والمستشفيات الميدانية التي تشكلت بجهودٍ شعبية، وشباب الائتلاف مسئولون عن التنسيق بين هذه المجموعات والتفاوض مع النظام واعتماد بيانات الثورة ..

وتخلل هذه الحالة الثورية جو من الإبداع الفني والترفيه، فهناك مجموعات تغني وآخرون يعزفون على آلاتهم ومجموعات تتبادل الأحاديث والنقاشات والنكات السياسية.. وفي مشهد آخر تجد الجميع مدعو لحفل زفاف هنا أو هناك داخل الميدان بأقل التكاليف والإمكانات وسط جوٍ فريد من البهجة والفرحة، وكأن المصريون أخرجوا أفضل ما بداخلهم خلال ١٨ يوما هم عمر الثورة، حتى وقت المواجهات مع الشرطة كان هتاف "سلمية.. سلمية" يسبق الثوار في الميدان.

ستظل "تلك الأيام" إرثا راسخا في ذهن الجميع، نحمله في قلوبنا مهما ابتعد به التاريخ..وسنظل نذكر هذا الميدان الدولة بوصفه مهد ثورة بيضاء فريدة من نوعها لم تطلقْ رصاصة واحدة على النظام الذي سعت لإسقاطه، ولا من أجل النظام الذي رغبت في بنائه..ما جعل قادة الفكر والسياسة في العالم ينظرون للمصريين بعين الانبهار، وستظل شهادات وأقوال زعماء وقادة الدول والرأي العام محفورة كشهادات للتاريخ عن الثورة المصرية.. هكذا تحدثوا عن ثورة تحرير مصر.. وهذا ما قالوه:

- "المصري اليوم لايت : بردٌ مطعم بدفءٍ غريب، كِسرة خبزٍ من يدٍ لم تعرفها، بسمة من ملامح لم تألفها، نوم آمن في غير بيتك، صلاة في حمى مسيحي، لا فصائلَ، التعظيم لوحدة الهتاف، وتسقط توصيفات البشر العنصرية، إن كنت شاهدتها في التلفاز، أو تحسستَ ثراها في الميدان، هي ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، و«التحرير» الذي حوا شرارتها ".
- الحاج جمال؛ حارس العقار رقم ١٥ المطل على ميدان التحرير والذي عاصر الثورة ، قال:«٢٥ يناير يوم مستحيل أنساه.. من كان في الميدان خلال الـ١٨ يوما شباب «زى الورد» كانوا ينادون بالعيش والحرية والعدالة الاجتماعية رغم أنهم «مش محتاجين»، لكنهم «اتبخروا» بعد التنحي "
- الحاج أحمد الطيب، إمام ومؤذن مسجد عباد الرحمن، الذي تحول إلى أول مستشفى ميداني في التحرير: «الـ١٨ يوما دول شفت فيهم مصر الحقيقية.. المدينة الفاضلة بجد.. كنا هنا كلنا واحد.. مفيش تصنيفات ولا فئات.. كنا بنساعد بعض اللي بيكنس واللي بيعمل أكل ولو الواحد محتاج لحاجة في ثانية يلاقي غيره يجيبهاله.. التبرعات ماكانتش بتقف.. أدوية وأكل وبطاطين حتى الشرابات جابوا كراتين عشان ماكانش في وقت نغسل.. بعد الـ١٨ يوما كل شيء انتهى والشباب اللي زي الورد ما شوفناهمش تاني.."
- " د. خالد فهمي أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية: "منذ البداية والعالم يحاول فهم ما حدث، والذي أراه ثورة عميقة، وحدث جلل فارق في التاريخ المصري الممتد منذ ٧ آلاف سنة، لم يحقق فيها الشعب إنجاز

مماثل بإجبار الحاكم على التنازل عن الحكم، مثلما حدث بشكل مخيف وخطير ومهدد لقناعات كثيرة."

- "علماء النفس والاجتماع: "الإبداع الحقيقي لثورة «٢٥ يناير» تمثل في أخلاق الميدان، من حب للآخر والتخلي عن الأنانية. فجميع المتظاهرين كانوا يعيشون كأسرة واحدة، بالإضافة إلى روح العمل التطوعي الجماعي التي طغت على الميدان، فحضر أطباء متطوعون لإسعاف الجرحى، وتطوع المتظاهرون وغيرهم من الشباب بعد فض الاعتصام لإعادة تنظيف ميدان التحرير وكوبري قصر النيل وتجميلهما. "

- "كاتبة مصرية: "لم تذكر حالة تحرش واحدة في صفوف المتظاهرين، حتى في التظاهرات المليونية التي كان يتعدى المتظاهرون فيها أكثر من ٣ ملايين متظاهر في ميدان التحرير."

- "جريدة الدستور": كانت ثورة ٢٥ يناير حلما رومانسيا، سعى من خلاله أبناء الطبقة الوسطى إلى تغيير حقيقي لكل معطيات المشهد العام، بما فيه من سلبيات متراكمة على مدار عقود من التكلس، حلم الشباب بوطنٍ خالٍ من كل مظاهر العطب التي رؤها جاثمة على صدورهم، سعوا لتحقيق صورة جميلة للوطن رسموها في أذهانهم واشتاقت إليها أرواحهم. "

- قائد الحرس الجمهوري، اللواء نجيب عبد السلام: "لقد كنت دائمًا أقول إن ثورة ٥٢ يناير هي ثورة الصدمة الفكرية، لأن هذه الصدمة مرتبطة بالفكر والعقل وقد أحدثت شللا فكريًا في مؤسسات الدولة، ولم يتمكن أحد من التصرف وإصدار القرارات، ومن ثم لم يستطع أحد التعامل مع المتظاهرين المحتشدين في الميادين."

- الرئيس الأمريكي باراك أوباما في خطاباته يومي ١٢ و١٤ فبراير ٢٠١١قال:"هناك لحظات نادرة في حياتنا نتمكن فيها من مشاهدة التاريخ أثناء صياغته، وثورة مصر إحدى هذه اللحظات، فالناس في مصر تحدثوا، وصوتهم سُمع، ومصر لن تكون أبدا كما كانت.. فالشباب المصري واضحون ولم يسعوا إلا للتغيير عن طريق مظاهرات حضارية سلمية ولذلك يجب علينا جميعا أن نربي أبناءنا ليصبحوا كشباب مصر. "

- بان كى مون الأمين العام للأمم المتحدة في خطابة ١٥ فبراير ٢٠١١قال: أتيت إلى مصر لتحية الشعب المصري، وتأكيد عون ومساندة الأمم المتحدة للشعب المصري ولثورته السلمية والتي استطاعت أن تجنى ثمارها من خلال التعديلات الدستورية، فالمصريون ألهمونا وعلمونا أن الفكرة القائلة أن العدالة لا تتم إلا بالعنف هي محض كذب"

- سيلفيو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا في كلماته يومي ١٤ و ١٥ فبراير ٢٠١١، قال :" إن المصريين دائما وأبدا يضعون فصولا جديدة في التاريخ ، وما قاموا به في ٢٥ يناير ليس جديدا في مصر فقد صنع المصريون التاريخ كالعادة، ولذلك يجب أن ندرس الثورة المصرية في مدارسنا كى نخرج جيلاً قادر على صناعة التاريخ.. "

- هاينز فيشر رئيس النمسا أكد في خطابه يوم ١٥ فبراير ٢٠١١ أن" شعب مصر هو أعظم شعوب الأرض ويستحق جائزة نوبل للسلام، وخاصة لأن شعبها قام بثورة كانت عبارة عن قوة تغيير أخلاقية غير عنيفة غير إرهابية، تسعى لتغيير مجرى التاريخ بوسائل سلمية، لذلك نأمل في أن تصل مصر إلى نظام جديد يقوم على الديمقراطية ونسعى لأن نكون شريكا فيه."

- ستولتنبرج رئيس وزراء النرويج في كلمة وجهها للشعب المصري يوم ١٥ فبراير ٢٠١١قال" الثورة صوتها مصري، إلا أنها تذكر العالم بأصداء ثورات سابقة، أهمها ثورة الألمان على سور برلين ، وثورة غاندى الذي قاد شعبه إلى طريق العدالة، لذلك فأنا أطالب جميع دول العالم أن تتعلم من المصريين، فمن اليوم يجب أن نرفع شعار "كلنا مصريون."

- فستر فيله وزير الخارجية الألماني في خطابة ١٥ فبراير ٢٠١١قال: الثورة المصرية تشبه ثورة وحدة ألمانيا منذ ٢٠ عاما.. فقد حافظت على كونها سلمية، خاصة بعد خطاب الرئيس مبارك الأخير الذي قال فيه إنه سيبقى في المنصب. فاتخذ المتظاهرون رد فعل إيجابيا ولم يغيروا سلميتهم ولذلك فأنا أتطلع إلى زيارة مصر والحديث مع الذين قاموا بالثورة."

- وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون، قالت: ثورة ٢٥ يناير تعد لحظة تاريخية، استطاع الشعب المصري من خلالها أن يحطم القيود والمصاعب لتحقيق حلم الديمقراطية.. وواشنطن تكن كل التقدير للشعب المصري، وعلى المستوى الشخصي أنا فخورة جدا بما حققه الشباب المصري في ثورة ٢٥ يناير التي أكدت أنها ضربت مثلا استثنائيا في الاحتجاج السلمي غير العنيف."

- ليندسي جير من الأمينة العامة لتحالف أوقفوا الحرب، قالت: الجميع سعيد بانتصار الثورة في مصر..والثورة المصرية دفعت الناس إلى النظر في أوضاع بلادهم تحت حكم الدكتاتورية، وجعلتهم يتساءلون: هل التغيير ممكن؟ .. وستظل كلمة التحرير تذكر المصريين بما فعلوه، وبما ناضلوا من أجله ، وكيف غيروا بلدهم ، وبتغييرهم لبلدهم غيروا العالم أيضا."

- رئيس المبادرة الإسلامية في بريطانيا محمد صوالحة، قال: الثورة المصرية فتحت صفحة جديدة في تاريخ الأمة وأعادت ثقة الجماهير بنفسها وبرهنت على أن هذه الأمة حية لم تمت رغم كل محاولات قمعها والفتك بها والإيحاء لها بالهزيمة، فجماهير مصر العظيمة تصنع اليوم التاريخ ليس فقط لشعب مصر بل للعالم العربي والإسلامي."

- رئيس البرلمان الأوروبي جيرزي بوزيك، قال: توصف ثورة "٢٥ يناير" في مصر بأنها ثورة "الكرامة الإنسانية" فهي ثورة بلا قائد، انضمت إلى صفوفها على الفور جماهير غفيرة بلا قيادة ثورة انطلقت من الفضاء المعلوماتي الذي تسبح في مجاله الشبكة المعلوماتية، بكل أدوات اتصالها المستحدثة، وأهمها المدونات والفيس بوك والتوتير".

- جابي اشكنازي رئيس أركان الجيش الإسرائيلي : الأحداث في مصر تثبت، إنه يتوجب علينا التواضع والحذر في تقديراتنا للعالم العربي، خاصة وإن عددا كبيرا من الإسرائيليين أبدوا إعجابهم بالثورة المصرية، فالأمل والتفاؤل يتدفقان إلى مصر، كما أن شجاعة الجماهير تجعلنا نعجب بالمصريين، لقد استطاعوا الوقوف في وجه الرئيس مبارك فقد وقفوا في وجه واحد من أقوى الحكام والأكثر كُرها في التاريخ الحديث لمصر."

- " مغرد تونسي على فيسبوك: "مبروك لشعب مصر الحر الأبي زوال حكم آخر الفراعنة الطغاة ...عندما يثور الشعب لا تجدي جحافل الأمن والاحتياط المركزي عن ردعه لأن الطوفان الشعبي سيقتلع من أمامه كل شيء.. فالحرية لا تباع ولا تشتري وإنما تؤخذ الدنيا غلابا .... وبعد اليوم لن تنام عين طاغية أبدا."

- الكاتب البريطاني روبرت فِسك؛ عدم وجود قائد للثورة كان أمرا ذكيا للغاية، وعدم وجود قيادة للثورة لم يمكنها من وجود خطة للسير عليها، وهو الأمر الذي يؤكد براءة الثورة وأنها ليست نتيجة مؤامرة، فمن يريد التواصل مع أطراف الثورة، كان عليه الدخول إلى موقعي «فيسبوك» و«تويتر» للتحدث مع المشتركين بها، إن الثورة المصرية أعادت إلى البلاد الحرية والكرامة دون تأثير بريطاني أو أمريكي أو فرنسي. وسيُعرف هذا الحدث في التاريخ باسم ثورة ٢٥ يناير، وسيؤرخ علي أنه اليوم الذي هب فيه هب المصريون ونفضوا عنهم خوفهم وطردوا الرجل الذي يحبه الغرب ويعتبره زعيما معتدلا."
- "السفير الألماني بالقاهرة" : "بعد خطاب الرئيس مبارك الأخير اتخذ المتظاهرون رد فعل إيجابي واكتفوا برفع الأحذية تعبيرا عن الازدراء".
- "قناة سى.إن.إن الإخبارية"لأول مرة نجد شعبا يقوم بثورة وينظف الشوارع من بعده"

- "وسائل إعلام عالمية ": نحن نشهد ثورة هي الأكبر في التاريخ العربي، وربما كانت الأعظم في التاريخ كله"
- "الجارديان البريطانية" ٣٠ثانية وضعت نهاية حكم استمر ٣٠ عاما " في إشارة إلى بيان التنحي.ومهما يحدث بعد الآن، فإنها بالفعل لحظة تاريخية مهمة، أعادت ترسيخ مكانة مصر كقائدة للعالم العربي".
- "ديلي تليجراف البريطانية"" قوة الشعب تصنع التاريخ في مصر"
- "الكاتب الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل": الشعب المصري أصبح أقوى من النظام نفسه".
- " الكاتب الصحفي فهمي هويدي ": ما يميز الثورة المصرية أن الشعب هو الذي استدعى الجيش وليس العكس ".
- "مثقفون مصريون ": الثورة المصرية هي النموذج والمعلم لشعوب العالم
- المرجع الإسلامي العراقي حسين المؤيد :الثورة المصرية فتحت صفحة جديدة في تاريخ الأمة وأعادت ثقة الجماهير بنفسها
- الأديب الإسباني خوان غويتيسولو: "المصريون شعروا في الميدان بأنهم ملاك مستقبلهم ومصيرهم وعليهم أن يقولوا كفى!
- الروائي البرازيلي الشهير بولو كويلي"العالم يتحول للأفضل لأن هناك شعوبا تخاطر بأرواحها لجعله أفضل.. شكرا يا مصريين"
- "رجال أعمال عرب": الثورة أعطت دفعة كبيرة للمناخ الاقتصادي والاستثماري في مصر".
- "الممثل العالمي جون كوزالك"المصريون يصنعون تاريخ جديد ويقدمون صورة ملهمة للشجاعة".
- " بنك سي.آي.كابيتال ": المستثمرون الأجانب ينظرون إيجابيا للتطورات في مصر"
- بن كاسبيت المعلق الإسرائيلي البارز : " الأمل والتفاؤل يتدفقان، شجاعة الجماهير جعلتنا نعجب بالمصريين، بعد أن وقفوا في وجه مبارك"
- بن كاسبيت المعلق الإسرائيلي البارز: " الشعب المصري من أعظم الأبطال، وقفوا في وجه واحد من أقوى الحكام الأكثر كرها في التاريخ "
- البرتغالي كريستيانو رونالدو نجم وسط ريال مدريد الأسباني: " أتابع أخبار الثورة المصرية أكثر من أخبار برشلونة!
- الهولندي مارك فوتا المدير الفني للإسماعيلي: " الثورة في عيون أوروبا تعبر عن رقي مصر، وتوضح أن الشعب أراد الحرية ولم يرتض دونها"

- "الكاتبة تقول سويف: "إن الأيام الثمانية عشر الذهبية بدءا من ٢٥ يناير وحتى تنحى مبارك في ١١ فبراير، لم تظهر فقط ما الذي يمكن أن يفعله الشعب المصري، ولكن كيف يمكن أن يكونوا كذلك، فتلك الطريقة لتحديد من نكون هي التي أسرت مخيلة العالم وألهمت حركات الشعوب بما فيها حركة احتلوا لندن".

الكاتب البريطاني روبرت فِسك؛ تغطية الثورة المصرية بالنسبة لىَ كانت من أسعد القصص الصحفية التي كتبتها خلال فترة عملي في منطقة الشرق الأوسط، وعلى مدى الـ٣٧ عاما الماضية تقريبا رأيت دماء وقتالا وظلما وخرابا، وسمعت قصص تعذيب، وشاهدت حوادث قتل جماعي ومقابر جماعية، لم أتوقع أن أشاهدها في حياتي، ولكن الثورة المصرية في نظري كانت رمزا للإنسانية بدلا من الدماء، وأنا أفضل الثورات الناعمة عن الثورات الدموية، وخلال الـ١٨ يوما من الثورة المصرية، لم يذبح الشعب عنق الوزراء كما حدث لوزير الصناعة العراقي، في عهد الرئيس صدام حسين، ولم يتم إعدام الشعب في الشوارع كما يحدث في إيران، ورغم أن قوات الشرطة مارست أعمال تعذيب وعنف واسعة أثناء الثورة تمثلت في إطلاق النار على المتظاهرين، رجال ونساء وطلاب، فإنها بالمقارنة بالثورات الأخرى، ثورة إنسانية وليست دموية.

ولروعة وإبداع الثورة المصرية، فلم تقتصر آثارها عند مجرد الكتابة والتمجيد بالرسم بالحروف، فقد حاول الثوار في بريطانيا خلق نموذج يحاكي ميدان التحرير بالقاهرة، فاعتصم نحو ٤٠٠ ألف بريطاني أواخر مارس ٢٠١١ في «هايد بارك» بالعاصمة لندن وجاءت المظاهرة بعد مطالبة عدد من النشطاء البريطانيين بتحويل وسط لندن إلى شبيه بميدان التحرير في القاهرة والسيطرة على ميدان الطرف الأغر أو "ترافاغار"

وفي أسبانيا استلهم المتظاهرون روح ميدان التحرير رمز الثورة المصرية وفي ١٥ مايو ٢٠١١ خرج آلاف المتظاهرين مسيطرين على ميدان الشمس "بورتا ديل سول" وسط مدريد استجابة لدعوات أطلقت عبر موقعي "فيس بوك" و "تويتر" بسبب البطالة وإجراءات التقشف الإجباري في أوروبا، ونصب المتظاهرون خيامهم في الميدان.. واستجابة للحملة الاسبانية انتشرت الاحتجاجات في عدة دول أوروبية.. ففي اليونان احتشد ما يقرب من مائة ألف من اليونانيين في ميدان سينتاجما أمام مقر البرلمان أحد الميادين الواقعة بوسط العاصمة أثينا في احتجاج غير حزبي تنديدا بالساسة الذين يحكمون البلاد، كما صب المحتجون غضبهم علي صندوق النقد الدولي.. وفي فرنسا شهدت ساحة ميدان "الباستيل" بوسط باريس احتشاد مئات من المتظاهرين الفرنسيين وأعلن المنظمون الإقامة في الميدان، وقرروا نصب خيامهم فيه علي غرار ميدان التحرير بالقاهرة ..

ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية هي الأخرى بمنأى عن الأحداث.. ففي ١٧ سبتمبر ٢٠١١ تدفق المتظاهرون إلى ساحة «زوكوتي بارك» في منطقة وول ستريت المالية في نيويورك كبداية لحركة "

احتلوا وول ستريت" واستمر المتظاهرون في الساحة لأسابيع لمناهضة السياسات الاقتصادية للإدارة الأمريكية وكانت هذه الحركة دون قيادة أو لون سياسي معين في محاكاة منها لثورة يناير المصرية، وبحسب الناشط، تايلور كومبيليك الناطق باسم المحتجين يقول"ما يجري مستوحى من ميدان التحرير في القاهرة.

وبرغم كل ما قيل من آيات المجد والتعظيم في ثورة ٢٥ يناير، حتى الطاغية مبارك الذي خلعته الثورة، أشاد بشبابها واعترف بوطنيتهم ونضالهم ضده ونظامه الذي وصفه بـ"التشكيل العصابي"وقال أنه كان أكثر من تعرض للخداع من الفاسدين حوله وأنه الآن يندم بعد فوات الأوان، بما يعني أنه اعترف بأن الثورة طهرت البلد.. إلا أن جهاز أمن الدولة، كان ما يزال يعمل بطاقته ولم يسقط بسقوط قوة الأمن والشرطة، حيث كان يعمل بكفاءتها المعتادة، برغم أن الثوار طالبوا أكثر من مرة بحل جهاز أمن الدولة والإفراج عن المعتقلين السياسيين، وخلال الفترة التالية للثورة أصدر الجهاز تقريره في شهر فبراير عقب نجاح الثورة في خلع مبارك.

جاء تقرير جهاز مباحث أمن الدولة عن أحداث الثورة في الفترة الممتدة من ٢٥ يناير حتى ١١ فبراير ٢٠١١. على درجة سري للغاية/ ممهورا بختم النسر ، والتقرير يحمل اسم «سيناريو الأحداث التي شهدتها البلاد وتطوراتها» وجاء التقرير في ٥١ ورقة ، وحدد عدة أسباب لما حدث يوم جمعة الغضب لخصها في «الثقافة السلبية السائدة لدى الناس تجاه الأداء الأمني، حيث يصفونه بالأسلوب القمعي، مما دفع المتظاهرون لاتخاذ العنف منهجا للتعامل مع أجهزة الأمن وقواته ومقراته ومعداته»، فضلا عن وقوع ضحايا في صفوف المتظاهرين، ما ساهم في تحفيزهم على مواصلة تحركاتهم والتصدي للشرطة والاعتداء على أفرادها بصورة ثأرية.. وغض التقرير الطرف عن قضية انسحاب الشرطة من مواقعها، وما إذا كان تصرفا تلقائيا أم بأوامر من قيادات الداخلية. وتنكر الجهاز تماما للخطة ١٠٠ والخطة ١٠١ التي نفذتها وزارة الداخلية بمعرفته.

وأما خلال فترة الاعتصام في ميدان التحرير، فقد لخصها التقرير في عدة نقاط أولى فيها اهتماما لما وصفه بتدخل العناصر الخارجية في أحداث الثورة، بداية من زعم إلقاء القبض على ٥ تونسيين يوم ٢٧ يناير أثناء تواجدهم بشارع مجلس الشعب أثناء تحريضهم المواطنين على الثورة، وتسلل أفراد من حركة حماس وحزب الله عبر الحدود ومهاجمتهم السجون، وصولا إلى الزعم برصد وجود «عناصر أجنبية» من جنسيات مختلفة في ميدان التحرير تقوم بتوزيع بطاطين ومبالغ مالية بالجنيه والدولار واليورو لحث المواطنين على الاستمرار في الاعتصام. وذكر التقرير وجود أشخاص من نحو ٢٩ جنسية مختلفة ضمن المتواجدين في ميدان التحرير، من بينهم مراسلين صحفيين لوكالات أنباء وصحف وقنوات تليفزيونية أجنبية. وأن حركة

حماس قد أصدرت توجيهات لقيادات جماعة الإخوان المسلمين بضرورة الإصرار على تنحي مبارك. واتهم التقرير أيضا جماعة الإخوان المسلمين بتلقي أموال من باكستان وتركيا لإنفاقها على أعضائها بميدان التحرير. كما أولى كاتب التقرير اهتماما خاصا للاتصالات بين المعارضة والحكومات الأجنبية، حتى وإن جاءت هذه الاتصالات من أطراف لا تمثل أهمية حقيقية في المشهد السياسي المصري وقتها .(مدى مصر)[23]، وخلاصة التقرير أنه لم يعترف بقيام ثورة شعبية في مصر، وفسر تلك الأحداث الجسيمة في تاريخ مصر والتي أثرت في العالم ما جعل قادة الفكر والسياسة يشيدون بسلوك الشعب المصري في السعي إلى التغيير، واتهم هو الشعب بالاعتداء على قوات الأمن والشرطة وتخريب الممتلكات وتلقي أموال من الخارج لزعزعة أمن واستقرار الوطن..

وترجع فكرة إنشاء جهاز أمن الدولة سيء السمعة إلى عام ١٩١٣، حيث كانت مصر تعاني وقتها في ظل الاحتلال الانجليزي، وأنشئ الجهاز (الذي أطلق عليه في ذلك الوقت قسم المخصوص) لتتبع الوطنيين والقضاء على مقاومتهم للاحتلال، وهو يعد أقدم جهاز من نوعه في الشرق الأوسط، واستعان الانجليز في إنشائه ببعض ضباط البوليس المصري، وتولى إدارته لأول مرة اللواء سليم زكي حكمدار القاهرة، الذي كان مقربا من المحتل .

ولم يكن لوزارة الداخلية ولاية على هذا الجهاز، حيث كان قائده يتلقى أوامره مباشرة من الملك. وبرغم التغيرات الجذرية التي أدخلتها ثورة ٢٣ يوليو في شتى مناحي الحياة المصرية، إلا أن كثيرا من آليات عمل (الجهاز) ظلت مستمرة كما هي وإن تم تغيير أسمه، وعلى مر العصور ظلت وظيفة ومهام العاملين في هذا الجهاز (غامضة وغير معلنة)، واستمرت آليات عمله وصلاحياته وسلطاته متوغلا في كل مؤسسات الدولة والنقابات والشركات والنوادي والجمعيات الأهلية، ليس فقط المراقبة والتجسس، وإنما التحكم في المواقع القيادية، بما ينتقص من حقوق وحرية المواطن يوما بعد يوم. ومن الناحية النظرية، كانت مهمة الجهاز تنحصر في جمع المعلومات الأمنية ومراقبة المواطنين والتجسس عليهم، بينما في الواقع كان الجهاز يعتقل المواطنين ويحقق معهم ويستمر في تعذيبهم حتى يعترفوا بأشياء لا يعلموا عنها شيئا.

---

٢٣ -رابط تقريرسيناريو الأحداث التي شهدتها البلاد وتطوراتها
،https://www.scribd.com/document/252212645

والغريب أن المكافأة التي كان ينالها العاملين في هذا الجهاز على تعذيب واستباحة حقوق وحريات المواطنين، هي تولي مناصب سياسية مرموقة كوزراء ومحافظين ورؤساء هيئات ومصالح حكومية. فقد تولى وزارة الداخلية من أبناء الجهاز، اللواء عبد العظيم فهمي، وممدوح سالم (وزيرا للداخلية ثم رئيسا للوزراء) وسيد فهمي، وحسن أبو باشا، وأحمد رشدي، وأخيرا حبيب العادلي. بالإضافة إلى أن ضباط مباحث أمن الدولة يتمتعون بمميزات مادية ومعنوية عن غيرهم من ضباط الشرطة، تخولهم استغلال نفوذهم وسطوتهم في القيام بشتى أنواع الفساد والإفساد.

وعلى الرغم من أن الهدف المعلن لإنشاء الجهاز كان حماية الأمن، ومحاربة الإرهاب والتطرف وكل ما يهدد الأمن المصري، إلا أن طبيعة العمل الحقيقي وما كان يتم تناقله عن تعامل الجهاز مع المواطنين يخالف ذلك بمراحل. فالتعذيب وامتهان كرامة المواطن أمر منهجي في هذا الجهاز (القمعي)، وكل مكاتب أمن الدولة اكتشفت بها أماكن وأدوات للتعذيب ولم تكن تخضع لأي تفتيش أو رقابة من أي جهة، ما كان يساهم في تطور التعذيب إلى حد القتل. فالمئات من المعتقلين السابقين في مقار الجهاز المنتشرة في كل محافظات الجمهورية أكدوا حدوث تجاوزات شديدة، من إهانات وضرب، واعتداءات جنسية وصعق بالكهرباء وإطفاء السجائر في جميع أنحاء الجسد، في محاولات غير آدمية للضغط عليهم ليعترفوا بأشياء لم يرتكبوها .

وبعد نجاح ثورة الخامس والعشرين في خلع مبارك، استمرت مطالبات الشباب بتغيير الحكومة، إذ أنه بتنحي مبارك استمرت الحكومة التي عينها في أيامه الأخيرة برئاسة أحمد شفيق لتسيير الأعمال، لكن الشعب أصر على إسقاط الحكومة ليكتمل تغيير النظام. وفي يوم الجمعة ٢٥ فبراير قامت مظاهرة مليونية جديدة في التحرير لإسقاط الحكومة، ورغم ذلك لم يستحب المجلس العسكري، وفي يوم الأربعاء ٢ مارس انعقدت مناظرة كبيرة جدا بين رئيس الوزراء أحمد شفيق في برنامج بلدنا بالمصري ويدخل في الحوار الأستاذ حمدي قنديل والأستاذ علاء الأسواني ويتم إحراج وكشف أحمد شفيق بطريقة فاضحة أمام الرأي العام.

وفي اليوم التالي الخميس ٣ مارس قام المجلس العسكري بإقالة أحمد شفيق من رئاسة الحكومة وتعيين الدكتور عصام شرف لرئاسة الوزراء ، وتعليقا على القرار قال شادي الغزالي حرب. أحد قيادات "ائتلاف شباب الثورة" الذي يضم ممثلي أحزاب ومجموعات شبابية متنوعة شاركت في الدعوة إلى الثورة المصرية. "الحمد لله. نحن سعداء. هذا القرار استجابة لمطلب الثورة". وأضاف لوكالة الصحافة الفرنسية "طرحنا اسم

عصام شرف لخلافة شفيق خلال لقاء الأحد الماضي مع المجلس الأعلى للقوات المسلحة. وكان اختيارنا له على أساس أنه رجل تكنوقراط وفي منتهى النزاهة". وعلق د. محمد البرادعي على الفور على قرار إقالة شفيق وكتب على موقع تويتر "سقط النظام البائد بسقوط مبارك وحكومته. نحن على الطريق السليم. خالص تقديري للمجلس الأعلى للقوات المسلحة على الاستجابة لمطلب الشعب".، وتم وتكليف د. عصام شرف بتشكيل الحكومة وأصر الثوار على حضور الدكتور عصام شرف لميدان التحرير للاحتفال بذلك يوم الجمعة ٤ فبراير وللتأكيد على خلع أحمد شفيق، لكن في نفس اليوم مساءا بدأت سرا في أمن الدولة بمدينة ٦ أكتوبر عمليات فرم وحرق المستندات بأوامر من قيادات أمن الدولة في كل الفروع بعد سقوط آخر معقل حماية لهم وهو رئيس الوزراء المخلوع أحمد شفيق.

الجمعة ٤ مارس، حضر الدكتور عصام شرف إلى ميدان التحرير للاحتفال مع الثوار بعد صلاة الجمعة في مليونية احتفالية جديدة وألقى كلمة عظيمة بالميدان لكل شعب مصر.. استمرار عمليات فرم المستندات سرا في باقي فروع أمن الدولة وتنبه الشعب لهذه العمليات بعد تصاعد أعمدة الدخان الكثيف من داخل مقرات أمن الدولة المختلفة وبدأت محاصرة المتظاهرين لجميع مقرات أمن الدولة بالتزامن على مستوى الجمهورية لمنعهم من الفرم والحرق.

اشتعلت الموجة الثورة مرة أخرى، وتعرضت مقار "الإسكندرية"، و"مدينة نصر"، و"٦ أكتوبر"، و"الدقي"، و"مرسى مطروح"، و"قنا"، و"الزقازيق"، و"أسوان"، و"شبين الكوم"، للاقتحام بعد أن شوهدت ألسنة لهب تتصاعد من نوافذ هذه المقار في توقيت واحد تقريبا، وأكتشف المواطنين أن العاملين بالجهاز (من ضباط ومجندين) تلقوا تعليمات عليا (لم يذكر مصدرها كما حدث عند انسحاب الشرطة والأمن من الشوارع مساء جمعة الغضب) بإعدام كميات هائلة من الوثائق والمستندات (عن طريق الفرم والحرق)، والتي تكشف فضائح الجهاز، وأساليب عمله (من عمليات تجسس وتلفيق تهم) للمواطنين.

إلى هنا ، ولم يشعر المصريون بسقوط النظام الذي اضطهدهم أجيالا متتالية سوى يوم الجمعة فقط، حيث سقط جهاز أمن الدولة المرعب في قبضة الشعب الثائر، ورغم مرور أكثر من ٢٥ يوما على سقوط رئيس النظام حسني مبارك في ١١ فبراير ٢٠١١ فإن نظامه لم يسقط بالنسبة لغالبية المصريين، سوى بعد سقوط جهازه السري.

ففي المقر الرئيسي للجهاز بحي مدينة نصر، التف المئات أمام الجهاز وسط ترديد للهتافات المنددة بالجهاز، ومنها "لا اله إلا الله، أمن الدولة عدو الله" و"الشعب يريد إسقاط أمن الدولة" وبعد مناوشات مع رجال الجيش

والشرطة العسكرية الذين استلموا المقر، استطاع المئات الدخول، وداخل المقر ذي التصميم الهندسي الفريد والشبيه بالمتاهات، والذي يعد مدينة سكنية سرية، وقف المصريون وجها لوجه أمام تاريخ طويل من التجسس والظلم والتعذيب والفضائح، آلاف الملفات لكل ما يجري على أرض مصر، بداية من غرف النوم وحتى صنع القرار، ملفات عن السياسيين والفنانين والقضاة ورجال الأعمال والطلبة، وملفات عن فلسطين وليبيا والولايات المتحدة، الهدف منها جميعا ليس مكافحة الفساد أو حماية أمن الوطن، وإنما حماية النظام الحاكم وتمكينه من إحكام القبضة الأمنية والاستمرار في الحكم أطول فترة ممكنة، التوصيات التي كانت تكتب على الوثائق من قبل المسئولين تفيد بكيفية التعامل مع المواقف لصالح النظام، إضافة إلى أن هناك معلومات تم جمعها عن أشخاص لا يعرف أحد الغرض منها.

وبعد الاطلاع على المستندات تنتقل لمبنى آخر مجاور للمبنى الرئيسي، حيث تتواجد زنازين الحبس، وهي عبارة عن غرف إسمنتية مصمتة، شبيهة بالخزائن الحديدية، لا توجد بها أي نوافذ وبابها مصفح، وبكل واحدة قاعدة حمام وصنبور مياه، ومصطبة إسمنتية للنوم عليها، ومطلية باللون الرصاصي ولا تتواجد بها أي مصادر للإضاءة.. وبعد اقتحام الثوار المقر لعدة ساعات بالتزامن مع مقرات أخرى عديدة في كافة أنحاء الجمهورية، دخلت قوات خاصة من الجيش لإخراج المواطنين، والذين ينتمي كثير منهم إلى الجماعات الإسلامية والإخوان المسلمين واليساريين، لإخراجهم. ووسط الدهشة من كمية المعلومات والفضائح، انتاب بعض ممن تم اعتقالهم وتعذيبهم في المقر المخيف حالات بكاء ممزوج بالانتصار، والفرح، بالقضاء على أعتى جهاز في مصر حاصر شعبه ظلما وفسادا وقهرا. وبعد خروجهم أنزلوا أعلام جهاز الشرطة من على المباني وأحرقوه أمام هتافات الجميع.

وكرد فعل طبيعي بدأ عدد من ناشطي موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك)، إنشاء عدد من الصفحات لنشر الوثائق التي نجحوا في إنقاذها من المقار المذكورة، نذكر منها –ويكليكس أمن الدولة – فضائح وتسريبات أمن الدولة وصفحة مصرليكس على غرار الموقع الشهير ويكيليكس، وهو ما دفع المجلس الأعلى للقوات المسلحة لإصدار بيان عاجل على صفحته على موقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) يناشد المصريين تسليم ما حصلوا عليه من وثائق أمن الدولة، وعدم تداولها عبر وسائل الإعلام المختلفة تجنبا للمسائلة القانونية، ولارتباطها بأسماء وقضايا يشكل الكشف عنها خطورة على أمن مصر القومي.

وطالب موقع (ويكليكيس) الإلكتروني المتخصص في نشر الوثائق السرية على شبكة الإنترنت، عدم التخلص من المستندات والأوراق التي عثر عليها (مفرومة) في مقرات أمن الدولة. ووجه الموقع رسالة إلى

المصريين "لا تتخلصوا من أوراق أمن الدولة الممزقة، لدينا أفضل فريق في العالم يستطيع إعادة تجميع الأوراق المفرومة. "وكشف "ويكليكيس" أن فريقا ألمانيا تابعا له تمكن عن طريق تطوير تقنية خاصة بنظم الحاسب من تجميع نحو ٤٥ مليون صفحة من ملفات الشرطة السرية الممزقة. وكان أبرز ما تناولته الصفحات وجود أفلام جنسية في مكتب رئيس الجهاز، وملابس رقص في مكاتب أخرى، وملابس حريمي في مكتب الوزير، وخطة التعامل مع تظاهرات الغضب التي بدأت بها الثورة (الخطة ١٠٠ والخطة ١٠١) والاستعانة بالبلطجية، وغيرها الكثير.

وأعلنت وزارة الداخلية أنها بصدد "إعادة هيكلة لجهاز أمن الدولة"، وتغيير اسمه إلى" جهاز الأمن الوطني" حفاظا على سلامة الشعب، . وبعدها أصدر جهاز الأمن الوطني تقريره الذي اعترف فيه بالثورة لأول مرة في مارس ٢٠١١ "، واعترف بوجود أسباب عميقة، اقتصادية واجتماعية وسياسية، حركت الجماهير، وأن الجموع نزلت بشكل عفوي بشكل "خض" الجهاز والشرطة بأكملها وشلهما عن الحركة، وأن الناس نزلت دون تحريك من الأحزاب ولا النخب السياسية، أي ثورة شعبية حقيقية.

وفي يوم ١٩ مارس ٢٠١١ بدأت ممارسة الديمقراطية الحقة في مصر بعيدا عن تدخلات أمن الدولة بعد غياب دام طويلا ونزل الملايين في مصر للجان الاستفتاء لإبداء رأيهم في الاستفتاء على التعديلات الدستورية الجديدة الخاصة بتنظيم الانتخابات البرلمانية والرئاسية ومدة الرئاسة.

وتعليقا على الثورة، كحدثٍ بمجرياته وتأثيراته، قال المهند سمير، الذي شارك أيام الاعتصام بميدان التحرير: "أول مشاركة لي في الثورة نزلت من منزلي ولم أكن قد أتممت الثامنة عشر من عمري، لم يكن عندي وعي أو خبرة سياسية مثلي مثل معظم جيلي، لكن كان عندي دوافع تجعلني أشارك.. في الميدان وجدت حب، عائلة ، وعي سياسي، ثقافات، أفكار كلها جديدة بالنسبة لي، ولدت من جديد.. رأيت الحياة بشكل مختلف، حلمت مع الموجودين بدولة جديدة.. مجتمع مختلف يوجد به حريات، آراء جديدة، أفكار جديدة حلمت معهم بمدنية الدولة.. عرفت قيمه الحياة، عرفت معني كلمة إنسان أصبحت علي قناعة تامة أن ثوار يناير علي حق وثورة يناير المجيدة ثوره شباب قامت من أجل أهداف سامية.. فالثورة، قد تستطيع ثنيها.. لفها.. تشويهها.. لكن لا تملك تغييرها.. كونها حقائق"

وصلات خارجية

١. أغنية صوت الحرية https://youtu.be/Fgw_zfLLvh8

٢. فرحة المصريين بالخارج : فيينا https://youtu.be/ipOE6FBu4Fk

٣. عمر سليمان يلقي بيان تنحي مبارك https://m.youtube.com/watch?v=GkyVHKuDtnE

٤. سجود ملايين المصرين لحظة إعلان تنحي الطاغية مبارك

https://www.youtube.com/watch?v=Z2FthtpkcI8

٥. تعليق على تنحى مبارك https://www.youtube.com/watch?v=VLlvbLlpLlE

٦. لحظة إعلان تنحي "مبارك" من ميدان التحرير
https://www.youtube.com/watch?v=PvEPW7olKE8

٧. أسرار خطاب تنحي مبارك www.Resala.com.eg :

https://www.youtube.com/watch?v=fK-qfRKu5Kg

٨. ثورة ٢٥ يناير كاملة جزء ١ من 7

https://www.youtube.com/watch?v=veV7NbQRFtQ

٩. يوميـــــــــــات الثـــــــــــورة المصـــــــــــــــرية- https://youtu.be/EMPbYiqoM0U?list=PLvah45Gv0-

CfBHXERlwOw5AUSPFq1OLkQ

١٠. https://youtu.be/CnRmQOk2W2I?list=PLWJH9NW0Wl0TRxbbUmEtvIre3bukLJ993

١١. ما لا يقال.. يوميات الثورة https://youtu.be/4A30HSA_YkA BBC –

١٢. اللحظات الأخيرة في حكم مبارك https://youtu.be/R7voLdhr7V0

١٣. صناعة الكذب – الجزيرة الوثائقية https://youtu.be/BWZ9SLrvVUQ

١٤. سلمية .... ٢٥ يناير يوم بيوم https://youtu.be/P1MRwTPBqWA ON TV –

١٥. حكايات الإخوان والثورة https://youtu.be/o9vLy9lw4nM

١٦. تحرير ٢٠١١ ... الطيب والشرس والسياسي https://youtu.be/FGz2BYKyeHw

١٧. الميدان https://youtu.be/qBpoJ8gBtJE

١٨. Egyptian – World Revolution – The most inspiring 7 minutes you will ever watch #Egypt #Jan25

١٩. https://www.youtube.com/watch?v=2_V6zMwaL04

٢٠. أرشيف ثورة ٢٥ يناير موقعة الجمل من روسيا اليوم

https://www.youtube.com/watch?v=_Zvqgf1yAgs

٢١. النشيد الوطني في ميدان التحرير كأنك لم تسمعه من قبل

https://www.youtube.com/watch?v=hPacOf98o2M

٢٢. في كل شارع في بلادي .. صوت الحرية بينادي

٢٣. https://www.youtube.com/watch?v=Ky5UdJBo3m0&index=4&list=RDhPacOf98o2M

٢٤. أغنية ازاى محمد منير- ثورة مصر https://www.youtube.com/watch?v=_y9_45lLFBU

٢٥. https://www.youtube.com/watch?v=R7voLdhr7V0

٢٦. اللحظات الأخيرة في حكم مبارك – وثائقي

https://www.youtube.com/watch?v=ZdHD3SqzSqY

٢٧. المسلماني كتبت خطاب تنحى مبارك ولم يقرأه

https://m.youtube.com/watch?v=D1scgcfm0KI

٢٨. الفقي- علاء مبارك تنبأ بالثورة يوم ٦ يناير https://m.youtube.com/watch?v=oOr49HSnWsc

٢٩. الفقي- عزمي و سرور رفضا التوريث بشدة https://m.youtube.com/watch?v=DPF2unhnQ74

٣٠. كواليس إذاعة خطاب تنحى مبارك https://m.youtube.com/watch?v=CutUSvI0wsA

٣١. بيان رقم ٢ للقوات المسلحة بعد تنحي مبارك https://www.youtube.com/watch?v=oss_uCWPdjY

٣٢. البيان العسكري رقم(٣) https://www.youtube.com/watch?v=QRFG_Pjw_mo

٣٣. البيان العسكري رقم (٤) https://www.youtube.com/watch?v=11DeEgKquoc

٣٤. البيان العسكري رقم (٥) https://www.youtube.com/watch?v=1enlBhaMgKk

٣٥. البيان العسكري رقم (٦) https://www.youtube.com/watch?v=9mlpCMfy1R0

